تفسير التابعين

قدم له وحققه وعلق حواشيه
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الحادي عشر
[سورة القيامة، الآية: ١]- [آخر سورة الناس]

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القيامة»

«سورة القيامة» هي السورة الخامسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القارعة»، وقبل «سورة الهمزة»، وآياتها أربعون في عد الكوفيين، وتسع وثلاثون في عد الباقين. وكلماتها مائة وتسع وتسعون. وحروفها ثلاثمائة واثنتان وخمسون. المختلف فيها آية: {لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، فواصل آياتها «يقراه»[١].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة القيامة» -وفي لفظ: نزلت: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}- بمكة"[٢].

عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت سورة: {لَا أُقْسِمُ} بمكة[٣].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين وأهل التأويل"[٤].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٥].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٦].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) المحرر الوجيز: ٤٠١/٥.

(٥) زاد المسير: ٣٦٨/٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.

القرآن

{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)} [القيامة : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بيوم الحساب والجزاء، وأقسم بالنفس المؤمنة التقية التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفِعْل الموبقات، أن الناس سيبعثون. أيظنُّ هذا الإنسان الكافر أن لن نقدر على جَمْع عظامه بعد تفرقها؟ بلى سنجمعها، قادرين على أن نجعل أصابعه أو أنامله -بعد جمعها وتأليفها- خَلْقًا سويًّا، كما كانت قبل الموت.

سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان: {أَيَحْسَبُ} هذا الإنسان، يعني: عَدِيّ بن ربيعة بن أبي سَلمة خَتن الأَخْنس بن شَرِيق، وكان حليفًا لبني زهرة، فكَفر بالبعْث، وذلك أنه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا محمد، حدِّثني عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبَره النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بذلك. فقال: لو عاينتُ ذلك اليوم سأومن بك. ثم قال: يا محمد، أوَيجمع الله العظامَ يوم القيامة؟ قال: «نعم». فاستهزأ منه؛ فأنزَل الله -جلّ وعزّ-: {لا أُقسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ ولا أُقسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ أيَحْسَبُ الإنْسانُ ألَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ}"[٧].

عن مقاتل في قوله :{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)}، قال "نزلت هذه الآية في عَدِيّ بن ربيعة، والأَخْنس بن شَرِيق"[٨].

قوله تعالى:{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١]، أي:" أقسم بيوم القيامة، يوم الحساب والجزاء"[٩].

عن المغيرة بن شعبة، قال: "يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة أحدهم: موته"[١٠].

عن أبي قبيس، قال: "شهدت جنازة فيها علقمة، فلما دفن، قال: أما هذا فقد قامت قيامته"[١١].

اختلف العلماء في «لا» المبتدأ بها في أول الكلام، على قولين :

أحدها : أنها صلة دخلت مجازاً، ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة، قاله سعيد جبير[١٢]، ومنه قول الشاعر[١٣]:

تَذكّرْت ليلى فاعْتَرْتني صَبابةٌ ... وكاد ضمير القلْبِ لا يتَقطّع

أي: يتقطع، ودخل حرف «لا» صلة[١٤].

عن سعيد بن جُبير: "{لا أُقسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ}، قال: أقسم بيوم القيامة"[١٥].

عن سعيد بن جبير:" {لا أُقسِم}، قال: أقسم"[١٦].

عن سعيد بن جبير، قال: "قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ فقلت: من أهل العراق، فقال: أيهم؟ فقلت: من بني أسد، فقال: من حريبهم، أو ممن أنعم الله عليهم؟ فقلت: لا بل ممن أنعم الله عليهم، فقال لي: سل، فقلت: {لا أقسم بيوم القيامة}، فقال: يقسم ربك بما شاء من خلقه"[١٧].

---

(٧)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٠٩ - ٥١٠.

(٨)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥١٠.

(٩) صفوة التفاسير: ٤٥٩/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٤.

(١٣)بلا نسبة في الجنى الداني : ٣٠٢؛ ورصف المباني : ٢٧٤.

(١٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٩٤/٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.

الثاني : أنها دخلت توكيداً للكلام، كقوله : «لا والله»، وكقول امرىء القيس[١٨]:
فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ ... لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرْ
قاله أبو بكر بن عياش[١٩].
قال هشام الرفاعي: "سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قوله: {لا أُقْسِمُ} توكيد للقسم كقوله: لا والله"[٢٠].
وقرأ الحسن : «لأقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَة»، فجعلها لاماً دخلت على ما أُقسم إثباتاً للقسم، وهي قراءة ابن كثير[٢١].
قوله تعالى:{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة : ٢]، أي:" وأقسم بالنفس المؤمنة التقية، التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات، وفعل الموبقات"[٢٢].
وفي قوله تعالى:{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة : ٢]، وجهان:
أحدهما : أنه تعالى أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكونان قَسَمَيْن ، قاله قتادة[٢٣]، وسعيد بن جُبَير[٢٤].
قال قتادة: "أقسم بهما جميعا"[٢٥].
الثاني : أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، قاله الحسن[٢٦]، ويكون تقدير الكلام : أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة.
قال الحسن: "أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوّامة"[٢٧].
والصحيح أنه أقسم بهما جميعا[٢٨].
واختلف أهل التفسير في معنى قوله: «النفس اللوامة»-هاهنا-: على أقوال:
أحدها: معناه: ولا أقسم بالنفس التي تلوم على الخير والشرّ. قاله سعيد بن جبير[٢٩]، وعكرمة[٣٠].
عن سعيد بن جُبير، قال: "قلت لابن عباس: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}، قال: هي النفس اللئوم"[٣١].
عن سِماك : أنه سأل عِكْرِمة عن قوله :{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} قال : يلوم على الخير والشر : لو فعلت كذا وكذا"[٣٢].
الثاني: أنها تلوم على ما فات وتندم. وهذا قول مجاهد[٣٣].

---

(١٨)انظر: الديوان: ١٥٤، والخزانة: ٤/ ٤٨٩. وفيه: «لَا وَأَبِيكِ».
وابنة العامري: اسمها هو، وقد ذكر اسمها في هذه القصيدة. والعامري: من بني عمرو بن عامر من الأزد، اسمه سلامة بن عبد الله، وقيل غير ذلك.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.
(٢١)انظر: تيسير الداني: ١٧٦، والمحتسب: ٢/ ٣٤١ ، وتفسير الطبري: ٤٧/٢٤. قال النحاس في إعراب القرآن: ٥١/٥:" وهذا لحن عند الخليل وسيبويه".
(٢٢) صفوة التفاسير: ٤٥٩/٣.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٢٥) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.
(٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٢٧) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.
(٢٨) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٩/٢٤.
(٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٩/٢٤.
(٣١) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٤.
(٣٢) رواه ابن ابي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٧٥/٨.
(٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.

قال مجاهد:" تندم على ما فات وتلوم عليه"[٣٤].

الثالث: أن اللوّامة: الفاجرة. وهذا مروي عن قتادة[٣٥].

وهذه وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشرّ وتندم على ما فات، والقرّاء كلهم مجمعون على قراءة هذه بفصل «لا» من أقسم"[٣٦].

قال قرة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية : "إن المؤمن - والله - ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ وإن الفاجر يمضي قُدُما ما يعاتب نفسه"[٣٧].

وقال جُوَيْبر : "بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله :{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} قال : ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة"[٣٨].

قوله تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} [القيامة : ٣-٤]، أي:" أيظنُّ هذا الإنسان الكافر أن لن نقدر على جَمْع عظامه بعد تفرقها؟ بلى نجمعها ونحن قادرون أن نجعل أصابعه أو أنامله -بعد جمعها وتأليفها- خَلْقًا سويًّا، كما كانت قبل الموت"[٣٩].

عن مجاهد، قوله: "{عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}، رجليه، قال: كخفّ البعير فلا يعمل بهما شيئا"[٤٠].

قال عكرمة:" على أن نجعله مثل خفّ البعير، أو حافر الحمار"[٤١].

قال الحسن:" جعلها يدا، وجعلها أصابع يقبضهنّ ويبسطهنّ، ولو شاء لجمعهنّ، فاتقيت الأرض بفيك، ولكن سوّاك خلقا حسنا. قال أبو رجاء: وسُئل عكرمة فقال: لو شاء لجعلها كخفّ البعير"[٤٢].

قال الضحاك:" البنان: الأصابع، يقول: نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خفّ البعير"[٤٣].

قال القرظي: "لو شاء لجعله خنزيرا حمارا"[٤٤].

قال قتادة:" لو شاء جعل بنانه مثل خفّ البعير، أو حافر الدابة"[٤٥].

قال قتادة:" قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة، أو كخفّ البعير، ولو شاء لجعله كذلك، فإنما ينقي طعامه بفيه"[٤٦].

عن غَيلان بن جرير، عن أصحابه، في قوله: "{بلى قادرين على أن نسوي بنانه}، قال: قادرين على أن نَجعلها مثل رُبعٍ"[٤٧].

القرآن

{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)} [القيامة : ٥-٦]

---

(٣٤) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٤.

(٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.

(٣٦) تفسير الطبري: ٤٠/٢٤.

(٣٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.

(٣٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.

(٣٩) التفسير الميسر: ٥٧٧، وصفوة التفاسير: ٤٦٠/٣.

(٤٠) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.

(٤١) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.

(٤٢) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.

(٤٣) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.

(٤٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢.

(٤٥) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.

(٤٦) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.

(٤٧)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٢١٥ (٢٣٤٧). قال محققه: «كذا في الأصل، لكن وضع ضمة على الباء». والظاهر أنّ المراد: نجعلها مثل يد الرُبَع أو قدمه، والربع هو ولد الناقة في أول النتاج، ولا أصابع له.

التفسير:
بل ينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره، يسأل هذا الكافر مستبعدًا قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟

قوله تعالى:{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} [القيامة : ٥]، أي:" بل ينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره"(٤٨).

وفي قوله تعالى:{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} [القيامة : ٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: يقدِّم الذنب ويؤخِّر التوبة، ويقول: سوف أتوب. سعيد بن جبير(٤٩).

قال سعيد بن جبير:" يقول: سوف أتوب سوف أتوب"(٥٠).

الثاني : يمضي أمامه قدُماً لا ينزع عن فجور ، قاله الحسن(٥١)، وعكرمة(٥٢)،والسدي(٥٣).

عن السدي:" {بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ}، قال: قُدُمًا"(٥٤). وفي رواية:" يعني: لِيَظلم على قدر طاقته"(٥٥).

قال عكرمة:" قدما لا ينزع عن فجور"(٥٦).

قال الحسن:" قدما قدما في المعاصي"(٥٧). وفي رواية:" يمضي قُدُمًا في معاصي الله"(٥٨).

قال الحسن:" لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُما قدما، إلا من قد عصم الله"(٥٩).

قال مجاهد:" يمضي أمامه راكبا رأسه"(٦٠).

الثالث : بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله ، ولا يذكر الموت ، قاله الضحاك(٦١).

قال الضحاك:" هو الأمل يؤمل الإنسان، أعيش وأصيب من الدنيا كذا، وأصيب كذا، ولا يذكر الموت"(٦٢).

قوله تعالى:{يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ٦]، أي:" يسأل هذا الكافر مستبعدًا قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟"(٦٣).

قال قتادة:" يقول: متى يوم القيامة، قال: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من سُئل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة"(٦٤).

القرآن

---

(٤٨) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٤٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٣. ونحوه في "تفسير الطبري": ٥٣/٢٤.
(٥٠) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ٢٠٨/٣. ونحوه الطبري في "التفسير": ٥٣/٢٤.
(٥١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٤.
(٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٤.
(٥٣) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(٥٤) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(٥٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٣.
(٥٦) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(٥٧) تفسير عبدالرزاق(٣٤٠٥):ص٣٦٧/٣.
(٥٨)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٣.
(٥٩) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(٦٠) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(٦١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٤-٥٤.
(٦٢) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤-٥٤.
(٦٣) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٦٤) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٤.

{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠)} [القيامة : ٧-١٠]

التفسير:

فإذا تحيَّر البصر ودُهش فزعًا مما رأى من أهوال يوم القيامة، وذهب نور القمر، وجُمِع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟

قوله تعالى:{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ} [القيامة : ٧]، أي:" فإذا تحيَّر البصر ودُهش فزعًا مما رأى من أهوال يوم القيامة"(٦٥).

عن قتادة، قوله: "{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ}، شخص البصر"(٦٦).

قال قتادة:" شَخَص البصر، فلا يَطرِفُ مما يَرى من العجائب مما كان يُكذّب به في الدنيا أنه غير كائن"(٦٧).

عن مجاهد، قوله: "{بَرِقَ الْبَصَرُ}، قال: عند الموت"(٦٨).

وقال أبو عمرو بن العلاء :{بَرِقَ} بكسر الراء، أي : حار" (٦٩).

قال الحسن: "{فَإذا بَرِقَ البَصَرُ}، يعني: يوم القيامة"(٧٠).

قوله تعالى:{وَخَسَفَ الْقَمَرُ} [القيامة : ٨]، أي:" وذهب نور القمر"(٧١).

قال قتادة:" ذهب ضوءه فلا ضوء له"(٧٢).

قال الحسن:" هو ضوءه، يقول: ذهب ضوءه"(٧٣).

قال ابن كيسان: "ويحتمل أن يكون بمعنى: غاب، كقوله سبحانه: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} [القصص : ٨١]"(٧٤).

قوله تعالى:{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [القيامة : ٩]، أي:" وجُمِع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما"(٧٥).

عن مجاهد: "{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}، قال: كوّرا يوم القيامة"(٧٦).

قال الحسن:" أي: جَمَعهما جميعًا"(٧٧).

عن عطاء بن يسار:" أنه تلا هذه الآية يوما: {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}، قال: يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى"(٧٨).

---

(٦٥) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(٦٦) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤.

(٦٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٤.

(٦٨) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤.

(٦٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٨، وعقبه: "وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى :{لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} [إبراهيم : ٤٣]، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء ؛ من شدة الرعب ".

(٧٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٦٤ - . وقال عقبه: أي: شَخَص لإجابة الداعي، كقوله: {لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} [إبراهيم: ٤٣].

(٧١) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(٧٢) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤.

(٧٣) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤-٥٧.

(٧٤) نقلا عن: "الكشف والبيان": ٨٤/١٠.

(٧٥) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(٧٦) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٤.

(٧٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٦٤ -.

(٧٨) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٤.

قوله تعالى:{يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ} [القيامة : ١٠]، أي:" يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟"[٧٩].

عن الأوزاعي، قال: "سمعتُ بلال بن سعد يقول في قوله تعالى: {ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت} [سبأ: ٥١]. قال: ذلك قوله تعالى: {يقول الإنسان يومئذ أين المفر}"[٨٠].

القرآن

{كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)} [القيامة : ١١-١٢]

التفسير:

ليس الأمر كما تتمناه -أيها الإنسان- مِن طلب الفرار، لا ملجأ لك ولا منجى. إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة ومستقرهم، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{كَلَّا لَا وَزَرَ} [القيامة : ١١]، أي:" ليس الأمر كما تتمناه -أيها الإنسان- مِن طلب الفرار، لا ملجأ لك ولا منجى"[٨١].

قال مجاهد:" لا ملجَأ ولا جبل"[٨٢].

قال قتادة:" لا جبل ولا حِرْز ولا منجى"[٨٣].

عن إبراهيم بن طريف، قال: "سمعت مُطَرِّف بن الشِّخِّير يقرأ: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}، فلما أتى على: {كَلا لا وَزَرَ}، قال: هو الجبل، إن الناس إذا فرّوا قالوا عليك بالوَزَر"[٨٤].

عن أدهم، قال: "سمعت مُطَرِّفا يقول: {كَلا لا وَزَرَ}، قال: كلا لا جَبَل"[٨٥].

عن قتادة، والحسن: "{كَلا لا وَزَرَ}، قال: لا جبل"[٨٦].

قال قتادة:" لا جَبَل، ولا حِرْز، ولا مَلْجأ، ولا مَنجى"[٨٧].

قال الحسن:" كانت العرب تخيف بعضها بعضا، قال: كان الرجلان يكونان في ماشيتهما، فلا يشعران بشيء حتى تأتيهما الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه، يا فلان الوَزَر الوَزَر، الجَبَل الجَبَل"[٨٨].

قال الحسن:" كانت العرب في الجاهلية إذا خشوا عدوّا قالوا: عليكم الوزر: أي عليكم الجبل"[٨٩].

قال الضحاك:" يعني: الجبل -بلغة حِمْيَر-"[٩٠].

عن سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وأبي قلابة: "{كَلا لا وَزَرَ}، قال: لا حصن"[٩١].

عن عطية بن سعد العَوفيّ: "لا حِصْن"[٩٢].

عن أبي قلابة عبد الله بن زيد الجرمي، {لا وزَرَ}، قال: "لا غار، لا مَلْجأ"[٩٣].

---

(٧٩) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٨٠)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٢٧.
(٨١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٨٢) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٨٣) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٨٤) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٨٥) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٨٦) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤، ٦٠، وعبد الرزاق ٢/ ٣٣٣.
(٨٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٨٨) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٨٩) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٩٠) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٤.
(٩١) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٤.
(٩٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٩٣)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن جرير.

قوله تعالى:{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة : ١٢]، أي:" إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة ومستقرهم، فيجازي كلا بما يستحق"[٩٤].

عن قتادة: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} المُنتهى"[٩٥]. وروي عن السدي مثله[٩٦].

القرآن

{يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)} [القيامة : ١٣]

التفسير:

يُخَبَّر الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله: من خير وشر، ما قدَّمه منها في حياته وما أخَّره.

واختلف أهل العلم في تفسير الآية على أقوال:

أحدها: ينبأ بأوّل عمله وآخره.، قاله مجاهد[٩٧]، وإبراهيم النخعي[٩٨].

الثاني : بما قدّم مِن طاعة الله، وما ضيَّع من حقّ الله. قاله قتادة[٩٩].

وعن أبي صالح باذام، في قوله: {يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وأخَّرَ}، قال: قَدّم مِن حسنة، أو أخَّر من سُنَّة حسنة عُمِل بها بعده؛ عِلمًا عَلّمه، صدقة أمَر بها"[١٠٠].

الثالث: أنه يُعرض عليه عَمَلَه؛ خيره وشرّه عند الموت.

قال مجاهد:" بلغنا: أنّ نفس المؤمن لا تَخرج حتى يُعرض عليه عَمَلَه؛ خيره وشرّه"[١٠١].

قال الحسن:" يُنزِّل مَلَك الموت عليه عند الموت حَفظته، فيُعرَض عليه الخير والشر، فإذا رأى حسنة بَهَش[١٠٢] وأشرق، وإذا رأى سيئة غَضَّ وقَطَّب[١٠٣].

الرابع: بما قدَّم من أمواله، وما خلَّف للورثة. قاله زيد بن أسلم[١٠٤].

الخامس : بما قَدَّمَ في أول عمره وما أخَّرَ في آخر عمره. قاله عطاء[١٠٥].

الصواب، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكلّ ما قدّم أمامه مما عمل من خير أو شرّ في حياته، وأخَّر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدّم وأخَّر، كذلك ما قدّم من عمل عمله من خير أو شرّ، وأخَّر بعده من عمل كان عليه فضيَّعه، فلم يعمله مما قدّم وأخَّر، ولم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض، فكلّ ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة"[١٠٦].

عن سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان، قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: "خمس مصائب في الذنب أعظم من الذنب:

أوّلها: خذلان الله لعبده حتى عصاه ولو عصمه ما عصاه.

والثانية: أن سلبه حلية أوليائه وكساه لباس أعدائه.

والثالثة: أن أغلق عليه أبواب رحمته وفتح عليه أبواب عقوبته.

---

(٩٤) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(٩٥) أخرجه الطبري: ٦١/٢٤.

(٩٦)تفسير البغوي ٨/ ٢٨٢.

(٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢٤.

(٩٨)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٥٢، والطبري: ٦١/٢٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٩٩) انظر: تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٣٣، تفسير الطبري: ٦٢/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٠٠)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٠١)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٠٢)يقال للإنسان إذا نظر إلى الشيء فأعجبه واشتهاه وأسرع نحوه: قد بَهَشَ إليه. النهاية (بهش).

(١٠٣)عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين.

(١٠٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٥/١٠.

(١٠٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٥/١٠.

(١٠٦) تفسير الطبري: ٦٢/٢٤.

والرابعة: نظر إليه وهو يعصيه.
والخامسة: وقوفه بين يديه يعرض عليه ما قدّم وأخّر من قبائحه.
فهؤلاء المصائب الخمس في الذنب أعظم من الذنب"[١٠٧].

القرآن
{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)} [القيامة : ١٤-١٥]
التفسير:
بل الإنسان حجة واضحة على نفسه تلزمه بما فعل أو ترك، ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن إجرامه، فإنه لا ينفعه ذلك.
قوله تعالى:{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة : ١٤]، أي:" بل الإنسان حجة واضحة على نفسه تلزمه بما فعل أو ترك"[١٠٨].
وفي قوله تعالى:{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة : ١٤]، ودوه من التفسير:
أحدها : أنه شاهد على نفسه بما تقدم به الحجة عليه، قاله أبو العالية[١٠٩]، وعطاء[١١٠]، ومنه قوله تعالى {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء : ١٤].
قال أبو العالية وعطاء: "بل الإنسان على نفسه شاهد"[١١١].
الثاني : أن جوارحه شاهدة عليه بعمله ، قاله عكرمة[١١٢]، ومنه قوله تعالى : {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس : ٦٥].
قال قتادة:" شاهد عليها بعملها"[١١٣].
الثالث : معناه: بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه فيما يستحقه لها وعليها من ثواب وعقاب. روي معناه عن قتادة[١١٤].
قال قتادة:" إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم، غافلا عن ذنوبه؛ قال: وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوبا: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك، ولا تبصر الجذع المعترض في عينك"[١١٥].
قوله تعالى:{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [القيامة : ١٥]، أي:" ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن إجرامه، فإنه لا ينفعه ذلك"[١١٦].
وفي قوله تعالى:{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [القيامة : ١٥]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: لو اعتذر يومئذ لم يقبل منه، قاله سعيد بن جبير[١١٧].
قال سعيد بن جبير:" شاهد على نفسه ولو اعتذر"[١١٨].
قال مجاهد:" ولو جادل عنها، فهو بصيرة عليها"[١١٩].

---

(١٠٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٨٥/١٠.
(١٠٨) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(١٠٩) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(١١٠) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(١١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(١١٢) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(١١٣) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٤.
(١١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٢٤.
(١١٥) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٤.
(١١٦) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(١١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.
(١١٨) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.
(١١٩) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.

عن قتادة، قوله: "{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، قال: ولو اعتذر"[١٢٠]. وفي رواية:" لو اعتذر يومئذ بباطل لم يَقبل اللهُ ذلك منه يوم القيامة"[١٢١].

عن الحسن: "{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، لم تُقبل معاذيره"[١٢٢].

وقال عطاء:" يعني: يَشهد عليه الشاهد، ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم يَنفعه"[١٢٣].

عن عمران بن حدير، قال: "سألت عكرِمة، عن قوله: {بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، قال: فسكت، فقلت له: إن الحسن يقول: ابن آدم عملك أولى بك، قال: صدق"[١٢٤].

الثاني : لو أظهر حجته، قاله السدي[١٢٥]، ومنه قول النابغة[١٢٦]:

لدىّ إذا ألقى البخيلُ معاذِرَه

الثالث : معناه: ولو أرخى ستوره، و«الستر» -بلغة اليمن-: معذار، قاله الضحاك[١٢٧]، والسدي[١٢٨]، قال الشاعر[١٢٩]:

ولكنّها ضَنّتْ بمنزلِ ساعةٍ ... علينا وأطّت فوقها بالمعاذرِ

قال السدي:" ولو أرخى الستور، وأغلق الأبواب"[١٣٠].

عن الضحاك :"{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، قال: ستوره، أهل اليمن يسمون «الستر»: المعذار"[١٣١].

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: ولو اعتذر لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهدًا من نفسه بقوله: {بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك، ولو جادل عنها بالباطل، واعتذر بغير الحقّ، فشهادة نفسه عليه به أحقّ وأولى من اعتذاره بالباطل"[١٣٢].

القرآن

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)} [القيامة : ١٦-١٩]

التفسير:

لا تحرك -أيها النبي- بالقرآن لسانك حين نزول الوحي؛ لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلّت منك. إن علينا جَمْعه في صدرك، ثم أن تقرأه بلسانك متى شئت. فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فاستمِعْ لقراءته وأنصت له، ثم اقرأه كما أقرأك إياه، ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس -من طريق سعيد بن جُبَير-: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُعالج من التنزيل شِدّة، فكان يُحرّك به لسانه وشَفَتيه مخافة أن يَتفلّتَ منه، يريد أن يَحفظه؛ فأنزل الله: {لا تُحَرِّكْ

---

(١٢٠) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤.

(١٢١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٤.

(١٢٢) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤.

(١٢٣)تفسير البغوي ٨/ ٢٨٣.

(١٢٤) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.

(١٢٥) انظر: النكت والعيون: ١٥٥/٦.

(١٢٦) انظر: النكت والعيون: ١٥٥/٦.

(١٢٧) انظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ٣٤٢.

(١٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٤.

(١٢٩) انظر: النكت والعيون: ١٥٥/٦، وتفسير القرطبي: ١٠٠/١٩، والبحر المحيط: ٣٤٧/١٠، واللباب: ٥٧٢/١٠.

(١٣٠) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٤.

(١٣١) أخرجه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن": ٣٤٢.

(١٣٢) تفسير الطبري: ٦٥/٢٤.

بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ} قال: يقول: علينا أن نَجمعه في صدرك ثم تقرأه، {فَإذا قَرَأْناهُ} يقول: إذا أنزلناه عليك {فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} فاستَمِع له وأنصِتْ، {ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ} أن نُبيّنه بلسانك، وفي لفظ: علينا أن نَقرأه. فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق -وفي لفظ استمَع-، فإذا ذَهب قرأه كما وعده الله - عز وجل -"[١٣٣].

عن سعيد بن جُبير، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجَّل به يريد حفظه؛ وقال يونس: يحرِّك شفتيه ليحفظه، فأنزل الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ}"[١٣٤].

قوله تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، أي:" لا تحرك -أيها النبي- بالقرآن لسانك حين نزول الوحي؛ لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلَّت منك"[١٣٥].

وفي قوله تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسان يستذكره . مخافة أن ينساه ، وكان ناله منه شدة ، فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال :{إنّ علينا جَمْعَه وقرآنه}، به قال سعيد بن جبير[١٣٦]، والضحاك[١٣٧].

قال سعيد بن جبير:" كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن، فيحرِّك به لسانه، يستعجل به، فقال: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه}"[١٣٨].

قال الضحاك:" كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي من القرآن حرّك به لسانه مخافة أن ينساه"[١٣٩].

الثاني : أنه كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهي عن ذلك حتى يجتمع ، لأن بعضه مرتبط ببعض ، قاله عامر الشعبي[١٤٠].

قال الشعبي:" كان إذا نزل عليه الوحي عَجِل يتكلم به من حبه إياه، فنزل: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}"[١٤١].

الثالث: أنه كان يُكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه، فقيل له: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} إن علينا أن نجمعه لك، ونقرئكه فلا تنسى. وهذا قول الحسن[١٤٢]، ومجاهد[١٤٣]، وقتادة[١٤٤].

قال الحسن:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه ليستذكره، فقال الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}، إنا سنحفظه عليك"[١٤٥].

قال مجاهد:" كان يستذكر القرآن مخافة النسيان، فقال له: كفيناكه يا محمد"[١٤٦].

قال قتادة:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيكثر مخافة أن ينسى"[١٤٧].

---

(١٣٣)أخرجه البخاري ١/ ٨ (٥)، ٦/ ١٦٣ (٤٩٢٧ - ٤٩٢٩)، ٦/ ١٩٥ (٥٠٤٤)، ٩/ ١٥٣ (٧٥٢٤)، ومسلم ١/ ٣٣٠ (٤٤٨)، والطبري: ٦٦/٢٤، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧٩ -.

(١٣٤) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤-٦٦.

(١٣٥) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(١٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٦/٢٤.

(١٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٣٨) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٤.

(١٣٩) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٦/٢٤.

(١٤١) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٤.

(١٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٤٥) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٤٦) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.

قال قتادة:" كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه مخافة النسيان، فأنزل الله ما تسمع"[١٤٨].

قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة : ١٧]، أي:" إن علينا جَمْعه في صدرك، ثم أن تقرأه بلسانك متى شئت"[١٤٩].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة : ١٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : عيلنا حفظه وتأليفه على ما انزلناه، قاله قتادة[١٥٠]. ومنه قول عمرو بن كلثوم[١٥١]:

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ ... هِجانِ اللَّوْنِ لمْ تَقرأ جَنِينا

يعني بقوله: «لَمْ تَقرأ» لم تضمّ رحما على ولد، ويقال للتي لم تلد: ما قرأت سلى قط[١٥٢].

عن قتادة: "{جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}، قال: حفظه وتأليفه"[١٥٣].

الثاني : عيلنا أن نجمعه لك حتى تثبته في قلبك ، قاله الضحاك[١٥٤].

قوله تعالى:{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة : ١٨]، أي:" فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فاستمِعْ لقراءته وأنصت له، ثم اقرأه كما أقرأك إياه"[١٥٥].

قال الضحاك:" يقول: اتبع ما فيه"[١٥٦].

قال قتادة:" يقول: اتبع حلاله، واجتنب حرامه"[١٥٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة : ١٩]، أي:" ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه"[١٥٨].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة : ١٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : بيان ما فيه من أحكام وحلال وحرام ، قاله قتادة[١٥٩].

قال قتادة:" بيان حلاله، واجتناب حرامه، ومعصيته وطاعته"[١٦٠].

الثاني : علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد ، قاله الحسن[١٦١].

القرآن

{كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)} [القيامة : ٢٠-٢١]

التفسير:

---

(١٤٧) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٤٨) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.

(١٤٩) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(١٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٤.

(١٥١) البيت هو السادس في الجزء الثاني من ديوانه رقم ٢١، وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٧/١، وتفسير الطبري: ٦٨/٢٤.

(١٥٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٧/١، وتفسير الطبري: ٦٩/٢٤.

(١٥٣) أخرجه الطبري: ٦٨/٣٤.

(١٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٤.

(١٥٥) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(١٥٦) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٤.

(١٥٧) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٤.

(١٥٨) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(١٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.

(١٦٠) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٤.

(١٦١) انظر: النكت والعيون: ١٥٦/٦.

ليس الأمر كما زعمتم -يا معشر المشركين- أن لا بعث ولا جزاء، بل أنتم قوم تحبون الدنيا وزينتها، وتتركون الآخرة ونعيمها.

قال قتادة:" اختار أكثر الناس العاجلة، إلا من رحم الله وعصم"[١٦٢].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {يحبون} {ويذرون} بالياء جميعا، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى {تحبون} {وتذرون} بالتاء[١٦٣].

القرآن

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} [القيامة : ٢٢-٢٣]

التفسير:

وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة ناعمة، ترى خالقها ومالك أمرها، فتتمتع بذلك.

قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة : ٢٢]، أي:" وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة ناعمة"[١٦٤].

وفي قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة : ٢٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: حسنة، قاله الحسن[١٦٥]، ومجاهد-في رواية-[١٦٦]، وأبو صالح[١٦٧].

قال مجاهد:" نُضرة الوجوه: حُسنها"[١٦٨].

قال مجاهد:" الوجوه الحسنة"[١٦٩].

قال مجاهد:" من السرور والنعيم والغبطة"[١٧٠].

عن مجاهد: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}، قال: نضرة من النعيم"[١٧١].

وقال مجاهد:" ضاحكة إلى ربها ناظرة"[١٧٢].

عن أبي صالح: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ}، قال: حَسنة"[١٧٣].

عن الحسن:" {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ}، يقول: حَسنة"[١٧٤].

عن الحسن:"النَّضْرة: الحُسن، نَظرتْ إلى ربّها فنَضَرتْ بنوره"[١٧٥].

عن السدي:" {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ} مُضيئة"[١٧٦].

قال محمد بن كعب القرظي:" نَضّر الله تلك الوجوه وحَسّنها للنظر إليه"[١٧٧].

الثاني : مستبشرة، قاله مجاهد-أيضا-[١٧٨].

---

(١٦٢) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.

(١٦٣) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦١.

(١٦٤) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(١٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٤.

(١٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٤.

(١٦٧) .

(١٦٨) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.

(١٦٩) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.

(١٧٠) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.

(١٧١) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.

(١٧٢) السنة لعبدالله بن احمد(٤٨٠):ص٢٦١/٢.

(١٧٣)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٤٤. وعزاه السيوطي إلى ابن جرير.

(١٧٤)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٨٧ -، والطبري: ٧١/٢٤.

(١٧٥)أخرجه الآجري (٥٨٥)، واللالكائي (٨٠٠)، والبيهقي في الاعتقاد ص ١٣٣.

(١٧٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٧، وتفسير البغوي ٨/ ٢٨٤.

(١٧٧)أخرجه الآجري (٥٨٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

الثالث : مسرورة ، قاله مجاهد-[١٧٩]، وعكرمة[١٨٠].

قوله تعالى:{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة : ٢٣]، أي:" ترى خالقها ومالك أمرها، فتتمتع بذلك"[١٨١].

وفي قوله تعالى:{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة : ٢٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : تنظر إلى ربها في القيامة[١٨٢]، قاله الحسن[١٨٣]، وعكرمة[١٨٤]، وعطية العوفي[١٨٥].

قال الحسن:" تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق"[١٨٦].

عن الحسين بن واقد :"{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، قال: أخبرني يزيد النحوي، عن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد، وأشياخ من أهل الكوفة، قال: تنظر إلى ربها نظرا"[١٨٧].

قال عطية العوفي:" هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}"[١٨٨].

الثاني : إلى ثواب ربها، قاله مجاهد[١٨٩]، وأبو صالح[١٩٠].

قال مجاهد:" تنتظر الثواب من ربها"[١٩١]. وفي رواية:" تنتظر الثواب"[١٩٢].

قال مجاهد:" تنتظر رزقه وفضله"[١٩٣].

قال مجاهد:" تنتظر من ربها ما أمر لها"[١٩٤].

قال مجاهد:" تنتظر الثواب من ربها، لا يراه من خلقه شيء"[١٩٥].

عن منصور، عن مجاهد، قال: "كان أناس يقولون في حديث: «فيرون ربهم»، فقلت لمجاهد: إن ناسا يقولون إنه يرى، قال: يَرى ولا يراه شيء"[١٩٦].

قال أبو صالح:" تنتظر الثواب"[١٩٧].

وهذا تفسير مدخول لأنّ العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: نظرته، كما قال الله سبحانه: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ} هل ينظرون إلّا نار الله؟ و{ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً}، وإذا أردت به التفكّر والتدبير قالوا: نظرت فيه فأمّا إذا كان النظر مقرونا بذكر إلى وذكر الوجه فلا يكون إلّا بمعنى الرؤية والعيان[١٩٨].

---

(١٧٨) انظر: النكت والعيون: ١٥٦/٦.

(١٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٦٥):ص٣٣٨٧/١٠.

(١٨٠) انظر: النكت والعيون: ١٥٦/٦.

(١٨١) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(١٨٢)قال ابن كثير:" أي : تراه عيانا". [تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٨].

(١٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٨٦) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٨٧) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٨٨) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.

(١٩١) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٩٢) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٩٣) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.

(١٩٤) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.

(١٩٥) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.

(١٩٦) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.

(١٩٧) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.

(١٩٨) تفسير الثعلبي: ٨٨/١٠.

والصواب: أن معنى ذلك: تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: .. عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أدْنى أهْلِ الجَنَّةِ مَنزلةً، لمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ ألْفَيْ سَنَةٍ، قال: وإنَّ أفضَلَهُمْ مَنزلةً لَمَن يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللهِ كُلَّ يَوْم مَرَّتَين ; قال: ثم تلا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، قال: بالبياض والصفاء، قال: {إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، قال: تنظر كلّ يوم في وجه الله عزّ وجلّ"[١٩٩].

قال أبو حنيفة:" والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة"[٢٠٠].

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها ؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة - وما في الصحيحين - : أن ناسا قالوا : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سَحَاب ؟" قالوا : لا. قال : "فإنكم تَرَون ربكم كذلك»[٢٠١].

وفي الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : «إنكم تَرَون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم ألا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»[٢٠٢].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "جَنَّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فِضَّة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا ردَاء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[٢٠٣].

وفي أفراد مسلم، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «"إذا دخل أهلُ الجنة الجنة" قال : "يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟" قال : "فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة". ثم تلا هذه الآية :{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦]»[٢٠٤].

وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه : «إن الله يَتَجلَّى للمؤمنين يضحك»[٢٠٥] – يعني: في عرصات القيامة - ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات، وفي روضات الجنات.

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه. وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين»[٢٠٦].

وأخرج الطبري عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى مُلكِه وسرره وخدمه مسيرة ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشية"[٢٠٧].

---

(١٩٩) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(٢٠٠) الفقه الأكبر: ٥٣.
(٢٠١)صحيح البخاري برقم (٧٤٣٧، ٧٤٣٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢).
(٢٠٢)صحيح البخاري برقم (٧٤٣٤، ٧٤٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٣٣).
(٢٠٣)صحيح البخاري برقم (٧٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠).
(٢٠٤)صحيح مسلم برقم (١٨١).
(٢٠٥)صحيح مسلم برقم (١٩١).
(٢٠٦)المسند (١٣/٢).
(٢٠٧) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.

وأخرج الطبري بسنده عن أبي الصهباء الموصلي، قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، من يرى سرره وخدمه ومُلكهُ في مسيرة ألف سنة، فيرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة، من ينظر إلى وجه الله غدوة وعشية"[٢٠٨].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن موسى بن صالح بن الصباح -رضي الله عنه- قال: "إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله فيقومون بين يديه ثلاثة أصناف، فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول: عبدي لماذا عملت؟ فيقول يا رب خلقت الجنة وأشجارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها. فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا إليها فيقول: عبدي إنما عملت للجنة فادخلها، ومن فضلي عليك أن أعتقك من النار، فيدخلها هو ومن معه، ثم يؤتى بالصنف الثاني فيقول: عبدي لماذا عملت؟ فيقول: يا رب خلقت نارا وخلقت أغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها وما أعددت لأعدائك ولأهل معصيتك فيها، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفا منها فيقول: عبدي إنما عملت خوفا من النار فإني أعتقتك من النار، ومن فضلي عليك أدخلتك جنتي، فيدخل هو ومن معه الجنة، ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول: عبدي ولماذا عملت؟ فيقول: ربي حبا لك وشوقا إليك، وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا إليك وحبا لك، فيقول الله عبدي إنما عملت شوقا إلي وحبا لي فيتجلى له الرب، فيقول: ها أنا ذا انظر إلي، ثم يقول: فضلي عليك أن أعتقك من النار، وأبيحك جنتي، وأزيرك ملائكتي وأسلم عليك بنفسي، فيدخل هو ومن معه الجنة"[٢٠٩].

ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مَواضِعَ من هذا التفسير، وبالله التوفيق. وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام. وهُدَاة الأنام، ومن تأول ذلك بأن المراد بـ {إلى} مفرد الآلاء، وهي النعم، كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد :{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} فقال تنتظر الثواب من ربها. رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد. وكذا قال أبو صالح أيضا - فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه. وأين هو من قوله تعالى :{كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} ؟[المطففين : ١٥]، قال الشافعي، رحمه الله : ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلم أن الأبرار يرونه عز وجل. ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة.."[٢١٠].

القرآن

{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)} [القيامة : ٢٤-٢٥]

التفسير:

ووجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة، تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم فَقَار الظَّهْر.

قوله تعالى:{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة : ٢٤]، أي:" ووجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة"[٢١١].

عن مجاهد، قوله: "{باسِرَةٌ}، قال: كاشرة"[٢١٢].

عن قتادة: "{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}، أي: كالحة"[٢١٣].

عن قتادة، وابن زيد :"{باسِرَةٌ}، قال: عابسة"[٢١٤].

---

(٢٠٨) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.

(٢٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٦٦):ص٣٣٨٨/١٠.

(٢١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٨-٢٨٠.

(٢١١) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٢١٢) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.

(٢١٣) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.

(٢١٤) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.

قوله تعالى:{تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة : ٢٥]، أي:" تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم فَقَار الظَّهْر"[٢١٥].

واختلف في معنى: «الفاقرة» على أقوال:

أحدها : أن الفاقرة: الداهية ، قاله مجاهد[٢١٦].

الثاني : الشر ، قاله قتادة[٢١٧].

الثالث : الهلاك ، قاله السدي[٢١٨].

الرابع: قاصِمة الظهر. قاله سعيد بن جبير[٢١٩].

القرآن

{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)} [القيامة : ٢٦-٣٠]

التفسير:

حقًّا إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل مِن راق يَرْقيه ويَشْفيه مما هو فيه؟ وأيقن المحتضر أنَّ الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعاينته ملائكة الموت، واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، إلى الله تعالى مساق العباد يوم القيامة: إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قوله تعالى:{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} [القيامة : ٢٦]، أي:" حقًّا إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل مِن راق يَرْقيه ويَشْفيه مما هو فيه؟"[٢٢٠].

وفي قوله تعالى:{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} [القيامة : ٢٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : قال أهْله : من راقٍ يرقيه بالرُّقى. قاله عكرمة[٢٢١].

قال عكرمة:" هل من راق يرقي"[٢٢٢].

الثاني : هل من طبيب شاف، قاله أبو قلابة[٢٢٣]، والضحاك[٢٢٤]، وقتادة[٢٢٥]، ومنه قول الشاعر[٢٢٦]:

هَلْ لِلفَتَى مِنْ بنَاتِ الدَّهْرِ من وَاقِ؟ ... أمْ هَلْ لَهُ مِن حَمامِ المَوتِ مِنْ رَاقِ؟

عن الضحاك:" {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}، قال: هو الطبيب"[٢٢٧]. وفي رواية:" هل من مداوٍ"[٢٢٨].

قال قتادة:" أي: التمسوا له الأطباء فلم يُغْنوا عنه من قضاء الله شيئا"[٢٢٩].

---

(٢١٥) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٢١٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.

(٢١٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.

(٢١٨) انظر: النكت والعيون: ١٥٧/٦.

(٢١٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٨، وتفسير البغوي ٨/ ٢٨٥.

(٢٢٠) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٢٢١) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.

(٢٢٢) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.

(٢٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.

(٢٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.

(٢٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.

(٢٢٦) بلا نسبة في النكت والعيون: ١٥٨/٦، وتفسير القرطبي: ١١١/١٩، واللباب: ٥٧١/١٩، وليزيد بن خذاق كما في "باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن": ١٥٩٣/٣

(٢٢٧) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.

(٢٢٨) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.

(٢٢٩) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -عليه السلام- : «إنّ العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإنّ مفاصله يسلّم بعضها على بعض، يقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»[٢٣٠].

الثالث : قالت الملائكة: من يصعد بها، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ قاله أبو الجوزاء[٢٣١].

قال سليمان التيمي:" هذا من قول الملائكة، يقول بعضهم لبعض: مَن يَرْقى بروحه فيَصعد بها؛ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب؟[٢٣٢].

قال أبو العالية: "يختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أيّهم يترقّى بروحه"[٢٣٣].

عن بسر بن جحاش : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يومًا في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال : "قال الله تعالى : ابن آدم أني تعجزني وقد خلقتك مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟!"[٢٣٤].

قوله تعالى:{وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} [القيامة : ٢٨]، أي:" وأيقن المحتضر أنَّ الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعاينته ملائكة الموت"[٢٣٥].

قال قتادة:" أي: استيقن أنه الفراق"[٢٣٦].

قوله تعالى:{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ} [القيامة : ٢٩]، أي:" والتفت إحدى ساقي المحتضر على الأخرى، من شدة كرب الموت وسكراته"[٢٣٧].

وفي قوله تعالى:{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ} [القيامة : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : اتصال الدنيا بالآخرة .

قال الحسن: "ساق الدنيا بالآخرة"[٢٣٨].

قال الضحاك:" ساق الدنيا بساق الآخرة"[٢٣٩]. وفي رواية:" هما الدنيا والآخرة"[٢٤٠].

قال عطية:" الدنيا والآخرة"[٢٤١].

قال قتادة:" أمر الدنيا بأمر الآخرة"[٢٤٢].

قال مجاهد:" آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة"[٢٤٣].

قال مجاهد:" التفّ أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت"[٢٤٤].

قال ابن مجاهد: "هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت"[٢٤٥].

---

(٢٣٠)(٣) كنز العمال: ١٥/ ٥٦٣ ح ٤٢١٨٣، وتفسير الثعلبي: ٨٩/١٠.

(٢٣١) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٤.

(٢٣٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٩، وتفسير البغوي ٨/ ٢٨٥.

(٢٣٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٩/١٠.

(٢٣٤)رواه الإمام أحمد في المسند (٣١٠/٤).

(٢٣٥) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٢٣٦) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.

(٢٣٧) صفوة التفاسير: ٤٦٣/٣.

(٢٣٨) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.

(٢٣٩) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.

(٢٤٠) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.

(٢٤١) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.

(٢٤٢) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.

(٢٤٣) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.

(٢٤٤) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.

(٢٤٥) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.

الثاني : الشدة بالشدة والبلاء بالبلاء، أي: تتابعت عليه الشدائد: شدة بعد مفارقة الوطن من الدنيا والأهل، وشدة القدوم على ربه، فالتقت آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة ، قاله سعيد بن جبير[٢٤٦]، عكرمة[٢٤٧]، ومجاهد[٢٤٨]، وقتادة-في إحدى الروايات-[٢٤٩]، وعطاء[٢٥٠]، والسدي[٢٥١]، ومنه قول الشاعر[٢٥٢]:

أخُو الْحَرْبِ إنْ عَضَّتِ الْحَرْبُ عَضَّها ... وَإنْ شَمَّرَتْ عنْ سَاقِها الْحَرْبُ شَمَّرا

قال قتادة:" الشدّة بالشدّة، ساق الدنيا بساق الآخرة"[٢٥٣].

قال سعيد بن جبير: "تتابعت عليه الشدائد"[٢٥٤].

قال السدي: "لا يخرج من كرب إلّا جاءه أشدّ منه"[٢٥٥].

الثالث : التفَّت ساقا الميت إذا لفتا في الكفن، كما يُقال للمرأة إذا التصقت فخذاها: هِيَ لَفّاء . قاله الحسن[٢٥٦]، وسعيد بن المسيب[٢٥٧].

عن الحسن: "{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ}، قال: لفُّهما في الكفن"[٢٥٨].

قال الحسن:" هما ساقاك إذا لفَّتا في. الكفن"[٢٥٩].

وقال زيد بن أسلم: " ساق الكفن بساق الميت"[٢٦٠].

الرابع: معناه: التفاف ساقي الميت عند الموت. قاله عامر الشعبي[٢٦١]، وأبو مالك[٢٦٢]، وهو مروي عن الحسن –أيضا-[٢٦٣].

قال أبو مالك:" التفَّت ساقاك عند الموت"[٢٦٤]. وفي رواية:" ساقاه عند الموت"[٢٦٥].

قال أبو مالك:" هما ساقاه إذا ضمت إحداهما بالأخرى"[٢٦٦].

قال الحسن:" ساقا ابن آدم عند الموت"[٢٦٧].

---

(٢٤٦)انظر: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.

(٢٤٧) انظر: النكت والعيون: ١٥٨/٦.

(٢٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢٤.

(٢٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٤.

(٢٥٠)انظر: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.

(٢٥١)انظر: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.

(٢٥٢)ورد في ديوان حاتم الطائي: ٨٢، و"الكامل" ٣/ ١١٤٧: منسوبًا إلى حاتم الطائي، كما ورد الشطر الثاني في ديوان جرير: ١٨٥: دار بيروت: أما شطره الأول فهو:

ألا رُبَّ سامي الطرف من آل زمان.

(٢٥٣) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.

(٢٥٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.

(٢٥٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.

(٢٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٤.

(٢٥٧)ورد قوله في "الكشف والبيان" ٩٠/١٠، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٤٠٦، و"زاد المسير" ٨/ ١٣٩، و"التفسير الكبير" ٣٠/ ٣٣٢.

(٢٥٨) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.

(٢٥٩) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.

(٢٦٠)الكشف والبيان" ٩٠/١٠.

(٢٦١) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٤-٧٩.

(٢٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.

(٢٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.

(٢٦٤) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.

(٢٦٥) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.

(٢٦٦) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.

(٢٦٧) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.

وقال الحسن-في رواية-:"لفَّهما أمر الله"[٢٦٨].
قال قتادة:" أما رأيته إذا ضرب برجله رجله الأخرى"[٢٦٩].
عن قتادة، عن الحسن : " ماتت رجلاه ولم تحملاه وكان عليهما جوّالا"[٢٧٠].
قال قتادة:" ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء، فقد كان عليهما جوّالا"[٢٧١].
الخامس : معناه: يبس الساقين عند الموت. وهذا مروي عن أبي مالك-أيضا-[٢٧٢]، والسدي[٢٧٣].
السادس: أنه اجتمع أمران شديدان عليه : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه ، قاله الضحاك[٢٧٤].
قال الضحاك:" أهل الدنيا يجهزون الجسد، وأهل الآخرة يجهزون الروح"[٢٧٥].
قال الضحاك:" اجتمع عليه أمران، الناس يجهِّزون جسده، والملائكة يجهزون روحه"[٢٧٦].
السابع : عمل الدنيا بعمل الآخرة. قاله إسماعيل بن أبي خالد[٢٧٧].
وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: والتقَّت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدّة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}، والعرب تقول لكلّ أمر اشتدّ: قد شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه، ومنه قول الشاعر[٢٧٨]:
إذَا شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ ساقها ... فَرِنها رَبِيعُ وَلا تَسأم
عني بقوله: {الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ}، التصقت إحدى الشِّدّتين بالأخرى، كما يقال للمرأة إذا التصقت إحدى فخذيها بالأخرى: لقَّاء"[٢٧٩].
حكي:" أن يعقوب عليه السلام لما أتاه البشير، قال: ما أذن لي ما آتيتك اليوم، إلا أن أقول هون الله عليك سكرة الموت"[٢٨٠].
وقيل للأسود بن يزيد[٢٨١] حين احتضر: "أبشر بالمغفرة. قال: فأين الحياء ممن كانت"[٢٨٢].

القرآن
{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥)} [القيامة : ٣١-٣٥]
التفسير:
فلا آمن الكافر بالرسول والقرآن، ولا أدَّى لله تعالى فرائض الصلاة، ولكن كذَّب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان، ثم مضى إلى أهله يتبختر مختالا في مشيته. هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك.

---

(٢٦٨) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(٢٦٩) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(٢٧٠) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٩٠/١٠، وانظر: تفسير التستري: ١٨٢.
(٢٧١) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(٢٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.
(٢٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.
(٢٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٤.
(٢٧٥) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.
(٢٧٦) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.
(٢٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٤.
(٢٧٨) بلا نسبة، ولم اقف على قائله فيما عندي من المصادر.
(٢٧٩) تفسير الطبري: ٨٠/٢٤.
(٢٨٠) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٢.
(٢٨١)الأسود بن يزيد بن قيس النخعي (... - ٧٥ هـ) : تابعي، فقيه، من الحفاظ. كان عالم الكوفة في عصره.
(٢٨٢) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٢.

قوله تعالى:{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى} [القيامة : ٣١]، أي:" فلا آمن الكافر بالرسول والقرآن، ولا أدَّى لله تعالى فرائض الصلاة"[٢٨٣].

قال قتادة:" لا صدّق بكتاب الله، ولا صلى لله"[٢٨٤].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [القيامة : ٣٢]، أي:" ولكن كذَّب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان"[٢٨٥].

قال قتادة:" كذّب بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله"[٢٨٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى} [القيامة : ٣٣]، أي:" ثم مضى إلى أهله يتبختر مختالا في مشيته"[٢٨٧].

قال زيد بن أسلم:" يتبختر، قال: هي مشية بني مخزوم"[٢٨٨].

عن إسماعيل بن أمية، عن مجاهد: "{ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى}، قال: رأى رجلا من قريش يمشي، فقال: هكذا كان يمشي كما يمشي هذا، كان يتبختر"[٢٨٩].

عن مجاهد، قوله: "{يَتَمَطَّى}، قال: أبو جهل"[٢٩٠].

قال قتادة:" وهو أبو جهل بن هشام، كانت مِشيته"[٢٩١].

قوله تعالى:{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى(٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة : ٣٤-٣٥]، أي:" هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك "[٢٩٢].

عن قتادة: "{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، وعيد على وعيد، كما تسمعون، زعم أن هذا أنزل في عدوّ الله أبي جهل. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمجامع ثيابه فقال: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، فقال عدوّ الله أبو جهل: أيوعدني محمد؟ والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئا، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها"[٢٩٣].

قال قتادة:" أخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده، يعني بيد أبي جهل، فقال: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، فقال: يا محمد، ما تستطيع أنت وربك فيّ شيئا، إني لأعزّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال: لا يُعبد الله بعد هذا اليوم، وضرب الله عنقه، وقتله شرّ قِتلة"[٢٩٤].

قال الحسن البصري: "{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} إنّ أبا جهل قال للنبي: ما بين هذين الجبلين أحدٌ أعزّ مني، فاجهد أنت وربّك -يا محمد- جهدكما. فأنزل الله: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} وعيد بعد وعيد، فقَتَله الله يوم بدر، وصيّره إلى جهنم"[٢٩٥].

عن موسى بن أبي عائشة، قال: قلت لسعيد بن جُبير: أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل نفسه، أم أمر أمره الله به؟ قال: بل قاله من قِبَل نفسه، ثم أنزل الله: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}"[٢٩٦].

---

(٢٨٣) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢٨٤) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٢٨٥) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢٨٦) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٢٨٧) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢٨٨) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٢٨٩) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٢٩٠) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٢٩١) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٢٩٢) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢٩٣) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٤.
(٢٩٤) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٤.
(٢٩٥)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٦٦ - ٦٧ -.

قال أبو نعيم: "سمعت عمر بن ذر، يقرأ هذه الآية {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة: ٣٤]، فجعل يقول: يا رب ما هذا الوعيد"[٢٩٧].

عن عمر بن ذر، قال: {أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى} علينا تكرّر الوعيد، فلا، وعزّتك، ما نحتمل وعيد مَن هو دونك مِمَّن لا يَضرّ ولا ينفع ممن يشركنا في لدّة نومنا وطعامنا وشرابنا حتى نعلم ما لنا فيما وُعدنا، اللهم، وهؤلاء الذين اغتنموا ظُلمة الليل وجاهدوك بما استَخفَوا به مِن غيرك، فإن كان في سابق العلم ألا يُحدثوا توبة فَأَقْدِمَنَّهم بأسوأ أعمالهم"[٢٩٨].

القرآن

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)} [القيامة : ٣٦-٤٠]

التفسير:

أيظنُّ هذا الإنسان المنكر للبعث أن يُترك هَمَلا لا يُؤمر ولا يُنْهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟ ألم يك هذا الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق ويصب في الأرحام، ثم صار قطعة من دم جامد، فخلقه الله بقدرته وسوَّى صورته في أحسن تقويم؟ فجعل من هذا الإنسان الصنفين: الذكر والأنثى، أليس ذلك الإله الخالق لهذه الأشياء بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم؟ بلى إنه -سبحانه وتعالى- لقادر على ذلك.

قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة : ٣٦]، أي:" أيظنُّ هذا الإنسان المنكر للبعث أن يُترك هَمَلا لا يُؤمر ولا يُنْهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟"[٢٩٩].

وفي قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة : ٣٦]، وجهان من التفسير:

أحدها : يظن ألا يبعث، قاله السدي[٣٠٠].

الثاني : يعني: لا يؤمر ولا ينهى، قاله مجاهد[٣٠١].

قال السديّ: "الذي لا يفترض عليه عمل ولا يعمل"[٣٠٢].

عن مجاهد، قوله: "{أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}، قال: لا يُؤمر، ولا يُنْهى"[٣٠٣].

والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي : ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة. والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد[٣٠٤].

قوله تعالى:{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى } [القيامة : ٣٧]، أي:" ألم يك هذا الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق ويصب في الأرحام، ثم صار قطعة من دم جامد، فخلقه الله بقدرته وسوَّى صورته في أحسن تقويم؟ فجعل من هذا الإنسان الصنفين: الذكر والأنثى"[٣٠٥].

---

(٢٩٦) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٤.
(٢٩٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١١٢/٥.
(٢٩٨)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١١٤ - ١١٥.
(٢٩٩) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٣٠٠) انظر: النكت والعيون: ١٥٩/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٣٠١) انظر: تفسير الطبري: ٨٣/٢٤.
(٣٠٢) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٤.
(٣٠٣) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٤.
(٣٠٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٣٠٥) التفسير الميسر: ٥٧٨.

قال السدي:" إذا وقعت النطفة في الرحم [طارت في الجسد أربعون يوما][٣٠٦]، ثم تكون علقة أربعين يوما، ثم تكون مضغة أربعون يوما، فإذا بلغ أن يخلق، بعث الله ملكا يصورها، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلط في المضخة، ثم يعجنه بها، ثم يصورها كما يؤمر فيقول: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ وما رزقه؟ وما عمره؟ وما أثره؟ وما مصائبه؟ فيقول الله تعالى، ويكتب الملك، فإذا مات ذلك الجسد، دفن حيث أخذ ذلك التراب[٣٠٧].

قوله تعالى:{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة : ٤٠]، أي:" أليس ذلك الإله الخالق لهذه الأشياء بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم؟"[٣٠٨].

عن قتادة، قوله: "{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلى"[٣٠٩].

عن موسى بن أبي عائشة عن آخر: "أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}، قال: سبحانك اللهم، فبلي[٣١٠]. فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك"[٣١١].

عن إسماعيل بن أمية، قال: سمعت أعرابيا يقول : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها :{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} ؟ فليقل : بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ :{لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} فانتهى إلى :{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} ؟ فليقل : بلى. ومن قرأ :{وَالْمُرْسَلات} فبلغ {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} ؟ فليقل : آمنا بالله"[٣١٢].

«آخر تفسير سورة (القيامة)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(٣٠٦) زيادة في تفسير الطبري(٦٥٦٩):ص١٦٧/٦، رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس.

(٣٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣١٥٦):ص٥٩٠/٢.

(٣٠٨) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٣٠٩) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٤.

(٣١٠) في المطبوع" قبلي". وهو تصحيف

(٣١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٧٣):ص٣٣٨٩/١٠.

(٣١٢)سنن أبي داود برقم (٨٨٧)، والمسند (٢٤٩/٢)، وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٧). وقد جاء تسمية هذا الأعرابي في رواية الحاكم، فرواه في المستدرك (٥١٠/٢) من طريق يزيد بن عياض، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة بنحوه وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". قلت : يزيد بن عياض كذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الإنسان»

«سورة الإنسان» هي السورة السادسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الرحمان»، وعدد آياتها إحدى وثلاثون. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وخمسون. وفواصل آياتها على «الألف»[٣١٣].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مدنيّة كلّها، قاله ابن عباس[٣١٤]، ومجاهد[٣١٥]، وقتادة[٣١٦]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٣١٧].

الثاني: أنها مكيّة، قاله ابن عباس-أيضا-[٣١٨]، وابن الزبير[٣١٩]، ومقاتل[٣٢٠]، والكلبي[٣٢١]، ويحيى بن سلام[٣٢٢].

الثالث: أنّ فيها مكّيّا ومدنيّا. ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المكّيّ منها آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، وباقيها جميعه مدنيّ، قاله الحسن[٣٢٣]، وعكرمة[٣٢٤].

والثاني: أنّ أوّلها مدنيّ إلى قوله عزّ وجلّ{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} [الإنسان : ٢٣]، ومن هذه الآية إلى آخرها مكّيّ، حكاه الماورديّ[٣٢٥].

قال ابن عاشور:" الأصح أنها مكية فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية ولا أحسب الباعث على عدها في المدني إلا ما روي من أن آية : {يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّه} [الإنسان : ٨]، نزلت في إطعام علي بن أبي طالب بالمدينة مسكينا ليلة، ويتيما أخرى، وأسيرا أخرى، ولم يكن للمسلمين أسرى بمكة حملا للفظ أسير على معنى أسير الحرب، أو ما روي أنه نزل في أبي الدحداح وهو أنصاري، وكثيرا ما حملوا نزول الآية على مثل تنطبق عليها معانيها فعبروا عنها بأسباب نزول "[٣٢٦].

---

(٣١٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.

(٣١٤) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي.

(٣١٥) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٣١٦) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٣١٧) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٣١٨) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤، والدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى النحاس.

(٣١٩) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٢٠) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٣٢١) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.

(٣٢٢) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.

(٣٢٣) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٣٢٤) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٣٢٥) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.

(٣٢٦) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.

القرآن

{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١)} [الإنسان : ١]

التفسير:

قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان قبل أن تُنفَخ فيه الروح، لم يكن شيئا يُذكر، ولا يُعرف له أثر.

سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان: ... وذلك أنّ امرأ القيس بن عابس الكِنْدِيّ، ومالك بن الضّيف اليهودي؛ اختصما بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمْر آدم - عليه السلام - وخَلْقه، فقال مالك بن الضّيف: إنما نجد في التوراة أنّ الله خَلَق آدم حين خَلَق السموات والأرض. فأنزَل الله - عز وجل - يُكذِّب مالك بن الضّيف اليهودي، فقال: {هَلْ أتى عَلَى الإنْسانِ} يعني: قد أتى على الإنسان {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} يعني: واحدًا وعشرين ألف سنة، وهي ثلاثة أسباع بعد خَلْق السموات والأرض {لَمْ يَكُنْ شيئًا مَذْكُورًا} يُذكر"[٣٢٧].

قال قتادة:" الإنسان أتى عليه {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}، قال: إنما خلق الإنسان –هاهنا- حديثا ما يعلم من خليفة الله خليقة كانت بعد إلا هذا الإنسان"[٣٢٨].

قال قتادة:" إنما خلق الإنسان -ها هنا- حديثا، ما يعلم من خليقة الله كانت بعد الإنسان"[٣٢٩].

قال قتادة:" كان آدم صلى الله عليه وسلم آخر ما خلق من الخلق"[٣٣٠].

وفي قوله تعالى : {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} [الإنسان : ١]، قولان:

أحدهما : أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ، ثم نفخ فيه الروح ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك[٣٣١].

الثاني : أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر وزمان غير محدود. وهو معنى قول عكرمة[٣٣٢].

قال عكرمة: "إن من الحين حينا لا يدرك قال الله: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان : ١]، والله ما يدري كم أتى عليه حتى خلقه الله"[٣٣٣].

عن عمرو بن مهاجر، قال: "استأذن غَيلان على عمر بن عبد العزيز، فأذِن له، فقال: ويحك، يا غَيلان، ما الذي بلغني عنك أنك تقول؟ قال: إنما أقول بقول الله: {هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا} إلى قوله: {إما شاكرًا وإما كفورًا}. قال عمر: تِمَّ السورة، ويحك! أما تسمع الله يقول: {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله} [الإنسان: ٣٠]؟! ويحك، يا غَيلان، أما تَعلم أنّ الله {جاعل في الأرض} إلى {العليم الحكيم} [البقرة: ٣٠ - ٣٢]؟! فقال غَيلان: يا أمير المؤمنين، لقد جئتُك جاهلًا فعلَّمتَني، وضالًا فهَديتَني. قال: اخرج، ولا يبلغني أنك تَكلَّم بشيء من هذا"[٣٣٤].

عن يزيد بن أبي زياد، أن عبد الله بن مسعود، سمع رجلا قرأ: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان: ١]، فقال: «إي وعزتك، فجعلته سميعا بصيرا، وحيا وميتا»[٣٣٥].

عن الخليل بن مرة قال: "قرأ عمر بن الخطاب {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}، فرفع صوته، وقال: يا ليتها تمت"[٣٣٦]. أراد: "ليت تلك الحالة تمت، وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف"[٣٣٧].

---

(٣٢٧)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٢٢.

(٣٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٧٥):ص٣٣٩٠/١٠.

(٣٢٩) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٤.

(٣٣٠) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٤.

(٣٣١) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.

(٣٣٢) الدر المنثور: ٣٦٧/٨، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣٣٣) الدر المنثور: ٣٦٧/٨، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣٣٤)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ١٩٤.

(٣٣٥) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ١٥٠.

عن واهب المعافري:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أقرئه المصمدة، فقال رجل: أنا، يا رسول الله، فأقرأه رسول الله سورة: يونس؛ ثم قال: من أقرئه المحلية، فقال رجل أنا، يا رسول الله، فأقرأه: طه؛ ثم قال: من أقرئه المحبرة، فقال رجل أنا؛ فأقرأه: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}"[٣٣٨].

القرآن

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)} [الإنسان : ٢-٣]

التفسير:

إنا خلقنا الإنسان من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد، فجعلناه من أجل ذلك ذا سمع وذا بصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الدلائل، إنا بيَّنا له وعرَّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر; ليكون إما مؤمنًا شاكرًا، وإما كفورًا جاحدًا.

قوله تعالى:{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ} [الإنسان : ٢]، أي:" إنا خلقنا الإنسان من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة"[٣٣٩].

عن السدي:" ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة"[٣٤٠].

الثاني : أن النطفة ماء الرجل، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجاً. حكاه الماوردي[٣٤١].

وفي معنى: «الأمشاج»، أقوال:

أحدها : أنه الأخلاط، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة ، قاله الحسن[٣٤٢]، وعكرمة[٣٤٣]، ومجاهد[٣٤٤]، والربيع[٣٤٥]، ومنه قول رؤبة بن العجاج[٣٤٦]:

يَطْرَحْنَ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاج ... لَمْ يُكْسَ جِلْدًا في دَمٍ أمْشاج

ومنه قول الشاعر[٣٤٧]:

كأن الرّيش والفوقين منه ... خلاف النّصل سيط به مشيج

عن عكرمة: "{أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ}، قال: ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر"[٣٤٨].

قال عكرمة:" ماء الرجل وماء المرأة يختلطان"[٣٤٩].

قال الربيع:" إذا اجتمع ماء الرجل وماء المرأة فهو أمشاج"[٣٥٠].

قال الحسن:" مُشج ماء المرأة مع ماء الرجل"[٣٥١].

---

(٣٣٦) رواه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٦٩/٥.

(٣٣٧) الكشاف: ٦٦٥/٤.

(٣٣٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٧):ص٣٥/٣.

(٣٣٩) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٣٤٠) انظر: النكت والعيون: ١٦٣/٦.

(٣٤١) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.

(٣٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠، والنكت والعيون: ١٦٢/٦.

(٣٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠، والنكت والعيون: ١٦٢/٦.

(٣٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠.

(٣٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠.

(٣٤٦) ديوانه: ٣٢ و تفسير الطبري:٨٨/٢٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١٨.

(٣٤٧) البيت لعمرو بن الداخل الهذلي من قصيدته في ديوان الهذليين ٣/ ١٠٤، وانظر اللسان (مشج).

(٣٤٨) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.

(٣٤٩) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.

(٣٥٠) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.

(٣٥١) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.

قال مجاهد:" خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال الله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}"[٣٥٢].

قال مجاهد:" خلق من تارات ماء الرجل وماء المرأة"[٣٥٣].

وقال يمان: "كل لونين اختلطا، فهما أمشاج"[٣٥٤].

وقال ابن كيسان: "الأمشاج: الأخلاط؛ لأنها ممتزجة من أنواع، فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة"[٣٥٥].

الثاني : أن الأمشاج الألوان ، قاله عكرمة[٣٥٦].

عن عكرمة، في هذه الآية "{أَمْشَاجٍ}، قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما"[٣٥٧].

روى سعيد عن قتادة، عن أنس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :"ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه"[٣٥٨] .

الثالث : عُني بذلك اختلاف ألوان النطفة. قاله مجاهد[٣٥٩].

قال مجاهد: "ألوان النطفة"[٣٦٠].

عن مجاهد: "{أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ}، قال: ألوان النطفة؛ نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة حمراء وخضراء"[٣٦١].

وقال مجاهد:" أيّ الماءين سبق أشبه عليه أعمامه وأخواله"[٣٦٢].

الرابع : أن الأمشاج : الأطوار ، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة ، وطوراً علقة ، وطوراً مضغة ، ثم طوراً عظماً ، ثم يكسى العظم لحماً ، قاله قتادة[٣٦٣].

قال قتادة:" أطوار الخلق، طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة، وطورا عظاما، ثم كسى الله العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت له الشعر"[٣٦٤].

قال قتادة:" الأمشاج: اختلط الماء والدم، ثم كان علقة، ثم كان مضغة"[٣٦٥].

الخامس : أن الأمشاج: العروق التي في النُّطفة. قاله زيد بن أسلم[٣٦٦].

وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك {مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ}: نطفة الرجل ونطفة المرأة، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجا وهي علقة؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لونا واحدا لم تكن

---

(٣٥٢) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٥٣) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٥٤) تفسير الثعلبي: ١٩٧/٢٨.

(٣٥٥) تفسير الثعلبي: ١٩٧/٢٨.

(٣٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٥٧) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٥٨)رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه (٣٩٣٨)، ومسلم كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل (٣١٥)، وأحمد في "المسند" ٣/ ٢٧١ (١٣٨٦٨).

(٣٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤-٩١.

(٣٦٠) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٦١) أخرجه الطبري: ٩١/٢٤.

(٣٦٢) أخرجه الطبري: ٩١/٢٤.

(٣٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٦٤) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٦٥) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣٦٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر. وهو مروي عن ابن مسعود، وزيد بن حارثة، كما في تفسير الطبري: ٩١/٢٤.

ألوانا مختلفة، وأحسب أن الذين قالوا: هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى. وقد حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: «إنما خلق الإنسان من الشيء القليل من النطفة. ألا ترى أن الولد إذا أسكت ترى له مثل الرّير؟ وإنما خلق ابن آدم من مثل ذلك من النطفة أمشاج نبتليه»[٣٦٧].

قوله تعالى:{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان : ٣]، أي:" إنا بيَّنا له وعرَّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر، ليكون إما مؤمنًا شاكرًا، وإما كفورًا جاحدًا "[٣٦٨].

عن عكرمة:" {إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ}، قال: سبيل الهُدى"[٣٦٩].

عن عطية العَوفيّ، {إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ}، قال: الخير، والشّرّ"[٣٧٠].

عن مجاهد، قوله: "{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ}، قال: الشقوة والسَّعادة"[٣٧١].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا} للنعم، {وَإِمَّا كَفُورًا} لها"[٣٧٢].

القرآن

{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)} [الإنسان : ٤]

التفسير:

إنا أعتدنا للكافرين قيودًا من حديد تُشَدُّ بها أرجلهم، وأغلالا تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم، ونارًا يُحرقون بها.

قوله تعالى:{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ} [الإنسان : ٤]، أي:" إنا أعتدنا للكافرين قيودًا من حديد تُشَدُّ بها أرجلهم"[٣٧٣].

وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر: «سلاسلا» منونا. الباقون بغير تنوين. ووقف قنبل وابن كثير وحمزة بغير ألف. الباقون بالألف[٣٧٤].

قوله تعالى:{وَأَغْلَالًا} [الإنسان : ٤]، أي:" وأغلالا تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم"[٣٧٥].

عن التيمي -من طريق ابنه- قال: "لو أنّ غُلًّا مِن أغلال جهنم وُضِع على جبلٍ لَوَهَصَهُ حتى يبلغ الماء الأسود"[٣٧٦].

قوله تعالى:{وَسَعِيرًا} [الإنسان : ٤]، أي:" ونارًا يُحرقون بها"[٣٧٧].

عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"[٣٧٨].

القرآن

{إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)} [الإنسان : ٥]

التفسير:

---

(٣٦٧) تفسير الطبري: ٩١/٢٤.

(٣٦٨) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٣٦٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٧٠)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣٧١) أخرجه الطبري: ٩٢/٢٤.

(٣٧٢) أخرجه الطبري: ٩٢/٢٤.

(٣٧٣) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٣٧٤) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦٣.

(٣٧٥) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٣٧٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٨٣.

(٣٧٧) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٣٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٠):ص٣/٩٨٢.

إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، يشربون يوم القيامة مِن كأس فيها خمر ممزوجة بأحسن أنواع الطيب، وهو ماء الكافور.

قال قتادة:" قوم تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك"[٣٧٩].

عن مجاهد، قوله: "{مِزَاجُهَا كَافُورًا}، قال: تمزج"[٣٨٠].

قال عطاء: "الكافور: اسم لِعَيْنٍ ماءٍ في الجنة"[٣٨١].

عن الحسن: " الْأَبْرارَ : هم الذين لا يؤذون الذرّ[٣٨٢]"[٣٨٣].

القرآن

{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)} [الإنسان : ٦-١٠]

التفسير:

هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويُجْرونها حيث شاؤوا إجراءً سهلا. هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله، ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيرًا، وشره فاشيًا منتشرًا على الناس، إلا مَن رحم الله، ويُطْعِمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيرًا عاجزًا عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلا مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيرًا أُسر في الحرب من المشركين وغيرهم، ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضًا ولا نقصد حمدًا ولا ثناءً منكم. إنا نخاف من ربنا يومًا شديدًا تَعْبِس فيه الوجوه، وتتقطَّبُ الجباه مِن فظاعة أمره وشدة هوله.

اختلفوا فيمن نزلت قوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} [الإنسان: ٨]، على قولين:

أحدهما: قال عطاء عن ابن عباس: "وذلك أن علي بن أبي طالب نوبة أجر نفسه يسقي نخلا بشيء من شعير ليلة، حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئا ليأكلوه، يقال له: الخزيرة. فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام. ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه. ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. فأنزلت فيه هذه الآيات"[٣٨٤].

الثاني: أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ويتيم، وأسير، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل[٣٨٥].

قال مقاتل:" نزلت في أبي الدحداح الأنصاري، ويقال في علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وذلك أنه صام يوما فلما أراد أن يفطر دعا سائل، فقال: عشوني بما عندكم فإني لم أطعم اليوم شيئا. قال أبو الدحداح أو علي: قومي فاثردي رغيفا وصبي عليه مرقة، وأطعميه. ففعلت ذلك فما لبثوا أن جاءت جارية يتيمة فقالت: أطعموني فإني ضعيفة لم أطعم اليوم شيئا، قال: يا أم الدحداح قومي فاثردي رغيفا وأطعميها، فإن هذه والله أحق من ذلك المسكين، فبينما هم كذلك إذ جاء على الباب سائل أسير ينادي: عشوا الغريب في بلادكم، فإني أسير في أيديكم وقد أجهدني الجوع فبالذي أعزكم وأذلني لما أطعمتموني. فقال أبو الدحداح: يا

---

(٣٧٩) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٤.

(٣٨٠) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٤.

(٣٨١)تفسير البغوي ٨/ ٢٩٣.

(٣٨٢)في الصحاح «الذر»: النمل.

(٣٨٣) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٦/٥، والكشاف: ٦٦٧/٤.

(٣٨٤) أسباب النزول للواحدي: ٤٧٠، بدون إسناد، وعزاه في الدر (٦/ ٢٩٩) لابن مردويه.

(٣٨٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٥/٤.

أم الدحداح، قومي ويحك فاثردي رغيفا وأطعمي الغريب الأسير، فإن هذا أحق من أولئك فأطعموا ثلاث أرغفة، وبقي لهم «رغيف واحد، فأنزل الله- تبارك وتعالى- فيهم يمدحهم بما فعلوا، فقال: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً}"[٣٨٦].

قال السمعاني:" اختلف القول فيمن نزلت هذه الآية، فأصح الأقاويل: أن الآية على العموم، والقول الثاني: أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين.. وقيل: إن الآية نزلت في أبي الدرداء"[٣٨٧].

قوله تعالى:{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [الإنسان : ٦]، أي:" هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله"[٣٨٨].

قوله تعالى:{يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} [الإنسان : ٦]، أي:" يتصرفون فيها، ويُجْرونها حيث شاؤوا إجراءً سهلا"[٣٨٩].

عن مجاهد، في قوله: "{يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}، قال: يعدّلونها حيث شاءوا"[٣٩٠].

قال مجاهد:" يقودونها حيث شاءوا"[٣٩١].

قال قتادة:" مستقيد ماؤها لهم يفجرونها حيث شاءوا"[٣٩٢].

عن الحسن البصري، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أربع عيون في الجنة؛ عينان تَجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر الله: {يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا}، والأخرى الزَّنجبيل، وعينان نَضّاختان من فوقُ، إحداهما التي ذكر الله: {سَلْسَبِيلًا}، والأخرى التّسنيم»[٣٩٣].

قوله تعالى:{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} [الإنسان : ٧]، أي:" هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله"[٣٩٤].

عن مجاهد: "{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}، قال: إذا نذروا في حق الله"[٣٩٥].

عن قتادة: "{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}، قال: بطاعة الله، وبالصلاة، وبالحجّ، وبالعمرة"[٣٩٦].

قال قتادة:" كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والزكاة، والحجّ والعمرة، وما افترض عليهم، فسماهم الله بذلك الأبرار، فقال: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}"[٣٩٧].

قوله تعالى:{وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان : ٧]، أي:" ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيرًا، وشره فاشيًا منتشرًا على الناس، إلا مَن رحم الله"[٣٩٨].

قال قتادة:" استطار والله شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض"[٣٩٩].

قوله تعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان : ٨]، أي:" ويُطْعِمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيرًا عاجزًا عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلا مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيرًا أُسر في الحرب من المشركين وغيرهم"[٤٠٠].

---

(٣٨٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٥/٤.
(٣٨٧) تفسير السمعاني: ١١٥/٦.
(٣٨٨) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٣٨٩) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٣٩٠) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٤.
(٣٩١) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٤.
(٣٩٢) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٤-٩٥.
(٣٩٣)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد مرسلًا.
(٣٩٤) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٣٩٥) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.
(٣٩٦) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.
(٣٩٧) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.
(٣٩٨) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٣٩٩) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٤.

عن مجاهد: "{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ}، قال: وهم يشتهونه"[٤٠١].

عن أبي العريان، قال: "سألت سليمان بن قيس أبا مقاتل بن سليمان، عن قوله: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا}، قال: على حبهم للطعام"[٤٠٢].

عن نافع قال : "مرض ابن عمر فاشتهى عنبا - أول ما جاء العنب - فأرسلت صفية - يعني امرأته - فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتبع الرسولَ السائل، فلما دخل به قال السائل : السائل. فقال ابن عمر : أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودًا فاتبع الرسولَ السائلُ، فلما دخل قال السائل : السائل. فقال ابن عمر : أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت : والله إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيرًا أبدًا. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به"[٤٠٣].

وفي الصحيح : "أفضل الصدقة أن تَصَدّقَ وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر"[٤٠٤].

واختلف أهل العلم في «الأسير» الذي ذكره الله في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها : أنه المسجون من أهل القبلة. قاله مجاهد[٤٠٥]، سعيد بن جبير[٤٠٦]، وعطاء[٤٠٧].

قال مجاهد:" الأسير: المسجون"[٤٠٨]. وفي رواية: "المحبوس"[٤٠٩].

الثاني: أنه العبد، قاله عكرمة[٤١٠].

وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول : «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»"[٤١١][٤١٢].

الثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي[٤١٣].

الرابع : أنه الأسير المشرك، قاله الحسن[٤١٤]، وسعيد بن جبير[٤١٥]، وقتادة[٤١٦]، وعكرمة[٤١٧]، وعطاء[٤١٨].

وهذا القول الأخير أظهر، لأن الأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركا[٤١٩]، ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء"[٤٢٠].

---

(٤٠٠) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٠١) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٤.
(٤٠٢) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤٠٣)السنن الكبرى للبيهقي (١٨٥/٤).
(٤٠٤)صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤، وزاد المسير: ٣٧٧/٤.
(٤٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤٠٨) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤٠٩) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤-٩٨.
(٤١٠) انظر: النكت والعيون: ١٦٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(٤١١)رواه أحمد في المسند (٧٨/١) من حديث على رضي الله عنه.
(٤١٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(٤١٣) انظر: زاد المسير: ٣٧٧/٤.
(٤١٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤١٥) انظر: النكت والعيون: ١٦٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(٤١٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤١٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤١٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(٤١٩) أحكام القرآن: ١٧٩/٢.
(٤٢٠) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.

قال الحسن:" ما كان أسراهم إلا المشركين"[٤٢١].
قال قتادة:" لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك"[٤٢٢].
قال قتادة:" كان أسراهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحقّ أن تطعمه"[٤٢٣].
قال سعيد بن جبير : "ثم نسخ أسير المشركين بالسيف"[٤٢٤]، وقال غيره:" بل هو ثابت الحكم في الأسير بإطعامه ، إلا أن يرى الإمام قتله"[٤٢٥].
قوله تعالى:{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} [الإنسان : ٩]، أي:" ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضًا ولا نقصد حمدًا ولا ثناءً منكم"[٤٢٦].
عن مجاهد: "{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا}، قال: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب"[٤٢٧].
قال سعيد بن جبير:" أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب"[٤٢٨].
قوله تعالى:{إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [الإنسان : ١٠]، أي:" إنا نخاف من ربنا يومًا شديدًا تَعْبِس فيه الوجوه، وتتقطَّبُ الجباه مِن فظاعة أمره وشدة هوله"[٤٢٩].
عن مجاهد:" {يَوْمًا} قال: يوم القيامة {عَبُوسًا} قال: العابس الشَّفَتَيْن، {قَمْطَرِيرًا} قال: تُقبَض الوجوه بالبسور. وفي لفظ: انقباض ما بين عينيه ووجهه"[٤٣٠].
عن مجاهد:{قَمْطَرِيرًا}" يُقبِّض الوجه بالبسور[٤٣١].
قال عكرمة:" القمطرير: ما يخرج من جباههم مثل القطران، فيسيل على وجوهم[٤٣٢].
عن قتادة:" {يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا}، قال: يومًا تُقبض فيه الجباه من شِدّته"[٤٣٣].
قال قتادة:" عبست فيه الوجوه، وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم"[٤٣٤].
قال قتادة:" تُقبِّض فيه الجباه، وقوم يقولون: القمطرير: الشديد"[٤٣٥].

القرآن
{فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤)} [الإنسان : ١١-١٤]

---

(٤٢١) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤٢٢) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤٢٣) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤٢٤) نقلا عن: النكت والعيون: ١٦٦/٦.
(٤٢٥) نقلا عن: النكت والعيون: ١٦٦/٦.
(٤٢٦) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٢٧) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٤.
(٤٢٨) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٤.
(٤٢٩) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٣٠)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٣١) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(٤٣٢) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(٤٣٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٧.
(٤٣٤) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(٤٣٥) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.

التفسير:
فوقاهم الله من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسنًا ونورًا في وجوههم، وبهجة وفرحًا في قلوبهم، وأثابهم بصبرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويَلْبَسون فيها الحرير الناعم، متكئين فيها على الأسرَّة المزينة بفاخر الثياب والستور، لا يرون فيها حر شمس ولا شدة برد، وقريبة منهم أشجار الجنة مظللة عليهم، وسُهِّل لهم أخْذُ ثمارها تسهيلا.

قوله تعالى:{وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} [الإنسان : ١١]، أي:" وأعطاهم حسنًا ونورًا في وجوههم، وبهجة وفرحًا في قلوبهم"(٤٣٦).

قال الحسن:" نَضْرة في الوجوه، وسرورا في القلوب"(٤٣٧).

قال قتادة:" نضرة في وجوههم، وسرورا في قلوبهم"(٤٣٨).

قوله تعالى:{وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} [الإنسان : ١٢]، أي:" وأثابهم بصبرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويَلْبَسون فيها الحرير الناعم"(٤٣٩).

قال قتادة:" يقول: وجزاهم بما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصيته ومحارمه، جنة وحريرا"(٤٤٠).

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الدّارَاني قال : "قرئ على أبي سليمان الداراني سورة :{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ} فلما بلغ القارئ إلى قوله :{وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد :

كَم قَتيل لشَهوةٍ وأسير... أفّ مِنْ مُشتَهي خِلاف الجَميل

شَهوَاتُ الإنْسان تورثه الذُّل... وتُلْقيه في البَلاء الطَّويل"(٤٤١).

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ} [الإنسان : ١٣]، أي:" متكئين فيها على الأسرَّة المزينة بفاخر الثياب والستور"(٤٤٢).

قال مجاهد:" السُّرُر في الحجال"(٤٤٣).

قال قتادة:" كنا نُحدَّث أنها الحجال فيها الأسرّة"(٤٤٤).

قوله تعالى:{لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} [الإنسان : ١٣]، أي:" لا يرون فيها حر شمس ولا شدة برد"(٤٤٥).

قال مجاهد:" الزمهرير: البرد المفظع"(٤٤٦).

قال قتادة:" يعلم أن شدّة الحرّ تؤذي، وشدّة القرّ تؤذي، فوقاهم الله أذاهما"(٤٤٧).

عن السُّدِّيّ، عن مرّة بن عبد الله:" قال في الزمهرير: إنه لون من العذاب، قال الله: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا}"(٤٤٨).

---

(٤٣٦) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٣٧) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(٤٣٨) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(٤٣٩) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٤٠) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(٤٤١)انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٨٦/٢٧).
(٤٤٢) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٤٣) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٤٤٤) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٤٤٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٤٦) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٤٤٧) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٤٤٨) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب، أكل بعضي بعضا، فنفسني، فأذن لها في كل عام بنفسين؛ فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم وأشد ما تجدون من الحر من حر جهنم"(٤٤٩).

قوله تعالى:{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} [الإنسان : ١٤]، أي:" وقريبة منهم أشجار الجنة مظللة عليهم وسُهِّل لهم أَخْذُ ثمارها تسهيلا"(٤٥٠).

قال مجاهد:" إذا قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت حتى ينالها، فذلك تذليلها"(٤٥١).

قال سفيان:" يتناوله كيف شاء جالسا ومتكئا"(٤٥٢).

قال قتادة:" لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك"(٤٥٣).

قال مجاهد : "أرض الجنة من وَرق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت، والوَرَق والثمر بين ذلك. فمن أكل منها قائما لم يؤذه، ومن أكل منها قاعدا لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعًا لم يؤذه"(٤٥٤).

القرآن

{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨)} [الإنسان :]

التفسير:

ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضيَّة، وأكواب الشراب من الزجاج، زجاج من فضة، قدَّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص، ويُسْقَى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسًا مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل، يشربون مِن عينٍ في الجنة تسمى سلسبيلا؛ لسلامة شرابها وسهولة مساغه وطيبه.

قوله تعالى:{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان : ١٥]، أي:" ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضيَّة"(٤٥٥).

قال قتادة:" أي: صفاء القوارير في بياض الفضة"(٤٥٦).

عن مجاهد: "{مِنْ فِضَّةٍ}، قال: فيها رقة القوارير في صفاء الفضة"(٤٥٧).

قال مجاهد:" صفاء القوارير وهي من فضة"(٤٥٨).

قوله تعالى:{وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا} [الإنسان : ١٥]، أي:" وأكواب الشراب من الزجاج"(٤٥٩).

قال مجاهد:" الأكواب: الأقداح"(٤٦٠).

عن مجاهد: "{وأكْوَابٍ}، قال: ليس لها آذان"(٤٦١).

---

(٤٤٩) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٤٥٠) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٥١) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٤٥٢) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٤٥٣) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٤٥٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(٤٥٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٥٦) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٤٥٧) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٤٥٨) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٤٥٩) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٦٠) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٤٦١) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.

قال السدي: "الأكواب: التي ليست لها آذان"[٤٦٢].
قال قتادة:" الأكواب: التي دون الأباريق ليس لها عُرًى"[٤٦٣].
قال الحسن: "هي الأباريق التي يصبّ لهم منها"[٤٦٤].
قوله تعالى:{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان : ١٦]، أي:" زجاج من فضة"[٤٦٥].
قال الحسن:" صفاء القوارير في بياض الفضة"[٤٦٦].
قال الحسن:" بياض الفضة في صفاء القوارير"[٤٦٧].
عن مجاهد، قوله: "{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: صفاء القوارير وهي من فضة"[٤٦٨].
قال مجاهد:" على صفاء القوارير، وبياض الفضة"[٤٦٩].
عن أبي صالح، قوله: "{كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: كان ترابها من فضة، قوله: {قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: صفاء الزجاج في بياض الفضة"[٤٧٠].
عن قتادة: "{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: هي من فضة، وصفاؤها: صفاء القوارير في بياض الفضة"[٤٧١].
قال قتادة:" لو احتاج أهل الباطل أن يعملوا إناء من فضة يرى ما فيه من خلفه، كما يرى ما في القوارير ما قدروا عليه"[٤٧٢].
قوله تعالى:{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} [الإنسان : ١٦]، أي:" قدَّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص"[٤٧٣].
وفي قوله تعالى:{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} [الإنسان : ١٦]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض. قاله مجاهد[٤٧٤].
قال مجاهد:" لا تنقص ولا تفيض"[٤٧٥].
قال مجاهد:" ممتلئة لا تُهَراق، وليست بناقصة"[٤٧٦].
قال مجاهد:" لا تَترع فتُهراق، ولا ينقصون من مائها فتنقص فهي ملأى"[٤٧٧].
الثاني: على قدر ريهم وكفايتهم. قاله الحسن[٤٧٨]، وسعيد بن جبير[٤٧٩]، وقتادة[٤٨٠].
قال الحسن:" قُدّرت لريّ القوم"[٤٨١].

---

(٤٦٢) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.
(٤٦٣) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٤٦٤) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٤٦٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٦٦) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٤٦٧) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٤٦٨) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٤٦٩) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٧٠) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٤٧١) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٤٧٢) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٤٧٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٧٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٧٥) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٧٦) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٧٧) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٧٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٧٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٨٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.

قال سعيد:" قدر ريِّهم"[٤٨٢].
عن قتادة :"{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}، لريِّهم"[٤٨٣].
قال قتادة:" قدرت على ريّ القوم"[٤٨٤].
الثالث: قدّروها على قدر ملء الكف. وهذا قول الربيع بن انس[٤٨٥].
وقال الضحاك : على قدر أكُفّ الخُدّام"[٤٨٦].
قوله تعالى:{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} [الإنسان : ١٧]، أي:" ويُسْقَى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسًا مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل"[٤٨٧].
وفي قوله تعالى:{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} [الإنسان : ١٧]، وجهان من التفسير:
أحدهما : تمزج بالزنجبيل، وهو مما تستطيبه العرب لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول، قاله مجاهد[٤٨٨]، وقتادة[٤٨٩]، والسدي[٤٩٠].
قال مجاهد:" يأثرُ لهم ما كانوا يشربون في الدنيا. زاد الحارث في حديثه: فَيُحَبِّبُهُ إليهم"[٤٩١].
الثاني : أن الزنجبيل اسم للعين التي فيها مزاج شراب الأبرار ، قاله وقتادة[٤٩٢].
قال قتادة:" رقيقة يشربها المقرّبون صِرْفا، وتمزج لسائل أهل الجنة"[٤٩٣].
قوله تعالى:{عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} [الإنسان : ١٨]، أي:" يشربون مِن عينٍ في الجنة تسمى سلسبيلا؛ لسلامة شرابها وسهولة مساغه وطيبه"[٤٩٤].
حكي عن المسيب أنه قال: "هي عين يمين العرش من قصب من ياقوت"[٤٩٥].
واختلف في تفسير قوله تعالى:{عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} [الإنسان : ١٨]، على وجوه:
أحدها : أنه اسم لها ، قاله عكرمة[٤٩٦].
الثاني : يعني: سلسلة الجرية، قاله مجاهد[٤٩٧].
الثالث : سلسلة يصرفونها حيث شاءوا، قاله قتادة[٤٩٨].
قال قتادة:" سلسة يصرفونها حيث شاءوا"[٤٩٩].
قال قتادة:" عينا سلسة مستقيدا ماؤها"[٥٠٠].

---

(٤٨١) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٨٢) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٨٣) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٨٤) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤٨٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(٤٨٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(٤٨٧) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٨٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٤٨٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٤٩٠) انظر: النكت والعيون: ١٧٠/٦.
(٤٩١) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٤٩٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٤٩٣) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٤٩٤) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤٩٥) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٣.
(٤٩٦) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(٤٩٧) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٤٩٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٤٩٩) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٥٠٠) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٤.

الرابع : أنها العين التي تمزج بها الخمر. قاله عطاء الخراساني[٥٠١].
الخامس : أنها الحديدة الجري ، قاله مجاهد –أيضاً-[٥٠٢]، ومنه قول حسان بن ثابت[٥٠٣]:
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
والصواب أن قوله: {تُسَمَّى سَلْسَبِيلا} صفة للعين، وصفت بالسلاسة في الحلق، وفي حال الجري، وانقيادها لأهل الجنة يصرّفونها حيث شاءوا، كما قال مجاهد وقتادة؛ وإنما عني بقوله: {تُسَمَّى}: توصف، لإجماع أهل التأويل على أن قوله: {سَلْسَبِيلا} صفة لا اسم"[٥٠٤].

القرآن
{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩)} [الإنسان : ١٩]
التفسير:
ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم، إذا أبصرتهم ظننتهم -لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم- اللؤلؤ المفرَّق المضيء.
قوله تعالى:{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} [الإنسان : ١٩]، أي:" ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم"[٥٠٥].
وفي قوله تعالى:{مُخَلَّدُونَ} [الإنسان : ١٩]، وجهان من التفسير:
أحدهما : مخلدون لا يموتون، قاله الحسن[٥٠٦]، ومجاهد[٥٠٧]، وقتادة[٥٠٨]، ومنه قول امرىء القيس[٥٠٩]:
وهَلْ ينعمَنْ إلا سعيدٌ مُخلدٌ ... قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجالِ
قال مجاهد:" لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَكْبُرُونَ"[٥١٠].
قال قتادة:" لا يموتون"[٥١١].
الثاني : صغار لا يكبرون وشبابٌ لا يهرمون ، قاله الضحاك[٥١٢]، والحسن[٥١٣].
عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة "[٥١٤].

---

(٥٠١)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٤٣):ص١١٥.
(٥٠٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٥٠٣)ورد البيت في: ديوانه: ١٨٠ دار صادر، "لسان العرب" ١٠/ ٢٠٢: مادة: (صفق)، "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٠٠ برواية بردًا، "جامع البيان: ٢١٥/٢٤، "النكت والعيون" ٦/ ٢٣٠، "المحرر الوجيز" ٥/ ٤٥٣، "التفسير الكبير" ٣١/ ١٠٠، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٢٦٣، "روح المعاني" ٣٠/ ٧٥.
معنى البيت: البريص: نهر بدمشق. وقوله بردى: أراد ماء بردى، وهو نهر في دمشق، ويروى بردًا أي ثلجًا أي باردًا، يصفق: يمزج، الرحيق: الخمر. السلسل: اللينة السهلة الدخول في الحلق. شرح ديوان حسان: وضعة عبد الرحمن البرقوقي: ٣٦٢.
(٥٠٤) تفسير الطبري: ١٠٩/٢٤-١١٠.
(٥٠٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٥٠٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.
(٥٠٧) انظر: تفسير مجاهد: ٦٤١.
(٥٠٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٤.
(٥٠٩)ديوانه: ٢٧.
(٥١٠) تفسير مجاهد: ٦٤١.
(٥١١) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٤، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٤٣٧):ص٣٧٧/٣.
(٥١٢) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(٥١٣) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(٥١٤) .

عن يزيد، قال: "قلنا لأنس: يا أبا حمزة، ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تكن لهم سيئات، فيعاقبوا بها، فيكونوا من أهل النار، ولم تكن لهم حسنات، فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، هم خدم أهل الجنة»"[٥١٥].

قوله تعالى:{إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا} [الإنسان : ١٩]، أي:" إذا أبصرتهم ظننتهم -لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم- اللؤلؤ المفرَّق المضيء"[٥١٦].

قال قتادة:" من كثرتهم وحُسنهم[٥١٧].

قال قتاده، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو : "ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه"[٥١٨].

القرآن

{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)} [الإنسان : ٢٠]

التفسير:

وإذا أبصرت أيَّ مكان في الجنة رأيت فيه نعيمًا لا يُدْركه الوصف، ومُلْكا عظيمًا واسعًا لا غاية له.

سبب النزول:

عن عكرمة، قال:" دخل عمر بن الخطاب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو راقد على حصير مِن جريد، قد أثّر في جَنبه، فبكى عمر، فقال: «ما يُبكيك؟». فقال: ذكرتُ كِسرى ومُلكه، وقَيْصر ومُلكه، وصاحب الحبشة ومُلكه، وأنت رسول الله على حصير من جريد! فقال: «أما ترضى أنّ لهم الدنيا ولنا الآخرة!». فأنزل الله: {وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ومُلْكًا كَبِيرًا}"[٥١٩].

عن مجاهد:"{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، قال: تسليم الملائكة"[٥٢٠].

عن مجاهد: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، قال: عظيما: استئذان الملائكة عليهم، وقال بعضهم: لا يدخل الملائكة عليهم إلا بإذن"[٥٢١].

عن كعب الأحبار: "{وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ومُلْكًا كَبِيرًا}، قال: يُرسِل إليهم ربُّهم الملائكة، فتأتي فتستأذن عليهم"[٥٢٢].

عن الحسن البصري، أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة الذي يَركب في ألف ألف مِن خَدَمه مِن الولدان المُخلّدين، على خيلٍ مِن ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب، {وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ومُلْكًا كَبِيرًا}»"[٥٢٣].

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه"[٥٢٤][٥٢٥].

---

(٥١٥) مسند أبي داود(٢٢٢٥):ص٣/٥٨٠.

(٥١٦) التفسير الميسر: ٥٧٩.

(٥١٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٨، وعبد بن حميد -كما في فتح الباري ٦/ ٣٢١ – والطبري:١١١/٢٤، كذلك من طريق سعيد. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٥١٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.

(٥١٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥٢٠) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٤.

(٥٢١)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١١٥):ص٦٥.

(٥٢٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة -موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٦١ (٢٠٢) -.

(٥٢٣)عزاه السيوطي إلى ابن وهب.

(٥٢٤)المسند (١٣/٢).

(٥٢٥)قال ابن كثير: "فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده

عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له رسول الله : "سل واستفهم". فقال : يا رسول الله، فُضّلْتُم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بمثل ما عملتَ به، إني لكائن معكَ في الجنة ؟ قال : "نعم، والذي نفسي بيده، إنه لَيُرَى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قال : لا إله إلا الله، كان له بها عَهدٌ عند الله، ومن قال : سبحان الله وبحمده، كتب له مائة ألف حسنة، وأربعة وعشرون ألف حسنة". فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله، فتقوم النعمة - أو : نعَم الله - فتكاد تستنفذ ذلك كله، إلا أن يَتَغَمّده الله برحمته". ونزلت هذه السورة :{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} إلى قوله :{وَمُلْكًا كَبِيرًا} فقال الحبشي : وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة ؟ قال : "نعم". فاستبكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدليه في حُفرَته بيده"[٥٢٦].

عن علي بن أبي طالب- عليه السلام- قال: "لو أن جارية أو خادما خرجت إلى الدنيا لاقتتل عليها أهل الأرض كلهم حتى يتفانوا"[٥٢٧].

القرآن

{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)} [الإنسان : ٢١]

التفسير:

يعلوهم ويجمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ، ويُحَلَّون من الحليِّ بأساور من الفضة، وسقاهم ربهم فوق ذلك النعيم شرابًا لا رجس فيه ولا دنس.

قوله تعالى:{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} [الإنسان : ٢١]، أي:" يعلوهم ويجمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ"[٥٢٨].

عن أبي الجَوْزاء أنه كان يقرأ: "{عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ}، قال: عَلَت الخُضرة، أكثر ثيابها الخُضرة"[٥٢٩].

قال عكرمة:" الإستبرق: الدِّيباج الغليظ"[٥٣٠].

قال الضحاك:" الإستبرق، الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم استبره"[٥٣١].

عن عبد الرحمن بن سابط قال: "يبعث الله إلى العبد من اهل الجنة بالكسوة فتعجبه، فيقول: لقد رأيت الجنان فما رأيت مثل هذه الكسوة قط! فيقول الرسول الذي جاء بالكسوة: إن ربك يأمر أن تهيئ لهذا العبد مثل هذه الكسوة ما شاء"[٥٣٢].

عن كعب قال: "لو إن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم"[٥٣٣].

تعالى" . [تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨].

(٥٢٦)المعجم الأوسط برقم (٤٧٧٤) "مجمع البحرين"، وقال : "لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به عفيف". قال ابن كثير: ٢٩٣/٨:"غريب جدا".

(٥٢٧) رواه مقاتل بن سليمان في "التفسير": ٥٣٠/٤.

(٥٢٨) التفسير الميسر: ٥٧٩.

(٥٢٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥٣٠) أخرجه الطبري: ٥١/٢٢.

(٥٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٦):ص٢٣٥٩/٧.

(٥٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٧):ص٢٣٥٩/٧.

(٥٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٨):٢٣٦٠/٧.

عن سليم بن عامر قال:" إن الرجل من أهل الجنة يلبس الحلة من حلل اهل الجنة فيضعها بين أصبعيه، فما يرى منها شيء، وإنه يلبسها فيتعفر حتى تغطي قدميه، يكسى في الساعة الواحدة سبعين ثوبا ... إن أدناها مثل شقيق النعمان، وأنه يلبس سبعين ثوبا يكاد إن يتوارى، وما يستطيع أحد في الدنيا يلبس سبعة أثواب ما يسعه عنقه"(٥٣٤).

قوله تعالى:{وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان : ٢١]، أي:" ويُحَلَّون من الحليِّ بأساور من الفضة"(٥٣٥).

قال سعيد بن جبير: "يُحَلّى كلُّ واحد منهم ثلاثةً من الأساور: واحدًا من فضّة، وواحدًا من ذهب، ووحدًا من لؤلؤ ويواقيت"(٥٣٦).

عن عكرمة، قال: "إنّ أهل الجنة يحلون أسورة من ذهب ولؤلؤ وفضة، هي أخفُّ عليهم من كل شيء، إنما هي نور"(٥٣٧).

عن كعب الأحبار، قال:" إنّ لله ملكًا -وفي لفظ: في الجنة ملك-، لو شئت أن أُسَمِّيَه لَسَمَّيْتُه، يصوغ حُلِيَّ أهل الجنة مِن يوم خُلِق إلى أن تقوم الساعة، ولو أن حليًا منها أخرج لرَدَّ شعاع الشمس، وإن لأهل الجنة أكاليل مِن در، لو أنّ إكليلًا منها دلي من السماء الدنيا لذهب بضوء الشمس، كما تذهب الشمس بضوء القمر"(٥٣٨).

قوله تعالى:{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [الإنسان : ٢١]، أي:" وسقاهم ربهم فوق ذلك النعيم شرابًا لا رجس فيه ولا دنس"(٥٣٩).

عن مجاهد، قوله: "{شَرَابًا طَهُورًا}، قال: ما ذكر الله من الأشربة"(٥٤٠).

عن إبراهيم التيمي: "{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}، قال: عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك"(٥٤١).

عن إبراهيم التيمي، قال: "إن الرجل من أهل الجنة يقسَمُ له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا، وأكلهم وهمتهم، فإذا أكل سقي شرابا طهورا، فيصير رشحا يخرج من جلده أطيب ريحًا من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته"(٥٤٢).

عن أبي قِلابة: "إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ما شاءوا دَعَوا بالشراب الطهور فيشربونه، فتطهر بذلك بطونهم ويكون ما أكلوا وشربوا رَشْحا وريحَ مسك، فتضمر لذلك بطونهم"(٥٤٣).

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره -شكّ أبو جعفر الرازي- قال: "صعد جبرائيل بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به إلى السماء السابعة، فاستفتَح، فقيل له: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أو قد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيءُ جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس على كرسيّ عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خَلَص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرًا آخر فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خَلَصت

---

(٥٣٤)أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٩):٧/٢٣٦٠.
(٥٣٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٥٣٦)تفسير الثعلبي ٦/ ١٦٩، وتفسير البغوي ٥/ ١٦٩.
(٥٣٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٥٣٨)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١٦، ١١٥، وأبو الشيخ في العظمة (٣٣٧). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٥٣٩) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٥٤٠) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٤.
(٥٤١) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٤.
(٥٤٢) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٤.
(٥٤٣) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٤.

ألوانهم، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: يا جبريل من هذا الأشمط، ومن هؤلاء البيض الوجوه، ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، وما هذه الأنهار التي اغتسلوا فيها، فجاءوا وقد صفت ألوانهم؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، أوّل من شَمِط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه، فقوم لم يَلْبِسوا إيمانهم بظلم: وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا، فتاب الله عليهم. وأما الأنهار، فأوّلها رحمة الله، والثاني نعمة الله، والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا"(٥٤٤).

القرآن

{إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)} [الإنسان : ٢٢]

التفسير:

ويقال لهم: إن هذا أُعِدَّ لكم مقابل أعمالكم الصالحة، وكان عملكم في الدنيا عند الله مرضيًا مقبولا. مقبولا"(٥٤٥).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}، غفر لهم الذنب، وشكر لهم الحسن"(٥٤٦).

عن معمر، عن قتادة، قال: "تلا قتادة: {وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}، قال: لقد شَكر الله سعيا قليلا"(٥٤٧).

القرآن

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣)} [الإنسان : ٢٣]

التفسير:

إنا نحن نَزَّلنا عليك -أيها الرسول- القرآن تنزيلا من عندنا؛ لتذكر الناس بما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب.

قال مكحول: "إن القرآن جزء من اثنين وسبعين جزءا من النبوة"(٥٤٨).

عن ربيعة، قال: "إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن وترك فيه موضعا للسنة، وسن الرسول صلى الله عليه وسلم السنة وترك فيها موضعا للرأي"(٥٤٩).

القرآن

{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥)} [الإنسان : ٢٤-٢٥]

التفسير:

فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمسًا في الشهوات أو مبالغًا في الكفر والضلال، وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره.

سبب النزول:

عن قتادة، قوله: "{وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}، قال: نزلت في عدوّ الله أبي جهل"(٥٥٠).

---

(٥٤٤) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٤.

(٥٤٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.

(٥٤٦) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.

(٥٤٧) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.

(٥٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٨٣٩):ص٥٣٤/٢.

(٥٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٩٢٧):ص٤م١٠٥٨-١٠٥٩.

(٥٥٠) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.

عن معمر:" عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأنّ عنقه، فأنزل الله: (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أوْ كَفُورًا)"[٥٥١].

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، أي:" فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمسًا في الشهوات أو مبالغًا في الكفر والضلال"[٥٥٢].

عن الحسن: "{ولا تُطِعْ مِنهُمْ آثِمًا} وهو المُنافق أظهر الإسلام وقلبه على الشّرك، {أوْ كَفُورًا} وهو المُشرك الجاحد"[٥٥٣].

قوله تعالى:{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الإنسان : ٢٥]، أي:" وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره"[٥٥٤].

عن مجاهد:" {وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلًا}، يعني: قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[٥٥٥].

عن أبي العالية:" في قوله: {بكرة}، قال: صلاة الفجر، وقوله: {وأصيلا}، قال: صلاة العصر"[٥٥٦].

عن قتادة:" {وسبحوه بكرة وأصيلا} [الأحزاب: ٤٢] قال: «صلاة الصبح وصلاة العصر»"[٥٥٧].

عن هلال بن يساف، قال: "كانت امرأة من همدان تسبح، وتحصيه بالحصى أو النوى، فقال لها عبد الله: ألا أدلك على خير مِن ذلك؟ تقولين: اللهُ أكبر كبيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا"[٥٥٨].

وفي بعض الغرائب من الأخبار:" أن النبي كان إذا صلى الغداة قال: «الله أكبر ثلاثا، وإذا صلى العصر قال: الله أكبر ثلاثا»"[٥٥٩].

القرآن

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)} [الإنسان : ٢٦]

التفسير:

ومن الليل فاخضع لربك، وصَلِّ له، وتهجَّد له زمنًا طويلا فيه.

قوله تعالى:{وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} [الإنسان : ٢٦]، أي:" وتهجَّد له زمنًا طويلا فيه"[٥٦٠].

قال عطاء: "يريد أن صلاة الليل فريضة عليك يا محمد"[٥٦١].

قال مجاهد: "كل سُبْحَةٍ في القرآن: صلاة"[٥٦٢].

قال الضحاك:" كل تسبيح في القرآن صلاة، إلا قوله: {سبحانك إني كنت من الظالمين}"[٥٦٣].

القرآن

---

(٥٥١) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.

(٥٥٢) التفسير الميسر: ٥٧٩.

(٥٥٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٧٥ -.

(٥٥٤) التفسير الميسر: ٥٧٩.

(٥٥٥)تفسير الثعلبي ٨/ ٥١، وتفسير البغوي ٦/ ٣٦٠.

(٥٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٧٨):ص٢٦٦٤/٨.

(٥٥٧) تفسير عبدالرزاق(٢٣٥٤):ص٤٢/٣.

(٥٥٨)عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة.

(٥٥٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٢٢/٦.

(٥٦٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٥٦١) التفسير البسيط للواحدي: ٦١/٢٣.

(٥٦٢) التفسير البسيط للواحدي: ٢٩/١٨.

(٥٦٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

{إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧)} [الإنسان : ٢٧]

التفسير:

إن هؤلاء المشركين يحبون الدنيا، وينشغلون بها، ويتركون خلف ظهورهم العمل للآخرة، ولما فيه نجاتهم في يوم عظيم الشدائد.

عن قتادة:" {كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ العاجِلة ويَذَرُونَ الآخِرَةَ}، قال: اختار أكثرُ الناس العاجلة، إلا مَن رَحِم الله وعَصَم"(٥٦٤).

روي عن قتادة في قوله:" {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ}..قال:" من كانت الدنيا همّه وسدمه وطلبته ونيته"(٥٦٥).

القرآن

{نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨)} [الإنسان : ٢٨]

التفسير:

نحن خلقناهم، وأحكمنا خلقهم، وإذا شئنا أهلكناهم، وجئنا بقوم مطيعين ممتثلين لأوامر ربهم.

قوله تعالى:{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} [الإنسان : ٢٨]، أي:" وأحكمنا خلقهم"(٥٦٦).

وفي قوله تعالى:{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} [الإنسان : ٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: مفاصلهم، قاله الحسن(٥٦٧)، والربيع(٥٦٨).

عن الربيع بن أنس، "{وشَدَدْنا أسْرَهُمْ}، قال: مفاصلهم"(٥٦٩).

قال ابن زيد، سمعته - يعني: خلادا - يقول: سمعت أبا سعيد، وكان قرأ القرآن على أبي هريرة قال: ما قرأت القرآن إلا على أبي هريرة، هو أقرأني، وقال في هذه الآية: {وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}، قال: هي المفاصل"(٥٧٠).

الثاني : يعني: خلقهم، قاله مجاهد(٥٧١)، وقتادة(٥٧٢)، ومنه قال لبيد(٥٧٣):

ساهم الوجه شديد أسْرُهُ ... مُغبَط الحارِكِ مَحبوكُ الكَفَلُ

عن مجاهد، وقتادة: "{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}، قال: خَلْقهم"(٥٧٤).

الثالث : يعني: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. قاله الحسن(٥٧٥).

الرابع: -ما رواه عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه : قال: "{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}: قال: الشَرْج"(٥٧٦).

---

(٥٦٤)أخرجه الطبري: ٧١/٢٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٥٦٥) أخرجه الطبري: ١٠٩/١٧.

(٥٦٦) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٥٦٧)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.

(٥٦٨) انظر: الكشف والبيان: ١٠٧/١٠، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر

(٥٦٩) انظر: الكشف والبيان: ١٠٧/١٠، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر

(٥٧٠) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٤.

(٥٧١) انظر: تفسير الطبري: ١١٨/٢٤.

(٥٧٢) انظر: تفسير الطبري: ١١٨/٢٤.

(٥٧٣)البيت في "ديوان لبيد بن ربيعة" ص ١٤٤، "تهذيب اللغة" ٤/ ٩٧ (حرك) والحارك: أعلى الكاهل.

(٥٧٤) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٤.

(٥٧٥) انظر: الكشف والبيان: ١٠٧/١٠.

(٥٧٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦١/٢٨، ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٤٠٦، والسمعاني في "تفسير القرآن" ٦/ ١٢٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٣٠٠، والقرطبي في "الجامع" ١٩/ ١٤٩.

يقول الألوسي في "روح المعاني" ٢٩/ ١٦٧ تعقيبًا على هذا القول: وفسر بمجرى الفضلة، وشد ذلك، جعله بحيث إذا خرج الأذى انقبض، ولا يخفى أن هذا داخل في شدة الخلق وكونه موثقًا حسنًا".

ومن أحسن ما قيل فيه قول مجاهد وقتادة قالوا: «أسرهم: خلقهم»، يكون من قولهم: ما أحسن أسر هذا الرجل أي خلقه ومن هذا أخذه بأسره أي بجملته وخلقته لم يبق منه شيئا[٥٧٧].

القرآن

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)} [الإنسان : ٢٩-٣١]

التفسير:

إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه. وما تريدون أمرًا من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته. إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه. يُدْخل مَن يشاء مِن عباده في رحمته ورضوانه، وهم المؤمنون، وأعدَّ للظالمين المتجاوزين حدود الله عذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ} [الإنسان : ٢٩]، أي:" إن هذه السورة عظة للعالمين"[٥٧٨].

قال قتادة:" إن هذه السورة تذكرة"[٥٧٩].

قوله تعالى:{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا(٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان : ٢٩]، أي:" فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه، وما تريدون أمرًا من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته"[٥٨٠].

عن قتادة:" {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا}، بطاعة الله"[٥٨١].

وفي قراءة عبد الله: «وَما تَشاءُونَ إلا مَا شَاءَ اللَّهُ»"[٥٨٢].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان : ٣٠]، أي:" إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه"[٥٨٣].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٥٨٤]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٥٨٥].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٥٨٦].

قوله تعالى:{يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ} [الإنسان : ٣١]، أي:" يُدْخل مَن يشاء مِن عباده في رحمته ورضوانه، وهم المؤمنون"[٥٨٧].

قوله تعالى:{وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان : ٣١]، أي:" وأعدَّ للظالمين المتجاوزين حدود الله عذابًا موجعًا"[٥٨٨].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٥٨٩]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٥٩٠].

---

(٥٧٧) إعراب القرآن: ٦٩/٥.
(٥٧٨) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٥٧٩) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٤.
(٥٨٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٥٨١) أخرجه الطبري: ٦٩٧/٢٣.
(٥٨٢) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.
(٥٨٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٥٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.
(٥٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.
(٥٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.
(٥٨٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٥٨٨) التفسير الميسر: ٥٨٠.

«آخر تفسير سورة (الإنسان)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(٥٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٥٩٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المرسلات»

«سورة المرسلات» هي السورة السابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الثامنة من قسم المفصل، بعد سورة «الهمزة» ، وقبل سورة «ق»[٥٩١]، وآياتها خمسون. وكلماتها مائة وإحدى وثمانون. وحروفها ثمانمائة وستة عشر. مجموع فواصل آياتها «عبرتم لنا»، على اللام {الْفَصْلْ} [المرسلات : ١٣]، {الْفَصْلْ} [المرسلات : ١٤]، في الموضعين، وعلى الراء {كَالْقَصْرْ} [المرسلات : ٣٢]، و{صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣] ، وعلى الباء {ذِي ثَلَاثِ شُعَب} [المرسلات : ٣٠]، و {اللَّهَبِ} [المرسلات : ٣١][٥٩٢].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنيّة كلّها، قاله ابن عباس[٥٩٣].وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٥٩٤].

الثاني: أن فيها آية مدنيّة، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَإِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: ٤٨]. حكي هذا القول عن ابن عباس[٥٩٥]، وقتادة[٥٩٦]، ومقاتل[٥٩٧].

قال ابن عاشور:" هي مكية عند جمهور المفسرين من السلف، وذلك ظاهر حديث ابن مسعود المذكور آنفا[٥٩٨]، وهو يقتضي أنها من أوائل سور القرآن نزولا لأنها نزلت والنبيء صلى الله عليه وسلم مختف في غار بمنى مع بعض أصحابه.. عن ابن عباس وقتادة: أن آية {وَإِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: ٤٨] مدنية نزلت في المنافقين، ومحمل ذلك أنه تأويل ممن رواه عنه نظرا إلى أن الكفار الصرحاء لا يؤمرون بالصلاة، وليس في ذلك حجة لكون الآية مدنية فإن الضمير في قوله: {وَإِذا قِيلَ لَهُمُ} [المرسلات: ٤٨] وارد على طريقة الضمائر قبله وكلها عائدة إلى الكفار وهم المشركون. ومعنى «قيل لهم اركعوا»: كناية عن أن يقال لهم: أسلموا. ونظيره قوله تعالى: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم : ٤٣]، فهي في المشركين وقوله: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر : ٤٣] إلى قوله: {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر : ٤٦]"[٥٩٩].

وقال مقاتل: "نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نحني فإنها مسبّة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»"[٦٠٠].

قال ابن عاشور:" وهذا أيضا أضعف، وإذا صح ذلك فإنما أراد مقاتل أن النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم الآية"[٦٠١].

---

(٥٩١) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٢٣١/١٥.

(٥٩٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٥/١.

(٥٩٣) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٥٩٤) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٥٩٥) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٥٩٦) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٥٩٧) انظر: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢، وزاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٥٩٨) سوف يأتي في فضائل السورة.

(٥٩٩) التحرير والتنوير: ٤١٨/٢٩.

(٦٠٠) الحديث بهذا اللفظ نقلا عن: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢.

والحديث ضعيف. أخرجه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد(١٧٩١٣):ص٤٣٨/٢٩، من حديث عثمان بن أبي العاص وليس فيه سبب نزول، وحسّن إسناده الأرناؤوط في «جامع الأصول» ٦١٧٥. وخالفه الألباني فذكره في ضعيف أبي داود ٦٥٢ و «الضعيفة» ٤٣١٩ وعلته عنعنه الحسن، وهو مدلس.

(٦٠١) التحرير والتنوير: ٤١٩/٢٩.

القرآن

{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧)} [المرسلات : ١ - ٧]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالرياح حين تهب متتابعة يقفو بعضها بعضًا، وبالرياح الشديدة الهبوب المهلكة، وبالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله، وبالملائكة التي تنزل من عند الله بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، وبالملائكة التي تتلقى الوحي من عند الله وتنزل به على أنبيائه; إعذارًا من الله إلى خلقه وإنذارًا منه إليهم ; لئلا يكون لهم حجة. إن الذي توعدون به مِن أمر يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء لنازلٌ بكم لا محالة.

قوله تعالى:{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١]، أي:" أُقسم بالرياح حين تهبُّ متتابعة، يقفوا بعضها إثر بعض"(٦٠٢).

اختلف في تفسير قوله تعالى:{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١]، على وجهين:

أحدهما : أنهم الرسل يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات ، وهذا قول أبي صالح(٦٠٣).

عن أبي صالح في قوله: "{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا}، قال: هي الرسل ترسل بالعُرف"(٦٠٤).

الثاني: أنها الرياح يَتْبَعُ بعضُها بعضاً. به قال الحسن(٦٠٥)، ومجاهد(٦٠٦)، وقتادة(٦٠٧)، وأبو صالح-أيضا-(٦٠٨).

عن الحسن:" أنها الرياح، وقال: عرفها: جريها"(٦٠٩).

وفي «العرف» على هذا القول وجهان من التفسير:

أحدهما : أي: متتابعات كعُرف الفرس، قاله صالح بن بريدة(٦١٠).

الثاني: أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي. به قال أبو صالح-أيضا-(٦١١).

عن إسماعيل، قال: سألت أبا صالح عن قوله: "{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا}، قال: هي الرسل ترسل بالمعروف؛ قالوا: فتأويل الكلام: والملائكة التي أرسلت بأمر الله ونهيه، وذلك هو العرف"(٦١٢).

والصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفا، وقد ترسل عُرْفا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدلّ على أن المعنيّ بذلك أحد الحِزْبين دون الآخر، وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكل ما

ونص الحديث:

عن عثمان بن أبي العاص، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحشروا، ولا يعشروا، ولا يجبوا، ولا يستعمل عليهم غيرهم، قال: فقال: " إن لكم أن لا تحشروا، ولا تعشروا، ولا يستعمل عليكم غيركم ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا خير في دين لا ركوع فيه "

(٦٠٢) صفوة التفاسير: ٤٧٥/٣.

(٦٠٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤، والنكت والعيون: ١٧٥/٦.

(٦٠٤) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٤.

(٦٠٥) حكاه عنه ابن ابي زمنين في "التفسير": ٧٧/٥.

(٦٠٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٤.

(٦٠٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٤.

(٦٠٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٤.

(٦٠٩) حكاه عنه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٧٧/٥.

(٦١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤.

(٦١١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤.

(٦١٢) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٤.

كانت صفته ما وصف، فكلّ من كان صفته كذلك، فداخل في قسمه ذلك مَلَكا أو ريحا أو رسولا من بني آدم مرسلا"[٦١٣].

قوله تعالى:{فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا} [المرسلات : ٢]، أي:" وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب المهلكة"[٦١٤].

وفي «العاصفات» قولان:

أحدهما: أنها الرياح الشديدة الهبوب، قاله قتادة[٦١٥]، وأبو صالح[٦١٦]، والسدي[٦١٧]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٦١٨].

الثاني: الملائكة، قاله مسلم بن صبيح[٦١٩].

قوله تعالى:{وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا} [المرسلات : ٣]، أي:" وأقسم بالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله"[٦٢٠].

وفي «الناشرات» خمسة أقوال:

أحدها : أنها الرياح تنشر السحاب، قاله مجاهد[٦٢١]، وقتادة[٦٢٢]، وأبو صالح[٦٢٣]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٦٢٤].

الثاني : أنها الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح-أيضا-[٦٢٥].

الثالث : أنه المطر ينشر النبات، قاله أبو صالح –أيضاً-[٦٢٦].

الرابع : أنه البعث للقيامة تُنشر فيه الأرواح ، قاله الربيع[٦٢٧].

الخامس : أنها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد ، قاله الضحاك[٦٢٨].

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرا، ولم يَخْصُص شيئا من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشرا[٦٢٩].

قوله تعالى:{فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا} [المرسلات : ٤]، أي:" وأقسم بالملائكة التي تنزل من عند الله بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام"[٦٣٠].

وفي «الفارقات» أربعة أقوال:

---

(٦١٣) تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤-١٢٥.
(٦١٤) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٦١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٦/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٤٤٢):ص٣٧٩/٣.
(٦١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢٤.
(٦١٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦١٨) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦١٩) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦.
(٦٢٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٦٢١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٦/٢٤.
(٦٢٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٤٢):ص٣٧٩/٣.
(٦٢٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٦/٢٤-١٢٧.
(٦٢٤) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦٢٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤، والنكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦٢٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤، والنكت والعيون: ١٧٦/٦.
(٦٢٧) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦٢٨) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦٢٩) تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤.
(٦٣٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.

أحدها: الملائكة تأتي بما يفرِّق بين الحق والباطل، قاله مسروق[٦٣١]، ومجاهد-في رواية-[٦٣٢]، وقتادة[٦٣٣]، والربيع بن أنس[٦٣٤]، والسدي[٦٣٥]، وأبو صالح[٦٣٦]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٦٣٧].
الثاني: يعني: القرآن ما فرق الله فيه بين الحقّ والباطل، قاله الحسن[٦٣٨]، وقتادة[٦٣٩]، وابن كيسان[٦٤٠].
الثالث: الريح تفرّق بين السحاب فتبدِّدُه، قاله مجاهد-أيضا-[٦٤١].
الرابع: الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام. حكاه الماوردي عن أبي صالح[٦٤٢].
والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهنّ بعضا دون بعض، فذلك قَسَم بكلّ فارقة بين الحقّ والباطل، مَلَكا كان أو قرآنا، أو غير ذلك[٦٤٣].
قوله تعالى:{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} [المرسلات : ٥-٦]، أي:" وأقسم بالملائكة التي تتلقى الوحي من عند الله وتنزل به على أنبيائه; إعذارًا من الله إلى خلقه وإنذارًا منه إليهم ; لئلا يكون لهم حجة"[٦٤٤].
عن أبي صالح:" {فالمُلْقِياتِ ذِكْرًا}، قال: الملائكة يجيئون بالقرآن والكتاب، {عُذْرًا} من الله، أو {نُذْرًا} منه إلى الناس، وهم الرُّسُل يُعذِرون ويُنذِرون"[٦٤٥].
عن قتادة: {فالمُلْقِياتِ ذِكْرًا}، قال: "هي الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتبلغه"[٦٤٦]. وروي عن ومسروق[٦٤٧]، ومجاهد-في رواية-[٦٤٨]، والربيع بن أنس[٦٤٩]، والسدي[٦٥٠] نحوه.
عن قتادة: {فالمُلْقِياتِ ذِكْرًا}، قال: " الملائكة تلقي القرآن،{عُذْرًا أَوْ نُذْرًا}، قال: عذرًا من الله، ونُذْرا منه إلى خلقه"[٦٥١]. وفي رواية:" عذرا لله على خلقه، ونذرًا للمؤمنين ينتفعون به، ويأخذون به"[٦٥٢].
عن قتادة:"{فالمُلْقِياتِ ذِكْرًا} هي الملائكة تُلقي الذِّكر على الرُّسُل، وتُلقيه الرُّسُل على بني آدم"[٦٥٣].
عن السدي:" {عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} المعنى: عُذْرًا ونُذْرًا، والألف صلة"[٦٥٤].

---

(٦٣١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٣٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٣٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٤٢):ص٣٧٩/٣.
(٦٣٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٣٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٣٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤.
(٦٣٧) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦٣٨) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦٣٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٦٤٠) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦٤١) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣./٤
(٦٤٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦.
(٦٤٣) تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٦٤٤) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٦٤٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٦٤٦) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٦٤٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٤٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٤٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٥٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٦٥١) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٦٥٢) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٦٥٣)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٠ من طريق معمر مختصرًا بنحوه.

القرآن

{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)} [المرسلات : ٨-١٥]

التفسير:

فإذا النجوم طُمست وذهب ضياؤها، وإذا السماء تصدَّعت، وإذا الجبال تطايرت وتناثرت وصارت هباء تَذْروه الرياح، وإذا الرسل عُيِّن لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين الأمم، يقال: لأيِّ يوم عظيم أخِّرت الرسل؟ أخِّرت ليوم القضاء والفصل بين الخلائق. وما أعلمك -أيها الإنسان- أيُّ شيء هو يوم الفصل وشدته وهوله؟ هلاك عظيم في ذلك اليوم للمكذبين بهذا اليوم الموعود.

قوله تعالى:{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ} [المرسلات : ٨]، أي:" فإذا النجوم طُمست وذهب ضياؤها"(٦٥٥).

قال الضحاك:" تُطمس فيَذهب نورها"(٦٥٦).

قوله تعالى:{وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ} [المرسلات : ١١]، أي:" وإذا الرسل عُيِّن لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين الأمم"(٦٥٧).

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ} [المرسلات : ١١]، وجوه:

أحدها : يعني: أُوعدتْ، قاله إبراهيم(٦٥٨).

وفي رواية عنه قال:" وعدت"(٦٥٩).

الثاني : أُجِّلتْ، قاله الحسن(٦٦٠)، ومجاهد(٦٦١).

قرئ: «وُقِّتَتْ»، بالواو وتشديد القاف، وقرأه أبو جعفر: «وُقِتَتْ» بالواو وتخفيف القاف(٦٦٢).

قوله تعالى:{لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ(١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٢-١٣]، أي:" يقال: لأيِّ يوم عظيم أخِّرت الرسل؟ أخِّرت ليوم القضاء والفصل بين الخلائق"(٦٦٣).

عن قتادة: :{لِيَوْمِ الْفَصْلِ} ، قال: " يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة وإلى النار"(٦٦٤).

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٤]، أي:" وما أعلمك -أيها الإنسان- أيُّ شيء هو يوم الفصل وشدته وهوله؟"(٦٦٥).

عن قتادة: "{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ}، تعظيما لذلك اليوم"(٦٦٦).

قوله تعالى:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات : ١٥]، أي:" هلاك عظيم في ذلك اليوم للمكذبين بهذا اليوم الموعود"(٦٦٧).

---

(٦٥٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٧٧ -.

(٦٥٥) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٦٥٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٦٥٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٦٥٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٤.

(٦٥٩) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٤.

(٦٦٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٧٨ -.

(٦٦١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤-١٣٠.

(٦٦٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٤.

(٦٦٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٦٦٤) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٤.

(٦٦٥) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٦٦٦) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٤.

(٦٦٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.

عن قتادة: "{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}، ويل والله طويل"[٦٦٨].

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "«ويل»: واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره"[٦٦٩].

عن عطاء بن يسار قال: "«الويل»: واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره"[٦٧٠].

عن زياد بن فياض قال: سمعت عياض يقول: «ويل»: سيل من صديد في أصل جهنم"[٦٧١].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩)} [المرسلات : ١٩]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يوم القيامة لكل مكذّب بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والنبوةِ والبعث والحساب.

وفي معنى "الويل"، أقوال:

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[٦٧٢]، وشقيق[٦٧٣].

الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[٦٧٤].

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[٦٧٥]:

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل

الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[٦٧٦].

الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [٦٧٧].

القرآن

{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣)} [المرسلات : ٢٠-٢٣]

التفسير:

ألم نخلقكم -يا معشر الكفار- من ماء ضعيف حقير وهو النطفة، فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة، إلى وقت محدود ومعلوم عند الله تعالى؟ فقدرنا على خلقه وتصويره وإخراجه، فنعم القادرون نحن.

قوله تعالى:{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [المرسلات : ٢٠]، أي:" ألم نخلقكم -يا معشر الكفار- من ماء ضعيف حقير وهو النطفة"[٦٧٨].

---

(٦٦٨) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٤.

(٦٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٨):ص١٥٣/١، وانظر: سنن الترمذي برقم (٣١٦٤)، وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة". قال ابن كثير: ٣١٢/١:" وهذا الحديث بهذا الإسناد -مرفوعا-منكر، والله أعلم".

(٦٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص١٥٣/١.

(٦٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٦٧٢)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٦٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.

(٦٧٤) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

(٦٧٥) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

(٦٧٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.

(٦٧٧) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

عن مجاهد:" {مِن ماءٍ مَهِينٍ}، قال: ضعيف"[٦٧٩].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} [المرسلات : ٢١]، أي:" فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة"[٦٨٠].

عن مجاهد، قوله: "{فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}، قال: "يعني: في الرحم"[٦٨١].

قوله تعالى:{إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ} [المرسلات : ٢٢]، أي:" إلى وقت محدود ومعلوم عند الله تعالى"[٦٨٢].

قال مجاهد: "إلى أن نصوره"[٦٨٣].

قوله تعالى:{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} [المرسلات : ٢٣]، أي:" فقدرنا على خلقه وتصويره وإخراجه، فنعم القادرون نحن"[٦٨٤].

عن الضحاك: "{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}، قال: فملكنا فنعم المالكون"[٦٨٥].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)} [المرسلات : ٢٤]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بقدرتنا.

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٦٨٦].

القرآن

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧)} [المرسلات : ٢٥-٢٧]

التفسير:

ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها، تضم على ظهرها أحياء لا يحصون، وفي بطنها أمواتًا لا يحصرون، وجعلنا فيها جبالا ثوابت عاليات؛ لئلا تضطرب بكم، وأسقيناكم ماءً عذبًا سائغًا؟

قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا(٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} [المرسلات : ٢٥-٢٦]، أي:" ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها، تضم على ظهرها أحياء لا يحصون، وفي بطنها أمواتًا لا يحصرون"[٦٨٧].

قال مجاهد:" تكفت الميت ولا يرى منه شيء، وقوله: {أحياء} الرجل في بيته لا يرى من عمله شيء"[٦٨٨].

وفي قوله تعالى:{ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} [المرسلات : ٢٥-٢٦]، وجهان:

أحدهما: أن المعنى: ألم نجعل الأرض أحياءً بالنبات والعمارة، وأمواتاً بالخراب واليبس، وهذا قول مجاهد[٦٨٩].

---

(٦٧٨) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٦٧٩)عزاه السيوطي إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦٨٠) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٦٨١) تفسير مجاهد: ٦٩١، والطبري: ١٣٢/٢٤.

(٦٨٢) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٦٨٣) تفسير القرطبي: ١٦٠/١٩.

(٦٨٤) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٦٨٥) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٤.

(٦٨٦) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

(٦٨٧) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٦٨٨) الدر المنثور: ٣٨٤/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٦٨٩) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٦، وزاد المسير: ٣٨٥/٤.

الثاني: أن الأرض تجمع الناس أحياء على ظهرها وأمواتاً في بطنها، قاله مجاهد-أيضا-[٦٩٠]، وقتادة[٦٩١]، والشعبي[٦٩٢]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٦٩٣].

قال قتادة:" يسكن فيها حيهم، ويدفن فيها ميتهم"[٦٩٤].

قال قتادة:" أحياء فوقها على ظهرها، وأمواتا يُقبرون فيها"[٦٩٥].

قال الشعبي:" بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم"[٦٩٦].

قال مجاهد:" تكفت أذاهم {أَحْيَاءً} تواريه، {وأَمْوَاتًا}، يدفنون: تكفتهم"[٦٩٧].

عن مجاهد: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا}، قال: تكفت أذاهم وما يخرج منهم، {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}، قال: تكفتهم في الأحياء والأموات"[٦٩٨].

عن ليث، قال: "قال مجاهد في الذي يرى القملة في ثوبه وهو في المسجد، ولا أدري قال في صلاة أم لا إن شئت فألقها، وإن شئت فوارها، {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}"[٦٩٩].

عن مجاهد: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}، قال: أحياء يكونون فيها، قال محمد بن عمرو: يغيبون فيها ما أرادوا، وقال الحارث: ويغيبون فيها ما أرادوا. وقوله: {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}، قال: يدفنون فيها"[٧٠٠].

عن بَيان بن بِشر، قال: "خَرجْنا في جنازة فيها عامر الشعبي، فلما انتَهينا إلى الجبّان تلا هذه الآية: {ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا}، قال: كِفات الأموات -وأشار إلى القبور-، وهذه كِفات الأحياء -وأشار بيده إلى البيوت-"[٧٠١].

قال مالك: "القبر حوز للميت كما أن البيت حوز الحي"[٧٠٢].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ} [المرسلات : ٢٧]، أي:" وجعلنا فيها جبالا ثوابت عاليات؛ لئلا تضطرب بكم"[٧٠٣].

قال قتادة:" يعني: الجبال"[٧٠٤].

قوله تعالى:{وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا} [المرسلات : ٢٧]، أي:" وأسقيناكم ماءً عذبًا سائغًا"[٧٠٥].

عن مجاهد: "{وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا}، يقول: عذبا"[٧٠٦].

قال قتادة:" أي: ماء عذبا"[٧٠٧].

---

(٦٩٠) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤/٢٤، وتفسير مجاهد: ٦٩١.
(٦٩١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٦٩٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤/٢٤.
(٦٩٣) انظر: زاد المسير: ٣٨٥/٤.
(٦٩٤) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٦٩٥) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٦٩٦) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.
(٦٩٧) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.
(٦٩٨) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.
(٦٩٩) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.
(٧٠٠) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.
(٧٠١)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٢٣٧ (٢٣٧٢).
(٧٠٢) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٤٣٣/٢٩.
(٧٠٣) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٧٠٤) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٧٠٥) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٧٠٦) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٧٠٧) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)} [المرسلات : ٢٨]

التفسير:

هلاك ودمار يوم القيامة للمكذبين بهذه النعم.

وفي معنى "الويل"، أقوال:

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[٧٠٨]، وشقيق[٧٠٩].

الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[٧١٠].

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[٧١١]:

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل

الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[٧١٢].

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٧١٣].

الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [٧١٤].

القرآن

{انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)} [المرسلات : ٢٩-٣٣]

التفسير:

يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، سيروا، فاستظلوا بدخان جهنم الذي يتفرع منه ثلاث قطع، لا يُظِل ذلك الظل من حر ذلك اليوم، ولا يدفع من حر اللهب شيئًا. إن جهنم تقذف من النار بشرر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العِظم والارتفاع. كأن شرر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصُّفْرة.

قوله تعالى:{انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} [المرسلات : ٣٠]، أي:" سيروا، فاستظلوا بدخان جهنم الذي يتفرع منه ثلاث قطع"[٧١٥].

عن مجاهد، قوله: "{إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ}، قال: دخان جهنم"[٧١٦].

عن قتادة :"{ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ}، قال: هو كقوله: {نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}، قال: والسرادق: دخان النار، فأحاط بهم سرادقها، ثم تفرّق، فكان ثلاث شعب، فقال: انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب: شعبة هاهنا، وشعبة هاهنا، وشعبة هاهنا"[٧١٧].

---

(٧٠٨)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٧٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.

(٧١٠) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

(٧١١) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

(٧١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.

(٧١٣) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

(٧١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

(٧١٥) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧١٦) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٤.

(٧١٧) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٤.

قوله تعالى:{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ} [المرسلات : ٣٢]، أي:" إن جهنم تقذف من النار بشرر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العِظم والارتفاع"(٧١٨).

وفي قوله تعالى:{كَالْقَصْرِ} [المرسلات : ٣٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه أصول الشجر العظام ، قاله الضحاك(٧١٩).

قال الضحاك:" أصول الشجر العظام، كأنها أجواز الإبل الصفر وسط كل شيء جوزُه، وهي الأجواز"(٧٢٠).

عن هارون، قال: قرأها الحسن: «كالقَصْر»، وقال: هو الجزل من الخشب قال: واحدته: قصرة وقصر، مثله: جمرة وجمر، وتمرة وتمر"(٧٢١).

الثاني : كالجبل-بتسكين الصَّاد-. قاله مجاهد(٧٢٢).

الثالث : القصر من البناء، وهو واحد: القصور ، قاله الحسن(٧٢٣)، ومجاهد(٧٢٤)، والقرظي(٧٢٥).

قال أَبُو عَمْرو: "كالبناء العَظِيم"(٧٢٦).

عن الحسن قال: "{ كَالْقَصْرِ}، واحد القصور"(٧٢٧).

عن مجاهد: "{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ}، قال: ذكر القصر"(٧٢٨).

قال القرظي: "إن على جهنم سورا فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها في عظم القصر، ولون القار"(٧٢٩).

الرابع : حزم الشجر. قاله مجاهد(٧٣٠).

عن مجاهد، قوله: "{كَالْقَصْرِ}، قال: حزم الشجر، يعني: الحزمة"(٧٣١).

وقال مجاهد:" كَأَنَّهَا حِدْمُ الشَّجَر"(٧٣٢).

قال قتادة:" أصول الشجر، وأصول النخل"(٧٣٣).

قال قتادة:" كأصل الشجر"(٧٣٤).

الخامس : أنها أعناق الإبل-وهو بفتح الصاد- ، وهذا مروي عن قتادة(٧٣٥).

قوله تعالى:{كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣]، أي:" كأن شرر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصُّفْرة"(٧٣٦).

---

(٧١٨) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٧١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧٢٠) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧٢١) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧٢٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣١/٦.
(٧٢٣) رواه عنه النحاس في "إعراب القرآن": ٧٦/٥.
(٧٢٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٧٢٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤، وإعراب القرآن للنحاس: ٧٦/٥.
(٧٢٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣١/٦.
(٧٢٧) رواه عنه النحاس في "إعراب القرآن": ٧٦/٥.
(٧٢٨) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٧٢٩) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٧٣٠) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧٣١) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧٣٢) تفسير مجاهد: ٦٩٢.
(٧٣٣) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧٣٤) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧٣٥) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٦.
(٧٣٦) التفسير الميسر: ٥٨١.

وفي قوله تعالى:{كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣]، وجوه من التفسير:
أحدها : يعني: جِمالاً صُفراً، وأراد بالصفر: السود ، سميت صفراً لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، وهو قول الحسن[٧٣٧]، ومجاهد[٧٣٨]، وقتادة[٧٣٩]، قال الشاعر[٧٤٠]:
تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلادُها كَالزَّبِيبِ
قال الحسن:" الأينق السود"[٧٤١].
قال قتادة: نوق سود"[٧٤٢].
قال قتادة:" كالنوق السود الذي رأيتم"[٧٤٣].
قال مجاهد:" هي الإبل"[٧٤٤].
الثاني : أنها قلوس السفن، شبَّه بها الشرر. قاله سعيد بن جبير[٧٤٥]، ومجاهد-في رواية-[٧٤٦].
قال سعيد بن جبير:" قُلوس الجِسر"[٧٤٧]. وفي رواية:" الحبال"[٧٤٨].
قال مجاهد:" حبال الجسور"[٧٤٩].
والصواب قول من قال: عُنِي بالجمالات الصفر: الإبل السود، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأن الجِمالات جمع جِمال، نظير رجال ورجالات، وبُيوت وبُيوتات[٧٥٠].

القرآن
{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)} [المرسلات : ٣٤]
التفسير:
هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بوعيد الله.
عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٧٥١].

القرآن
{هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)} [المرسلات : ٣٥-٣٦]
التفسير:

---

(٧٣٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٤.
(٧٣٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٧٣٩) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٤.
(٧٤٠)للأعشى في ديوانه ص ٣٨٥، ولسان العرب (خشب) ، (صفر) ، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٧٠، وجمهرة اللغة ص ٧٤٠، وتاج العروس (خشب) ، والخزانة ٢/ ٤٦٤، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٢٩٤، ومجمل اللغة ٣/ ٢٣١، والمخصص ٢/ ١٠٥.
(٧٤١) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٤.
(٧٤٢) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٤.
(٧٤٣) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٤.
(٧٤٤) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٧٤٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٧٤٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٤-١٤١.
(٧٤٧) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٧٤٨) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٧٤٩) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٧٥٠) تفسير الطبري: ١٤١/٢٤.
(٧٥١) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه المكذبون بكلام ينفعهم، ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتذرون؛ لأنه لا عذر لهم.

قوله تعالى:{هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ} [المرسلات : ٣٥]، أي:" هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه المكذبون بكلام ينفعهم"(٧٥٢).

عن قتادة ، قال: "جاء رجل إلى عكرمة فقال: أرأيت قول الله: {هذا يوم لا ينطقون} [المرسلات: ٣٥] وقوله: {ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون} [الزمر: ٣١] قال: «إنها مواقف ، فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم ، فحينئذ لا ينطقون»"(٧٥٣).

عن أبي الضحى، قال: "جاء ابن الأزرق وعطية إلى ابن عباس، فقالا له: أرأيت قول الله عز وجل: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٦] ، وقال: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١]، وقال في مكان آخر: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤٢] وقال: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] ، فقال له ابن عباس: «ويحك يا ابن الأزرق، إنه يوم طويل فيه مواقف كثيرة، فيأتي عليهم ما شاء الله وهم لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يأتي عليهم حال فيجحدون شركهم، ويظنون أن ذلك ينفعهم فيختم الله على ألسنتهم، وتنطق جوارحهم فتشهد عليهم بأعمالهم، ثم تنطق ألسنتهم، فتقر بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا» ، فيقولون: {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الملك: ٩]"(٧٥٤).

قوله تعالى:{وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات : ٣٦]، أي:" ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتذرون؛ لأنه لا عذر لهم"(٧٥٥).

عن أبي العالية في قوله:" {ولا هم ينظرون} يقول: لا يُنظرون فيَعْتَذِرُون، كقوله: {هَذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]"(٧٥٦).

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧)} [المرسلات : ٣٧]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يومئذ للمكذبين بهذا اليوم وما فيه.

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"(٧٥٧).

القرآن

{هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩)} [المرسلات : ٣٨-٣٩]

التفسير:

هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية، فإن كان لكم حيلة في الخلاص من العذاب فاحتالوا، وأنقذوا أنفسكم مِن بطش الله وانتقامه.

قوله تعالى:{هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات : ٣٨]، أي:" هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل"(٧٥٨).

---

(٧٥٢) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧٥٣) تفسير عبدالرزاق(٥٩٠):ص٤٦٠/١.

(٧٥٤) تفسير مجاهد: ٦٩٢.

(٧٥٥) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧٥٦) أخرجه الطبري(٢٣٩٧):ص٢٦٤/٣-٢٦٥.

(٧٥٧) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

قال قتادة:" يعني: يوم القيامة"[٧٥٩].

قوله تعالى:{جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ} [المرسلات : ٣٨]، أي:" جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية"[٧٦٠].

روي عن حصين بن عبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال، عبادة: "إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي، ويقول الله: {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ} {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ} اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد، فقال عبد الله بن عمرو: فإنا نحدث يومئذ أنه يخرج عنق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت: أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يغيبهم عني وزر، ولا تخفيهم عني خافية: الذي جعل مع الله إلها آخر، وكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة"[٧٦١].

قوله تعالى:{فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ} [المرسلات : ٣٩]، أي:" فإن كان لكم حيلة في الخلاص من العذاب فاحتالوا، وأنقذوا أنفسكم مِن بطش الله وانتقامه"[٧٦٢].

قال عطاء: "يريد: كنتم في الدنيا تحاربون محمداً -صلى الله عليه وسلم-، وتحاربونني، فاليوم حَاربون"[٧٦٣].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)} [المرسلات : ٤٠]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم القيامة.

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٧٦٤].

القرآن

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)} [المرسلات : ٤١-٤٥]

التفسير:

إن الذين خافوا ربهم في الدنيا، واتقوا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارفة وعيون الماء الجارية، وفواكه كثيرة مما تشتهيه أنفسهم يتنعمون. يقال لهم: كلوا أكلا لذيذًا، واشربوا شربًا هنيئًا؛ بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال. إنا بمثل ذلك الجزاء العظيم نجزي أهل الإحسان في أعمالهم وطاعتهم لنا. هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الجزاء والحساب وما فيه من النعيم والعذاب.

---

(٧٥٨) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥٥):ص٣٢٠٧/١٠.

(٧٦٠) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٩٢):ص٣٣٩٣/١٠، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٠/١٣) عن محمد بن فضيل به نحوه.

(٧٦٢) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧٦٣) التفسير البسيط للواحدي: ١٠٤/١٠-١٠٥.

(٧٦٤) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ(٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [المرسلات : ٤١]، أي:" إن الذين خافوا ربهم في الدنيا، واتقوا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارفة وعيون الماء الجارية، وفواكه كثيرة مما تشتهيه أنفسهم يتنعمون"(٧٦٥).

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك(٧٦٦).

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"(٧٦٧).

قال عطاء: "يريد المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان"(٧٦٨).

قوله تعالى:{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المرسلات : ٤٣]، أي:" يقال لهم: كلوا أكلا لذيذًا، واشربوا شربًا هنيئًا؛ بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال"(٧٦٩).

عن عكرمة:"{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا}، أي: لا موت"(٧٧٠).

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨)} [المرسلات : ٤٨]

التفسير:

وإذا قيل لهؤلاء المشركين: صلُّوا لله، واخشعوا له، لا يخشعون ولا يصلُّون، بل يصرُّون على استكبارهم.

عن مجاهد، قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ}، قال: صَلُّوا"(٧٧١).

قال مجاهد:" إذا قيل لهم صلوا لا يصلون"(٧٧٢).

قال مجاهد:" نزلت في ثقيف"(٧٧٣).

عن قتادة، قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ}، عليكم بحسن الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان. وقال قتادة عن ابن مسعود، أنه رأى رجلا يصلي ولا يركع، وآخر يجرّ إزاره، فضحك، قالوا: ما يُضحكك؟ قال: أضحكني رجلان، أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه"(٧٧٤).

يذكر:" أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر، وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر، فجلس ولم يركع، فقال له صبي: يا شيخ قم فاركع. فقام فركع ولم يحاجه بما يراه مذهبا، فقيل له في ذلك، فقال: خشيت أن أكون من الذين {إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} [المرسلات : ٤٨] "(٧٧٥).

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)} [المرسلات : ٤٩-٥٠]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بآيات الله، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي كتاب وكلام بعده يؤمنون؟ وهو المبيِّن لكل شيء، الواضح في حكمه وأحكامه وأخباره، المعجز في ألفاظه ومعانيه.

---

(٧٦٥) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧٦٦) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(٧٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

(٧٦٨) التفسير البسيط للواحدي: ١٠٥/٢٣.

(٧٦٩) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٧٧٠) الدر المنثور: ٣٨٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٧٧١) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٤.

(٧٧٢) تفسير مجاهد: ٦٩٣.

(٧٧٣) الدر المنثور: ٣٨٨/٨، وعزاه إلى عبد حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧٧٤) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٤-١٤٥.

(٧٧٥) تفسير القرطبي: ١٦٨/١٩.

قوله تعالى:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات : ٤٩]، أي:" هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بآيات الله"[٧٧٦].

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٧٧٧].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات : ٥٠]، أي:" فبأي كتابٍ وكلام بعد هذا القرآن المعجز الواضح يصدّقون إن لم يؤمنوا بالقرآن؟"[٧٧٨].

قال الضحاك: [{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ}]"بعد توحيد الله"[{يُؤْمِنُونَ}][٧٧٩].

وروي عن يعقوب، أنه قرأ: «تؤمنون»، بالتاء من فوق، على المواجهة، ورويت عن ابن عامر[٧٨٠].

عن إسماعيل بن أمية : "سمعت رجلا أعرابيا بَدَويا يقول : سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ :{وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا} فقرأ :{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} ؟ فليقل : آمنت بالله وبما أنزل"[٧٨١].

«آخر تفسير سورة (المرسلات)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(٧٧٦) صفوة التفاسير: ٤٧٩/٣.

(٧٧٧) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

(٧٧٨) صفوة التفاسير: ٤٧٩/٣.

(٧٧٩) البحر المحيط في التفسير: ٤١٥/٩.

(٧٨٠) انظر: المحرر الوجيز: ٤٢٢/٥.

(٧٨١)سنن أبي داود برقم (٨٨٧) ، والمسند (٢٤٩/٢) ، وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٧) . وقد جاء تسمية هذا الأعرابي في رواية الحاكم، فرواه في المستدرك (٥١٠/٢) من طريق يزيد بن عياض، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة بنحوه وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". قلت: يزيد بن عياض كذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النبأ»

«سورة النبأ» هي السورة الثامنة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة المعارج»، وآياتها إحدى وأربعون في عد المكي والبصرى، وأربعون في عد الباقين. وكلماتها مائة وثلاث وسبعون. وحروفها ثمانمائة وست عشرة. المختلف فيها آية: {عَذَابًا قَرِيبًا} [النبأ : ٤٠]. فواصل آياتها: «منا» وعلى الميم آية: {الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢][٧٨٢].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} بمكة"[٧٨٣]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[٧٨٤].

قال هبة الله:" نزلت بمكة وهي من آخر المكي الأول، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- هاجر من غد يوم نزلت، والمكي الأول: ما نزل قبل الهجرة، والمكي الآخر: ما نزل بعد فتح مكة"[٧٨٥].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع"[٧٨٦].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٧٨٧].

---

(٧٨٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٧/١.

(٧٨٣) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٧٨٤) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٧٨٥) الناسخ والمنسوخ: ١٩٣.

(٧٨٦) المحرر الوجيز: ٤٢٣/٥.

(٧٨٧) التحرير والتنوير: ٥/٣٠.

القرآن

{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)} [النبأ : ١-٣]

التفسير:

عن أيِّ شيء يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟ يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن، وهو القرآن العظيم الذي ينبئ عن البعث الذي شك فيه كفار قريش وكذَّبوا به.

سبب النزول:

عن الحسن، قال: "لما بُعِث النبيّ صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ}"(٧٨٨).

قال مقاتل: "{عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ} نزلت في أبي لبابة وأصحابه، وذلك أنّ كفار مكة كانوا يجتمعون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويَسمعون حديثه، فإذا حَدَّثهم خالفوا قوله، واستهزؤوا منه، وسخروا؛ فأنزل الله تعالى: {أَنْ إذا سَمِعْتُمْ} يا محمد {آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [النساء: ١٤٠]. فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحَدِّث المؤمنين، فإذا رأى رجلًا مِن المشركين كفَّ عن الحديث حتى يَذهب، ثم أقبلوا بجماعتهم، فقالوا: يا محمد، أبخلتَ بما كنتَ تُحدِّثنا؟ لو أنك حَدّثتنا عن القرون الأولى فإنّ حديثك عجبٌ. قال: «لا، واللهِ، لا أُحدِّثكم بعد يومي هذا، وربي قد نهاني عنه». فأنزل الله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ}"(٧٨٩).

قوله تعالى:{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ : ١]، أي:" عن أيِّ شيء يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟ يتساءلون عن الخبر العظيم الهام وهو أمر البعث"(٧٩٠).

عن الحسن: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ}، " يعني: الخبر العظيم"(٧٩١).

وعن ابن كثير أنه قرأ: «عمه»، بهاء السكت(٧٩٢).

وفي المراد بقوله تعالى:{النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢]، قولان:

أحدهما : أريد به القرآن، قاله مجاهد(٧٩٣)، وقتادة(٧٩٤).

عن مجاهد:" {عم يتساءلون عن النبأ العظيم} ، يعني: «القرآن»"(٧٩٥).

الثاني : أنه البعث بعد الموت ، قاله قتادة-أيضا-(٧٩٦).

قوله تعالى:{الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [النبأ : ٣]، أي:" الذي اختلفوا فيه ما بين شاكٍّ في وقوعه، ومكذب منكرٍ لحصوله"(٧٩٧).

عن قتادة: {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}، قال: مصدّق ومكذّب"(٧٩٨).

قال قتادة:" صار الناس فيه رجلين: مصدّق، ومكذّب، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت"(٧٩٩).

---

(٧٨٨) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٠٩٣):ص٣٣٩٤/١٠.

(٧٨٩)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٥٧.

(٧٩٠) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٧٩١) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٠٩٣):ص٣٣٩٤/١٠.

(٧٩٢) انظر: الكشاف: ٦٨٤/٤.

(٧٩٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٩/٢٤.

(٧٩٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٢. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٧٩٥) تفسير مجاهد: ٦٩٤، وتفسير الطبري: ١٤٩/٢٤.

(٧٩٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤.

(٧٩٧) صفوة التفاسير: ٤٨٢/٣-٤٨٣.

(٧٩٨) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٤.

(٧٩٩) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٤.

عن قتادة: عن النبإ {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} البعث بعد الموت، فصار الناس فيه فريقين: مصدّق ومكذّب، فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت"[٨٠٠].

القرآن

{كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)} [النبأ : ٤-٥]

التفسير:

ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون، سيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم سيتأكد لهم ذلك، ويتأكد لهم صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من القرآن والبعث.

عن الضحاك: "{كَلا سَيَعْلَمُونَ}: الكفار. {ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ}: المؤمنون، وكذلك كان يقرأها"[٨٠١][٨٠٢].

عن الحسن، في قوله: "{كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}، قال: وعيد بعد وعيد"[٨٠٣].

قرئتْ: «كلا ستعلمون» بالتاء[٨٠٤]. والذيَ عليه القراء: {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}، بالياء"[٨٠٥].

القرآن

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)} [النبأ : ٦]

التفسير:

ألم نجعل الأرض ممهدة لكم كالفراش؟

عن قتادة: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا}، أي: بساطا"[٨٠٦].

عن الحسن:" {الأَرْضَ مِهادًا} قال: فِراشًا"[٨٠٧].

عن قتادة:" {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهادًا} إلى قوله: {مَعاشًا}، قال: نِعمٌ من الله يعدّها عليكم، يا بني آدم؛ لِتعمَلوا لأداء شُكرها"[٨٠٨].

القرآن

{وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)} [النبأ : ٧]

التفسير:

والجبال رواسي؛ كي لا تتحرك بكم الأرض؟

عن الحسن، قال: "إنّ الأرض أول ما خُلِقتْ خُلِقتْ من عند بيت المقدس، وُضِعتْ طينة، فقيل لها: اذهبي هكذا وهكذا وهكذا. وخُلِقتْ على صخرة، والصخرة على حوت، والحوت على الماء، فأصبحتْ وهي

---

(٨٠٠) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٤.

(٨٠١) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٤.

(٨٠٢) قيل:"أن قوله : {ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبأ : ٥]، تكرير لما قبله من الردع والوعيد للمبالغة فيها، فكأنه قيل: لهم يوم القيامة ردع وعذاب شديدان، ثم قيل: بل لهم يومئذ عذاب أشد وأشد، وثم للتفاوت في رتبة العذاب بين الردع الأول والثاني، وقيل: إن الجملة الأولى تشير إلى ما يكون عند النزع، وملاقاة كربات الموت وشدائده وانكشاف الغطاء، والجملة الثانية تشير إلى ما يكون في القيامة من زجر ملائكة العذاب، وملاقاة شديد العقاب، وعلى هذا فـ {ثُمَّ} في مكانها من إفادة التراخي لما بين الأمرين من البعد الزماني". [التفسير الوسيط لمجمع البحوث: ١٧٤٥/١٠].

(٨٠٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨٠٤)التاء: تروى عَن الحَسن.

(٨٠٥) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٧١/٥.

(٨٠٦) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٤.

(٨٠٧)أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤٤. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٨٠٨)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

تميع. فقالت الملائكة: يا ربّ، مَن يُسكّن هذه؟ فأصبحت الجبال فيها أوتادًا، فقالت الملائكة: يا ربّ، أخلقتَ خَلْقًا هو أشدُّ مِن هذه؟ قال: الحديد. قالوا: فخَلقتَ خَلْقًا هو أشد من الحديد؟ قال: النار. قالوا: فخَلقتَ خَلْقًا هو أشد من النار؟ قال: الماء. قالوا: فخَلقتَ خَلْقًا هو أشد من الماء؟ قال: الريح. قالوا: فخَلقتَ خَلْقًا هو أشد من الريح؟ قال: البناء. قالوا: فخَلقتَ خَلْقًا هو أشد من البناء؟ قال: ابن آدم"[٨٠٩].

القرآن

{وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨)} [النبأ : ٨]

التفسير:

وخلقناكم أصنافا ذكرا وأنثى؟

قال مجاهد:" اثنين اثنين"[٨١٠].

القرآن

{وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)} [النبأ : ٩]

التفسير:

وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم، فيه تهدؤون وتسكنون؟

وفي تفسير الآية قولان:

أحدهما: نعاسا، قاله السدي[٨١١].

الثاني: سكنا، قاله قتادة[٨١٢].

القرآن

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠)} [النبأ : ١٠]

التفسير:

وجعلنا الليل لباسًا تَلْبَسكم ظلمته وتغشاكم، كما يستر الثوب لابسه؟

عن قتادة: "{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا}، قال: سكنا"[٨١٣]. وروي عن سعيد بن جبير والسدي مثله[٨١٤].

القرآن

{وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١)} [النبأ : ١١]

التفسير:

وجعلنا النهار معاشا تنتشرون فيه لمعاشكم، وتسعَون فيه لمصالحكم؟

قال ابن عباس:" تَبتغون فيه مِن فضل الله، وما قَسم لكم مِن رزقه"[٨١٥].

قال مجاهد:" يبتغون فيه من فضل الله عز وجل"[٨١٦].

---

(٨٠٩)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨١٠)عزاه السيوطي إلى الفريابي، وعَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٨١١) النكت والعيون: ١٨٣/٦.

(٨١٢) النكت والعيون: ١٨٣/٦.

(٨١٣) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٤.

(٨١٤) انظر: النكت والعيون: ١٨٣/٦.

(٨١٥)تفسير البغوي ٨/ ٣١٢.

(٨١٦)تفسير مجاهد ص ٦٩٤، وأخرجه الطبري: ١٥٢/٢٤. وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

القرآن

{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢)} [النبأ : ١٢]

التفسير:

وبنينا فوقكم سبع سموات متينة البناء محكمة الخلق، لا صدوع لها ولا فطور؟

عن مجاهد: {ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق} [المؤمنون: ١٧]، يعني: «سبع سموات»"[٨١٧].

عن قتادة في قوله: {فسواهن سبع سماوات}، قال: بعضهن فوق بعض، بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام"[٨١٨].

القرآن

{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)} [النبأ : ١٣]

التفسير:

وجعلنا الشمس سراجًا وقَادًا مضيئًا؟

عن مجاهد: "{سِرَاجًا وَهَّاجًا}، قال: يتلألأ"[٨١٩].

قال قتادة:" الوهاج: المنير"[٨٢٠].

قال عطاء الخراساني:" الوهج: المنير"[٨٢١].

القرآن

{وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)} [النبأ : ١٤-١٦]

التفسير:

وأنزلنا من السحب الممطرة ماء منصَبّا بكثرة، لنخرج به حبًا مما يقتات به الناس وحشائش مما تأكله الدَّواب، وبساتين ملتفة بعضها ببعض لتشعُّب أغصانها.

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا} [النبأ : ١٤]، أي:" وأنزلنا من السحب الممطرة ماء منصَبّا بكثرة"[٨٢٢].

وفي معنى «المعصرات»، أقوال:

أحدها : أن «المعصرات»: الرياح[٨٢٣]، قاله مجاهد[٨٢٤]، وعكرمة[٨٢٥]، وزيد بن أسلم[٨٢٦].

عن عكرمة:" أنه كان يقرأ: «وأنزلنا بالمُعْصِرَاتِ»، يعني: الرياح"[٨٢٧].

قال قتادة:" هي في بعض القراءات: {وَأنزلنا بالمُعْصِرَات}: الرياح"[٨٢٨].

---

(٨١٧) تفسير مجاهد: ٤٨٥.

(٨١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٠٩):ص٧٥/١.

(٨١٩) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.

(٨٢٠) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.

(٨٢١)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٨.

(٨٢٢) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٢٣) و«من» على هذا القول قامت مقام «الباء»، كأنه قال: «وأنزلناها بالمعصرات».

قال يحيى بن سلام:" المُعْصِرات يعني بالمعصرات. وكقوله في سورة الرّعد: {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ الله} يعني بأمر الله". [التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٠].

(٨٢٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٤.

(٨٢٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٤.

(٨٢٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

(٨٢٧) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.

الثاني : أنها السحاب، قاله عكرمة-أيضا-[٨٢٩]، وأبو العالية[٨٣٠]، والربيع[٨٣١]، والضحاك[٨٣٢]، والحسن[٨٣٣].

وقال ابن كيسان: "المغيثات، من قوله: {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف : ٤٩] "[٨٣٤].

الثالث : أن «المعصرات»: السماوات، قاله الحسن[٨٣٥]، وسعيد بن جبير[٨٣٦]، وقتادة-أيضا-[٨٣٧]، وزيد بن أسلم[٨٣٨].

عن قتادة:"{وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ}، قال: من السموات"[٨٣٩].

قال قتادة:" من السماء"[٨٤٠].

وهذا قول غريب، والأظهر أن المراد بالمعصرات : السحاب، كما قال الله تعالى :{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [الروم : ٤٨] أي : من بينه"[٨٤١].

وفي «الثجاج»، قولان :

أحدهما : الثّجاج: الماء الكثير يُنبتُ الله به الحَبّ. قاله الحسن[٨٤٢].

الثاني : المنصبّ، قاله مجاهد[٨٤٣]، وقتادة[٨٤٤]، والربيع[٨٤٥]، ومنه قول عبيد بن الأبرص[٨٤٦] :

فالثجّ أعلاه ثم ارتج أسفلُه ... وضاق ذَرْعاً بحمل الماء مُنْصاح

قال قتادة:" الثجاج: المنصب"[٨٤٧].

قال الربيع:" مُنصبًّا"[٨٤٨].

قال قتادة:" مُتتابعًا يتلو بعضه بعضًا"[٨٤٩].

وقال مجاهد: "مدرارا"[٨٥٠].

وقال عكرمة:" صبًّا. أو قال: كثيرًا"[٨٥١].

---

(٨٢٨) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.

(٨٢٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

(٨٣٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

(٨٣١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.

(٨٣٢) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.

(٨٣٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

(٨٣٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!١٤.

(٨٣٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.

(٨٣٦) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.

(٨٣٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.

(٨٣٨) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.

(٨٣٩) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٤.

(٨٤٠) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٤.

(٨٤١) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

(٨٤٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق والريح -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٣٢ (٧٣) -.

(٨٤٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.

(٨٤٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.

(٨٤٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.

(٨٤٦)ديوان عبيد ص ٣٥، والبيت في وصف المطر ومنصاح: منشق بالماء، وفي بعض المصادر :" فثجّ أعلاه".

(٨٤٧) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٤.

(٨٤٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.

(٨٤٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ١١٤، وتفسير البغوي ٨/ ٣١٣.

(٨٥٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.

والمعروف في كلام العرب يقال: "ثجّ الماء ثجوجا إذا انصبّ، وثجّه فلان ثجا، إذ صبّه صبّا متتابعا"[٨٥٢].

قوله تعالى:{لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا} [النبأ : ١٥]، أي:" لنخرج به حبًا مما يقتات به الناس وحشائش مما تأكله الدَّواب"[٨٥٣].

قال عكرمة:" ما أنزل الله من السماء قطرا، إلا نبت به في البحر لؤلؤا، وفي الأرض عشبا"[٨٥٤].

قوله تعالى:{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا} [النبأ : ١٦]، أي:" وبساتين ملتفة بعضها ببعض لتشعُّب أغصانها"[٨٥٥].

عن مجاهد: "{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}، قال: جنات ملتفة"[٨٥٦].

قال قتادة:" التفّ بعضها إلى بعض"[٨٥٧].

القرآن

{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨)} [النبأ : ١٧-١٨]

التفسير:

إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين، يوم ينفخ المَلَك في «القرن» إيذانًا بالبعث فتأتون أممًا، كل أمة مع إمامهم.

قوله تعالى:{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ : ١٧]، أي:" إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين"[٨٥٨].

قال قتادة:" وهو يوم عظَّمه الله، يفصِل الله فيه بين الأوّلين والآخرين بأعمالهم"[٨٥٩].

قوله تعالى:{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [النبأ : ١٨]، أي:" يوم ينفخ المَلَك في «القرن» إيذانًا بالبعث"[٨٦٠].

قال قتادة:" الصُّور: الخَلق"[٨٦١].

وفي «الصور»، قولان:

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض ، والثانية لنشر كل مَيْتٍ. وهو معنى قول مجاهد[٨٦٢].

قال مجاهد: "الصور كهيئة البوق"[٨٦٣].

و"الصور": القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد[٨٦٤]:

نحن نطحنا غداة الجمعين ... بالضابحات في غبار النقعين

نطحا شديدا لا كنطح الصورين[٨٦٥].

---

(٨٥١)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.

(٨٥٢) إعراب القرآن: ٨٠/٥.

(٨٥٣) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٥٤) زاد المسير: ٣٨٩/٤.

(٨٥٥) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٥٦) تفسير مجاهد: ٦٩٤، وتفسير الطبري: ١٥٦/٢٤.

(٨٥٧) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٤.

(٨٥٨) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٥٩) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢٤.

(٨٦٠) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٦١) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢٤.

(٨٦٢) انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣، وزاد المسير:٤٥/٢.

(٨٦٣) انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣، وزاد المسير:٤٥/٢.

(٨٦٤)الرجز في«غريب القرآن» : ٢٦ بدوننسبة.

الثاني: أن {الصور}، جمع:« صورة»، يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، قاله الحسن[٨٦٦]، وقتادة[٨٦٧]، ومنه قول النابغة[٨٦٨]:

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو مجلز، وأبو المتوكل :«في الصور» بفتح الواو[٨٦٩].

والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «إن إسرافيلَ قد التقم الصور وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ»[٨٧٠]، وأنه قال : «الصور قرن ينفخ فيه»"[٨٧١][٨٧٢].

قوله تعالى:{فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ : ١٨]، أي:" فتأتون أممًا، كل أمة مع إمامهم"[٨٧٣].

عن مجاهد، قوله: "{أَفْوَاجًا}، قال: زُمرًا زُمرًا"[٨٧٤].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما بين النفختين أربعون" قالوا : أربعون يومًا ؟ قال : "أبيتُ". قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : "أبيت". قالوا : أربعون سنة ؟ قال : "أبيت". قال : "ثم يُنزلُ الله من السماء ماء فينبتُونَ كما ينبتُ البقلُ، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبلَى، إلا عظمًا واحدا، وهو عَجْبُ الذنَب، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة" [٨٧٥].

عن البراء بن عازب قال: "كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً}، فقال: «معاذ سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه ثم قال: تحشرون عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميّزهم الله تعالى من جماعة المسلمين وبدّل صورهم فبعضهم على صور القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكبّين أرجلهم فوق ووجوههم أسفل يسحبون عليها، وبعضهم عمي يتردّدون، وبعضهم صُمٌّ بُكْمٌ ... لا يَعْقِلُونَ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلّاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلّبين على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتنا من الجيف، وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس- يعني النّمام- وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، والمنكسين على وجوههم فأكلة الربا، والعمي من يجور في الحكم، والصمّ والبكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلّبين على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله سبحانه من أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء»[٨٧٦].

---

(٨٦٥) انظر: غريب القرآن:٢٦.

(٨٦٦) انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣.

(٨٦٧) انظر: زاد المسير:٤٥/٢.

(٨٦٨)ديوانه: ١٧، واللسان: ٦/ ٥٣،ومجاز القرآن: ٤،وتفسيرالطبري: ١/ ١٠٥،وتفسيرالقرطبي: ١/ ٦٥ والإتقان: ن ١/ ٨٩.

(٨٦٩) انظر: زاد المسير:٤٥/٢.

(٨٧٠)رواه الترمذي في باب " ما جاء في الصور " ، وفي أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٣٧ ، ثم قال : " رواه مسلم في صحيحه " ، ولم أستطع أن أعرف مكانه في صحيح مسلم.

(٨٧١) سبقق تخريجه انظر: القول الأول.

(٨٧٢) تفسير الطبري:٤٦٣/١١.

(٨٧٣) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٧٤) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢٤.

(٨٧٥)صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥).

(٨٧٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٥/١٠، .وانظر: الدر المنثور: ٣٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

القرآن

{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)} [النبأ : ٢٠]

التفسير:

ونسفت الجبال بعد ثبوتها، فكانت كالسراب.

قوله تعالى:{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ} [النبأ : ٢٠]، أي:" ونسفت الجبال بعد ثبوتها"(٨٧٧).

عن مجاهد :"{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}، قال: ذهبت"(٨٧٨).

قوله تعالى:{فَكَانَتْ سَرَابًا} [النبأ : ٢٠]، أي:" فكانت كالسراب"(٨٧٩).

عن عامر الشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، قالوا:" السّراب كهيئة الآل"(٨٨٠).

القرآن

{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦)} [النبأ : ٢١-٢٦]

التفسير:

إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعِدَّت لهم، للكافرين مرجعًا، ماكثين فيها دهورًا متعاقبة لا تنقطع، لا يَطْعَمون فيها ما يُبْرد حرَّ السعير عنهم، ولا شرابًا يرويهم، إلا ماءً حارًا، وصديد أهل النار، يجازَون بذلك جزاء عادلا موافقًا لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} [النبأ : ٢١]، أي:" إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعِدَّت لهم"(٨٨١).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}: يُعْلِمُنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يَقطع النار"(٨٨٢).

روي أن الحسن تلا هذه الآية: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}، وقال:" ألا إنّ على الباب الرّصَد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز احتبس"(٨٨٣).

قال الحسن:" لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار"(٨٨٤).

قوله تعالى:{لِلطَّاغِينَ مَآبًا} [النبأ : ٢٢]، أي:" للكافرين مرجعًا"(٨٨٥).

عن قتادة: "{لِلطَّاغِينَ مَآبًا}، أي: منزلا ومأوى"(٨٨٦).

قوله تعالى:{لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} [النبأ : ٢٣]، أي:" ماكثين فيها دهورًا متعاقبة لا تنقطع"(٨٨٧).

واختلفوا في مدة «الحقب»، على أقوال:

أحدها : ثمانون سنة، قاله هلال الهَجريّ(٨٨٨)، وسعيد بن جبير(٨٨٩)، وعَمرو بن ميمون(٨٩٠)، والحسن(٨٩١)، وقتادة(٨٩٢)، والربيع بن أنس(٨٩٣)، والضحاك(٨٩٤).

---

(٨٧٧) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٧٨) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٤.

(٨٧٩) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٨٠)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٩٥ -.

(٨٨١) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٨٢) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.

(٨٨٣) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.

(٨٨٤) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.

(٨٨٥) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٨٦) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.

(٨٨٧) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٨٨٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٤.

(٨٨٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.

قال سعيد بن جبير:" الحقب: ثمانون سنة، السنة: ثلاث مئة وستون يوما، اليوم: سنة أو ألف سنة. - الطبري يشكّ-"[٨٩٥].

قال قتادة:" بلغنا أن الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة"[٨٩٦].

عن قتادة، قال الله: "{لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، وهو ما لا انقطاع له، كلما مضى حُقْب جاء حُقْب بعده. وذُكر لنا أن الحُقْب ثمانون سنة"[٨٩٧].

قال الربيع بن انس:" لا يعلم عدّة هذه الأحقاب إلا الله، ولكن الحُقْب الواحد: ثمانون سنة، والسنة: ثلاث مئة وستون يوما، كل يوم من ذلك ألف سنة"[٨٩٨].

الثاني : سبعون سنة ، قاله الحسن[٨٩٩]، والسدي[٩٠٠].

قال السّدي :"{لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} سبعمائة حُقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم كألف سنة مما تعدون"[٩٠١].

الثالث : ثلاثمائة سنة، قاله بشير بن كعب[٩٠٢].

قال بشير بن كعب:" بلغني أن الحُقب ثلاث مئة سنة، كلّ سنة ثلاث مئة وستون يوما، كل يوم ألف سنة"[٩٠٣].

الرابع : سبعون ألف سنة ، قاله الحسن[٩٠٤].

قال الحسن:" أما الأحقاب، فلا يَدري أحد ما هي، وأما «الحُقْب الواحد»: فسبعون ألف سنة، كلّ يوم كألف سنة"[٩٠٥].

عن سالم، قال: "سمعت الحسن يُسْأل عن قول الله: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، قال: أما الأحقاب فليس لها عدّة إلا الخلود في النار؛ ولكن ذكروا أن الحُقْب الواحد سبعون ألف سنة، كلّ يوم من تلك الأيام السبعين ألفا كألف سنة مما تَعُدّون"[٩٠٦].

الخامس: أي: أحقابا لا انقطاع لها. وهذا قول قتادة[٩٠٧]، وبه قال قطرب[٩٠٨]، والنحاس[٩٠٩].

---

(٨٩٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٨٩١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٨٩٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٨٩٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٨٩٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٨٩٥) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٨٩٦) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٨٩٧) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٨٩٨) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٨٩٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٩٠٠) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٩٠١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٠٦/٨.
(٩٠٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٤. بشير بن كعب بن أبي الحميري، أبو أيوب العدوي". ثقة معروف، روى عن أبي الدرداء، وأبي ذر، وأبي هريرة. و"بشير" مصغر.
(٩٠٣) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٤.
(٩٠٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٩٠٥) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٩٠٦) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٩٠٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٩٠٨) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٦.
(٩٠٩) انظر: إعراب القرآن: ٨٢/٥.

عن قتادة، قال الله: "{لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، وهو ما لا انقطاع له، كلما مضى حُقْب جاء حُقْب بعده.."[٩١٠].

قال الحسن: "إنّ الله سبحانه لم يذكر شيئا إلّا وجعل له مدّة ينقطع إليها ولم يجعل لأهل النار مدّة بل قال: {لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً}، فو الله ما هو إلّا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الآبدين فليس للأحقاب عدة إلّا الخلود في النار، ولكن قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة كل يوم منها ألف سنة ممّا نعده"[٩١١].

وروي عن خالد بن معدان، في قوله: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، وقوله: {إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ}، إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة"[٩١٢].

وقرئ: «لَبِثِينَ»، بغير ألف[٩١٣].

قوله تعالى:{لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} [النبأ : ٢٤]، أي:" لا يَطْعَمون فيها ما يُبْرد حرَّ السعير عنهم، ولا شرابًا يرويهم"[٩١٤].

قال أبو العالية:" استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق"[٩١٥].

عن الربيع: "{لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا إلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا}، قال:" فاستثنى من الشراب الحميم، ومن البَرْد: الغَسَّاق"[٩١٦].

وفي «البرد»، قولان:

أحدهما : أنه الرَّوْح والراحة، قاله قتادة[٩١٧]، والحسن[٩١٨]، وعطاء[٩١٩].

قال الحسن وعطاء: "{لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً}، أي: روّحا وراحة[٩٢٠].

الثاني : أنه النوم، قاله مجاهد[٩٢١]، والسدي[٩٢٢]، ومنه قول الكندي[٩٢٣]:

بَرَدَتْ مَراشِفُها علىَّ فَصَدَّني ... عنها وعن تَقْبيلِها البَرْدُ

يعني: النوم .

ومنه قول الشاعر[٩٢٤]:

وإن شِئْتِ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ ... وإن شِئتِ لمْ أَطْعَمْ نُقَاخًا ولا بَرْدَا

قوله تعالى:{إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} [النبأ : ٢٥]، أي:" إلا ماءً حارًا، وصديد أهل النار"[٩٢٥].

---

(٩١٠) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.

(٩١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.

(٩١٢) أخرجه الطبري: ١٦٣/٢٤.

(٩١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢٤.

(٩١٤) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٩١٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.

(٩١٦) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩١٧) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦.

(٩١٨) انظر: الكشف والبيان: ١١٧/١٠، وزاد المسير: ٣٩٠/٤.

(٩١٩) انظر: الكشف والبيان: ١١٧/١٠، وزاد المسير: ٣٩٠/٤.

(٩٢٠)نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٧/١٠.

(٩٢١) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦، وزاد المسير: ٣٩٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٨٠/١٩.

(٩٢٢) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦، وزاد المسير: ٣٩٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٨٠/١٩.

(٩٢٣)الشاهد بلا نسبة في جمهرة اللغة: ٢٩٥، والاشتقاق: ص ٤٧٨ والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٥، وهو في ديوان امرئ القيس: ٢٣١.

(٩٢٤)البيت للعرجي في ديوانه ١٠٩، وشواهد الكشاف ٣٤. وغير منسوب في تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٨، والبحر ٨/ ٤١٤. ويروى: "فإن"، "فلو"، "ولو"، "أحرمت" وانظر الطبري، والفخر ٨/ ٣٣٠.

(٩٢٥) التفسير الميسر: ٥٨٢.

عن الحسن :"{إلّا حَمِيمًا وغَسّاقًا}، قال: شَرابَيْن في النار؛ يقال لأحدهما: حميم، والآخر: غسّاق"[٩٢٦].

عن السدي:" {إلّا حَمِيمًا} :" نوع من الشراب لأهل النار"[٩٢٧].

وأما «الغسّاق»، ففيه أقوال:

أحدها: أنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده، قاله مجاهد[٩٢٨]، وأبو العالية[٩٢٩]، والربيع بن أنس[٩٣٠].

وقال مجاهد:" الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده"[٩٣١].

قال مجاهد:" الغساق: الذي لا يستطاع من برده"[٩٣٢].

قال أبو العالية والربيع:" الغساق، الزمهرير"[٩٣٣].

الثاني : أنه صديد أهل النار، قاله عطية بن سعد[٩٣٤]، وأبو رزين[٩٣٥]، وإبراهيم[٩٣٦].

قال عطية بن سعد:" هو الذي يَسيل من جلودهم"[٩٣٧].

قال عكرمة:" ما يخرج من أبصارهم من القيح والدم"[٩٣٨].

قال أبو رزين وإبراهيم:" ما يَسِيل من صديدهم"[٩٣٩].

قال إبراهيم:" ما يسيل من صديدهم من البرد"[٩٤٠].

قال إبراهيم:" الغساق: ما يقطر من جلودهم، وما يسيل من نتنهم"[٩٤١].

عن إبراهيم وأبي رَزِين: {إلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا}، قالا غُسالة أهل النار: لفظ ابن بشار؛ وأما ابن المثنى فقال في حديثه: ما يسيل من صديدهم"[٩٤٢].

الثالث : أنه المنتن باللغة الطحاوية ، قاله عبد الله بن بُرَيدة[٩٤٣].

الرابع: أنه واد في جهنم. قاله شهر بن حوشب[٩٤٤].

قال شهر بن حوشب: "الغسّاق: واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبا في كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتا في كل بيت أربع زوايا في كلّ زاوية شجاع كأعظم ما خلقه الله سبحانه من خلقه في رأس كل شجاع سم"[٩٤٥].

---

(٩٢٦)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤١ (١٨٧) -.

(٩٢٧) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦.

(٩٢٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٢٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٣٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٣١) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٣٢) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٣٣) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٣٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩٣٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩٣٦) انظر: تفسير الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩٣٧) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩٣٨) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩٣٩) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩٤٠) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٤١) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩٤٢) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٩٤٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤-١٦٦.

(٩٤٤) انظر: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.

(٩٤٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.

و«الغساق»: هو الفعال، من قولهم: غَسَقَت عين فلان: إذا سالت دموعها، وغَسَق الجرح: إذا سال صديده، ومنه قول الله: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} يعني بالغاسق: الليل إذا لَبِسَ الأشياء وغطاها، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء، هجوم السيل السائل. فإذا كان الغسَّاق هو ما وصفت من الشيء السائل، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدّة برده النتن.. فإن قال قائل: فإنك قد قلت: إن الغَساق: هو الزمهرير، والزمهرير، هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلا؟ قيل: إن البرد الذي لا يُستطاع ولا يُطاق يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد(٩٤٦).

عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: "لَوْ أنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ إلى الدُّنْيا لأنْتَن أهْلَ الدُّنْيا"(٩٤٧).

قَرَأ حَفْص عَن عَاصِم والمفضل عَن عَاصِم: {وغساقا} مُشَدّدَة، وروى أبُو بكر عَنهُ {وغساقا} خَفِيفَة، وَقَرَأ حَمْزَة والكسائي: {وغساقا} مشددا، وَقَرَأ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر {وغساقا} خَفِيفَة (٩٤٨).

قوله تعالى:{جَزَاءً وِفَاقًا} [النبأ : ٢٦]، أي:" يجازَون بذلك جزاء عادلا موافقًا لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا"(٩٤٩).

قال مجاهد:" وافق الجزاء العمل"(٩٥٠).

القرآن

{إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)} [النبأ : ٢٧-٣٠]

التفسير:

إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له، وكذَّبوا بما جاءتهم به الرسل تكذيبا، وكلَّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ، فذوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذابًا فوق عذابكم.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا} [النبأ : ٢٧]، أي:" إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له"(٩٥١).

قال مجاهد:" لا يخافونه"(٩٥٢). وفي لفظ: "لا يبالون فيصدقون بالبعث"(٩٥٣).

قال قتادة:" أي: لا يخافون حسابا"(٩٥٤).

قال سعيد بن جبير:" لا يَرجون ثوابًا، ولا يَخافون عقابًا(٩٥٥).

قوله تعالى:{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا} [النبأ : ٢٨]، أي:" وكذَّبوا بما جاءتهم به الرسل تكذيبا"(٩٥٦).

---

(٩٤٦) تفسير الطبري: ١٦٦/٢٤.
(٩٤٧) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٤.
(٩٤٨) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦٨-٦٦٩.
(٩٤٩) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٩٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠٢):ص٣٣٩٥/١٠.
(٩٥١) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٩٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠٢):ص٣٣٩٥/١٠.
(٩٥٣) أخرجه الطبري: ٢٤، ١٦٧، وابن أبي حاتم(١٩١٠٢):ص٣٣٩٥/١٠.
(٩٥٤) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢٤.
(٩٥٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٩٥٦) التفسير الميسر: ٥٨٢.

قوله تعالى:{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} [النبأ : ٢٩]، أي:" وكلَّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ"[٩٥٧].

قوله تعالى:{فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} [النبأ : ٣٠]، أي:" فذوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذابًا فوق عذابكم"[٩٥٨].

قال قتادة:" ما زال أهل النار يَأملون الخروج لقول الله: {لابِثِينَ فِيها أَحْقابًا} حتى نزلت: {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} فهم في مزيد أبدًا"[٩٥٩].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول: ما نزلت على أهل النار آية أشدّ منها: {فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا}، فهم في مزيد من الله أبدا"[٩٦٠].

عن الحسين بن واقد، قال: "سمعت علي بن الحسين، يقول: أشد آية على أهل النار {فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا}"[٩٦١].

عن الحسن بن دينار، قال: "سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار؟ فقال: قول الله: {فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا}"[٩٦٢].

عن الحسن بن دينار: "سأل الحسن[٩٦٣] عن أشد آية في القرآن على أهل النار، فقال الحسن: سألنا أبا برزة الأسلمي - رضي الله عنه - فقال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)}"[٩٦٤].

القرآن

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥)} [النبأ : ٣١-٣٥]

التفسير:

إن للذين يخافون ربهم ويعملون صالحًا، فوزًا بدخولهم الجنة. إن لهم بساتين عظيمة وأعنابًا، ولهم زوجات حديثات السن، نواهد مستويات في سن واحدة، ولهم كأس مملوءة خمرًا. لا يسمعون في هذه الجنة باطلا من القول، ولا يكذب بعضهم بعضًا.

---

(٩٥٧) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٩٥٨) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٩٥٩)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٥ - ٤٢٦ (١٢٠) -.

(٩٦٠) أخرجه الطبري: ١٦٩/٢٤.

(٩٦١)أخرجه الواحدي مطولًا في أسباب النزول ص ١٠٦.

(٩٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠٣):ص٣٣٩٥/١٠.

(٩٦٣)ابن أبي الحسن البصري، ثقة فقيه، كان يرسل كثيرًا ويدلس.

(٩٦٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٣/٢٨-٣٣٤ [ط. دار التفسير]. ضعيف جدًا؛ فيه الحسن بن دينار، متروك واتهم بالكذب.

الحديث مداره على الحسن البصري، عن أبي برزة، ويرويه عنه اثنان:

١ - الحسن بن دينار: رواه المصنف من طريق شعيب، عن مهدي، عن الحسن.

٢ - جسر بن فرقد:

رواه ابن أبي حاتم كما في "تخريج أحاديث وآثار الكشاف" للزيلعي ٤/ ١٤٥ من طريق خالد بن عبد الرحمن، ورواه البيهقي في "البعث والنشور" (ص ٣٠٦) (٦٣٥) من طريق مسلم بن إبراهيم موقوفًا، وكذا الطبراني كما في "تخريج أحاديث وآثار الكشاف" للزيلعي ٤/ ١٤٥، من طريق جعفر بن جسر بن فرقد. ثلاثتهم: خالد، ومسلم، وجعفر بن جسر، عن جسر بن فرقد، وجسر: ضعيف جدًا كما قال الزيلعي كلاهما: الحسن بن دينار، وجسر، عن الحسن البصري، عن أبي برزة به، والحديث رواه أيضًا عبد بن حميد، وابن المنذر كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ٥٠٤.

قوله تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} [النبأ : ٣١]، أي:" إن للذين يخافون ربهم ويعملون صالحًا، فوزًا بدخولهم الجنة"[٩٦٥].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} [النبأ : ٣١]، وجهان من التفسير:

أحدهما : متنزها ، قاله الضحاك[٩٦٦].

الثاني : فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة ، قاله قتادة[٩٦٧]، ومجاهد[٩٦٨].

والمفاز: "الظفر بما يحبّه الإنسان"[٩٦٩].

قال مجاهد:" فازوا بأن نَجَوا من النار"[٩٧٠].

قال قتادة:" إي والله مفازا من النار إلى الجنة، ومن عذاب الله إلى رحمته"[٩٧١].

قوله تعالى:{حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا} [النبأ : ٣٢]، أي:" إن لهم بساتين عظيمة وأعنابًا"[٩٧٢].

عن الضحاك:{حَدَائِقَ}، قال: "الذي عليه الحيطان"[٩٧٣].

قوله تعالى:{وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا} [النبأ : ٣٣]، أي:" ولهم زوجات حديثات السن، نواهد مستويات في سن واحدة"[٩٧٤].

في "الكواعب"، قولان:

أحدهما : النواهد، قاله قتادة[٩٧٥].

الثاني : العذارى ، قاله الضحاك[٩٧٦]، ومنه قول قيس بن عاصم[٩٧٧]:

وكم مِنْ حَصانٍ قد حَوَيْنا كَريمةٍ ... ومِنْ كاعبٍ لم تَدْرِما البؤسُ مُعْصِرِ

وفي «الأتراب»، أقوال :

أحدها : مُسْتَوِيَات، في سنّ واحدة، قاله الحسن[٩٧٨]، ومجاهد[٩٧٩]، وقتادة[٩٨٠]، ومحمد بن كعب[٩٨١]، والسدي[٩٨٢].

قال قتادة:" يقول: لسن واحدة"[٩٨٣].

قال قتادة:" يعني: بذلك النساء أترابا لسنٍّ واحدة"[٩٨٤].

---

(٩٦٥) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٩٦٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.

(٩٦٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٩٦٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٩٦٩) إعراب القرآن: ٨٥/٥.

(٩٧٠) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٩٧١) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٩٧٢) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٩٧٣) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٨٥/٥.

(٩٧٤) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٩٧٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٩٧٦) انظر: النكت والعيون: ١٨٨/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، واللباب: ١١٣/٢٠.

(٩٧٧) انظر: الكشف والبيان: ١١٨/١٠، والنكت والعيون: ١٨٨/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، والبحر المحيط: ٣٨٢/١٠، والدر المصون: ٦٦١/١٠، واللباب: ١١٣/٢٠.

(٩٧٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(٩٧٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢٤.

(٩٨٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٩٨١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٢٩):ص١١٦/٢، وتفسير ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(٩٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢١.

(٩٨٣) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤.

عن مجاهد: "{وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا}، لِدَّات"[٩٨٥].

عن أمّ سلمة، قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله: {عُرُبًا أَتْرَابًا}، قال: «عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبباتٍ، أترَابا على مِيلادٍ وَاحِدٍ»"[٩٨٦].

الثاني : أن «الأتراب»: الأمثال. قاله مجاهد-أيضا-[٩٨٧].

الثالث : الأقران. وهذا مروي عن عطية[٩٨٨].

الرابع : أتراب في الأخلاق المتواخيات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد، قاله مجاهد-أيضا-[٩٨٩]، والسدي[٩٩٠].

عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي ، عن أبي أمامة : أنه سمعه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن قُمُص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله، وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم : يا أهل الجنة، ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب"[٩٩١].

عن علي، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين، يرفعن أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكُنَّا له"[٩٩٢].

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن خَيِّرات حِسان، خُبِّئنا لأزواج كرام"[٩٩٣].

قوله تعالى:{وَكَأْسًا دِهَاقًا} [النبأ : ٣٤]، أي:" ولهم كأس مملوءة خمرًا"[٩٩٤].

وفي قوله تعالى:{وَكَأْسًا دِهَاقًا} [النبأ : ٣٤]، وجوه:

أحدها : مملوءة ، قاله مجاهد[٩٩٥]، وقتادة[٩٩٦]، ومنه قول الشاعر[٩٩٧]:

أَتَانَا عَامِرٌ يَبْغِي قِرَانَا ... فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقَا

عن قتادة: "{وَكَأْسًا دِهَاقًا}، قال: مُتْرَعة مَلأى"[٩٩٨].

قال قتادة:" الدهاق: المَلأى المُتْرَعة"[٩٩٩].

قال قتادة:" الدهاق: الممتلئة"[١٠٠٠].

---

(٩٨٤) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤-١٧١.

(٩٨٥) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.

(٩٨٦) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.

(٩٨٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٣، وتفسير مجاهد: ٥٧٦، وتفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(٩٨٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(٩٨٩) انظر: تفسير السمعاني: ٤٤٩/٤.

(٩٩٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(٩٩١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٠٨/٨، ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٩٥/١) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد، عن أبي سفيان - عبد الرحمن بن عبد رب بن تيم اليشكرى به.

(٩٩٢)سنن الترمذي برقم (٢٥٦٤)، قال :"هذا حديث غريب".

(٩٩٣)ذكره الحافظ بن حجر في المطالب العالية (٤٠٢/٤) وعزاه لأبي يعلى، ونقل المحقق قول البصيري : "ورواه أبو يعلى وفيه راو لم يسم". ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم (٢٥٤) : حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس بن مالك به.

(٩٩٤) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٩٩٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٩٩٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٩٩٧) انظر: مسائل نافع بن الازرق((٨٨) د هـ ق [دهاقا]) ص١١٨، وفيه« يرجو قرانا»، والنكت والعيون: ١٨٩/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، والبحر المحيط: ٣٨٢/١٠، والدر المصون: ٦٦٢/١٠، واللباب: ١١٣/٢٠، والإتقان: ٨٦/٢: .

(٩٩٨) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٩٩٩) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.

الثاني : متتابعة يتبع بعضها بعضاً ، قاله سعيد بن جبير[١٠٠١]، ومجاهد[١٠٠٢].
قال سعيد بن جبير:" دهاقًا: المتتابعة"[١٠٠٣].
عن مجاهد: "{وَكَأْسًا دِهَاقًا}، قال: المتتابعة"[١٠٠٤].
عن أبي هريرة، في قوله: "{كَأْسًا دِهَاقًا}، قال: دمادم"[١٠٠٥]. وهي كلمة فارسية بمعنى: متتابعة[١٠٠٦].
الثالث : صافية، رواه عمر بن عطاء عن عكرمة[١٠٠٧]، ومنه قول الشاعر[١٠٠٨]:
لأنْتِ إلى الفُؤادِ أحَبُّ قُرْباً ... مِنَ الصَّادي إلى كَأسِ الدِّهاقِ
قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا} [النبأ : ٣٥]، أي:" لا يسمعون في هذه الجنة باطلا من القول، ولا يكذب بعضهم بعضًا"[١٠٠٩].
وفي «اللغو» -ها هنا- أربعة أقوال :
أحدها: الباطل من القول، قاله قتادة[١٠١٠].
قال قتادة:"إنما كان اللغو والباطل في الدنيا"[١٠١١].
الثاني : الحلف عند شربها، قاله السدي[١٠١٢].
الثالث : الشتم ، قاله مجاهد[١٠١٣].
عن مجاهد، قوله: " {لَا لَغْوٌ فِيهَا} [الطور : ٢٣]، قال: لا يستبون"[١٠١٤].
الرابع : المعصية ، قاله الحسن[١٠١٥].
وفي قوله تعالى: {كِذَّابًا} [النبأ : ٣٥]، ثلاثة أقوال :
أحدها: لا يكذب بعضهم بعضاً ، قاله سعيد بن جبير[١٠١٦].
الثاني : أنه الخصومة ، قاله الحسن[١٠١٧].
الثالث : أنه المأثم ، قاله قتادة[١٠١٨].

(١٠٠٠) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.
(١٠٠١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.
(١٠٠٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤-١٧٣.
(١٠٠٣) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.
(١٠٠٤) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢٤.
(١٠٠٥) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤، وانظر: صفة الجنة لأبن أبي الدنيا(١٣٢):ص١١٧، والدر المنثور: ٣٩٩/٨، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.
(١٠٠٦) انظر: الدر المنثور: ٣٩٩/٨. . وقد ورد في« معجم اللغة العربية المعاصرة(دمدم):ص٧٦/١»: دُمادِمُ [جمع]: دُمَدِم: شيء أحمر يشبه القَطِران يسيل من شجر السَّلَم والسَّمُر.
(١٠٠٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.
(١٠٠٨) البيت بلا نسبة في: النكت والعيون: ١٨٩/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، والبحر المحيط: ٣٨٢/١٠، واللباب: ١١٣/٢٠.
(١٠٠٩) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٠١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢٤.
(١٠١١) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٢.
(١٠١٢) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.
(١٠١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢، والنكت والعيون: ١٨٩/٦.
(١٠١٤) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(١٠١٥) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.
(١٠١٦) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.
(١٠١٧) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.
(١٠١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢٤.

القرآن

{جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩)} [النبأ : ٣٦-٤٠]

التفسير:

لهم كل ذلك جزاء ومنَّة من الله وعطاءً كثيرًا كافيًا لهم، ربِّ السموات والأرض وما بينهما، رحمن الدنيا والآخرة، لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه، يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفِّين، لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقًا وسدادًا. ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، فمن شاء النجاة مِن أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعًا بالعمل الصالح.

قوله تعالى:{جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا} [النبأ : ٣٦]، أي:" لهم كل ذلك جزاء ومنَّة من الله وعطاءً كثيرًا كافيًا لهم"[١٠١٩].

عن قتادة: "{عَطَاءً حِسَابًا}، قال: عطاء كثيرا"[١٠٢٠].

قال مجاهد:" عطاء منه حسابًا لما عملوا"[١٠٢١]. وفي لفظ:" عطاء من الله حسابًا بأعمالهم"[١٠٢٢].

قال قتادة:" أي عطاء كثيرا، فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم، الذي لا انقطاع له"[١٠٢٣].

عن ابن وهب، قال: "سمعت ابن زيد يقول في قول الله: {جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا}، فقرأ: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ... } إلى {عَطَاءً حِسَابًا}، قال: فهذه جزاء بأعمالهم عطاء الذي أعطاهم عملوا له واحدة، فجزاهم عشرا، وقرأ قول الله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}، وقرأ قول الله: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ}، قال: يزيد من يشاء، كان هذا كله عطاء، ولم يكن أعمالا يحسبه لهم، فجزاهم به حتى كأنهم عملوا له، قال: ولم يعملوا إنما عملوا عشرا، فأعطاهم مئة، وعملوا مئة، فأعطاهم ألفا، هذا كله عطاء، والعمل الأوّل، ثم حَسَب ذلك حتى كأنهم عملوا فجزاهم كما جزاهم بالذي عملوا"[١٠٢٤].

قوله تعالى:{رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ} [النبأ : ٣٧]، أي:" أي هذا الجزاء صادرٌ من الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء"[١٠٢٥].

قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو :{رب السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن} بالرَّفْع، وَقَرَأَ عَاصِم وَابْن عَامر: «رب السموت وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن»، خفضا جَمِيعًا، وَقَرَأَ الْمفضل عَن عَاصِم «رب السموت وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن»، رفعا، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائي: «رب السموت وَالْأَرْض ومابينهما» خفضا، {الرَّحْمَن} رفعا[١٠٢٦].

قوله تعالى:{ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ : ٣٧]، أي:" لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه"[١٠٢٧].

عن مجاهد، وقتادة: "{لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا}، قال: كلاما"[١٠٢٨].

(١٠١٩) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٠٢٠) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(١٠٢١) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(١٠٢٢) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(١٠٢٣) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(١٠٢٤) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(١٠٢٥) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٣.
(١٠٢٦) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦٩.
(١٠٢٧) التفسير الميسر: ٥٨٣.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا} [النبأ : ٣٨]، أي:" يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفِّين"[١٠٢٩].

عن الشعبيّ، في قوله: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ}، قال: هما سِمَاطان لربّ العالمين يوم القيامة؛ سِماط من الروح، وسِماط من الملائكة"[١٠٣٠].

وفي رواية ابن أبي حاتم:" هما سماطا رب العالمين يوم القيامة، سماط من الروح وسماط من الملائكة. - والإنس والملائكة والشياطين عشر الروح، ولقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح"[١٠٣١].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ} [النبأ : ٣٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنهم خَلق من خلق الله، على صُور بني آدم، وليسوا بملائكة ولا ببشر، وهم يأكلون ويشربون. قاله مجاهد[١٠٣٢]، وأبو صالح[١٠٣٣]، والأعمش[١٠٣٤].

قال مجاهد:" {الرُّوحُ}: خلق كخلق آدم"[١٠٣٥].

عن مسلم، عن مجاهد، قال: "{الرُّوحُ}: خلق لهم أيد وأرجل، -وأراه قال: ورؤوس يأكلون الطعام، ليسوا ملائكة-"[١٠٣٦].

قال أبو صالح:" يشبهون الناس وليسوا بالناس"[١٠٣٧]. وفي لفظ:" الروح: خلق كالناس، وليسوا بالناس"[١٠٣٨].

قال الأعمش:" الروح خلق من خلق الله يضعفون على الملائكة أضعافًا، لهم أيد وأرجل"[١٠٣٩].

الثاني : أنهم بنو آدم. وهذا قول الحسن[١٠٤٠]، وقتادة[١٠٤١].

عن معمر، عن الحسن، في قوله: "{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ}، قال: الروح: بنو آدم. وقال قتادة: هذا مما كان يكتمه ابن عباس"[١٠٤٢].

الثالث: أنه القرآن. قاله زيد بن أسلم[١٠٤٣].

قال ابن زيد:" كان أبي يقول: الروح: القرآن، وقرأ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ}"[١٠٤٤].

(١٠٢٨) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٤.
(١٠٢٩) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٠٣٠) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٤.
(١٠٣١) تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٠٧):ص٣٣٩٦/١٠.
(١٠٣٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٣٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٣٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٣٥) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٣٦) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٣٧) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٣٨) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٣٩) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٠٤٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٤، وإعراب القرآن للنحاس: ٨٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(١٠٤١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٤، وإعراب القرآن للنحاس: ٨٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(١٠٤٢) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٤.
(١٠٤٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٤.
(١٠٤٤) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٤.

وبعد فلا دليل نعلمه يدلّ على أصحّ هذه الأقوال يكون قاطعا من توقيف من الرسول أو دلالة بينة، وهو شيء لا يضرّ الجهل به، ولو قال قائل: هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ليست بمتناقضة ويجوز أن يكون هذا كلها لها لما عنّف"[١٠٤٥].

قوله تعالى: {لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨]، أي:" لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقًا وسدادًا"[١٠٤٦].

قال الحسن:" لا يشفعون إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة "[١٠٤٧].

وفي قوله تعالى {وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨] ، ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني : حقا في الدنيا وعمل به، قاله مجاهد[١٠٤٨]، ونحوه عن الضحاك[١٠٤٩].

الثاني : يعني: شهادة: لا إله إلا الله ، قاله عكرمة[١٠٥٠]، وأبو صالح[١٠٥١].

الثالث : أن الملائكة تقول يوم القيامة : لا تُدخل الجنة إلا بالرحمة ، ولا النار إلا بالعمل ، وهو قول الحسن[١٠٥٢]، وعكرمة-أيضا-[١٠٥٣].

روي عن عكرمة، أنه "قرأ هذه الآية: {إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}، قال: يُمرّ بأناس من أهل النار على ملائكة، فيقولون: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقال: إلى النار، فيقولون: بما كَسَبت أيديهم، وما ظلمهم الله، ويمرّ بأناس من أهل الجنة على ملائكة، فيقال: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقولون: برحمة الله دخلتم الجنة، قال: فيُؤْذَن لهم في الكلام، أو نحو ذلك"[١٠٥٤].

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفا، إلا من أذن له منهم في الكلام الرحمن، وقال صوابا، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله، أنه عَنَى بذلك نوعا من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه[١٠٥٥].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} [النبأ : ٣٩]، أي:" ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، فمن شاء النجاة مِن أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعًا بالعمل الصالح"[١٠٥٦].

عن قتادة: "{إِلَى رَبِّهِ مَآبًا}، قال: سبيلا"[١٠٥٧].

قال قتادة:" اتخذوا إلى الله مآبًا بطاعته، وما يقرّبهم إليه"[١٠٥٨].

القرآن

(١٠٤٥) إعراب القرآن: ٥/٨٦-٨٧.
(١٠٤٦) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٠٤٧) انظر: النكت والعيون: ٦/١٩٠.
(١٠٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/١٧٨.
(١٠٤٩) انظر: النكت والعيون: ٦/١٩٠.
(١٠٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/١٧٨.
(١٠٥١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/١٧٨.
(١٠٥٢) انظر: النكت والعيون: ٦/١٩٠.
(١٠٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/١٧٨.
(١٠٥٤) أخرجه الطبري: ٢٤/١٧٨.
(١٠٥٥) تفسير الطبري: ٢٤/١٧٨-١٧٩.
(١٠٥٦) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٠٥٧) أخرجه الطبري: ٢٤/١٧٩.
(١٠٥٨) أخرجه الطبري: ٢٤/١٧٩.

{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)} [النبأ : ٤٠]

التفسير:

إنَّا حذَّرناكم عذاب يوم الآخرة القريب الذي يرى فيه كل امرئ ما عمل من خير أو اكتسب من إثم، ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث.

قوله تعالى:{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} [النبأ : ٤٠]، أي:" إنَّا حذَّرناكم عذاب يوم الآخرة القريب، يوم يرى كل إنسان ما قدَّم من خير أو شر مثبتاً في صحيفته"(١٠٥٩).

عن الحسن: "{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}، قال: المرء المؤمن"(١٠٦٠).

عن الحسن :"{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}، قال: المرء المؤمن يحذَر الصغيرة، ويخاف الكبيرة"(١٠٦١).

قال الحسن:" ذاك المؤمن الكيِّس الحذِر، عَلِم أنّ له معادًا فقدَّم وقدَّم، فلمّا قدِم عليه نظر إلى ما قدَّم واغتبط. ويقول الكافر: {يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا} لأنّه لا يُقَدِّم خيرًا، فيقول: {يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا} فلا يكون ترابًا"(١٠٦٢).

قوله تعالى:{وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠]، أي:" ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث"(١٠٦٣).

عن قتادة، قوله: "{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}، وهو الهالك المفرط العاجز، وما يمنعه أن يقول ذلك وقد راج عليه عَوْرَاتُ عمله، وقد استَقبل الرحمن وهو عليه غضبان، فتمنى الموت يومئذ، ولم يكن في الدنيا شيء أكرهَ عنده من الموت"(١٠٦٤).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠]، وجهان:

أحدها : أنه إذا قُضِيَ بين الناس، وأمر بأهل النار إلى النار قيل لمؤمني الجنّ ولسائر الأمم سوى ولد آدم: عُودُوا ترابًا، فإذا نظر الكفار إليهم قد عادوا ترابًا، قال الكافر: يا ليتني يا ليتني كنت ترابًا. وهذا قول أبو الزناد عبد الله بن ذكوان(١٠٦٥)، وليث بن أبي سليم(١٠٦٦).

عن ليث بن أبي سليم، قال: "مؤمنو الجن يعودون ترابًا"(١٠٦٧).

عن ليث بن أبي سليم، قال: "ثواب الجن أن يُجاروا مِن النار، ثم يُقال لهم: كونوا ترابًا"(١٠٦٨).

وقال عمر بن عبد العزيز: "إن مؤمنين الجن حول الجنّة في ريض ورحاب وليسوا فيها"(١٠٦٩).

الثاني : أن الكافر يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور، حتى إنه ليقتص للشاة الجمَّاء من القرناء. فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني ترابا،

(١٠٥٩) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٣.

(١٠٦٠) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤.

(١٠٦١) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤.

(١٠٦٢)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٩٧ - ، وابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٢٢ (٢١٠) - بلفظ: المرء المؤمن يحذر الصغيرة، ويخاف الكبيرة. كما أخرجه بنحوه من طريق عمارة.

(١٠٦٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١٠٦٤) أخرجه الطبري: ١٨١/٢٤.

(١٠٦٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٤، والكشف والبيان: ١٢٠/١٠.

(١٠٦٦) الدر المنثور: ٤٠٢/٨، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وانظر: الكشف والبيان: ١٢٠/١٠.

(١٠٦٧)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.

(١٠٦٨)عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا.

(١٠٦٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢١/١٠.

فتصير ترابا. فعند ذلك يقول الكافر :{يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}، أي : كنت حيوانا فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصّور المشهور[١٠٧٠].

(١٠٧٠) حديث الصور الطويل، أورده ابن كثير في "النهاية": (١/١٧٢-١٧٦) ، وعزاه للحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده، وقال: (رواه جماعة من الأئمة في كتبهم كابن جرير في تفسيره، والطبراني في المطولات وغيرها، والحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور، والحافظ أبي موسى المديني في المطولات أيضاً من طرق متعددة عن إسماعيل بن رافع قاص المدينة، وقد تكلم فيه بسببه، وفي بعض سياقاته نكارة واختلاف).
قال ابن كثير:« وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال: حدثنا أحمد بن الحسن المصري الأيلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال: "إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور, فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بصره في العرش ينتظر متى يؤمر" قلت: يا رسول الله وما الصور قال: "القرن" قلت: كيف هو قال: "عظيم, والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماوات والأرض, ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة القيام لرب العالمين, يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله, ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهو كقول الله تعالى: {وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق} [يس: ٤٩] فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا ثم ترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة المرمية في البحر, تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح, وهو الذي يقول: {يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة} [النازعات: ٦] فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار, فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع, ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا, وهو الذي يقول الله تعالى {يوم التناد} فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر, فرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله, وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل, ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك" قال أبو هريرة: يا رسول الله, من استثنى الله عز وجل حين يقول: {ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله} [النمل: ٨٧] قال: "أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون, وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه, وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه" قال: "وهو الذي يقول الله عز وجل {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ١ ٢] فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول, ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق, فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله, فإذا هم قد خمدوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل ليمت جبريل وميكائيل, فينطق الله تعالى العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيموتان ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله تعالى لتمت حملة العرش فتموت ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل, ثم يأتي ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول الله تعالى أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت, فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخرا كما كان أولا, طوى السماوات والأرض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلففهما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار -ثلاثا- ثم هتف بصوته لمن الملك اليوم -ثلاث مرات- فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار يقول الله تعالى {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات} [إبراهيم: ٤٨] فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظي لا ترى فيهما عوجا ولا أمتا, ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر, فتمطر أربعين يوما حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعا, ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت, قال الله عز وجل ليحي حملة عرشي فيحيون ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل, فيحييان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها, تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلمة, فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور, ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل, قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في

الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ, ثم تنشق الأرض عنهم وأنا أول من تنشق الأرض عنه, فتخرجون سراعا إلى ربكم تنسلون {مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر} [القمر: ٨] حفاة عرة غرلا, فتقفون موقفا واحدا مقداره سبعون عاما لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم, فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا, فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك, فيستقرئون الأنبياء نبيا نبيا كلما جاءوا نبيا أبى عليهم" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "حتى يأتوني, فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدا" قال أبو هريرة يا رسول الله وما الفحص قال "قدام العرش, حتى يبعث الله إلي ملكا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي يا محمد فأقول نعم يا رب فيقول عز وجل ما شأنك وهو أعلم فأقول يا رب وعدتني الشفاعة, فشفعني في خلقك فاقض بينهم قال الله قد شفعتك, أنا آتيكم أقضي بينكم" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فأرجع فأقف مع الناس, فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسا شديدا فهالنا, فينزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس, حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا قالوا لا وهو آت ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثلي من فيها من الجن والإنس, حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم, وقلنا لهم أفيكم ربنا فيقولون لا وهو آت ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة, أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسماوات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم, لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت, سبحان ذي الملك والملكوت, سبحان الحي الذي لا يموت, سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت, سبوح قدوس قدوس قدوس, سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح, سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت, فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول يا معشر الجن والإنس, إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم, فأنصتوا إلي فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم, فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون} [يس: ٦٠-٦٣] أو {بها تكذبون} شك أبو عاصم {وامتازوا اليوم أيها المجرمون} [يس: ٥٩] فيميز الله الناس وتجثو الأمم, يقول الله تعالى {وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون} [الجاثية: ٢٨] فيقضي الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها كوني ترابا, فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ثم يقضي الله تعالى بين العباد, فكان أول ما يقضي فيه الدماء ويأتي كل قتيل في سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول يا رب فيم قتلني هذا فيقول وهو أعلم فيم قتلتهم فيقول قتلتهم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تمر به الملائكة إلى الجنة ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول يا رب قتلني هذا فيقول تعالى وهو أعلم لم قتلتهم فيقول يا رب قتلتهم لتكون العزة لي فيقول تعست ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله, فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه, ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى, ثم قادتهم آلهتهم إلى النار وهو الذي يقول {لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون} [الأنبياء: ٩٩] فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره, فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم, فيخرون للأذقان سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه, ويجعل الله عز وجل أصلابهم كصياصي البقر ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة, فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال فناج سالم وناج مخدوش ومكدوس على وجهه في جهنم".

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله تخيره خليلا فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإن الله قربه نجيا وكلمه وأنزل عليه التوراة فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

عن الليث بن سعد-من طريق ابن وهب- قال: يقال إذا فَرغ الله مِن الحكم [...] والطير والبهائم، واقتصّ للشاة الجَمّاء من الشاة القَرْناء، قال لهم: كونوا ترابًا. فعند ذلك {يَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرابًا}"[١٠٧١].

قال مجاهد: "يقاد يوم القيامة للمنقورة وللمنطوحة من الناطحة"[١٠٧٢].

قال عكرمة: "بلغني أنّ السباع والوحوش والبهائم إذا رأين يوم القيامة بني آدم وما هم فيه من الغمّ والحزن قلن: الحمد لله الذي لم يجعلنا مثلكم فلا جنّة نرجو ولا نارا نخاف"[١٠٧٣].

فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن, فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأحيا ويرحب بي فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت له ساجدا فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يا محمد, واشفع تشفع, وسل تعط, فإذا رفعت رأسي يقول الله تعالى وهو أعلم ما شأنك فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة, فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينشئ الله عز وجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى في الدنيا فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس وإستبرق, ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت, كبدها له مرآة وكبده لها مرآة فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها, فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل, إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن لك أزواجا غيرها, فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك ولا في الجنة شيئا أحب إلي منك. وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم, فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك, ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقول "يا رب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع فيقول الله تعالى أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيمانا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد, ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيمانا ثلثي دينار, ثم يقول ثلث دينار ثم يقول ربع دينار ثم يقول قيراط ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرا قط ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع, حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاء أن يشفع له ثم يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل, فما يلي الشمس منها أخيضر وما يلي الظل منها أصيفر, فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذر, مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن, يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب, ما عملوا خيرا لله قط فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم يقولون ربنا امح عنا هذا الكتاب, فيمحوه الله عز وجل عنهم"»

والحديث رواه ابن جرير مختصرا ومطولا ٢/ ٣٣٠ ٣٣١ و٣٠/ ١٨٦-١٨٨ وفي ١٧/ ١٠٠ ١١١ وفي ٢٤/ ٣٠ والطبراني في المطولات نهاية المعجم الكبير ٢٥/ ٢٢٦ وغيرهم, كما ذكر ابن كثير فيما يأتي وإسناده ضعيف لمداره على إسماعيل بن رافع المدني وهو ضعيف, ومع اختلاف أسانيده عند الجميع إلا أنه لا يخلو من علة أخرى غير ما ذكرنا قال أبو موسى المديني الحديث وإن كان فيه نكارة وفي إسناده من تكلم فيه, فعامة ما يروى مفرقا في أسانيد ثابتة وانظر كلام ابن كثير الآتي:

قال ابن كثير:" ثم ذكره بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة, وفي بعض ألفاظه نكارة, تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه, ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس, ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء قال رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة, وأما سياقه فغريب جدا ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقا واحدا فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث, فالله أعلم. [تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٤]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(١٠٧١)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٥٨ (٣٢٧).

(١٠٧٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٠/١٠.

(١٠٧٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٠/١٠.

عن ابن وهب، قال: وحدثني الليث، قال: "يقال إذا فرغ الله من الحكم، والطير والبهائم واقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء، قال لهم: كونوا ترابا، فعند ذلك: {يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}"[١٠٧٤].

عن أبي هريرة، قال: " إن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم والطير: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}"[١٠٧٥].

عن محمد بن كعب القُرظيِّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَقْضِي اللهُ بَينَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْسِ والبَهائم، وإنَّه لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الجَمَّاءَ مِنَ القَرْناءِ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لأُخْرَى، قالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ: يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"[١٠٧٦].

وقال أبو هريرة: "فيقول التراب للكافر: لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي"[١٠٧٧].

«آخر تفسير سورة (النبأ)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١٠٧٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٢٧):ص١٥٨/٢.

(١٠٧٥) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٤٧٣):ص٣٨٦/٣.

(١٠٧٦) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤-١٨١.

(١٠٧٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢١/١٠. وذكر النقاش فِي تَفْسِيره عَن الْحسن بن وَاقد-كما في تفسير السمعاني: ١٤٣/٦-: قال:" إن الْكَافِر يَقُول: يَا لَيْتَنِي كنت خنزيرا فأصير تُرَابا، فَيَقُول التُّرَاب لَهُ: لَا وَلَا كَرَامَة لَك - يَعْنِي لَا يكون مثلي". قال السمعاني:" وَحكى مثل هَذَا عَن السّديّ أَيْضا".

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النازعات»

«سورة النازعات» هي السورة التاسعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «النبأ»، آياتها ست وأربعون في عد الكوفة، وخمس عند الباقين. وكلماتها مائة وتسع وسبعون. وحروفها سبعمائة وثلاث وخمسون. المختلف فيها اثنتان: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣]، {طَغَى} [النازعات : ٣٧]. فواصل آياتها: «هم»، على الميم آية واحدة: وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣][١٠٧٨].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة النازعات»، بمكة"[١٠٧٩]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[١٠٨٠].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[١٠٨١].

قال ابن الجوزي:" مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٠٨٢].

(١٠٧٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.

(١٠٧٩) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٠٨٠) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٠٨١) المحرر الوجيز: ٤٣٠/٥.

(١٠٨٢) زاد المسير: ٣٩٣/٤.

القرآن

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)} [النازعات : ١-٧]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعا شديدا، والملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق، والملائكة التي تَسْبَح في نزولها من السماء وصعودها إليها، فالملائكة التي تسبق وتسارع إلى تنفيذ أمر الله، فالملائكة المنفذات أمر ربها فيما أوكل إليها تدبيره من شؤون الكون -ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير خالقه، فإن فعل فقد أشرك- لتُبعثَنَّ الخلائق وتُحَاسَب، يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء.

قوله تعالى:{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} [النازعات : ١]، أي:" أُقسمُ بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعاً بالغاً أقصى الغاية في الشدة والعسر"[١٠٨٣].

أقسم ربنا جلّ جلاله بـ«النازعات»، واختلف أهل التفسير فيها على أقوال:

أحدها : أنها الملائكة تَنْزِعُ أرْوَاح الكفَّار، قاله سعيد بن جبير[١٠٨٤]، والربيع بن أنس[١٠٨٥].

قال سعيد:" نزعت أرواحهم، ثم غرقت، ثم قذف بها في النار"[١٠٨٦].

عن الربيع بن أنس في قوله :"{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)} [النازعات : ١ - ٢]، قال: هاتان الآيتان للكفار، عند نزع النفس تنشط نشطا عنيفا مثل سفود في صوف فكان خروجه شديدا، {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)} [النازعات : ٣ - ٤]، قال: هاتان للمؤمنين"[١٠٨٧].

روي مسلم عن مسروق:" أنه كان يقول في {النازعات}: "هي الملائكة"[١٠٨٨].

الثاني : أنه الموت ينزع النفوس ، قاله مجاهد[١٠٨٩].

الثالث : أنها النفس حين تُنْزَعُ، قاله السدي[١٠٩٠].

قال السدي:" النفس حين تَغرق في الصدر"[١٠٩١].

قيل: "يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنه يغرق"[١٠٩٢].

الرابع : أنها النجوم تَنْزِع من أُفُق إلى أُفُق تطلع ثم تغيب، قاله الحسن[١٠٩٣]، وقتادة[١٠٩٤]،وابن كيسان[١٠٩٥].

الخامس : أنها القِسِيّ تَنْزِع بالسَّهم، قاله عطاء[١٠٩٦]، وعكرمة[١٠٩٧].

والصحيح القول الأول، وعليه الأكثرون[١٠٩٨].

(١٠٨٣) صفوة التفاسير: ٤٨٨/٣.

(١٠٨٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٠٨٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.

(١٠٨٦) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٠٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.

(١٠٨٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤، وزاد المسير: ٣٩٣/٤. روي مسلم عن مسروق:" أنه كان يقول في {النازعات}: هي الملائكة".

(١٠٨٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٠٩٠) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٠٩١) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩١١٤):ص٣٣٩٧/١٠.

(١٠٩٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠.

(١٠٩٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٠٩٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٠٩٥) انظر: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.

(١٠٩٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٠٩٧) انظر: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.

قوله تعالى:{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} [النازعات : ٢]، أي:" وأُقسمُ بالملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق"(١٠٩٩).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} [النازعات : ٢]، وجوه:

أحدها : النجوم التي تنشط من مطالعها إلى مغاربها، قاله قتادة(١١٠٠). ومنه هميام بن قحافة(١١٠١):

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ المَنَاشِطَا ... الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطَا"(١١٠٢).

الثاني : هو الموت- يعني شدائده-، ينشط نفس الإنسان، قاله مجاهد(١١٠٣)، والسدي (١١٠٤).

قال السدي:" نشطها حين تُنشط من القدمين"(١١٠٥). وفي لفظ:" الملائكة حين تنشط الروح من الأصابع والقدمين"(١١٠٦).

الثالث : هي النفس حيث نشطت بالموت ، قاله السدي-أيضا-(١١٠٧).

الرابع : هي الأوهاق(١١٠٨)، قاله عطاء(١١٠٩).

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالناشطات نشطا، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع، فتذهب إليه، ولم يخصص الله بذلك شيئا دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضا تَنْشُط، كما قال الطِّرِمَّاح(١١١٠):

وَهَلْ بِحَلِيفِ الخَيْلِ مِمَّنْ عَهِدْتُه ... بِهِ غَيْرُ أُحْدانَ النَّوَاشِطِ رُوع

يعني بالنواشط: بقر الوحش، لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة، كما قال رؤبة بن العجَّاج(١١١١):

تَنَشَّطَتْهُ كُلُّ مِغْلاةِ الوَهْق

والهموم تنشط صاحبها، كما قال هِيمان بن قحافة(١١١٢):

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ المَنَاشِطَا ... الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطَا

فكل ناشط فداخل فيما أقسم به إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بأن المعنيّ بالقسم من ذلك بعض دون بعض"(١١١٣).

(١٠٩٨) تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١٠٩٩) التفسير الميسر: ٥٨٣. [بتصرف]

(١١٠٠) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤.

(١١٠١) «هميان بن قحافة»: هو أحد بنى عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيل أحد بنى عامر بن عبيد بن الحارث راجز إسلامي، عاش بالدولة الأموية. انظر ترجمته في: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء" للآمدي: ١٩٧، والسمط: ص ٥٧٢. والبيت في: "تهذيب اللغة" ١١/ ٣١٤ مادة: (نشط)، "لسان العرب" مادة: (نشط)، وتفسير الطبري:١٨٨/٢٤، والنكت والعيون: ٦/ ١٩٣، وزاد المسير: ٨/ ١٧٠، وتفسير القرطبي: ١٩/ ١٩٠، وروح المعاني: ٣٠/ ٢٤٠.

(١١٠٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٤/٢. [بتصرف]

(١١٠٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤.

(١١٠٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤.

(١١٠٥) أخرجه الطبري: ١٨٧/٢٤.

(١١٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٤):ص٣٣٩٧/١٠.

(١١٠٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٣/٦.

(١١٠٨)الأوهاق: جمع وَهَق، وقد يسكن، وهو حبل كالطَّوَل تُشَدُّ به الإبل والخيل لئلا تَنِدّ. وأوهق الدابة أي طرح في عنقها الوهق.[النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٣٣].

وقال الليث: الوَهَق: الحبل المُغار يُرمى في أنشوطة، فيؤخذ به الدابة، والإنسان. [تهذيب اللغة: ٦/ ٣٤٤ مادة: (وهق)].

(١١٠٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٨/٢٤.

(١١١٠) البيت له في: الكشف والبيان: ١٢٣/١٠، والمحيط في اللغة مادة «روع».

(١١١١)اللسان التاج "نشط" دون عزو وجاء في الشرح يقول: تناولته وأسرعت رجع يديها في سيرها والمغلاة: البعيد الخطو, والوهق: المباراة في السير وهو في الديوان "١٠٤".

(١١١٢) سبق تخريجه عند شرح القول الثاني، والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن٢٨٤/٢.

قوله تعالى:{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} [النازعات : ٣]، أي:" وأُقسمُ بالملائكة التي تَسْبَح في نزولها من السماء وصعودها إليها"[١١١٤].

وفي قوله تعالى:{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} [النازعات : ٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها الملائكة. قاله مجاهد[١١١٥]، وسعيد بن جُبَير[١١١٦]، وأبو صالح[١١١٧].

والحسن، قال: "هي الملائكة سبحوا إلى طاعة الله من بني آدم"[١١١٨].

الثاني : أنها النجوم تسبح في فلكها ، قاله قتادة[١١١٩].

الثالث : أنها النفس حين تسبح في الجوف تتردد عن الموت. قاله السدي[١١٢٠].

الرابع : أنه الموت يسبح في نفوس ابن آدم، قاله مجاهد[١١٢١].

روي الطبري بسنده من طريق ابن حميد عن مجاهد: "{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا}، قال: الموت، هكذا وجدته في كتابي"[١١٢٢].

الخامس: أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال للفرس الجواد: سابح: إذا أسرع في جريه[١١٢٣]، ومر يتمطى[١١٢٤]، جعل نزولها من السماء كالسباحة. قاله مجاهد[١١٢٥]، وأبو صالح[١١٢٦].

روي الطبري بسنده عن مجاهد:"{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا}، قال: «الملائكة»، وهكذا وجدت هذا أيضا في كتابي، فإن يكن ما ذكرنا عن ابن حميد صحيحا[١١٢٧]، فإن مجاهدا كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سبَّاحة، كما يقال للفرس الجواد: إنه لسابح إذا مرّ يُسرعُ" [١١٢٨].

الخامس : أنها السفن تسبح في الماء ، قاله عطاء[١١٢٩].

والصواب أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالسابحات سبحا من خلقه، ولم يخصص من ذلك بعضا دون بعض، فذلك كل سابح، لما وصفنا قبل في النازعات[١١٣٠].

قوله تعالى:{فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} [النازعات : ٤]، أي:" فالملائكة التي تسبق وتسارع إلى تنفيذ أمر الله"[١١٣١].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} [النازعات : ٤]، على أقوال:

القول الأول : أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، إذ كانت الشياطين تسترق السمع. قاله مسروق[١١٣٢].

(١١١٣) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٤.

(١١١٤) التفسير الميسر: ٥٨٣. [بتصرف]

(١١١٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١١١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١١١٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١١١٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٣/٦.

(١١١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٤):ص٣٣٩٧/١٠.

(١١٢١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٢٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٢٣)يقال: إنه لسابح، إذا مر يسرع.

(١١٢٤)يتمطى: يجد في السير.

(١١٢٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٢٦) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.

(١١٢٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٢٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٢٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٣٠) تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.

(١١٣١) التفسير الميسر: ٥٨٣.

والثاني: أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، قاله مجاهد-في إحدى الروايات-[١١٣٣]، وأبو روق[١١٣٤]، ونحوه عن الربيع[١١٣٥].

عن الربيع بن أنس في قوله :"{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)} [النازعات : ١ - ٢]، قال: هاتان الآيتان للكفار، عند نزع النفس تنشط نشطا عنيفا مثل سفود في صوف فكان خروجه شديدا، {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)} [النازعات : ٣ - ٤]، قال: هاتان للمؤمنين"[١١٣٦].

والثالث: سبقت بني آدم إلى الإيمان والتصديق، قاله الحسن[١١٣٧].

القول الثاني : أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله، فيقبضونها وقد عاينت السرور. قاله ابن مسعود[١١٣٨].

الثالث : أنه الموت يسبق إلى النفوس ، قاله مجاهد-أيضا-[١١٣٩].

الرابع : أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير، قاله قتادة[١١٤٠].

الخامس : أنها الخيل السابقة في سبيل الله، قاله عطاء[١١٤١].

والقول في هذه مثل القول في سائر الأحرف الماضية[١١٤٢].

قوله تعالى:{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات : ٥]، أي:" فالملائكة المنفذات أمر ربها فيما أوكل إليها تدبيره من شؤون الكون"[١١٤٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات : ٥]، قولان:

القول الأول : أنها الملائكة، قاله مجاهد[١١٤٤]، وعطاء[١١٤٥]، وأبو صالح[١١٤٦]، والحسن[١١٤٧]، وقتادة[١١٤٨]، والربيع بن أنس[١١٤٩]، والسدي[١١٥٠]، وهو قول الجمهور[١١٥١]، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان:

أحدهما : تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه. وهو معنى قول الحسن[١١٥٢]، وعطاء[١١٥٣].

قال الحسن:" تدبر الأمر من السماء إلى الأرض"[١١٥٤].

(١١٣٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦.
(١١٣٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١١٣٤) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(١١٣٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.
(١١٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.
(١١٣٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٩٤/٤، وتفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٣٨) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(١١٣٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١١٤٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١١٤١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٤٢) تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١١٤٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١١٤٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٤٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٤٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٤٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٤٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١١٤٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٥٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٥١) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦. وحكاه عن الجمهور.
(١١٥٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٥٣) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.

قال عطاء: "وُكِّلتْ بأمور عَرَّفهم الله العمل بها"[١١٥٥].
الثاني : تدبير ما وكلت فيه من أمر الدنيا كالرياح والأمطار والقطر والنبات وقبض الأرواح. وهو معنى قول ابن سابط[١١٥٦].
قال عبد الرحمن بن سابط: "يدبر أمر الدنيا أربعة، جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل عليهم بالأمر"[١١٥٧].
القول الثاني : هي الكواكب السبعة، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل[١١٥٨].
قوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)} [النازعات : ٦-٧]، أي:" لتُبعثَنَّ الخلائق وتُحَاسَب يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء"[١١٥٩].
وفي قوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)} [النازعات : ٦-٧]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أن الراجفة: النفخة الأولى تميت الأحياء، والرادفة : النفخة الثانية تحيي الموتى ، قاله الحسن[١١٦٠]، وقتادة[١١٦١]، والضحاك[١١٦٢].
عن الضحاك: "قوله: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}: النفخة الأولى، [تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ] : النفخة الأخرى"[١١٦٣].
قال الحسن:" هما النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتُحيي الموتى، ثم تلا الحسن: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}"[١١٦٤].
قال قتادة:" هما الصيحتان، أما الأولى فتُميت كل شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتُحيي كل شيء بإذن الله، إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " بَيْنَهُما أَرْبَعُونَ" قال أصحابه: والله ما زادنا على ذلك. وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " يُبْعَثُ فِي تِلْك الأَرْبَعِينَ مَطَرٌ يُقال لَهُ الْحَيَاةُ، حتى تَطِيبَ الأَرْضُ وتَهْتَزَّ، وتَنْبُتَ أَجْسادُ النَّاسِ نَباتَ البَقْل، ثُمَّ تُنْفَخُ الثَّانِيَةُ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ"[١١٦٥].
عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الصور، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: " قَرْنٌ". قال: فكيف هو؟ قال: " قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأولى نَفْخَةُ الفَزَع، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْق، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيام، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إلا مَنْ شاء الله، ويأمر الله فيديمُها، ويطوّلها، ولا يفتر، وهي التي تقول: ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فَوَاق فيسير الله الجبال، فتكون سَرابًا، وتُرَجّ الأرضُ بأهلها رجًّا، وهي التي يقول: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ}"[١١٦٦].

(١١٥٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١١٥٥) نقلا عن: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(١١٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٧):ص٣٣٩٧/١٠-٣٣٩٨.
(١١٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٧):ص٣٣٩٧/١٠-٣٣٩٨.
(١١٥٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦.
(١١٥٩) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١١٦٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٤.
(١١٦١) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٤.
(١١٦٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(١١٦٣) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٤.
(١١٦٤) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٤.
(١١٦٥) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٤.
(١١٦٦) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٤.

عن الطفيل بن أبيّ، عن أبيه، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يَوْم تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}، فقال: " جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه"[١١٦٧].

الثاني: أن الراجفة: الزلزلة التي ترجف الأرض والجبال، والرادفة: إذا دكّتا دكة واحدة ، قاله مجاهد[١١٦٨].

عن مجاهد : "{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}، قال: ترجف الأرض والجبال، وهي الزلزلة وقوله: {الرَّادِفَةُ}، قال: هو قوله: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} {فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}"[١١٦٩].

القرآن

{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)} [النازعات : ٨-٩]

التفسير:

قلوب الكفار يومئذ مضطربة من شدة الخوف، أبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى.

قوله تعالى:{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} [النازعات : ٨]، أي:" قلوب الكفار يومئذ مضطربة من شدة الخوف"[١١٧٠].

وفي قوله تعالى:{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} [النازعات : ٨]، وجهان:

أحدهما : خائفة ، قاله قتادة[١١٧١].

الثاني : طائرة عن أماكنها، قاله الضحاك[١١٧٢].

قوله تعالى:{أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ} [النازعات : ٩]، أي:" أبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى"[١١٧٣].

عن قتادة: "{أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}، يقول: ذليلة"[١١٧٤].

قال عطاء: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام"[١١٧٥].

القرآن

{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢)} [النازعات : ١٠-١٢]

التفسير:

يقول هؤلاء المكذبون بالبعث: أنُرَدُّ بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟ أنردُّ وقد صرنا عظامًا بالية؟ قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذًا خائبة كاذبة.

قوله تعالى:{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} [النازعات : ١٠]، أي:" يقول هؤلاء المكذبون بالبعث: أنُرَدُّ بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟"[١١٧٦].

(١١٦٧) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٤.

(١١٦٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.

(١١٦٩) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٤.

(١١٧٠) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١١٧١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.

(١١٧٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.

(١١٧٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١١٧٤) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢٤.

(١١٧٥) نقلا عن: زاد المسير: ٣٩٥/٤. وعقبه:" ويدل على هذا أنه ذكَرَ منكري البعث، فقال عزّ وجلّ: {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ}.

(١١٧٦) التفسير الميسر: ٥٨٣.

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «أإنا» بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بتخفيف الأولى وتليين الثانية، وفصل بينهما بألف[١١٧٧].

واختلف في تفسير قوله تعالى {الْحَافِرَةِ} [النازعات : ١٠]، على وجوه:

أحدها : أن الحافرة: الحياة بعد الموت، قاله سعيد بن جبير[١١٧٨]، وعكرمة[١١٧٩]، وقتادة[١١٨٠]، وأبو مالك[١١٨١]، والسدي[١١٨٢]، ومحمد بن كعب[١١٨٣]، وعطية[١١٨٤].

الثاني : أنها الأرض المحفورة التي حُفرت فيها قبورهم، قاله مجاهد[١١٨٥].

عن مجاهد: {الْحَافِرَةِ}، قال: الأرض: نبعث خلقا جديدا، قال: البعث"[١١٨٦].

الثالث: أنها الرجوع إلى الحالة الأولى تَكذيباً بالبعث، من قولهم: رجع فلان على قومه، إذا رجع من حيث جاء ، قاله قتادة[١١٨٧]، ومنه قول الشاعر[١١٨٨]:

أحافرةً على صَلَعٍ وشَيْبِ ... معَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وعَارِ

قال قتادة:" أئنا لمبعوثون خلقا جديدا"[١١٨٩].

قال قتادة:" أي مردودون خَلقا جديدا"[١١٩٠].

قوله تعالى:{أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً} [النازعات : ١١]، أي:" أنردُّ وقد صرنا عظامًا بالية؟"[١١٩١].

وفي قوله تعالى:{عِظَامًا نَخِرَةً} [النازعات : ١١]، وجهان:

أحدهما : النخرة: الفانية البالية، قاله مجاهد[١١٩٢]، وقتادة[١١٩٣]، والسدي[١١٩٤].

عن قتادة: "{أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا}: تكذيبا بالبعث. {نَاخِرَةً}: بالية"[١١٩٥].

عن مجاهد: "{عِظَامًا نَخِرَةً}، قال: يعني: عظاما مرفوتة"[١١٩٦].

الثاني: خالية مجوفة تدخلها الرياح فتنخر، أي: تصوّت، قاله مجاهد-أيضا-[١١٩٧]، وعطاء[١١٩٨].

(١١٧٧) انظر: زاد المسير: ٣٩٥/٤.

(١١٧٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(١١٧٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(١١٨٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(١١٨١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(١١٨٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤.

(١١٨٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤.

(١١٨٤) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.

(١١٨٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤-١٩٥.

(١١٨٦) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٤-١٩٥.

(١١٨٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤.

(١١٨٨)ورد البيت غير منسوب في "إصلاح المنطق" لابن السكيت: ٢٩٥.
وانظر مادة: (حفر) في "تهذيب اللغة" ٥/ ١٨، "الصحاح" ٢/ ٦٣٥، "لسان العرب" ٢/ ٢٠٥، وفي "جامع البيان" ٣٠/ ٣٣، "الكشف والبيان" ج ١٣: ٣٦/ أ، "النكت والعيون" ٦/ ١٩٥ برواية: معاذ الله من جهل وطيش، "زاد المسير" ٨/ ١٧٣، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ١٩٥.

(١١٨٩) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٤.

(١١٩٠) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٤.

(١١٩١) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١١٩٢) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٢، وتفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.

(١١٩٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.

(١١٩٤) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.

(١١٩٥) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢٤.

(١١٩٦) تفسير مجاهد: ٧٠٢، وأخرجه الطبري: ١٩٥/٢٤، [باختصار]. فتاتا، ما تناثر من كلّ شيء. وقيل: الرفات: الشيء المتكسر.[انظر: الغريبين ٣/ ٧٢٩، والخازن ٣/ ١٣٢، واللباب ١٢/ ٣٠٤، والكليات ٤٦٥]

قرأ الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة «نخرة» واختارها أبو عبيد لأن الآثار التي تذكر فيها العظام ... وقرأ أبو عمرو وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وأبو بكر «ناخرة» بألف واختارها الفراء[١١٩٩]، والطبري[١٢٠٠]، ومن قرأ «ناخرة»، فإن الناخرة البالية ، و«النخرة» التي تنخر الريح فيها[١٢٠١].

عن ابن عباس:" أنه قرأ: «ناخرة»"[١٢٠٢].

عن مجاهد، قال: سمعت ابن الزبير، يقول على المنبر: ما بال صبيان يقرءون: «نخرة»، وإنما هي «ناخرة»"[١٢٠٣].

قوله تعالى:{قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} [النازعات : ١٢]، أي:" قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذًا خائبة كاذبة"[١٢٠٤].

عن قتادة: "{إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}، أي: رجعة خاسرة"[١٢٠٥].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في قوله: {أإنّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافِرَةِ أإذا كُنّا عِظامًا نَخِرَةً}، قال: "لما نزلت هذه الآية، قال كفار قريش: لئن حَيينا بعد الموت لنَخْسَرن. فنزلت: {تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ}"[١٢٠٦].

القرآن

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)} [النازعات : ١٣-١٤]

التفسير:

فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

قوله تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [النازعات : ١٣]، أي:" فإنما هي نفخة واحدة"[١٢٠٧].

وفي قوله تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [النازعات : ١٣]، وجهان:

أحدهما : فإنما هي صيحة واحدة، ونَفخة تنفخ في الصور، وذلك هو الزجرة. وهذا قول مجاهد[١٢٠٨]، والربيع بن أنس[١٢٠٩]، وأبي مالك[١٢١٠].

عن مجاهد: "{زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ}، قال: صيحة"[١٢١١].

وقال أبو مالك، والربيع بن أنس : "زجرة واحدة : هي النفخة الآخرة"[١٢١٢].

الثاني : أن الزجرة: الغضب ، وهو غضب واحد ، قاله الحسن[١٢١٣].

(١١٩٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٨):ص٣٣٩٨/١٠.

(١١٩٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.

(١١٩٩) انظر: معاني القرآن: ٢٣١/٣.

(١٢٠٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.

(١٢٠١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٢/٣.

(١٢٠٢) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ٢٣١/٣.

(١٢٠٣) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ٢٣١/٣.

(١٢٠٤) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١٢٠٥) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٢٠٦)أخرجه سعيد بن منصور ٨/ ٥٢٥ (٢٣٨٧). وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر، وانظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(١٢٠٧) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١٢٠٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٢٠٩) انظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

(١٢١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

(١٢١١) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٢١٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

وقال إبراهيم التيمي : "أشد ما يكون الرب غَضَبًا على خلقه يوم يبعثهم"[١٢١٤].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ١٤]، أي:" فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها"[١٢١٥].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ١٤]، على وجوه:

أحدها : أنّ «السّاهرة»: وجه الأرض ، قاله أبو صالح[١٢١٦]، والحسن[١٢١٧]، وسعيد بن جبير[١٢١٨]، وعكرمة[١٢١٩]، ومجاهد[١٢٢٠]، وقتادة[١٢٢١]، والضحاك[١٢٢٢]، وحكاه ابن الجوزي عن اللغويين[١٢٢٣]، والعرب تسمي وجه الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهره، قال أمية بن أبي الصلت[١٢٢٤]:

وفِيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرٍ ... وَمَا فاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ

ومنه قول أخي نهم يوم ذي قار لفرسه[١٢٢٥]:

أقْدِمْ "مِحاجُ" إنها الأساوِرَه ... وَلا يَهُولَنَّكَ رِجْلٌ نادِرَهْ

فإنَّمَا قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَهْ ... ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَها فِي الْحَافِرَهْ

مِنْ بَعْدِ ما كُنْتَ عِظاما ناخِرَهْ

عن سعيد بن جُبير: "{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، قال: بالأرض"[١٢٢٦].

قال الحسن:" فإذا هم على وجه الأرض"[١٢٢٧].

قال عكرمة:" الساهرة: الأرض، أما سمعت: لهم صيد بحر، وصيد ساهرة"[١٢٢٨].

قال الربيع بن أنس :"{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} ويقول الله عز وجل :{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم : ٤٨]، ويقول :{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا} [طه : ١٠٥، ١٠٦]. وقال :{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف : ٤٧] : وبرزت الأرض التي عليها الجبال، وهي لا تعد من هذه الأرض، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة، ولم يَهرَاق عليها دم"[١٢٢٩].

(١٢١٣) انظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦.

(١٢١٤) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

(١٢١٥) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١٢١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

(١٢١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.

(١٢١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.

(١٢١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٢٤.

(١٢٢٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.

(١٢٢١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.

(١٢٢٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.

(١٢٢٣) انظر: زاد المسير: ٣٩٥/٤.

(١٢٢٤) ديوانه: ٦٨. وورد منسوبا له في "معاني القرآن"، للفراء ١/ ١٢١، و"اللسان": ١/ ٢٩ (أثم)، ٦/ ٣٤٩٢ (فوه)، و"المقاصد النحوية" ٢/ ٣٤٦، و"شرح التصريح" ١/ ٢٤١، و"الدرر اللوامع" ٢/ ١٩٩.

وورد غير منسوب في: "اللسان" ٤/ ٢١٣٢ (سهر)، ٦/ ٣٤٩٢ (فوه)، و"شرح شذور الذهب" (١٢٣)، و"شرح ابن عقيل" ٢/ ١٥، و"منهج السالك" للأشموني ٢/ ١١.و(الساهرة): الأرض. و (مقيم): ثابت. انظر: "اللسان" ٤/ ٢١٣٢ (سهر).

(١٢٢٥)ديوانه: ٨٩، والمخصص ٧: ١٥٤. الطريف والطارف: المال المستحدث، خلاف التليد والتالد: وهو العتيق الذي ولد عندك.

(١٢٢٦) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.

(١٢٢٧) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.

(١٢٢٨) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٤.

(١٢٢٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

عن مجاهد: "{بِالسَّاهِرَةِ}، قال: المكان المستوي"[١٢٣٠].
قال مجاهد : "كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها"[١٢٣١].
قال قتادة:" لما تباعد البعث في أعين القوم قال الله: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، يقول: فإذا هم بأعلى الأرض بعد ما كانوا في جوفها"[١٢٣٢].
قال قتادة:" فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض والأرض، الساهرة، قال: فإذا هم يخرجون"[١٢٣٣].
الثاني : أنها جبل إلى جنب بيت المقدس، قاله وهب بن منبه[١٢٣٤].
الثالث : أنه جهنم ، رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة[١٢٣٥].
وهذه أقوال كلها غريبة، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى-والله أعلم-[١٢٣٦].

القرآن
{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩)} [النازعات : ١٥ - ١٩]
التفسير:
فقال له: اذهب إلى فرعون، إنه قد أفرط في العصيان، فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك من النقائص وتحليها بالإيمان، وأُرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتقيه؟
قوله تعالى:{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٤)إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [النازعات : ١٦]، أي:" هل أتاك -أيها الرسول- خبر موسى؟ حين ناداه ربه بالوادي المطهَّر المبارك «طوى»"[١٢٣٧].
عن الحسن: {بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}: قال: "واد بفلسطين"[١٢٣٨].
وفي «المقدَّس»، تفسيران:
أحدهما : المبارك ، قاله مجاهد[١٢٣٩].
قال مجاهد: قُدِّس بُورك مرّتين"[١٢٤٠].
الثاني : المطهر، قاله الحسن[١٢٤١].
عن عكرمة:" {بالواد المقدس}، قال: الطاهر"[١٢٤٢].
وفي تفسير قوله تعالى:{طُوًى} [النازعات : ١٦]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه أسم الوادي المقدس، قاله الحسن-في رواية-[١٢٤٣]، ومجاهد-في رواية-[١٢٤٤]، وقتادة[١٢٤٥]، وعكرمة[١٢٤٦].

(١٢٣٠) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١٢٣١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(١٢٣٢) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١٢٣٣) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١٢٣٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(١٢٣٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(١٢٣٦) تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(١٢٣٧) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٢٣٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(١٢٣٩) انظر: تفسير الطبري:٢٨٠/١٨.
(١٢٤٠) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٨.
(١٢٤١) انظر: تفسير الطبري:٢٧٩/١٨، وتفسير يحيى بن سلام:٢٥٤/١.
(١٢٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٩٥):ص٢٤١٧/٧.
(١٢٤٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.

قال قتادة:" كنا نحدّث أنه قدّس مرّتين، واسم الوادي: طُوًى"[١٢٤٧].
الثاني : لأنه طوي بالبركة مرتين. قاله الحسن-في رواية أخرى-[١٢٤٨]، ومجاهد-في رواية أخرى-[١٢٤٩]، وقتادة-في رواية أخرى-[١٢٥٠].
قال الحسن:" واد بفلسطين قدس مرتين"[١٢٥١].
قال مجاهد: قُدِّس بُورك مرّتين"[١٢٥٢].
الثالث: يعني: طِإ الوادي بقدمك، قاله سعيد بن جبير[١٢٥٣]، ومجاهد-في رواية-[١٢٥٤]، وعكرمة[١٢٥٥].
قال مجاهد:" طأ الأرض بقدمك"[١٢٥٦].
قال سعيد:" طأ الأرض حافيا، كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة الواد"[١٢٥٧].
قال عكرمة:" كي تمس راحة قدميك الأرض الطيبة"[١٢٥٨].
قال الحسن: "كانتا-يعني: نعلي موسى من بقر-، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قدس مرتين"[١٢٥٩].
قال ابن جُرَيْج: وقيل لمجاهد: زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة، قال: لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض"[١٢٦٠].
قال وهب:" خرج موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة; فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى :{يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى}، فخلعها فألفاها"[١٢٦١].
قوله تعالى:{ادْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [النازعات : ١٧]، أي:" فقال له: اذهب إلى فرعون، إنه قد أفرط في العصيان"[١٢٦٢].
عن مجاهد:" {ادْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}، قال: عصى"[١٢٦٣].
وقال عطاء: "عصى على بني إسرائيل"[١٢٦٤].

(١٢٤٤) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨، و٢٠٠/٢٤.
(١٢٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٠/٢٤.
(١٢٤٦) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(١٢٤٧) أخرجه الطبري: ٢٠٠/٢٤.
(١٢٤٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.
(١٢٤٩) انظر: تفسير الطبري:٢٨٠/١٨.
(١٢٥٠) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(١٢٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.
(١٢٥٢) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٨.
(١٢٥٣) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨-٢٨٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٩٨):ص٢٤١٨/٧.
(١٢٥٤) انظر: تفسير الطبري:٢٨٢/١٨، و ٢٠٠/٢٤.
(١٢٥٥) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(١٢٥٦) أخرجه الطبري: ٢٠٠/٢٤.
(١٢٥٧) أخرجه الطبري:٢٨٢/١٨.
(١٢٥٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٣):ص٢٤١٧/٧.
(١٢٥٩) أخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.
(١٢٦٠) اخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.
(١٢٦١)أخرجه الطبري:٢٧٨/١٨ .
(١٢٦٢) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٢٦٣)أخرجه الفريابي -كما في فتح الباري ٨/ ٦٩٠ - . وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر ، وانظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٨٥/٢٣.

وقال الكلبي: علا، وتكبر، وكفر بالله"[١٢٦٥].

عن ابن إسحاق: "أن اسمه الوليد بن مُصعب بن الريان"[١٢٦٦].

قال محمد بن إسحاق:" لم يكن منهم فرعون أعتى على الله، ولا أعظم قولا، ولا أطول عمرا في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذكر لي: الوليد بن مصعب"[١٢٦٧].

عن الحسن، قال: "كان فرعون علجا من همذان"[١٢٦٨].

قوله تعالى:{فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى} [النازعات : ١٨]، أي:" فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك من النقائص وتحليها بالإيمان"[١٢٦٩].

عن عن عكرمة: "قول موسى لفرعون: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى}، هل لك إلى أن تقول: لا إله إلا الله"[١٢٧٠].

قوله تعالى:{وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات : ١٩]، أي:" وأُرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتقيه؟"[١٢٧١].

عن صخر بن جويرية، قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون، قال: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [النازعات: ١٧] إلى قوله تعالى: {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات: ١٩] ولن يفعل، فقال موسى: «يا رب وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لن يفعل، فأوحى الله إليه أن امض لما أمرت به، فإن في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر، فلم يبلغوه ولم يدركوه»[١٢٧٢].

القرآن

{فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢)} [النازعات : ٢٠-٢٢]

التفسير:

فأرى موسى فرعونَ العلامة العظمى: العصا واليد، فكذب فرعون نبيَّ الله موسى عليه السلام، وعصى ربه عزَّ وجلَّ، ثم ولَّى معرضًا عن الإيمان مجتهدًا في معارضة موسى.

قوله تعالى:{فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى} [النازعات : ٢٠]، أي:" فأرى موسى فرعونَ العلامة العظمى: العصا واليد"[١٢٧٣].

عن الحسن: "{فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى}، قال: يده وعصاه"[١٢٧٤].

عن مجاهد، وقتادة :"{فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى}، قال: عصاه ويده"[١٢٧٥].

قال قتادة:" رأى يد موسى وعصاه، وهما آيتان"[١٢٧٦].

قال الحسن:" أخرجها كأنها مصباح فعلم موسي أنه قد لقي ربه، ولهذا قال تعالى: {لنريك من آياتنا الكبرى}"[١٢٧٧].

(١٢٦٤) التفسير البسيط للواحدي: ١٨٦/٢٣.

(١٢٦٥) التفسير البسيط للواحدي: ١٨٦/٢٣.

(١٢٦٦) أخرجه الطبري(٨٨٨):ص٣٨/٢.

(١٢٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٥):ص٢٩٤٤/٩.

(١٢٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٦):ص٢٩٤٤/٩.

(١٢٦٩) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٢٧٠) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٤.

(١٢٧١) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٢٧٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣٤٨٥):ص٣٨٩/٣.

(١٢٧٣) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٢٧٤) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.

(١٢٧٥) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.

(١٢٧٦) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.

قوله تعالى:{فَكَذَّبَ وَعَصَى(٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} [النازعات : ٢١-٢٢]، أي:" فكذب فرعون نبيَّ الله موسى عليه السلام، وعصى ربه عزَّ وجلَّ، ثم ولَّى معرضًا عن الإيمان مجتهدًا في معارضة موسى"(١٢٧٨).

عن مجاهد: "{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى}، قال: يعمل بالفساد"(١٢٧٩).

قال الربيع بن أنس:" أدبَر عن الحق، وسعى يَجمع(١٢٨٠).

قال الحسن:" كان رجلا طياشا خفيفا"(١٢٨١).

القرآن

{فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)} [النازعات : ٢٣-٢٦]

التفسير:

فجمع أهل مملكته وناداهم، فقال: أنا ربكم الذي لا ربَّ فوقه، فانتقم الله منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، وجعله عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين. إن في فرعون وما نزل به من العذاب لموعظة لمن يتعظ وينزجر.

قوله تعالى:{ فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣)فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات : ٢٤]، أي:" فجمع أهل مملكته وناداهم، فقال: أنا ربكم الذي لا ربَّ فوقه"(١٢٨٢).

عن السُّدِّيّ، قال: "قال موسى: يا فرعون، هل لك في أنْ أُعطيك شبابك لا تَهرَم، ومُلكك لا يُنزَع منك، وتُرَدّ إليك لذة المناكح والمشارب والمركوب، وإذا مِتّ دخَلتَ الجنة، وتؤمن بي. فوقعتْ في نفسه هذه الكلمات، وهي اللِّينات. قال: كما أنتَ حتى يأتي هامان. فلمّا جاء هامان أخبره، فعجَّزه هامان، وقال: تصير تَعبُد بعد إذ كنتَ ربًّا تُعبد؟! فذلك حين خَرج عليهم، فقال لقومه وجَمْعهم: {أنا رَبُّكُمُ الأَعْلى}"(١٢٨٣).

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات : ٢٥]، أي:" فانتقم الله منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، وجعله عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين"(١٢٨٤).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات : ٢٥]، وجوه:

أحدها : أي: عقوبة الدنيا والآخرة. قاله الحسن(١٢٨٥)، وقتادة(١٢٨٦).

قال قتادة : "عذبه الله في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار"(١٢٨٧).

الثاني : عذاب أول عُمره وآخره ، قاله مجاهد(١٢٨٨).

وفي لفظ عن مجاهد:" أول أعماله وآخرها"(١٢٨٩). وفي رواية:" عمله للآخرة والأولى"(١٢٩٠).

الثالث : الأولى عصيانه ربه وكفره به، والآخرة قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}. قاله أبو رزين(١٢٩١).

(١٢٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٢١):ص٧/٢٤٢١.

(١٢٧٨) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٢٧٩) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.

(١٢٨٠)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٢٨١) نقلا عن: الكشاف: ٦٩٦/٤.

(١٢٨٢) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٢٨٣)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(١٢٨٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٢٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.

(١٢٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.

(١٢٨٧) نقلا عن: النكت والعيون: ١٩٨/٦.

(١٢٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.

(١٢٨٩) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٤.

(١٢٩٠) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٤.

قال أبو رزين:" الأولى تكذيبه وعصيانه، والآخرة قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، ثم قرأ: {فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، فهي الكلمة الآخرة"(١٢٩٢).

الرابع : الأولى قوله :{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص : ٣٨]، والآخرة قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات : ٢٤]، قاله مجاهد(١٢٩٣)، والضحاك(١٢٩٤)، وعكرمة(١٢٩٥)، والشعبي(١٢٩٦)، وخيثمة الجعفي(١٢٩٧).

قال مجاهد:" هو قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وقوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، وكان بينهما أربعون سنة"(١٢٩٨).

قال مجاهد:" كان بين قول فرعون: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وبين قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، أربعون سنة"(١٢٩٩).

قال مجاهد:" مكث فرعون في قومه بعد ما قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، أربعين سنة"(١٣٠٠).

قال خيثمة الجعفي: كان بين كلمتي فرعون أربعون سنة، قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، وقوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}"(١٣٠١).

قال الضحاك:" أما الأولى فحين قال فرعون: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وأما الآخرة فحين قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، فأخذه الله بكلمتيه كلتيهما، فأغرقه في اليم"(١٣٠٢).

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "لمّا قال فرعون لقومه: {ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨]؛ نشر جبريلُ أجنحة العذاب غضبًا لله - عز وجل -، فأوحى الله - عز وجل - إليه: أن يا جبريل، إنما يعجِّل بالعقوبة مَن يخاف الفَوْت. قال: فأمهله - عز وجل - بعد هذه المقالة أربعين عامًا، حتى قال: {أنا ربكم الأعلى}، فذلك قوله - عز وجل -: {فأخذه الله نكال الآخرة والأولى}: قوله الأول، وقوله الآخر، ثم أغرقه الله - عز وجل - وجنوده"(١٣٠٣).

عن أبي كُرَيب، قال: "سمعت أبا بكر، وسُئل عن هذا فقال: كان بينهما أربعون سنة، بين قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وقوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى}، قال: هما كلمتاه، {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى}، قيل له: مَن ذكره؟ قال: أبو حصين، فقيل له: عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباس؟ قال: نعم"(١٣٠٤).

الرابع : عذاب الأولى: الإمهال ، والآخرة في النار، من قوله تعالى : {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر : ٤٦]الآية ، قاله الربيع(١٣٠٥).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [النازعات : ٢٦]، أي:" إن في فرعون وما نزل به من العذاب لموعظة لمن يتعظ وينزجر"(١٣٠٦).

(١٢٩١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(١٢٩٢) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(١٢٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٢٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٢٩٥) انظر: النكت والعيون: ١٩٨/٦.
(١٢٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(١٢٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٢٩٨) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٢٩٩) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(١٣٠٠) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(١٣٠١) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(١٣٠٢) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(١٣٠٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات- موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٩٥ (٢٤٤).
(١٣٠٤) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٣٠٥) انظر: النكت والعيون: ١٩٨/٦.

قال الحسن البصري: "{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى} لِمَن يَخشى أن يُفعل به ما فُعل بفرعون وقومه فيُؤمن"(١٣٠٧).

القرآن

{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)} [النازعات : ٢٧-٣٣]

التفسير:

أَبَعْثُكم -أيها الناس- بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق السماء؟ رفعها فوقكم كالبناء، وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور، وأظلم ليلها بغروب شمسها، وأبرز نهارها بشروقها. والأرض بعد خلق السماء بسطها، وأودع فيها منافعها، وفجَّر فيها عيون الماء، وأنبت فيها ما يُرعى من النباتات، وأثبت فيها الجبال أوتادًا لها. خلق سبحانه كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم. إن إعادة خلقكم يوم القيامة أهون على الله من خلق هذه الأشياء، وكله على الله هين يسير.

قوله تعالى:{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ} [النازعات : ٢٧]، أي:" أَبَعْثُكم -أيها الناس- بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق السماء؟"(١٣٠٨).

قوله تعالى:{بَنَاهَا} [النازعات : ٢٧]، أي:" رفعها فوقكم كالبناء"(١٣٠٩).

قوله تعالى:{رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} [النازعات : ٢٨]، أي:" وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور"(١٣١٠).

قال قتادة:" يقول: رفع بناءها فسوّاها"(١٣١١).

قال مجاهد:" رفع بناءها بغير عمد"(١٣١٢).

قوله تعالى:{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا} [النازعات : ٢٩]، أي:" وأظلم ليلها بغروب شمسها"(١٣١٣).

عن مجاهد، وقتادة:"{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا}، قال: أظلم"(١٣١٤).

عن قتادة، والضحاك، وعكرمة:" {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا}، يقول: أظلم ليلها"(١٣١٥).

قوله تعالى:{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} [النازعات : ٢٩]، أي:" وأبرز نهارها بشروقها"(١٣١٦).

عن الضحاك:"{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا}، قال: نهارها"(١٣١٧).

عن مجاهد: "{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا}: نوّرها"(١٣١٨).

قال قتادة:" يقول: نوّر ضياءها"(١٣١٩).

(١٣٠٦) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٣٠٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٠ -.

(١٣٠٨) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٣٠٩) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٣١٠) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٣١١) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.

(١٣١٢) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.

(١٣١٣) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٣١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤.

(١٣١٥) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.

(١٣١٦) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٣١٧) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤.

(١٣١٨) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤-٢٠٨.

(١٣١٩) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤.

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات : ٣٠]، أي:" والأرض بعد خلق السماء بسطها ومهَّدها لسكنى أهلها"[١٣٢٠].

عن قتادة، والسدي:"{وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، أي: بسطها"[١٣٢١].

اختلف في قوله «بَعْد»، على وجهين :

أحدهما : مع وتقدير الكلام : والأرض مع ذلك دحاها، لأنها مخلوقة قبل السماء، كما قال جلّ وعزّ: {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: ١٣]. قاله مجاهد[١٣٢٢]، والسدي[١٣٢٣].

عن مجاهد، والسدي: "{وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، قال: مع ذلك دحاها"[١٣٢٤].

قال مجاهد:" والأَرْضَ عِنْدَ ذَلكَ دَحاها"[١٣٢٥].

عن مجاهد، قال: «خلق الله الأرض قبل السماء، فثار من الأرض دخان، ثم خلق السماء بعد» وأما قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات: ٣٠] فيقول: مع ذلك دحاها، «ومع»، «وبعد» في كلام العرب سواء، قال ابن عباس: وأما قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ} [النساء: ١٧]، فإن الله كان لم يزل كذلك، وهو كذلك عزيز حكيم قدير، لم يزل كذلك، فما اختلف عليك من القرآن فهو شبه ما ذكرت لك، فإن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذي أراد، ولكن الناس لا يعلمون"[١٣٢٦].

الثاني : أن «بعد» مستعملة على حقيقتها، لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء، قاله عكرمة[١٣٢٧].

قال النحاس:" فمن أصحّ ما قيل في هذا قول من قال: خلق الله جلّ وعزّ الأرض قبل السماء فقدّر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعدها[١٣٢٨]، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، لأنه جلّ ثناؤه قال: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، والمعروف من معنى «بَعْد» أنه خلاف معنى «قَبْل»، وليس في دحوِّ الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات لأن الدحوّ إنما هو البسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحو دَحْوا، ودَحيْتُ أدْحي دَحْيا، لغتان؛ ومنه قول أُميَّة بن أبي الصلت[١٣٢٩]:

دَارٌ دَحاها ثُمَّ أعْمَرَنا بها ... وَأقامَ بالأخْرَى الَّتِي هي أمجدُ

وقول أوس بن حجر في نعت غيث[١٣٣٠]:

يَنْفِي الحصَى عن جديد الأرْضِ مُبْتَرِكٌ ... كأنَّه فاحِصٌ أو لاعِبٌ داحِي"[١٣٣١].

قوله تعالى:{أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا} [النازعات : ٣١]، أي:" أخرج من الأرض عيون الماء المتفجرة، وأجرى فيها الأنهار، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام"[١٣٣٢].

(١٣٢٠) صفوة التفاسير: ٤٩٠/٣.

(١٣٢١) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٤.

(١٣٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٤.

(١٣٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٤.

(١٣٢٤) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٤.

(١٣٢٥) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٤.

(١٣٢٦) تفسير عبدالرزاق(٥٨٩):ص٤٥٩/١.

(١٣٢٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٩/٦.

(١٣٢٨) إعراب القرآن: ٩٢/٥.

(١٣٢٩)ديوانه: ٢٩.

(١٣٣٠) البيت له في المحكم والمحيط الأعظم، واللسان«دحو»، وتاج العروس«برك»، وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة«دحو»، ومقاييس اللغة«برك».

(١٣٣١) تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٤-٢١٠.

(١٣٣٢) صفوة التفاسير: ٤٩٠/٣.

عن الضحاك: "{وَمَرْعَاهَا}: ما خلق الله فيها من النبات، و{مَاءَهَا}: ما فجر فيها من الأنهار"[١٣٣٣].
قوله تعالى:{وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} [النازعات : ٣٢]، أي:" وأثبت فيها الجبال أوتادًا لها"[١٣٣٤].
قال قتادة:" أي: أثبتها لا تَمِيد بأهلها"[١٣٣٥].
قال علي-رضي الله عنه-:" لما خلق الله الأرض قمصت وقالت: تخلق عليّ آدم وذرّيته يلقون عليّ نتْنهم، ويعملون عليّ بالخطايا، فأرساها الله، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، فكان أوَّل قرار الأرض كلحم الجزور إذا نُحِر يحتلج لحمها"[١٣٣٦].
عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لما خلق الله الأرض جعلت تَمِيد، فخلق الجبال فألقاها عليها، فاستقرت فتعجبت الملائكةُ من خلق الجبال فقالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم، الحديد. قالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم، النار. قالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم، الماء. قالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم، الريح. قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم، ابن آدم، يتصدق بيمينه يخفيها من شماله"[١٣٣٧].

القرآن
{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦)}
[النازعات : ٣٤-٣٦]
التفسير:
فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية، عندئذ يُعْرَض على الإنسان كل عمله من خير وشر، فيتذكره ويعترف به، وأُظهرت جهنم لكل مُبْصِر تُرى عِيانًا.
قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات : ٣٤]، أي:" فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية"[١٣٣٨].
وفي تفسير قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات : ٣٤]، أقوال:
أحدها : أنها النفخة الآخرة، قاله الحسن[١٣٣٩].
الثاني : أنها الساعة طمت كل داهية، والساعة أدهى وأمّر ، قاله الربيع[١٣٤٠].
الثالث : أنه اسم من أسماء القيامة، يسمى: الطامة[١٣٤١]، قاله الضحاك[١٣٤٢].
الرابع : أنها الطامة الكبرى إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، قاله الحسن[١٣٤٣]، والقاسم بن الوليد[١٣٤٤]، وهو معنى قول مجاهد[١٣٤٥].

(١٣٣٣) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٤.
(١٣٣٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٣٥) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٤.
(١٣٣٦) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٤. قال ابن كثير:٣١٧/٨:" غريب".
(١٣٣٧)المسند (١٢٤/٣)، ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٣٦٩) عن محمد بن بشار، عن يزيد بن هارون به، وقال الترمذي : "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه".
(١٣٣٨) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٣٩) انظر: النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(١٣٤٠) انظر: النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(١٣٤١)قال ابن كثير:" سميت بذلك لأنها تَطُم على كل أمر هائل مفظع، كما قال تعالى :{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]". [تفسير ابن كثير: ٣١٧/٨].
(١٣٤٢) انظر: تفسيرالقطربي: ٢٠٦/١٩.
(١٣٤٣) رواه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٢٨/١٠.
(١٣٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٤، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٥٤١٨):ص٢١١/٧.

الخامس : أنها الطامة الكبرى حين يقال لأهل النار: قوموا إلى النار. قاله عمرو بن قيس الكندي[١٣٤٦].
عن عمرو بن قيس الكندي: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى}، قال: " إذا قيل: اذهبوا به إلى النار"[١٣٤٧].
و«الطامة» -عند العرب-: الداهية التي لا تستطاع، أخذت من قولهم: طمَّ الفرسُ طميمًا إذا استفرغ جهده في الجري، و"طم الماء" إذا ملأ النهر كله[١٣٤٨].
قوله تعالى:{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى} [النازعات : ٣٦]، أي:" وأظهرت جهنم لكل مُبْصِرٍ تُرى عِيانًا"[١٣٤٩].
عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[١٣٥٠].
وقرأ عكرمة وغيره:" لمن ترى"، بالتاء، أي: لمن تراه الجحيم، أو لمن تراه أنت يا محمد[١٣٥١].

القرآن
{فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩)} [النازعات : ٣٧-٣٨]
التفسير:
فأمَّا مَن تمرد على أمر الله، وفضل الحياة الدنيا على الآخرة، فإن مصيره إلى النار.
سبب النزول:
قال الكلبي: "نزلت في النضر وأبيه الحرث"[١٣٥٢].
قال مقاتل: "نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة، وفي حبيب بن عبد ياليل، وأمية بن خلف الجمحي، عتبة وعتيبة ابني أبي لهب، فهؤلاء كفار ومنهم مصعب «وأبو الدوم ابنا عمير، وذلك أنهم وجدوا جزورا في البرية، ضلت من الأعراب فنحروها، وجعلوا يقتسمونها بينهم «فأصاب مصعب وأبو الدوم سهمين، ثم إن مصعب ذكر مقامه بين يدي رب العالمين، فخاف أن يحاسبه الله- تعالى- يوم القيامة، فقال: إن سهمي وسهم أخي هو لكم، فقال له عند ذلك أمية بن خلف: ولم؟ قال: إني أخاف أن يحاسبني الله به. فقال له أمية بن خلف: هاته وأنا أحمل عنك هذا الوزر عند إلهك في الآخرة وفشت تلك المقالة في قريش في أمر مصعب، فأنزل- الله تعالى-: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى..}"[١٣٥٣].
قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ طَغَى} [النازعات : ٣٧]، أي:" فأمَّا مَن تمرد على أمر الله"[١٣٥٤].
عن مجاهد، قوله: "{طَغَى}، قال: عصى"[١٣٥٥].
روي عن يحيى بن أبي كثير، قال: "من اتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى"[١٣٥٦].
قوله تعالى:{وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النازعات : ٣٨]، أي:" وفضل الحياة الدنيا على الآخرة"[١٣٥٧].
قال وهب بن منبه: "قال الله لموسى: انطلق برسالتي فإنك بسمعي وعيني، وإن معك أيدي ونصري، وإني قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم من جندي بعثتك إلى خلق

(١٣٤٥) النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(١٣٤٦) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٢٥٢):ص١٩٣/٧.
(١٣٤٧) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٢٥٢):ص١٩٣/٧.
(١٣٤٨) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ١٩٧/٢٣-١٩٨.
(١٣٤٩) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.
(١٣٥١) تفسير القرطبي: ٢٠٧/١٩.
(١٣٥٢) التفسير البسيط: ٢٠٠/٢٣.
(١٣٥٣) تفسير مقال بن سليمان: ٥٨٠/٤-٥٨١.
(١٣٥٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٥٥) أخرجه الطبري: ٢١٢/٢٤.
(١٣٥٦) تفسير القرطبي: ٢٠٧/١٩.
(١٣٥٧) التفسير الميسر: ٥٨٤.

ضعيف من خلقي بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني، فإني أقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار، فإن أمرت السماء حصبته، وإن أمرت الأرض ابتلعته، وإن أمرت الجبال دمرته، وإن أمرت البحار غرقته. ولكنه هان علي وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت بما عندي وحقي إني أنا الغني لا غني غيري، فبلغه رسالتي، وادعه إلى عبادتي، وتوحيدي وإخلاصي وذكره أيامي، وحذره نقمتي وبأسي، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى، وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة سنة في كلها أنت مبارزه بالمحاربة، تسبه وتتمثل به، وتصد عباده عن سبيله، وهو يمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب، ولو شاء الله أن يعجل لك العقوبة لفعل، ولكنه ذو أناة وحلم عظيم. وجاهده بنفسك وأخيك وأنتما تحتسبان بجهاده، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة، ولا قليل مني، تغلب الفئة الكثيرة بإذني، ولا تعجبنكما زينته ولا ما متع به، ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي وقديما ما جرت عادتي في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها وزخارفها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك العناء، وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا، واعلم أنه لا يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، وسيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك أوليائي حقا حقا، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك. واعلم أنه من أهان لي وليا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي، أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري"[١٣٥٨].

قوله تعالى:{فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات : ٣٩]، أي:" فإن مصيره إلى النار"[١٣٥٩].

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[١٣٦٠].

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)} [النازعات : ٤٠-٤١]

التفسير:

وأمَّا مَنْ خاف القيام بين يدي الله للحساب، ونهى النفس عن الأهواء الفاسدة، فإن الجنة هي مسكنه.

سبب النزول:

قال مقاتل: نزلت في " مصعب- قتل يوم أحد - وأبا الدوم ابني عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي"[١٣٦١].

(١٣٥٨) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٤٨/٥-٢٤٩.

(١٣٥٩) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(١٣٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.

(١٣٦١) تفسير مقال بن سليمان: ٥٨٠/٤.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ} [النازعات : ٤٠]، أي:" وأمَّا مَنْ خاف القيام بين يدي الله للحساب"[١٣٦٢].

قال مجاهد:" هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر مقام ربه فينزع"[١٣٦٣].

قال مجاهد:" الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه.."[١٣٦٤].

قال مجاهد:" هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله"[١٣٦٥].

قال إبراهيم:" إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله"[١٣٦٦].

قال قتادة:" إن لله مقاما قد خافه المؤمنون"[١٣٦٧].

قال قتادة:" إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار"[١٣٦٨].

قوله تعالى:{وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات : ٤٠]، أي:" ونهى النفس عن الأهواء الفاسدة"[١٣٦٩].

قال الشعبي:" إنّما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"[١٣٧٠].

القرآن

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)} [النازعات : ٤٢-٤٦]

التفسير:

يسألك المشركون أيها الرسول -استخفافاً- عن وقت حلول الساعة التي تتوعدهم بها. لستَ في شيء مِن علمها، بل مرد ذلك إلى الله عز وجل، وإنما شأنك في أمر الساعة أن تحذر منها مَن يخافها. كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا في الحياة الدنيا؛ لهول الساعة إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.

قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} [النازعات : ٤٢]، أي:" يسألك المشركون أيها الرسول -استخفافاً- عن وقت حلول الساعة التي تتوعدهم بها"[١٣٧١].

قال الربيع: "متى زمانها"[١٣٧٢].

قال قتادة والسدي: "{مُرْسَاهَا}: قيامها"[١٣٧٣].

قوله تعالى:{فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} [النازعات : ٤٣]، أي:" لستَ في شيء مِن علمها"[١٣٧٤].

عن مجاهد، قوله: "{فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا}، قال: من ذكر الساعة"[١٣٧٥].

قال عطاء:"فيم أنت من أن تسأل عنها ولم أخبرك بها متى تجيء"[١٣٧٦].

(١٣٦٢) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٦٣) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(١٣٦٤) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(١٣٦٥) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(١٣٦٦) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(١٣٦٧) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(١٣٦٨) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(١٣٦٩) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٧٠)أخرجه الثعلبي ٨/ ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧/ ٢٤٥.
(١٣٧١) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٧٢) النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(١٣٧٣) التفسير البسيط للواحدي: ٤٩٦/٩.
(١٣٧٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٧٥) تفسير مجاهد: ٧٠٤، وأخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.

عن عائشة، قالت: لم يزل النبيّ صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عزّ وجل: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا}"[١٣٧٧].

عن طارق بن شهاب، قال: "كان النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ... } إلى {مَنْ يخْشاهَا}"[١٣٧٨].

عن عروة بن الزبير، قال: " لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم، يسأل عن الساعة حتى نزلت: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} [النازعات: ٤٣] فانتهى عن المسألة عنها"[١٣٧٩].

قوله تعالى:{إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} [النازعات : ٤٤]، أي:" بل مرد ذلك إلى الله عز وجل"[١٣٨٠].

أخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله: "{إلى ربك منتهاها}، قال: علمها"[١٣٨١].

قوله تعالى:{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا} [النازعات : ٤٥]، أي:" وإنما شأنك في أمر الساعة أن تحذر منها مَن يخافها"[١٣٨٢].

عن أبي الزناد عن أبيه أنه سمع عمر بن عبد العزيز، يقرأ: "{أنت} منذرٌ {من يخشاها}"[١٣٨٣].

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات : ٤٦]، أي:" كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا في الحياة الدنيا؛ لهول الساعة إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار"[١٣٨٤].

عن قتادة، قوله: "{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة"[١٣٨٥].

«آخر تفسير سورة (النازعات)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١٣٧٦) انظر: التفسير البسيط: ٢٠٣/٢٢.
(١٣٧٧) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١٣٧٨) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١٣٧٩) تفسير عبدالرزاق(٣٤٨٩):ص٣٩٠/٣.
(١٣٨٠) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٨١) الدر المنثور: ٤١٤/٨.
(١٣٨٢) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٨٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٢٩):ص٥٧/٣، وتفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١٣٨٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٣٨٥) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «عبس»

«سورة عبس» هي السورة الثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، بعد سورة «النجم» وقبل سورة «القدر» ، فهي تعتبر السورة الثالثة والعشرون في ترتيب النزول، وآياتها ثنتان وأربعون في الحجاز، والكوفة، وواحدة في البصرة، وأربعون في الشأم. وكلماتها مائتان وثلاث وثلاثون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها من الآي ثلاث: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢]، {طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، {الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]. فواصل آياتها «هما»، وعلى الميم آية: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢][١٣٨٦].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة عبس بمكة"[١٣٨٧]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[١٣٨٨].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع المفسرين"[١٣٨٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٣٩٠].

(١٣٨٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(١٣٨٧) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(١٣٨٨) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٣٨٩) المحرر الوجيز: ٤٣٦/٥.

(١٣٩٠) زاد المسير: ٣٩٩/٤.

القرآن

{عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)} [عبس : ١-٢]

التفسير:

ظهر التغير والعبوس في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعرض لأجل أن الأعمى عبد الله بن أم مكتوم جاءه مسترشدا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم منشغلا بدعوة كبار قريش إلى الإسلام.

سبب النزول:

عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى فقالت: أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى ما أقول بأسا»، فيقول: «لا». ففي هذا أنزلت {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس : ١]"[١٣٩١].

عن مجاهد: "{أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}، قال: رجل من بني فهر، يقال له: ابن أمّ مكتوم"[١٣٩٢].

عن قتادة: "{عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}: عبد الله بن زائدة، وهو ابن أمّ مكتوم، وجاءه يستقرئه، وهو يناجي أُميَّة بن خلف، رجل من عِلْية قريش، فأعرض عنه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيه ما تسمعون: {عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}، إلى قوله: {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم استخلفه بعد ذلك مرّتين على المدينة في غزوتين غزاهما يصلي بأهلها"[١٣٩٣].

قال قتادة:" جاء ابن أمّ مكتوم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبيَّ بن خَلَف، فأعرض عنه، فأنزل الله عليه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يُكرمه قال أنس: فرأيته يوم القادسية عليه درع، ومعه راية سوداء"[١٣٩٤].

قال الضحاك :" تصدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من مشركي قريش كثير المال، ورجا أن يؤمن، وجاء رجل من الأنصار أعمى يقال له: عبد الله بن أمّ مكتوم، فجعل يسأل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فكرهه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه، وأقبل على الغنيّ، فوعظ الله نبيه، فأكرمه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، واستخلفه على المدينة مرّتين في غزوتين غزاهما"[١٣٩٥].

(١٣٩١)أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٨٩٦):ص٥٥٨/٢، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة". وأخرجه الطبري: (٢١٧/٢٤)، والترمذي (٥ / ٤٣٢ - ح: ٣٣٣١) وأبو يعلى (تفسير ابن كثير: ٣١٩/٨) وابن مردويه (فتح القدير: ٣٨٦/٥) من طريق يحيى عن هشام عن أبيه عن عائشة به, وإسناده صحيح. وأخرجه الإمام مالك (الموطأ برواية يحيى بن يحيى: ١٣٦ - ح: ٤٧٦) عن عروة مرسلا به.

وقال مقاتل في سبب نزول الآية:"" نزلت في عبد الله بن أبى بن أبى سرح الأعمى، وأمه أم مكتوم، اسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن رواحة بن الأصم بن حجر بن عبدود بن بغيض بن عامر بن لؤي بن غالب. وأما أم مكتوم: اسمها عاتكة بنت عامر بن عتكة بن عامر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وذلك أنه ذات يوم كان جالسا في المسجد الحرام وحده ليس معه ثان، وكان رجلا مكفوف البصر، إذ نزل ملكان من السماء ليصليا في المسجد الحرام، فقالا: من هذا الأعمى الذي لا يبصر في الدنيا ولا في الآخرة؟ قال أحدهما: ولكن أعجب من أبي طالب يدعو الناس إلى الإسلام! وهو لا يبصرهما، ويسمع ذلك، فقام عبد الله حتى أتى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإذا معه أمية بن خلف، والعباس بن عبد المطلب وهما قيام بين يديه يعرض عليهما الإسلام، فقال عبد الله: يا محمد، قد جئتك تائبا فهل لي من توبة؟ فأعرض النبي- صلى الله عليه وسلم- وجهه عنه، وأقبل بوجهه إلى العباس وأمية بن خلف، «فكرر عبد الله كلامه، فأعرض النبي- صلى الله عليه وسلم- بوجهه وكلح، فاستحيى عبد الله وظن أنه ليس له توبة فرجع إلى منزله، فأنزل الله- عز وجل- فيه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس : ١]".

[تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٩/٤-٥٩٠]

(١٣٩٢) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤.

(١٣٩٣) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤.

(١٣٩٤) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤.

(١٣٩٥) أخرجه الطبري: ٢١٩/٢٤.

القرآن

{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)} [عبس : ٣-٤]

التفسير:

وأيُّ شيء يجعلك عالمًا بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تزكو نفسه وتطهر، أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار.

قوله تعالى:{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس : ٣]، أي:" وأيُّ شيء يجعلك عالمًا بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تزكو نفسه وتطهر"(١٣٩٦).

قال السدي:" المعنى: لعله يزكى ويذَّكَّر"(١٣٩٧).

القرآن

{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧)} [عبس : ٥-٧]

التفسير:

أما مَن استغنى عن هديك، فأنت تتعرض له وتصغي لكلامه، وأي شيء عليك ألا يتطهر من كفره؟

قوله تعالى:{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} [عبس : ٥-٦]، أي:" أما مَن استغنى عن هديك، فأنت تتعرض له وتصغي لكلامه"(١٣٩٨).

عن مجاهد:"{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى}، قال: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة"(١٣٩٩).

قال أبو مالك:" جاءه عبد الله بن أُمّ مكتوم، فعَبس في وجهه وتولّى، وكان يتصدّى لأُميّة بن خلف؛ فقال الله: {أَمّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى}"(١٤٠٠).

وقرئ:«تَصَّدَّى»، بإدغام التاء، فالمعنى –أيضا-: تتَصَدَّى، إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب المخرجين - مخرج التاء مِنَ الصاد(١٤٠١).

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)} [عبس : ٨-١٦]

التفسير:

وأمَّا من كان حريصا على لقائك، وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد، فأنت عنه تتشاغل. ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-، إن هذه السورة موعظة لك ولكل من شاء الاتعاظ. فمن شاء ذكر الله وَأَتَمَّ بوحيه. هذا الوحي، وهو القرآن في صحف معظمة، موقرة، عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي ملائكة كتبة، سفراء بين الله وخلقه، كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى} [عبس : ٨-٩]، أي:" وأمَّا من كان حريصا على لقائك، وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد"(١٤٠٢).

(١٣٩٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٣٩٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٤ -.

(١٣٩٨) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٣٩٩) أخرجه الطبري: ٢٢٠/٢٤.

(١٤٠٠)أخرجه سعيد بن منصور -كما في فتح الباري ٨/ ٦٩٢ - مختصرًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٤٠١) معاني القرآن: ٢٨٣/٥-٢٨٤.

(١٤٠٢) التفسير الميسر: ٥٨٥.

قال مالك بن أنس: "وإنما السعيُ في كتاب الله العمل والفعل، {فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ واذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة: ١٠]، يقول الله -تبارك وتعالى-: {وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: {وأَمّا مَن جاءَكَ يَسْعى وهُوَ يَخْشى}، وقال: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى} [النازعات: ٢٢]، وقال: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى} [الليل: ٤]. قال مالك: فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عنى: العمل والفعل"[١٤٠٣].

قوله تعالى:{فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس : ١٠]، أي:" فأنت عنه تتشاغل"[١٤٠٤].

قوله تعالى:{كَلَّا(١٠) إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ(١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [عبس : ١٠-١٢]، أي:" ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-، إن هذه السورة موعظة لك ولكل من شاء الاتعاظ، فمن شاء ذكر الله وَأَتَمَّ بوحيه"[١٤٠٥].

عن قتادة، والسدي :{إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ}، "يعني : القرآن"[١٤٠٦].

قوله تعالى:{فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ} [عبس : ١٣-١٤]، أي:" هذا الوحي، وهو القرآن في صحف معظمة، موقرة، عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص"[١٤٠٧].

عن قتادة:" {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ}، قال: هي عند الله"[١٤٠٨].

قوله تعالى:{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} [عبس : ١٥]، أي:" بأيدي ملائكة كتبة، سفراء بين الله وخلقه"[١٤٠٩].

وفي قوله تعالى:{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} [عبس : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «السفرة»: الكتبة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون. قاله مجاهد[١٤١٠]، وقتادة[١٤١١]، وعطاء بن أبي رباح[١٤١٢]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٤١٣].

قال قتادة:" بأيدي كتبة"[١٤١٤].

الثاني : أنهم القرّاء من الناس، قال قتادة-أيضا-[١٤١٥]، لأنهم يقرؤون الأسفار.

الثالث : أنهم أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-. قاله وهب بن منبه[١٤١٦].

روي عن عبد الصمد بن معقل، قال: "سمعت عمّي وهب بن منبّه: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ}، قال: هم أصحاب محمد"[١٤١٧].

عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران»[١٤١٨].

(١٤٠٣)موطأ مالك (ت: د. بشار عواد) ١/ ١٦٣ (٢٨٦).

(١٤٠٤) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٠٥) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٠٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢١/٨.

(١٤٠٧) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٠٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٤٠٩) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٣١/١٠.

(١٤١١) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٩٥):ص٣٩٢/٣.

(١٤١٢)أخرجه الخطيب في تاريخه ٩/ ١٨٦ - ١٨٧.

(١٤١٣) انظر: زاد المسير: ٤١٠/٤.

(١٤١٤) تفسير عبدالرزاق(٣٤٩٥):ص٣٩٢/٣.

(١٤١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.

(١٤١٦) انظر: الكشف والبيان: ١٣٢/١٠، وإعراب القرآن للنحاس: ٩٥/٥، وتفسير القرطبي: ٢١٦/١٩.

(١٤١٧) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٢/١٠.

(١٤١٨) صحيح البخاري(٤٩٣٧):ص١٦٦/٦، وصحيح مسلم(٧٩٨):ص٥٤٩/١.

الرابع : أن: "السَّفرة": الملائكة، قاله مجاهد-أيضا-[١٤١٩]، لأنهم السفرة بين يدي الله ورسله بالرحمة، كما يقال سَفَر بين القوم إذا بلغ صلاحاً، ومنه قول الشاعر[١٤٢٠]:

وما أدَعُ السِّفارةَ بين قوْمي ... وما أمْشي بغِشٍ إنْ مَشَيْتُ

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الملائكة الذين يَسْفِرون بين الله ورسله بالوحي. وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح، يقال: سفرت بين القوم: إذا أصلحت بينهم ...وإذا وُجِّه التأويل إلى ما قلنا، احتمل الوجه الذي قاله القائلون: هم الكَتَبة، والذي قاله القائلون: هم القرّاء لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب، وتَسْفِر بين الله وبين رسله[١٤٢١].

قوله تعالى:{كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس : ١٦]، أي:" كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة"[١٤٢٢].

عن السدي: {بَرَرَةٍ}، قال: "مطيعين"[١٤٢٣].

وفي معنى{كِرَامٍ} [عبس : ١٦]، وجهان:

أحدهما: كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها. قاله الحسن[١٤٢٤].

الثاني: يتكرمون على من باشر زوجته بالستر عليه دفاعا عنه وصيانة له ، وهو معنى قول الضحاك"[١٤٢٥].

القرآن

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)} [عبس : ١٧-٢٣]

التفسير:

لُعِنَ الإنسان الكافر وعُذِّب، ما أشدَّ كفره بربه!! ألم ير مِن أيِّ شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه الله من ماء قليل -وهو المَنِيُّ- فقدَّره أطوارا، ثم بين له طريق الخير والشر، ثم أماته فجعل له مكانًا يُقبر فيه، ثم إذا شاء سبحانه أحياه، وبعثه بعد موته للحساب والجزاء. ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يُؤَدِّ ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته.

قوله تعالى:{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس : ١٧]، أي:" لُعِنَ الإنسان الكافر وعُذِّب، ما أشدَّ كفره بربه!!"[١٤٢٦].

عن مجاهد:" {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}، أي: لعن"[١٤٢٧].

وفي «الإنسان» -ها هنا-، ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه إشارة إلى كل كافر، قاله مجاهد[١٤٢٨].

قال مجاهد:" ما كان في القرآن «قُتِلَ الإنسانُ» أو «قُعل بالإنسان»، فإنما عنِي به: الكافر"[١٤٢٩].

(١٤١٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٤٢٠) في معاني القرآن: ٢٣٦/٣، وقد ورد البيت غير منسوب في: "تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٤، "النكت والعيون" ٦/ ٢٠٤، "المحرر الوجيز" ٥/ ٤٣٨، "زاد المسير" ٨/ ١٨٢، "التفسير الكبير" ٣١/ ٥٩، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٢١٤، "البحر المحيط" ٤٢٥، "تفسير القرآن.

(١٤٢١) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤-٢٢٢.

(١٤٢٢) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٢٣) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.

(١٤٢٤) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.

(١٤٢٥) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.

(١٤٢٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٢٧) تفسير مجاهد: ٦١٨.

(١٤٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٤.

(١٤٢٩) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢٤.

الثاني : أنه أمية بن خلف ، قاله الضحاك[١٤٣٠].
الثالث : أنه عتبة بن أبي لهب حين قال : إني كفرت برب النجم إذا هوى ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : «اللَّهم سلّطْ عليه كلبك»[١٤٣١]، فأخذه الأسد في طريق الشام. قاله عكرمة[١٤٣٢].
عن عكرمة:" {قُتِلَ الإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ}، قال: نزلت في عُتبة بن أبي لهب؛ حين قال: كفرتُ بربّ النَّجم إذا هوى. فدعا عليه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فأخذه الأسد بطريق الشام"[١٤٣٣].
وفي قوله تعالى:{مَا أَكْفَرَهُ} [عبس : ١٧]، وجهان:
أحدهما : أن «ما» الاستفهام، تعني: أي شيء يحمله على الكفر، قاله السدي[١٤٣٤].
الثاني : ما ألعنه، قاله قتادة[١٤٣٥].
قوله تعالى:{مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ(١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} [عبس : ١٨]، أي:" ألم ير مِن أيِّ شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه الله من ماء قليل -وهو المَنِيُّ- فقدَّره أطوارا"[١٤٣٦].
عن السدي:" ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة"[١٤٣٧].
عن عكرمة:" {فَقَدَّرَهُ}، قال: قدَّره في رَحِم أمه كيف شاء"[١٤٣٨].
قوله تعالى:{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس : ٢٠]، أي:" ثم بين له طريق الخير والشر"[١٤٣٩].
وفي تفسير قوله تعالى:{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس : ٢٠]، وجهان:
أحدهما : خروجه من بطن أمه، قاله أبو صالح[١٤٤٠]، وعكرمة[١٤٤١]، وقتادة[١٤٤٢]، والضحاك[١٤٤٣]، والسدي[١٤٤٤].
قال أبو صالح:" سبيل الرحم"[١٤٤٥].
قال قتادة، والسدي:" أخرجه من بطن أمه"[١٤٤٦].
قال قتادة:" خروجه من بطن أمه"[١٤٤٧].
الثاني : سبيل السعادة والشقاوة، وهو كقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان : ٣]. قاله مجاهد[١٤٤٨]، وهكذا قال الحسن[١٤٤٩].

(١٤٣٠) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.
(١٤٣١) قال مقاتل:" نزلت هذه الآية في عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب وذلك أنه كان غضب على أبيه فأتى محمدا- صلى الله عليه وسلم- فآمن به، «فلما رضي أبوه عنه وصالحه وجهزه وسرحه إلى الشام بالتجارات، فقال: بلغوا محمدا عن عتبة أنه قد كفر بالنجم، فلما سمع بذلك النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: اللهم سلط عليه كلبك يأكله فنزل ليلا في بعض الطريق فجاء الأسد فأكله". [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩١/٤]
(١٤٣٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٤٣٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٤٣٤) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.
(١٤٣٥) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.
(١٤٣٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٤٣٧) انظر: النكت والعيون: ١٦٣/٦.
(١٤٣٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٤٣٩) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٤٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٤٤١) انظر: النكت والعيون: ٢٠٦/٦.
(١٤٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٤٤٣) انظر: النكت والعيون: ٢٠٦/٦.
(١٤٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٤٤٥) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٤٤٦) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٤٤٧) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٤.

قال الحسن: سبيل الخير"[١٤٥٠].

قال مجاهد:" {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}، قال: هو كقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِرًا وإِمّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣] الشقاء والسعادة"[١٤٥١].

وقال السدي:" يعني: طريق الحق والباطل"[١٤٥٢].

والصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسَّره، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده[١٤٥٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ} [عبس : ٢١]، أي:" ثم أماته فجعل له مكانًا يُقبر فيه"[١٤٥٤].

قال قتادة: «أذل الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء»[١٤٥٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ} [عبس : ٢٢]، أي:" ثم إذا شاء سبحانه أحياه، وبعثه بعد موته للحساب والجزاء"[١٤٥٦].

عن قتادة في قوله:" {لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان : ٤٠]، أي: بعثا ولا حسابا"[١٤٥٧].

عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يأكل الترابُ كلَّ شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبه، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : "مثل حبة خردل منه ينشئون"[١٤٥٨].

قال عكرمة: "إذا اختلف الناسُ في حرفٍ فانظر نظرةً مِن القرآن، فقِسْ عليه، ولا تَقسْ القرآن على الشِّعر ولا غيره، مثل قوله جلّ وعلا: {وانظر إلى العظام كيف ننشزها} [البقرة: ٢٥٩]، {إذا شاء أنشره} [عبس: ٢٢]، {يومهم الذي فيه يصعقون} تصديق: {فصعق من في السموات ومن في الأرض} [الزمر: ٦٨]"[١٤٥٩].

قوله تعالى:{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} [عبس : ٢٣]، أي:" ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يُؤَدِّ ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته"[١٤٦٠].

وروي عن الحسن:" {كَلَّا}، قال: أي: حقا لم يقض"[١٤٦١]. وفي رواية:" حتما"[١٤٦٢].

وفي قوله تعالى:{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} [عبس : ٢٣]، وجهان:

(١٤٤٨) انظر: تفسير مجاهد ص ٧٠٥، وتفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.

(١٤٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.

(١٤٥٠) أخرجه تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.

(١٤٥١)تفسير مجاهد ص ٧٠٥.

(١٤٥٢)تفسير البغوي ٨/ ٣٣٧.

(١٤٥٣) تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.

(١٤٥٤) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٥٥) تفسير عبدالرزاق(٣٢٥٩):ص٣٢٥/٣.

(١٤٥٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٥٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٧٠، وابن أبي حاتم(١٥١٩٥):ص ٨/ ٢٦٩٨ من طريق سعيد. وعلَّقه يحيى بن سلام ١/ ٤٨٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٤٥٨) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٢٣/٨، ورواه الحاكم في المستدرك (٦٠٩/٤) من طريق بحر بن نصر، عن ابن وهب به، وقال : "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" قلت : دراج عن أبي الهيثم ضعيف.

(١٤٥٩)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٢٣.

(١٤٦٠) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٦١) تفسير الثعلبي: ٤٣٣/٢٨، [ط. دار التفسير]، وذكره الواحدي في "التفسير الوسيط": ٤٢٤/٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٣٣٨، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٩/ ٣٢، والقرطبي في "التفسير": ١٩/ ٢١٧.

(١٤٦٢) تفسير الثعلبي: ١٣٢/١٠.

أحدهما : المعنى : {ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ}، أي: بعثه، {كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ}، أي: لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة، ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب تعالى له أن سيُوجَدُ منهم، ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كونا وقدرا، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم.

وفي هذا المعنى روي عن وهب بن مُنَبّه، قال : "قال عُزَير، عليه السلام : قال الملك الذي جاءني : فإن القبور هي بطنُ الأرض، وإن الأرض هي أم الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبورُ التي مَدّ الله لها، انقطعت الدنيا ومات من عليها، ولفظت الأرض ما في جوفها، وأخرجت القبورُ ما فيها"[١٤٦٣].

قال ابن كثير:" وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية"[١٤٦٤].

الثاني : أنه على العموم في المسلم والكافر.

قال مجاهد : "لا يقضي أحد أبدًا ما افتُرض عليه.- وقال الحارث-: كلّ ما افترض عليه"[١٤٦٥] . وروي عن قتادة نحوه[١٤٦٦].

القرآن

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)} [عبس : ٢٤-٣٢]

التفسير:

فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ بأنَّا صببنا الماء على الأرض صَبًّا، ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبتنا فيها حبًا، وعنبًا وعلفًا للدواب، وزيتونًا ونخلا وحدائق عظيمة الأشجار، وثمارًا وكلأ تَنْعَمون بها أنتم وأنعامكم.

قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، أي:" فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟"[١٤٦٧].

وفي قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما : إلى طعامه الذي يأكله وتحيا نفسه به، من أي: شيء كان ، قاله مجاهد[١٤٦٨].

عن مجاهد، قوله: "{فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}: آية لهم"[١٤٦٩].

قال مجاهد: "{فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}: إلى مأكله ومشربه"[١٤٧٠].

الثاني : ما يخرج منه أي شيء كان ؟ ثم كيف صار بعد حفظ الحياة وموت الجسد.

قال الحسن :"{فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}: ملك يثني رقبة ابن آدم إذا جلس على الخلاء لينظر ما يخرج منه"[١٤٧١].

عن ابن الوليد قال: "سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر إلى ما يخرج منه، قال: يأتيه الملك فيقول انظر إلى ما بخلت به إلى ما صار؟"[١٤٧٢].

(١٤٦٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.
(١٤٦٤) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.
(١٤٦٥) أخرجه الطبري: ٢٢٥/٢٤.
(١٤٦٦) تفسير القرطبي: ٢١٩/١٩.
(١٤٦٧) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٤٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١٤٦٩) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١٤٧٠) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١٤٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٣٢):ص٣٤٠١/١٠.

عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ مطعم ابن آدم جعل مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير»"[١٤٧٣].

روي عن الضحاك بن سفيان الكلابي: "إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا ضحاك ما طعامك؟» قال: يا رسول الله اللحم واللبن، قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قال: إلى ما قد علمت. قال: «قال الله سبحانه وتعالى: ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا»"[١٤٧٤].

قوله تعالى: {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩)} [عبس : ٢٥ - ٢٩]، أي:" بأنَّا صببنا الماء على الأرض صَبًّا، ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبتنا فيها حبًا، وعنبًا وعلفًا للدواب، وأخرجنا كذلك أشجار الزيتون والنخيل، يخرج منها الزيت والرطب والتمر"[١٤٧٥].

قال قتادة:" القضب: الفصافص"[١٤٧٦].

قال الضحاك:" "يعني: الرطبة"[١٤٧٧].

قال أبو جعفر -رحمه الله-: "الفِصفصة: الرَّطبة"[١٤٧٨].

قال الحسن:" القضب: العَلَف"[١٤٧٩].

قوله تعالى:{وَحَدَائِقَ غُلْبًا} [عبس : ٣٠]، أي:" وحدائق عظيمة الأشجار"[١٤٨٠].

وروي عن مجاهد:{وَحَدَائِقَ غُلْبًا}، قال: طيبة"[١٤٨١].

واختلف في معنى «الحدائق»، على قولين

أحدهما : أنه نبت الشجر كله. رواه عصام عن أبيه[١٤٨٢].

الثاني : أنه ما أحيط عليه من النخل والشجر، وما لم يحط عليه فليس بحديقة. حكاه أبو صالح[١٤٨٣].

وفي معنى: « الغُلب »، قولان:

أحدهما : أن «الغُلب»: النخل الكرام. قاله قتادة[١٤٨٤].

الثاني : أن «الغلب»: عظام النخل العظيمة الجذع، والغلب من الرجال: العظام الرقاب، يقال: هو أغلب الرقبة: عظيمها. وهذا قول عكرمة[١٤٨٥].

وعن عكرمة: "{حَدَائِقَ غُلْبًا}، قال: عظام الأوساط"[١٤٨٦]. وفي لفظ «غلاظ الأوساط»[١٤٨٧].

قال عكرمة:" غلاظ الرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلب[١٤٨٨].

(١٤٧٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٣/١٠، وانظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ٢٢٠.

(١٤٧٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٢/١٠-١٣٣.

(١٤٧٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٢/١٠-١٣٣، وانظر: مسند أحمد: ٣/ ٤٢٥.

(١٤٧٥) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٧٦) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٤.

(١٤٧٧) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٤.

(١٤٧٨) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.

(١٤٧٩) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٤.

(١٤٨٠) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٨١) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٤.

(١٤٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٤.

(١٤٨٣) انظر: النكت والعيون: ٢٠٦/٦.

(١٤٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٤.

(١٤٨٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٢٨):ص٣٤٠٠/١٠.

(١٤٨٦) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٤.

(١٤٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٢٨):ص٣٤٠٠/١٠.

(١٤٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٢٨):ص٣٤٠٠/١٠.

قوله تعالى:{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس : ٣١]، أي:" وثمارًا وكلأ "[١٤٨٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأَبًّا} [عبس : ٣١]، وجهان:

أحدهما : أن«الأبّ»: ما تأكله البهائم من العشب والنبات، و«الفاكهة»: ما يأكله الناس من ثمار الأشجار، قاله الحسن[١٤٩٠]، ومجاهد[١٤٩١]، وقتادة[١٤٩٢]، قال الشاعر في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- [١٤٩٣]:

لَهُ دَعْوةٌ مَيْمُونةٌ رِيحُهَا الصَّبا ... بِهَا يُنْبِتُ اللهُ الحَصِيدةَ والأَبَّا

قال الحسن:" الأبّ: العشب"[١٤٩٤].

عن الحسن: "{وَفَاكِهَةً}، قال: ما يأكل ابن آدم"[١٤٩٥]. "«الأبّ»: ما تأكل الأنعام"[١٤٩٦]. وفي رواية:" الأبّ لأنعامكم"[١٤٩٧].

عن مجاهد: "{وَفَاكِهَةً}، قال: ما أكل الناس"[١٤٩٨]. "«الأبّ»: ما أكلت الأنعام"[١٤٩٩].

قال مجاهد:" الأبّ: المرعى"[١٥٠٠].

قال قتادة:" أما الفاكهة فلكم"[١٥٠١]."أما «الأبّ»: فلأنعامكم، نعم من الله متظاهرة"[١٥٠٢].

عن الضحاك:" {وأبًّا}، يعني: المرعى"[١٥٠٣]. وفي رواية:" الأبّ: هو النَّبْن"[١٥٠٤].

عطاء بن أبي رباح، قال: "كلّ شيء يَنبتُ على ظهر الأرض فهو الأبّ"[١٥٠٥].

قال عكرمة:" الأبّ: ما تأكل الدوابُّ"[١٥٠٦].

قال أبو مالك:" الأبّ: الكلأ"[١٥٠٧].

الثاني : أن «الأب»: كل شيء ينبت على وجه الأرض ، قاله الضحاك[١٥٠٨].

عن إبراهيم التيمي:" إن أبا بكر سئل عن قوله: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، فقال: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"[١٥٠٩].

(١٤٨٩) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٤٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٤، ٢٣٠.

(١٤٩١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٤، ٢٣٠.

(١٤٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٤٩٣) البيت بلا نسبة في: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧٨٠٢/١٢، والنكت والعيون: ٢٠٨/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٩، والبحر المحيط: ٤٠٥/١٠، والدر المصون: ٦٩٤/١٠، وعمدة الحفاظ: ٤٤/١، واللباب: ١٦٨/٢٠، وروح المعاني: ٢٥٠/١٥.

(١٤٩٤) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٤٩٥) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(١٤٩٦) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٤٩٧)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٠٦ - . وذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٦ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٤٩٨) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(١٤٩٩) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٥٠٠) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٥٠١) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(١٥٠٢) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٥٠٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

(١٥٠٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٥٠٥)أخرجه عبد بن حميد -كما في فتح الباري ٦/ ٢٩٦، ١٣/ ٢٧١ -.

(١٥٠٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٥٠٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٥٠٨) انظر: الكشف والبيان: ١٣٣/١٠، والنكت والعيون: ٢٠٨/٦.

(١٥٠٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٤/١٠، وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢٧). قال ابن كثير:

روي عن أنس، قال: "قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، فلما أتى على هذه الآية: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، قال: قد عرفنا الفاكهة. فما الأبّ؟ قال: لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف"(١٥١٠).

عن ابن شهاب، أن أنس بن مالك حدثه أنه سمع عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول: "قال الله: {وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، كلّ هذا قد علمناه، فما الأبّ؟ ثم ضرب بيده، ثم قال: لعمرك إن هذا لهو التكلف، واتبعوا ما يتبين لكم في هذا الكتاب، قال عمر: وما يتبين فعليكم به، وما لا فدعوه"(١٥١١).

قوله تعالى:{مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢]، أي:" تَنْعَمون بها أنتم وأنعامكم"(١٥١٢).

قال الحسن:" {مَتَاعًا لَكُمْ}: الفاكهة، {وَلِأَنْعَامِكُمْ}: العشب"(١٥١٣).

القرآن

{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)} [عبس : ٣٣-٣٧]

التفسير:

فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصمُّ مِن هولها الأسماع، يوم يفرُّ المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه. لكل واحد منهم يومئذٍ أمر يشغله ويمنعه من الانشغال بغيره.

سبب نزول قوله تعالى: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]:

عن عائذ بن شريح، عن أنس قال: «سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إني سائلتك عن حديث أخبرني أنت به، قال:" إن كان عندي منه علم" قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال: " حفاة عراة "، ثم انتظرت ساعة فقالت: يا نبي الله كيف يحشر النساء؟ قال: " كذلك حفاة عراة "، قالت: واسوأتاه من يوم القيامة، قال: " وعن ذلك تسأليني؟ إنه قد نزلت علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أم لا "، قالت: أي آية هي يا نبي الله؟ قال: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]"»(١٥١٤).

وفي رواية عن عائذ بن شريح الكندي قال: سمعت أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبي - صلى الله عليه وسلم - أنحشر عراة؟ قال: "نعم"، قالت: واسوأتاه، فأنزل الله تعالى: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]"(١٥١٥).

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]، أي:" فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصمُّ مِن هولها الأسماع"(١٥١٦).

٣٢٥/٨:" وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق".

(١٥١٠) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

قال ابن كثير:٣٢٥/٨:" فهو إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن أنس، به. وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض، لقوله : {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}".

(١٥١١) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

(١٥١٢) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٥١٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

(١٥١٤)أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٤، من طريق عائذ به, وإسناده ضعيف, بسبب عائذ (ميزان الاعتدال: ٣٦٣/٢ - رقم: ٤١٠٠)، قال ابن حبان: كان قليل الحديث ممن يخطئ على قلته ... [مجروحين ٢/ ١٩٣].

وفي إسناده إبراهيم بن هراسة قال عنه ابن حبان: كان أبو عبيد يطلق عليه الكذب [مجروحين ١/ ١١١] .

(١٥١٥) أسباب النزول للواحدي: ٤٧٢.

(١٥١٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.

عن الحسن:"أنها النفخة الثانية التي يصيخ الخلق لاستماعها" [١٥١٧].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} [عبس : ٣٤-٣٦]، أي:" يوم يفرُّ المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه"[١٥١٨].

قال قتادة:" أفضى إلى كلّ إنسان ما يشغله عن الناس"[١٥١٩].

قال قتادة : "الأحب فالأحبَ، والأقرب فالأقربَ، من هول ذلك اليوم"[١٥٢٠].

قال قتادة:" ليس شيءٌ أشدَّ على الإنسان يوم القيامة مِن أن يرى مَن يعرفه؛ مخافة أن يكون يطلبه بمظلمة. ثم قرأ: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِن أَخِيهِ} الآية"[١٥٢١].

عن قتادة:" {يوم يفر المرء من أخيه} قال: يفر هابيل من قابيل، {وأمه وأبيه} يفر النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - مِن أُمِّه، وإبراهيم - عليه السلام - مِن أبيه، {وصاحبته وبنيه} قالوا: لوط - عليه السلام - مِن صاحبته، ونوح - عليه السلام - مِن ابنه"[١٥٢٢].

قال الحسن:" إنّ أول مَن يفرّ يوم القيامة من أبيه إبراهيم، وأول مَن يفرّ من أُمّه إبراهيم، وأول مَن يفرّ من ابنه نوح، وأول مَن يفرّ مِن أخيه هابيل، وأول مَن يفرّ مِن صاحبته نوح ولوط. وتلا هذه الآية: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِن أَخِيهِ وَأُمِّهِ وأَبِيهِ وصاحِبَتِهِ وبَنِيهِ}، فيَرَوْن أنّ هذه الآية نزلت فيهم"[١٥٢٣].

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة مواطن لا يسأل فيها أحد أحدا: إذا وضعت الموازين حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت الكتب حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز "[١٥٢٤].

قال عكرمة : "يلقى الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه، أيّ بعل كنتُ لك ؟ فتقول : نعم البعل كنتَ! وتثنى بخير ما استطاعت، فيقول لها : فإني أطلبُ إليك اليومَ حسنَةً واحدَةً تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين. فتقول له : ما أيسر ما طلبتَ، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخاف. قال : وإن الرجل ليلقي ابنه فيتعلق به فيقول : يا بني، أيّ والد كنتُ لك ؟ فيثني بخير. فيقولُ له : يا بني، إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول ولده : يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا. يقول الله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}"[١٥٢٥].

وفي الحديث الصحيح - في أمر الشفاعة - : أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول : نفسي نفسي، لا أسأله اليومَ إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني. ولهذا قال تعالى : {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}"[١٥٢٦].

(١٥١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٠٩/٦.

(١٥١٨) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٥١٩) أخرجه تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.

(١٥٢٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٦/٨.

(١٥٢١)عزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر.

(١٥٢٢)أخرجه الثعلبي ١٠/ ١٣٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٤١.

(١٥٢٣)أخرجه ابن عساكر ٦٤/ ٨.

(١٥٢٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٤١٦/١.

(١٥٢٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٨.

(١٥٢٦) نص حديث الشفاعة: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبونا أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله

قوله تعالى:{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]، أي:" لكل واحد منهم يومئذٍ أمر يشغله ويمنعه من الانشغال بغيره"(١٥٢٧).

قال قتادة:" أفضى إلى كلِّ إنسان ما يَشغله عن الناس"(١٥٢٨).

عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلا". فقالت عائشة : يا رسول الله، فكيف بالعورات ؟ فقال : " {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}"(١٥٢٩).

القرآن

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)} [عبس : ٣٨ - ٤٢]

التفسير:

وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة، مسرورة فرحة، ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودَّة، تغشاها ذلَّة. أولئك الموصوفون بسواد الوجوه هم الذين كفروا بنعم الله وكذَّبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه بالفجور والطغيان.

قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ} [عبس : ٣٨]، أي:" وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة"(١٥٣٠).

قال الضحاك:" فَرِحة"(١٥٣١). وروي عن السدي مثله(١٥٣٢).

قال عطاء الخُراسانيّ:" مِن طول ما اغْبَرَّتْ في سبيل الله"(١٥٣٣).

مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح إن ربى قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وإنى قد كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد فيأتونى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح لأحد قبلى يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يا رب أمتى أمتى فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى».
أخرجه أحمد (٤٣٥/٢، رقم ٩٦٢١) ، والبخارى (١٧٤٥/٤، رقم ٤٤٣٥) ، ومسلم (١٨٤/١، رقم ١٩٤) ، والترمذى (٦٢٢/٤، رقم ٢٤٣٤) . وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٣٧٨/٦، رقم ١١٢٨٦) ، وابن أبى شيبة (٣٠٧/٦ رقم ٣١٦٧٤).

(١٥٢٧) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٥٢٨) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٤.

(١٥٢٩)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٤٨).

(١٥٣٠) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٥٣١)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ١٧٩ (١٠٥) -.

(١٥٣٢) انظر: النكت والعيون ٢٠٩/٦.

(١٥٣٣)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٠٠. وفي تفسير الثعلبي ١٠/ ١٣٥ مثله منسوبًا إلى عطاء دون تعيينه.

قوله تعالى:{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ(٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} [عبس : ٤٠-٤١]، أي:" ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودَّة، تغشاها ذلّة"[١٥٣٤].

من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يلجم الكافر العرق، ثم تقع الغبرة على وجوههم، فهو قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ}»[١٥٣٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} [عبس : ٤١]، وجوه:

أحدها :خزي، قال مجاهد[١٥٣٦].

الثاني : سواد الوجوه، قاله عطاء[١٥٣٧].

عن عطاء الخرساني: "{وُجُوه يَوْمئِذٍ مسفرة} لكثرة ما أغبرت في الدنيا بالحق. وقوله: {ووجوه يَوْمئِذٍ عَلَيْهَا غبرة} من كثرة ما ضحكت في الباطل"[١٥٣٨].

و قال ابن أبي ليلى: "هو بعد نظرهم إلى ربهم عز وجل"[١٥٣٩].

الثالث : غبار، قاله السدي[١٥٤٠]، ومنه قول الأخطل[١٥٤١]:

يعلو القناطر بينيها ويهدمها ... مسوّما فوقه الرايات والقتر

وقال الفرزدق[١٥٤٢]:

مُتَوَّجٌ بِرِداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ ... مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّاياتِ وَالْقَتَرَا

وجميع الأقوال السابقة قريبة من بعض، أي: تعلوها ظلمة وكآبة وكسوف وسواد[١٥٤٣].

«آخر تفسير سورة (عبس)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١٥٣٤) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٣٨):٣٤٠١/١٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٢٤/٨)، وله شاهد من حديث ابن مسعود : رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٥٨٢) "موارد" من طريق شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود مرفوعا : "إن الكافر ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : أرحنى ولو إلى النار".

(١٥٣٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٦.

(١٥٣٧) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٦.

(١٥٣٨) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٦٣/٦.

(١٥٣٩) تفسير القرطبي :٣٣١/٨.

(١٥٤٠) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٦.

(١٥٤١) ديوانه ١٠٣.

(١٥٤٢) ديوانه ٢٩٠- والطبري: ٧٢/١٥، ورواه القرطبي في "التفسير": ٨/ ٣٣١، وصاحب "اللسان (قتر)": على أنه من إنشاد أبى عبيدة.

(١٥٤٣) الكشف والبيان: ١٣٥/١٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التكوير»

«سورة التكوير» هي السورة الحادية والثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، وهي معدودة السابعة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة «الفاتحة» وقبل سورة «الأعلى»[١٥٤٤]، وآياتها تسع وعشرون في عد الجميع، وثمان في عد أبى جعفر، أسقط أبو جعفر: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير : ٢٦]، وكلماتها مائة وأربعون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. فواصل آياتها: «تسنم»[١٥٤٥].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إذا الشمس كورت} بمكة"[١٥٤٦]. وروي عن عائشة[١٥٤٧]، وابن الزبير[١٥٤٨] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[١٥٤٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٥٥٠].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[١٥٥١].

(١٥٤٤) انظر: التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.

(١٥٤٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(١٥٤٦) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٥٤٧) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٥٤٨) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٥٤٩) المحرر الوجيز: ٤٤١/٥.

(١٥٥٠) زاد المسير: ٤٠٥/٤.

(١٥٥١) التحرير والتنوير: ١٣٩/٣٠.

القرآن

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)} [التكوير: ١-١٤]

التفسير:

إذا الشمس لُفَّت وذهب ضَوْءُها، وإذا النجوم تناثرت، فذهب نورها، وإذا الجبال سيِّرت عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثًا، وإذا النوق الحوامل تُركت وأهملت، وإذا الحيوانات الوحشية جُمعت واختلطت؛ ليقتصَّ الله من بعضها لبعض، وإذا البحار أوقدت، فصارت على عِظَمها نارًا تتوقد، وإذا النفوس قُرنت بأمثالها ونظائرها، وإذا الطفلة المدفونة حية سُئلت يوم القيامة سؤالَ تطييب لها وتبكيت لوائدها: بأيِّ ذنب كان دفنها؟ وإذا صحف الأعمال عُرضت، وإذا السماء قُلعت وأزيلت من مكانها، وإذا النار أوقدت فأضرمت، وإذا الجنة دار النعيم قُرِّبت من أهلها المتقين، إذا وقع ذلك، تيقنتْ ووجدتْ كلُّ نفس ما قدَّمت من خير أو شر.

قوله تعالى:{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١]، أي:" إذا الشمس لُفَّت وذهب ضَوْءُها"[١٥٥٢].

وفي قوله تعالى:{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: أظلمت، قاله الحسن[١٥٥٣]، ومجاهد[١٥٥٤]، وقتادة[١٥٥٥]، والضحاك[١٥٥٦].

قال مجاهد:" تكور حتى يذهب ضوءها فلا يبقى لها ضوء"[١٥٥٧].

قال قتادة:" ذهب ضوءها فلا ضوء لها"[١٥٥٨].

قال الضحاك:" أما تكوير الشمس: فذهابها"[١٥٥٩].

عن أبي العالية، قال: ثني أبيّ بن كعب، قال: "ستّ آيات قبل يوم القيامة: بينا الناس في أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك، إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك، إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت واضطربت واحترقت، وفزعت الجنّ إلى الإنس، والإنس إلى الجنّ، واختلطت الدوابّ والطير والوحش، وماجوا بعضهم في بعض، {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ}، قال: اختلطت، {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}، قال: أهملها أهلها، {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}- قال: قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي نار تأجج؛ قال: فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وإلى السماء السابعة العليا، قال: فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم"[١٥٦٠].

الثاني : يعني: ذهبت. رواه عطية عن ابن عباس[١٥٦١].

وقال مجاهد:" اضمحلت وذهبت"[١٥٦٢].

الثالث: غُوِّرَت، روي ذلك عن سعيد بن جبير[١٥٦٣].

(١٥٥٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٥٥٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٩٨/٥. حكاه عنه وقال:" {كورت}، حقيقته: جمع ضوؤها، ومن كلامهم: كرت العمامة على رأسي أكورها وكورتها أكورها إذا لففتها. وهو الذي أراد الحسن".

(١٥٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(١٥٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(١٥٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.

(١٥٥٧) تفسير مجاهد: ٧٠٧.

(١٥٥٨) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(١٥٥٩) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٤.

(١٥٦٠) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(١٥٦١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٤.

(١٥٦٢) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٤.

وهو بالفارسية: «كور تكور»[١٥٦٤]، قاله سعيد بن جبير[١٥٦٥].
وقال سعيد بن جبير:" كوّرت: «كورا»، بالفارسية"[١٥٦٦].
الرابع : نُكّست، قاله أبو صالح[١٥٦٧].
الخامس : رُمِي بها. وهو قول الربيع بن خُثَيم[١٥٦٨].
وروي عن أبي صالح-أيضا- قال:" أُلقيت"[١٥٦٩].
عن ابن يزيد بن أبي مريم، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قول الله :{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} قال : "كورت في جهنم"[١٥٧٠].
عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : "الشمس والقمر يكوران يوم القيامة"[١٥٧١].
عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الشمس والقمر نوران في النار يوم القيامة". فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول :- أحسبه قال- : وما ذنبهما"[١٥٧٢].
عن يزيد الرقاشي، حدثنا أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الشمس والقمر ثوران عقيران في النار"[١٥٧٣].
والصواب أن التكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فَرُمِي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها فعلى التأويل الذي تأوّلناه وبيَّناه لكلا القولين اللّذين ذكرت عن أهل التأويل وجه صحيح، وذلك أنها إذا كُوِّرت ورُمي بها، ذهب ضوءها"[١٥٧٤].
قوله تعالى:{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢]، أي:" وإذا النجوم تناثرت، فذهب نورها"[١٥٧٥].
وفي قوله تعالى:{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢]، وجهان من التفسير:
أحدهما : تناثرت، قاله الربيع بن خيثم[١٥٧٦]، ومجاهد[١٥٧٧]، وأبو صالح[١٥٧٨].
الثاني : تساقطت وتهافتت، قاله قتادة[١٥٧٩]، ومنه قول العجاج[١٥٨٠]:

(١٥٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٥٦٤) في اللسان: ٤٧٢/٦ - ٤٧٣ "«كورْ بِكِرْ»، وفي غريب القرآن لابن قتيبة:٤" كور بكرد"، وفي رواية ابن أبي حاتم(١٩١٤٠):ص٣٤٠٢/١٠، والدر المنثور: ٤٢٦/٩« كور يهود»، وفي النكت والعيون: ٢١١/٦« كوبكرد»، وفي الكشف والبيان: ١٣٦/١٠«كوريكرد».
(١٥٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٥٦٦) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٥٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٥٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٥٦٩) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٤.
(١٥٧٠) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٢٩/٨، ورواه الديلمي في مسنده، كما في الدر المنثور للسيوطي (٤٢٦/٨).
(١٥٧١)صحيح البخاري برقم (٣٢٠٠).
(١٥٧٢) رواه البزاز، كما في تفسير ابن كثير: ٣٢٩/٨.
(١٥٧٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" :٣٢٩/٨. قال ابن كثير:" هذا حديث ضعيف ؛ لأن يزيد الرقاشي ضعيف".
(١٥٧٤) تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٤-٢٣٩.
(١٥٧٥) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٥٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.
(١٥٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.
(١٥٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.

أبصَرَ خرْبان فضاء فانكَدَرْ ... تَقضِّيَ البازي إذا البازي كَسَر

قوله تعالى:{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ} [التكوير: ٣]، أي:" وإذا الجبال سيِّرت عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثًا"(١٥٨١).

عن مجاهد: "{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}، قال: ذهبت"(١٥٨٢).

عن الربيع بن خُثَيْم، "{وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ}، قال: سارَتْ"(١٥٨٣).

قوله تعالى:{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ} [التكوير: ٤]، أي:" وإذا النوق الحوامل تُركت وأهملت"(١٥٨٤).

عن مجاهد: {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}، قال: عشار الإبل"(١٥٨٥).

قال مجاهد:" العشار: هي الإبل عطلها أربابها"(١٥٨٦).

قال قتادة:" عشار الإبل سيبت"(١٥٨٧).

قال قتادة:" سيبها أهلوها أتاهم ما شغلهم عنها، فلم تصر ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها"(١٥٨٨).

وفي «عطلت»، وجهان:

أحدهما : أُهملت، وهو معنى قول عن مجاهد(١٥٨٩)، وقتادة(١٥٩٠)، والضحاك(١٥٩١).

قال مجاهد:" سُيِّبت: تُركت"(١٥٩٢). وروي عن قتادة نحوه(١٥٩٣).

وقال الضحاك:" يقول: لا راعي لها"(١٥٩٤).

الثاني : لم تحلب ولم تدر ، قاله الحسن(١٥٩٥)، والربيع بن خثيم(١٥٩٦).

قال الربيع:" خلا منها أهلها لم تُحْلب ولم تُصرّ"(١٥٩٧). وفي لفظ:" لم تحلب ولم تصر، وتخلّى منها أربابها"(١٥٩٨).

قال الحسن:" سيبها أهلها فلم تصر، ولم تحلب، ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها"(١٥٩٩).

(١٥٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٤.

(١٥٨٠)ديوانه" ص ١٧، "تفسير الطبري" ١٥٧/١٢، "الإغفال" ٥٤١، "المحتسب" ١/ ١٥٧، "سمط اللآلي" ٢/ ٧١٠، "شرح ابن يعيش" ١٠/ ٢٥، "اللسان" (قضض، ضبر) وتقضي: بمعنى: انقض وتقضض على التحويل، وكسر الطائر يكسر كسرًا وكسورًا، إذا ضم جناحيه حتى ينقض.

(١٥٨١) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٥٨٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٨٣)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٥٨٤) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٥٨٥) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٨٦) تفسير مجاهد: ٧٠٧.

(١٥٨٧) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٤.

(١٥٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٤٤):ص٣٤٠٣/١٠.

(١٥٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.

(١٥٩١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.

(١٥٩٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٤.

(١٥٩٤) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٤.

(١٥٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٩٧) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٩٨) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.

(١٥٩٩) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٤.

قوله تعالى:{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير: ٥]، أي:" وإذا الحيوانات الوحشية جُمعت واختلطت؛ ليقتصَّ الله من بعضها لبعض"[١٦٠٠].

قال الواحدي:" كل شيء من دواب الأرض مما لا يستأنس فهو وَحْشٌ، والجمع: وحوش"[١٦٠١].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير: ٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أن حشرها: إحياؤها يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض. قاله قتادة[١٦٠٢]، والربيع[١٦٠٣]، والسدي[١٦٠٤]، وحكاه الواحدي عن أكثر المفسرين[١٦٠٥].

قال قتادة:" هذه الخلائق موافية يوم القيامة، فيقضي الله فيها ما يشاء"[١٦٠٦].

قال السدي:" حشرت إلى القيامة للقضاء، فيقتص للجمّاء[١٦٠٧] من القرناء"[١٦٠٨].

وفي رواية عن الربيع خيثم:" أتى عليها أمر الله"[١٦٠٩].

الثاني : أن حشرها: بموتها ، قاله عكرمة[١٦١٠].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى حشرت: جمعت، فأميتت، لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، ومنه قول الله: {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً}، يعني: مجموعة. وقوله: {فَحَشَرَ فَنَادَى}، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول"[١٦١١].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: ٦]، أي:" وإذا البحار أوقدت، فصارت على عِظَمها نارًا تتوقد"[١٦١٢].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ} [التكوير: ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : يبست، قاله الحسن[١٦١٣]، وقتادة[١٦١٤].

قال قتادة:" غار ماؤها فذهب"[١٦١٥].

وعن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسين، في هذا الحرف :"{وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، قال: يبست"[١٦١٦].

الثاني : فاضت ، قاله الربيع بن خيثم[١٦١٧]، والحسن-أيضا-[١٦١٨].

الثالث : فُجِّرت فصارت بحراً واحداً ، قاله الضحاك[١٦١٩].

(١٦٠٠) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٦٠١) التفسير البسيط: ٢٥٣/٢٣، وانظر: تهذيب اللغة" ٥/ ١٤٣: (وحش).

(١٦٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.

(١٦٠٣) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٦.

(١٦٠٤) انظر: النكت والعيون: ٢١٣/٦، وزاد المسير: ٤٠٦/٤.

(١٦٠٥) انظر: التفسير البسيط: ٢٥٤/٢٣. قال السمعاني١٦٥/٦: وهو الأظهر".

(١٦٠٦) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٤.

(١٦٠٧) الجماء: ما ليس لها قرن، وفي أمثالهم «عند النطاح يغلب الكبش الأجم».

(١٦٠٨) انظر: النكت والعيون: ٢١٣/٦.

(١٦٠٩) .

(١٦١٠) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٢٣٩/٣.

(١٦١١) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٤.

(١٦١٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٦١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.

(١٦١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.

(١٦١٥) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٤.

(١٦١٦) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٤.

(١٦١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.

(١٦١٨) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٩٩/٥.

(١٦١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٤.

الرابع : فتحت وسيرت كما سيرت الجبال ، قاله السدي[١٦٢٠].
الخامس: يعني: أوقدت فانقلبت ناراً، قاله عكرمة[١٦٢١]، ومجاهد[١٦٢٢]، وشمر بن عطية[١٦٢٣]، ووهب بن منبه[١٦٢٤].

قال مجاهد:" يقول: أوقدت"[١٦٢٥].

قال أبيّ بن كعب:" قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار، فإذا هي تأجج نارا"[١٦٢٦].

عن شمر بن عطية، قوله: "{وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}، قال: بمنزلة التنور المسجور {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}، مثله"[١٦٢٧].

عن بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخٌ صَالِح يُشبهُ مالكَ بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال : "إن هذا البحر بركة - يعني بحر الرُّوم - وسط الأرض، والأنهار كلها تصب فيه، والبحر الكبير يصب فيه، وأسفله آبار مطبقة بالنحاس، فإذا كان يوم القيامة أسجر"[١٦٢٨].

وفي سنن أبي داود : "لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز، فإن تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا" الحديث[١٦٢٩].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: مُلئت حتى فاضت، فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر، فقال: " وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ " والعرب تقول للنهر أو للرَّكيّ المملوء: ماء مسجور؛ ومنه قول لبيد[١٦٣٠]:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاورًا قُلامُها

ويعني بالمسجورة: المملوءة ماء"[١٦٣١].

وقال العلاء بن بدر: "إنما سمي: البحر المسجور، لأنه لا يشرب منه ماء، ولا يسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة"[١٦٣٢].

قوله تعالى:{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير: ٧]، أي:" وإذا النفوس قُرنت بأمثالها ونظائرها"[١٦٣٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير: ٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أُلحِقَ كلُّ إنسان بشكله، وقُرِنَ بين الضُّرَباءِ والأمثال. وهذا قول الحسن[١٦٣٤]، ومجاهد[١٦٣٥]، وقتادة[١٦٣٦]، والربيع بن خثيم[١٦٣٧].

(١٦٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٤٩):١٠/٣٤٠٤، والنكت والعيون: ٦/٢١٣.
(١٦٢١) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(١٦٢٢) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(١٦٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٤٢.
(١٦٢٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٠٣):ص٣/٣٩٥.
(١٦٢٥) تفسير مجاهد: ٧٠٧.
(١٦٢٦) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٤٢.
(١٦٢٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٤٢.
(١٦٢٨) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٨/٣٣١. قال ابن كثير:"هذا أثر غريب عجيب".
(١٦٢٩)سنن أبي داود برقم (٢٤٨٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(١٦٣٠)في ديوانه ٣٠٧، وشرح القصائد العشر للتبريزي ص ١٧٦. وسبق تخريجه في كلام النحاس ضمن القول الثالث.
(١٦٣١) تفسير الطبري: ٢٤/٢٤٣-٢٤٤.
(١٦٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٧٩):ص١٠/٣٣١٥.
(١٦٣٣) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٦٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٤٥.
(١٦٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٤٥.
(١٦٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٤٥.

قال الحسن:" ألحق كلّ امرئ بشيعته"[١٦٣٨].
قال قتادة:" لحق كلُّ إنسان بشيعته، اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى"[١٦٣٩].
قال مجاهد:" الأمثال من الناس جُمِع بينهم"[١٦٤٠].
قال الربيع بن خثيم:" يحشر المرء مع صاحب عمله"[١٦٤١]. وفي لفظ:" يجيء المرء مع صاحب عمله"[١٦٤٢].

عن سماك، عن النعمان بن بشير، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، والنعمان عن عمرو قال: "{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}، قال: الضرباء كلّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، وذلك أن الله يقول: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}، قال: هم الضرباء"[١٦٤٣].

قال عمر-رضي الله عنه-:" ألحِقَ كلُّ إنسان بشكله، وقُرِنَ بين الضُّرَباءِ والأمثال"[١٦٤٤]. وفي لفظ:" هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ}، قال: ضرباءَهم"[١٦٤٥].

قال النعمان بن بشير: "سمعت عمر بن الخطاب وهو يخطب، قال: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}، ثم قال: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}، قال: أزواج في الجنة، وأزواج في النار"[١٦٤٦].

الثاني: أن الأرواح ردّت إلى الأجساد فزوّجت بها، أي: جعلت لها زوجا. قاله أبو العالية[١٦٤٧]، وعكرمة[١٦٤٨]، وسعيد بن جبير[١٦٤٩]، والشعبي[١٦٥٠]، والحسن البصري[١٦٥١].

قال عكرمة:" الأرواح ترجع إلى الأجساد"[١٦٥٢]. وفي لفظ:" ردّت الأرواح في الأجساد"[١٦٥٣].
قال الشعبيّ:" زوّجت الأجساد فردّت الأرواح في الأجساد"[١٦٥٤].

روي عن أبي العالية في قوله: "{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، قال: سيأتي أوّلها والناس ينظرون، وسيأتي آخرها إذا النفوس زوّجت"[١٦٥٥].

الثالث: زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين. قاله عطاء[١٦٥٦].

(١٦٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(١٦٣٨) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(١٦٣٩) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(١٦٤٠) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(١٦٤١) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(١٦٤٢) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٤.
(١٦٤٣) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.
(١٦٤٤) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.
(١٦٤٥) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.
(١٦٤٦) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٤.
(١٦٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٦٤٨) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٦٤٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٨.
(١٦٥٠) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٦٥١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٨.
(١٦٥٢) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٦٥٣) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٦٥٤) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٦٥٥) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.
(١٦٥٦) انظر: زاد المسير: ٤٠٦/٤.

والظاهر أن الأمثال والأشكال في الخير والشرّ، وكذلك قوله: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} بالقرناء والأمثال في الخير والشرّ-والله أعلم-[١٦٥٧].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨]، أي:" وإذا الطفلة المدفونة حية سُئلت يوم القيامة سؤالَ تطييب لها وتبكيت لوائدها: بأيِّ ذنب كان دفنها؟"[١٦٥٨].

عن مسلم، في قوله: "«وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سألَتْ»، قال: طلبت بدمائها"[١٦٥٩].

قال أبو الضحى :"«وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سألَتْ»: سألت قَتَلَتها"[١٦٦٠].

قال الحسن:" {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} أراد الله أن يُوَبِّخ قاتلها؛ لأنها قُتلتْ بغير ذنب"[١٦٦١].

عن قتادة: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ}، هي في بعض القراءات: «سألَتْ بِأيّ ذَنْب قُتلَتْ»، لا بذنب، كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاب الله ذلك عليهم"[١٦٦٢].

قال الربيع بن خقيم:" كانت العرب من أفعل الناس لذلك"[١٦٦٣].

عن قتادة، قال: "جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية، قال:«فأعْتِقْ عَنْ كُلّ وَاحِدَةٍ بَدَنَةً»"[١٦٦٤].

عن عائشة، عن جُدَامة بنت وهب - أخت عكاشة – قالت:" حضرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول : " لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يُغيلُونَ أولادهم، ولا يضر أولادهم ذلك شيئا". ثم سألوه عن العزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ذلك الوأد الخفي، وهو الموءودة سئلت"[١٦٦٥].

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الوائدة والموءودة في النار"[١٦٦٦].

عن حسناء ابنة معاوية الصُّرَيمية، عن عمها قال : قلت : يا رسول الله، من في الجنة ؟ قال : "النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة"[١٦٦٧].

قوله تعالى:{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير: ١٠]، أي:" وإذا صحف الأعمال عُرضت"[١٦٦٨].

قال قتادة:" صحيفتك يا ابن آدم تملى ما فيها، ثم تُطوى، ثم تُنشر عليك يوم القيامة"[١٦٦٩].

قوله تعالى:{وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ} [التكوير: ١١]، أي:" وإذا السماء قُلعت وأزيلت من مكانه"[١٦٧٠].

قال الضحاك:" يعني: ذهبت "[١٦٧١].

وقال السدي: "كسفت"[١٦٧٢].

(١٦٥٧) تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٤.

(١٦٥٨) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٦٥٩) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.

(١٦٦٠) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٤.

(١٦٦١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٩ -.

(١٦٦٢) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٤.

(١٦٦٣) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٤.

(١٦٦٤) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٤.

(١٦٦٥)المسند (٤٣٤/٦)، وصحيح مسلم برقم (١٤٤٢)، وسنن ابن ماجة برقم (٢٠١١).

(١٦٦٦) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٣٤/٨، و ورواه أبو داود في السنن برقم (٤٧١٧) من طريق أبي إسحاق، عن عامر، عن علقمة، عن ابن مسعود به، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٤/١٠) من طريق أبي إسحاق، عن الشعبي عن علقمة، عن ابن مسعود، به.

(١٦٦٧)المسند (٥٨/٥).

(١٦٦٨) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٦٦٩) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٤.

(١٦٧٠) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٦٧١) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦. ولم اقف على مصادر الأقوال.

قراءة عبد الله: «قشطت» بالقاف، وهما لغتان[١٦٧٣].
قوله تعالى:{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} [التكوير: ١٢]، أي:" وإذا النار أوقدت فأضرمت"[١٦٧٤].
وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ} [التكوير: ١٢]، ثلاثة وجوه:
أحدها : أحميت ، قاله السدي[١٦٧٥].
الثاني : أُوقدت، قاله معمر عن قتادة[١٦٧٦]، والربيع بن خُثَيْم[١٦٧٧].
الثالث : سعّرها غضب الله وخطايا بني آدم ، قاله سعيد عن قتادة[١٦٧٨].
قوله تعالى:{وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ} [التكوير: ١٣]، أي:" وإذا الجنة دار النعيم قُرِّبت من أهلها المتقين"[١٦٧٩].
عن قتادة: "{وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}، قال: قربت"[١٦٨٠].
عن الربيع بن خُثَيْم: "{وإذا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}، قال: قُرِّبتْ، إلى هنا انتهى الحديث، فريق في الجنة وفريق في السعير"[١٦٨١].
قوله تعالى:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} [التكوير: ١٤]، أي:" إذا وقع ذلك، تيقنتْ ووجدتْ كلُّ نفس ما قدَّمت من خير أو شر"[١٦٨٢].
عن قتادة: "{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} : من عمل"[١٦٨٣].
قال عمر بن الخطاب : «لهذا جرى الحديث»[١٦٨٤].
وقال الحسن : "{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير : ١] قسم وقع على قوله: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} [التكوير : ١٤]"[١٦٨٥].
علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، أن عمر - رضي الله عنه - كان يقرأ في خطبته يوم الجمعة: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، حتى يبلغ: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ}، ثم يقطع السورة، الحديث"[١٦٨٦].

القرآن
{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)} [التكوير: ١٥-٢١]
التفسير:

(١٦٧٢) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦. ولم اقف على مصادر الأقوال.
(١٦٧٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٤١/٣.
(١٦٧٤) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٦٧٥) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦.
(١٦٧٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥١٠):ص٣٩٧/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٤٤):ص٣٤٠٣/١٠.
(١٦٧٧)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٦٧٨) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٦.
(١٦٧٩) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٦٨٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣٥١٠):ص٣٩٧/٣.
(١٦٨١)أخرجه ابن جرير ٢٤/ ٢٥٠. كما أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥٠ - ٣٥١ من طريق سفيان، عن أبيه، عن الربيع. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٦٨٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٦٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٤٤):ص٣٤٠٣/١٠.
(١٦٨٤) أخرج ابن أبي حاتم(١٩١٥٠):ص٣٤٠٤/١٠ من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت: {إذا الشمس كورت}، قال عمر: لما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال: لهذا أجري الحديث".
(١٦٨٥) انظر: النكت والعيون: ٢١٥/٦.
(١٦٨٦) رواه الشافعي في "التفسير": ١٤٢٤/٣.

أقسم الله تعالى بالنجوم المختفية أنوارها نهارًا، الجارية والمستترة في أبراجها، والليل إذا أقبل بظلامه، والصبح إذا ظهر ضياؤه، إن القرآن لتبليغ رسول كريم -هو جبريل عليه السلام-، ذِي قوة في تنفيذ ما يؤمر به، صاحبِ مكانة رفيعة عند الله، تطيعه الملائكة، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به.

قوله تعالى:{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ} [التكوير: ١٥-١٦]، أي:" فأقسم بالنجوم المختفية أنوارها نهارًا، الجارية والمستترة في أبراجها"[١٦٨٧].

وفي تفسير قوله تعالى :{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ} [التكوير: ١٥-١٦]، أقوال:

أحدها : أنها النجوم على الإطلاق، قاله الحسن[١٦٨٨]، ومجاهد[١٦٨٩]، وقتادة[١٦٩٠]، وبكر بن عبد الله المزني[١٦٩١]، والسدي[١٦٩٢].

قال مجاهد:" هي النجوم"[١٦٩٣].

قال قتادة:" هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار"[١٦٩٤].

قال الحسن:" هي النجوم تخنس بالنهار، و{الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}: سيرهنّ إذا غبن"[١٦٩٥].

عن بكر بن عبد الله المزني:" لأنها لا تستقبل الشمس"[١٦٩٦].

الثاني : أن «الخنس»: بقر الوحش، قاله عمر بن شرحبيل[١٦٩٧]، وسعيد بن جبير[١٦٩٨]، وجابر بن زيد[١٦٩٩]، وإبراهيم النخعي[١٧٠٠].

عن عمرو ابن شرحبيل، قال: "قال ابن مسعود: يا عمرو ما الجواري الكنس، أو ما تراها؟ قال عمرو: أراها البقر، قال عبد الله: وأنا أراها البقر"[١٧٠١].

عن إبراهيم، قوله: "{الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}، قال: هي بقر الوحش"[١٧٠٢].

عن الحجاج بن المنذر، قال: سألت أبا الشَعثاء جابر بن زيد عن {الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}، قال: هي البقر إذا كَنَست كوانسها"[١٧٠٣]. قال ابن وهب: "يريد بالكنس إذا انفرت من الذباب"[١٧٠٤].

عن مغيرة، قال: "سُئل مجاهد ونحن عند إبراهيم، عن قوله: {الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}، قال: لا أدري، فانتهره إبراهيم وقال: لِمَ لا تدري؟ فقال: إنهم يروُون عن عليّ رضي الله عنه: وكنا نسمع أنها البقر،

(١٦٨٧) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٦٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٦٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٥١/٢٤.

(١٦٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٦٩١) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠١/٥.

(١٦٩٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٨.

(١٦٩٣) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٤.

(١٦٩٤) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٦٩٥) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٦٩٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٦/٦.

(١٦٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٠٨.

عمرو بن شرحبيل: الهمداني أبو ميسرة الكوفي، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من العبّاد وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة، وقال في التقريب: ثقة عابد مخضرم، مات سنة ثلاث وستين. (التهذيب ٨/ ٤٧ - التقريب ٢/ ٧٢)

(١٦٩٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٨.

(١٦٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٠١/٥. وحكي ابن كثير عنه:" هي الظباء والبقر". [تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٨]

(١٧٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٠١/٥.

(١٧٠١) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤.

(١٧٠٢) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣.

(١٧٠٣) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٤-٢٥٣، وانظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٦٠):ص٨٥/٢.

(١٧٠٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٦٠):ص٨٥/٢.

فقال إبراهيم: هي البقر، الجواري الكنس: حِجَرة بقر الوحش التي تأوي إليها، والخنس الجوارى: البقر"[١٧٠٥].

عن المغيرة، قال: سُئل مجاهد عن الجواري الكنس قال: لا أدري يزعمون أنها البقر؛ قال: فقال إبراهيم: ما لا تدري هي البقر، قال: يذكرون عن عليّ رضي الله عنه أنها النجوم، قال: يكذبون على عليّ عليه السلام"[١٧٠٦].

عن مغيرة، عن إبراهيم ومجاهد:" أنهما تذاكرا هذه الآية: {فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ}، فقال إبراهيم لمجاهد: قل فيها ما سمعت، قال: فقال مجاهد: كنا نسمع فيها شيئا، وناس يقولون: إنها النجوم، قال: فقال إبراهيم: إنهم يكذبون على عليّ رضي الله عنه، هذا كما رَوَوْا عن علي رضي الله عنه، أنه ضمَّن الأسفل الأعلى، والأعلى الأسفل"[١٧٠٧].

الثالث : أنها الظباء، به قال سعيد بن جبير[١٧٠٨]، والضحاك[١٧٠٩]، ومنه قول أوس بن حَجَر[١٧١٠]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أنزلَ مُزْنَةً ... وعُفْرُ الظِّباءِ في الكِناسِ تَقَمَّعُ

أولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحيانا: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى، وكنوسها: أن تأوي في مكانسها، والمكانس عند العرب: هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء، واحدها: مَكْنِس وكناس.. وغير مُنكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يُعَمّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحيانا والجري أخرى، والكنوس بآنات على ما وصف جلّ ثناؤه من صفتها[١٧١١].

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} [التكوير: ١٧]، أي:" والليل إذا أقبل بظلامه"[١٧١٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} [التكوير: ١٧]، وجوه:

أحدها : أي: أظلم ، قاله الحسن[١٧١٣]، وعطية[١٧١٤] ، قال الشاعر[١٧١٥]:

حتى إذ ما لَيْلُهُنَّ عَسْعَسا ... رَكِبْنَ مِن حَدِّ الظَّلامِ حِنْدِساً

عن الحسن:" {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: إذا غَشِيَ الناسَ"[١٧١٦].

عن عطية:" {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: أشار بيده إلى المغرب"[١٧١٧].

الثاني : إذا أدبر، قاله مجاهد[١٧١٨]، وقتادة[١٧١٩]، والضحاك[١٧٢٠]، زيد بن أسلم[١٧٢١].

(١٧٠٥) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٤.

(١٧٠٦) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٤.

(١٧٠٧) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٤.

(١٧٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٣/٢٤-٢٥٤.

(١٧٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٤.

(١٧١٠)البيت لأوس بن حجر في تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٤، ولكشف والبيان: ١٤١/١٠، والنكت والعيون: ٢١٧/٦، وبلا نسبة في تفسير القرطبي: ٢٢١/١٧، واللباب: ٤٢٤/١٨.

وتقمع: تحرك رءوسها لتطرد القمعة وهى ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب.

(١٧١١) تفسير الطبري: ٢٥٤/٢٤-٢٥٥.

(١٧١٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٧١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٤.

(١٧١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٤-٢٥٧.

(١٧١٥) بلا عزو في النكت والعيون: ٢١٧/٦، وباهر البرهان: ١٦٣٧/٣، وتفسير القرطبي: ٢٣٩/١٩.

(١٧١٦) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٤.

(١٧١٧) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٤-٢٥٧.

(١٧١٨) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٨.

(١٧١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٥١٦)ً٣٩٨/٣.

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: إذا ذهب"[١٧٢٢].
الثالث : إذا أقبل، قاله مجاهد[١٧٢٣].
عن مجاهد: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال: إقباله، ويقال: إدباره"[١٧٢٤].
والصواب قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}، فدلّ بذلك على أن القسم بالليل مدبرًا، وبالنهار مقبلا والعرب تقول: عسعس الليل، وسَعْسَع الليل: إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير؛ ومن ذلك قول رُؤْبة بن العجاج[١٧٢٥]:
يا هِنْدُ ما أسْرَعَ ما تَسَعْسَعا ... وَلَوْ رَجا تَبْعَ الصِّبا تَتَبَّعا
فهذه لغة من قال: سعسع؛ وأما لغة من قال: عسعس، فقول علقمة بن قُرْط[١٧٢٦]:
حتى إذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسا ... وانْجابَ عَنْها لَيْلُها وَعَسْعَسا
يعني: أدبر"[١٧٢٧].
عن عمرو بن حريث قال: "سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ في الصبح: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}، قال الشَّافِعِي رحمه الله: يعني: يقرأ في الصبح: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}"[١٧٢٨].
قوله تعالى:{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [التكوير: ١٨]، أي:" والصبح إذا ظهر ضياؤه"[١٧٢٩].
عن قتادة: "{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}: إذا أضاء وأقبل"[١٧٣٠].
عن سعيد بن جبير: "{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}، قال: إذا نشأ"[١٧٣١].
عن عمرو بن حُرَيث قال : "صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح، فسمعته يقرأ :{فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}"[١٧٣٢].
قوله تعالى:{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} [التكوير: ١٩]، أي:" إن القرآن لتبليغ رسول كريم -هو جبريل عليه السلام-"[١٧٣٣].
عن قتادة:" {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}، قال: يعني: جبريل"[١٧٣٤]. وروي عن الحسن[١٧٣٥]، والضحاك[١٧٣٦]، وأبي صالح[١٧٣٧]، مثل ذلك.

(١٧٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٤.
(١٧٢١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١٦/١.
(١٧٢٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١٦/١.
(١٧٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٦/٢٤.
(١٧٢٤) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٤.
(١٧٢٥)الرجز لرؤبة بن العجاج ديوانه: (٨٨)، انظر: اللسان والتاج (سعع).
(١٧٢٦)البيت لعلقمة بن قرط في ديوانه ص ٢٨، والمحتسب ١/ ١٥٧، تفسير البحر المحيط: ٨/ ٤٢٢.
وفي الأضداد لقطرب: ٢٦٦، قيل: حُرَّف الاسم فيه إلى علقمة. والبيت لعلقة في الأضداد لأبي الطيب ٤٩١. وعلقة راجز إسلامي (الاشتقاق ١٨٦) . وحُرَّف إلى علقمة أيضاً في الأضداد لابن الأنباري ٣٣.
وهو منسوب للعجاج في شواهد الكشاف: ١٥٧.
(١٧٢٧) تفسير الطبري: ٢٥٧/٢٤.
(١٧٢٨) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٢٥/٣.
(١٧٢٩) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٧٣٠) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(١٧٣١) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(١٧٣٢)صحيح مسلم برقم (٤٥٦)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٥١).
(١٧٣٣) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٧٣٤) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٤.
(١٧٣٥) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٦.
(١٧٣٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٦.
(١٧٣٧)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٠٠). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قوله تعالى:{ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ(٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} [التكوير: ٢٠]، أي:" ذِي قوة في تنفيذ ما يؤمر به، صاحبِ مكانة رفيعة عند الله، تطيعه الملائكة، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به"(١٧٣٨).

عن أبي صالح: "{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}، قال: جبريل عليه السلام، أمين على أن يدخل سبعين سرادقا من نور بغير إذن"(١٧٣٩). وفي رواية:" أمين على سبعين حجابًا يدخلها بغير إذن"(١٧٤٠).

قال ميمون بن مِهْران في قوله: "{مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}، قال: ذاكم جبريل -عليه السلام"(١٧٤١).

عن قتادة قوله: "{ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ}، مطاع عند الله، {ثَمَّ أَمِينٍ}"(١٧٤٢).

قال قتادة :"{مُطَاعٍ ثَمَّ}، أي : في السموات"(١٧٤٣). يعني : "ليس هو من أفناد الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، مُعتَنى به، انتخب لهذه الرسالة العظيمة"(١٧٤٤).

قال الضحاك: {مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} " يعني: جبريل عليه السلام"(١٧٤٥).

قال الحسن :"أمر الله أهل السماء بطاعة جبريل، كما أمر أهل الأرض أن يطيعوا محمدا"(١٧٤٦).

القرآن

{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥)} [التكوير: ٢٢-٢٥]

التفسير:

وما محمد الذي تعرفونه بمجنون، ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل الذي يأتيه بالرسالة على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها في الأفق العظيم من ناحية المشرق بـ «مكة» ، وهي الرؤية الأولى الواقعة بـ «غار حراء» . وما محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل في تبليغ الوحي. وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله ووحيه.

قوله تعالى:{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} [التكوير: ٢٢]، أي:" وما محمد الذي تعرفونه بمجنون"(١٧٤٧).

عن أبي صالح:" {وما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}، قال: محمد - صلى الله عليه وسلم –"(١٧٤٨).

قال ميمون بن مهران: "{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}، قال: ذاكم محمد صلى الله عليه وسلم"(١٧٤٩).

قوله تعالى:{وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣]، أي:" ولقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل الذي يأتيه بالرسالة على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها في الأفق العظيم من ناحية المشرق بـ «مكة» ، وهي الرؤية الأولى الواقعة بـ «غار حراء»"(١٧٥٠).

وفي الذي رآه قولان :

أحدهما : أنه رأى ربه بالأفق المبين(١٧٥١)، قاله الحسن(١٧٥٢).

(١٧٣٨) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٧٣٩) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.

(١٧٤٠) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٠٠). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٧٤١) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.

(١٧٤٢) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.

(١٧٤٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.

(١٧٤٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.

(١٧٤٥) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.

(١٧٤٦) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ١٠١/٥.

(١٧٤٧) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٧٤٨)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٠٠). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٧٤٩) أخرجه الطبري: ٢٥٩/٢٤.

(١٧٥٠) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٧٥١)قال الماتريدي:" أي: عظمته وسلطانه من وجه لا يقع به تشابه، وخص بالأفق؛ لأنه من الأفق تنزل البركات وتنزل

عن عباد بن منصور قال: "سألت عكرمة: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم : ١١]، فقال: عكرمة: تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم، قال: قد رآه، ثم قد رآه. قال: فسألت عنه الحسن، فقال: رأى جلاله وعظمته ورداءه"[١٧٥٣].

وروي عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: قلنا يا نبيّ الله: هل رأيت ربك؟ قال: "لَمْ أرَهُ بعَيْني، ورأيتُهُ بفُؤَادي مَرَّتَيْن"، ثم تلا :{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى}"[١٧٥٤].

عن أبي ذر قال: "رآه بقلبه، ولم يره بعينه"[١٧٥٥].

عن عطاء، عن ابن عباس، قال: «رآه بقلبه»[١٧٥٦].

قال ابن كثير:" ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة، رضي الله عنهم، وقولُ البغوي في تفسيره : «وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس[١٧٥٧]، والحسنُ[١٧٥٨]، وعكرمة[١٧٥٩]»[١٧٦٠]. فيه نظر، والله أعلم"[١٧٦١].

الثاني : رأى جبريل بالأفق المبين على صورته التي هو عليها. قاله مجاهد[١٧٦٢]، وقتادة[١٧٦٣]، وعامر[١٧٦٤]، وأبو الأحوص[١٧٦٥].

قلت: والذي عليه جمهور المفسرين، ورجحه الطبري[١٧٦٦]، وابن عطية[١٧٦٧]، وابن كثير[١٧٦٨] أن الذي رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- هو جبريل، فقد "أجمع المفسرون على أن قوله: {وَما صاحِبُكُم}، يراد به محمد صلى الله عليه وسلم، والضمير في {رَآهُ}: جبريل عليه السلام، وهذه الرؤية التي كانت بعد أمر غار حراء حين رآه على كرسي بين السماء والأرض. وقيل هذه الرؤيا التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء، وسمى ذلك الموضع أفقا مجازا، وقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية ثانية بالمدينة، وليست هذه، ووصف الأفق ب الْمُبِينِ، لأنه كان بالشرق من حيث تطلع الشمس"[١٧٦٩].

عن إسحاق بن أبي الكَهْتَلَة- أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود-:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين، أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسد الأفق. وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله :{وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى}"[١٧٧٠].

الملائكة وأنواع الخير كلها، والمراد من ذلك الأماكن كلها". [تأويلات أهل السنة: ٤٣٧/١٠-٤٣٨].

(١٧٥٢) انظر: تأويلات أهل السنة: ٤٣٧/١٠.

(١٧٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٧):ص٣٣١٨/١٠-٣٣١٩.

(١٧٥٤) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٢.

(١٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٩٩):ص٣٣١٩/١٠.

(١٧٥٦) صحيح مسلم(١٧٦):ص١٥٨/١.

(١٧٥٧) انظر: تفسير البغوي: ٤٠٣/٧.

(١٧٥٨) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٤٠/٩.

(١٧٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٢.

(١٧٦٠)انظر: تفسير البغوي :٤٠٣/٧.

(١٧٦١) تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٧.

(١٧٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٠٩.

(١٧٦٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٠):ص٣٩٩/٣.

(١٧٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٤.

(١٧٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٠/٢٤.

(١٧٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢٤-٢٦٠.

(١٧٦٧) انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٤/٥.

(١٧٦٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨.

(١٧٦٩) المحرر الوجيز: ٤٤٤/٥.

(١٧٧٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٧.

عن مسروق، عن عائشة، أن عائشة قالت: يا أبا عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله; قال: وكنت متكئا، فجلست، فقلت: يا أمّ المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، أرأيت قول الله: {وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخْرَى، وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِين}، قال: إنما هو جبريل رآه مرّة على خلقه وصورته التي خلق عليها، ورآه مرة أخرى حين هبط من السماء إلى الأرض سادّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض، قالت: أنا أوّل من سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، قال "هو جبريل عليه السلام"[١٧٧١].

عن ابن مسعود: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِين}، قال: "رأى جبريل له خمسمائة جناح، قد سد الأفق"[١٧٧٢].

قال ابن مسعود:" رأى جبريل في وبر رجليه كالدرّ، مثل القطر على البقل"[١٧٧٣].

عن مجاهد: "{بِالأُفُقِ الْمُبِين}: الأعلى. قال: بالأفق من نحو:«أجياد»[١٧٧٤]"[١٧٧٥].

قال مجاهد:" رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه ثياب خضر قد سد الأفق"[١٧٧٦].

قال قتادة:" أي: جبريل له خمسمائة جناح، قد سد الأفق"[١٧٧٧].

قال قتادة:" كنا نحدَّث أن الأفق حيث تطلع الشمس"[١٧٧٨].

قال قتادة:" كنا نحدَّث أنه الأفق الذي يجيء منه النهار"[١٧٧٩].

قال أبو الأحوص: "رأى جبريل له ستّ مئة جناح في صورته"[١٧٨٠].

عن عامر، قال: "ما رأى جبريل النبيّ صلى الله عليه وسلم في صورته إلا مرّة واحدة، وكان يأتيه في صورة رجل يقال له: دَحْية، فأتاه يوم رآه في صورته قد سدّ الأفق كله، عليه سندس أخضر معلق الدّر، فذلك قول الله: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِين}، وذُكر أن هذه الآية في «إذا الشمس كوّرت»: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} في جبريل، إلى قوله: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}، يعني: النبيّ صلى الله عليه وسلم"[١٧٨١].

قوله تعالى:{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤]، أي:" وما محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل في تبليغ الوحي"[١٧٨٢].

عن عامر: "{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}، يعني: النبيّ صلى الله عليه وسلم"[١٧٨٣].

وفي قوله تعالى:{بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤]، وجهان من القراءة:

القراءة الأولى: (بظنين) بـ«الظاء»، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي [١٧٨٤]، والمعنى: وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه. قاله سعيد بن جبير[١٧٨٥]، والضحاك[١٧٨٦]، وإبراهيم[١٧٨٧].

(١٧٧١) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢.

(١٧٧٢) تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٢):ص٣٩٩/٣.

(١٧٧٣) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٢-٥١٢.

(١٧٧٤)وهو مشرق مكة.

(١٧٧٥) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.

(١٧٧٦) تفسير مجاهد: ٧٠٩.

(١٧٧٧) تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٠):ص٣٩٩/٣.

(١٧٧٨) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.

(١٧٧٩) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.

(١٧٨٠) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.

(١٧٨١) أخرجه الطبري: ٢٦٠/٢٤.

(١٧٨٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٧٨٣) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٧٨٤) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٣، والنكت والعيون: ٢١٩/٦.

وقال سفيان بن عُيَينة : «ظنين» و«ضنين»، سواء، أي : ما هو بكاذب، وما هو بفاجر". [انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٨].

عن ابن الزبير, أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها:«وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ». [تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٤):ص٤٠٠/٣]

عن أبي المعلَّى، عن سعيد بن جُبير:" أنه كان يقرأ هذا الحرف: «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ»، فقلت لسعيد بن جُبير: ما الظنين؟ قال: ليس بمتهم"[١٧٨٨].

عن إبراهيم: «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ»، قال: بمتهم"[١٧٨٩].

عن الضحاك: "{بِظَنِينٍ}، قال: ليس على ما أنزل الله بمتهم"[١٧٩٠].

عن زرّ: «وَما هُوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ» قال: الغَيب: القرآن. وفي قراءتنا «بِظَنِينٍ»: متهم"[١٧٩١].

القراءة الثانية: {بِضَنِينٍ} بـ«الضاد»[١٧٩٢]، والمعنى: وما هو ببخيل أن يعلِّم كما تعلّم. قاله مجاهد[١٧٩٣]، وقتادة[١٧٩٤]، وإبراهيم[١٧٩٥].

عن عاصم، عن زرّ :"{وَما هوَ عَلى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ}، قال: «الظَّنين»: المتهم. وفي قراءتكم: {بِضَنِينٍ} و«الضنين»: البخيل، والغيب: القرآن"[١٧٩٦].

عن إبراهيم: "{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}: ببخيل"[١٧٩٧].

عن مجاهد: "{وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}، قال: ما يضنّ عليكم بما يعلم"[١٧٩٨].

عن الزهري:" {وما هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ}، قال: لا يَضِنُّ بما أُوحي إليه"[١٧٩٩].

قال قتادة:" إن هذا القرآن غيب، فأعطاه الله محمدا، فبذله وعلَّمه ودعا إليه، والله ما ضنّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٨٠٠].

قوله تعالى:{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} [التكوير: ٢٥]، أي:" وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، مطرود من رحمة الله، ولكنه كلام الله ووحيه"[١٨٠١].

قال قتادة:" «الرجيم»، الملعون"[١٨٠٢]. وروي عن ابن جريج مثله[١٨٠٣].

عن عكرمة، قال: "إنما سمي الشيطان لأنه تشيطن"[١٨٠٤].

القرآن

{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)} [التكوير: ٢٦-٢٩]

(١٧٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤-٢٦٢.

(١٧٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٤.

(١٧٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٤.

(١٧٨٨) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤-٢٦٢.

(١٧٨٩) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤.

(١٧٩٠) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤.

(١٧٩١) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤.

(١٧٩٢) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٣، والنكت والعيون: ٢١٩/٦.

(١٧٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٧٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٧٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٧٩٦) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٧٩٧) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٧٩٨) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٧٩٩)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٨٠٠) أخرجه الطبري: ٢٦١/٢٤.

(١٨٠١) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٨٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٧):ص٢٢٥٩/٧.

(١٨٠٣) انظر: تفسير الطبري:٧٨/١٧-٧٩.

(١٨٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٧):ص٨٧/١.

التفسير:
فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟ ما هو إلا موعظة من الله لجميع الناس، لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان، وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين.
سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩]:
سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان بن موسى، قال: "لما نزلت: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير : ٢٨]، قال أبو جهل: ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا،-وفي رواية: وإن شئنا لم نستقم- فنزلت: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير : ٢٩] "[١٨٠٥].[مرسل]
قوله تعالى:{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير: ٢٦]، أي:" فأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بالقرآن بعد هذه الحجج القاطعة؟"[١٨٠٦].
قال قتادة:" يقول: فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي"[١٨٠٧].
قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٧]، أي:" ما هو إلا موعظة من الله لجميع الناس"[١٨٠٨].
عن أبي العالية:" قال الإنس عالم والجن عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض والأرض أربع زوايا ففي كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته تبارك وتعالى"[١٨٠٩].
قوله تعالى:{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: ٢٨]، أي:" لمن شاء منكم أن يستقيم على الحق والإيمان"[١٨١٠].
عن مجاهد: "{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}، قال: يتبع الحقّ"[١٨١١].
قوله تعالى:{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩]، أي:" وما تشاؤون الاستقامة، ولا تقدرون على ذلك، إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين"[١٨١٢].
قال جعفر بن جبير بن فرقد: "سمعت رجلا سأل الحسن عن قول الله سبحانه وتعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}، فقال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها"[١٨١٣].
قال وهب بن منبّه: "الكتب التي أنزلها الله سبحانه على الأنبياء بضع وتسعون كتابا، قرأت منها بضعا وثمانين كتابا، فوجدت فيها: «من جعل لنفسه شيئا من المشيئة فقد كفر»"[١٨١٤].
«آخر تفسير سورة (التكوير)، والحمد لله وحده»
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١٨٠٥) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٤، وعزاه في الدر (٦/ ٣٢٢) لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.
وسليمان بن موسى: قال الحافظ في التقريب: صدوق في حديثه بعض لين وخلط قبل موته.
وسعيد بن عبد العزيز: قال الحافظ في التقريب: ثقة ولكنه اختلط في آخر عمره.
(١٨٠٦) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٨٠٧) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٤-٢٦٣.
(١٨٠٨) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٨٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٣١):ص٢٢٠٧/٧.
(١٨١٠) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٨١١) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٤.
(١٨١٢) التفسير الميسر: ٥٨٦.
(١٨١٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٤/١٠.
(١٨١٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٤/١٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الانفطار»

«سورة الانفطار»: هي السورة الثانية والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النازعات»، وآياتها تسع عشرة. وكلماتها مائة. وحروفها ثلاثمائة وتسع عشرة. فواصل آياته (مكنه) . على الهاء آخر السورة[١٨١٥].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: " نزلت {إذا السماء انفطرت} بمكة"[١٨١٦]. وروي عن ابن الزبير[١٨١٧] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع"[١٨١٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[١٨١٩].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[١٨٢٠].

(١٨١٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٥/١.

(١٨١٦) انظر: الدر المنثور: ٤٣٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(١٨١٧) انظر: الدر المنثور: ٤٢٥/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٨١٨) المحرر الوجيز: ٤٤٦/٥.

(١٨١٩) زاد المسير: ٤١٠/٤.

(١٨٢٠) التحرير والتنوير: ١٦٩/٣٠.

القرآن
{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)} [الانفطار : ١-٥]
التفسير:
إذا السماء انشقت، واختلَّ نظامها، وإذا الكواكب تساقطت، وإذا البحار فجَّر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها، وإذا القبور قُلِبت ببعث مَن كان فيها، حينئذ تعلم كلُّ نفس جميع أعمالها، ما تقدَّم منها، وما تأخر، وجوزيت بها.
قوله تعالى:{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، أي:" إذا السماء انشقت، واختلَّ نظامها"[١٨٢١].
عن السدي:" {إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ}، قال: انشقّتْ"[١٨٢٢].
قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} [الانفطار : ٣]، أي:" وإذا البحار فجَّر الله بعضها في بعض، فذهب ماؤها"[١٨٢٣].
وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} [الانفطار : ٣]، وجوه من التفسير:
أحدها : ذهب ماؤها ويبست. قاله الحسن[١٨٢٤].
قال الحسن:" فجر بعضها في بعض فذهب بعضها"[١٨٢٥].
الثاني : فاضت. رواه منذر الثوري عن الربيع بن خثيم[١٨٢٦].
الثالث: فُجِّر عذبها في مالحها، ومالحها في عذبها، قاله قتادة[١٨٢٧].
قوله تعالى:{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} [الانفطار : ٤]، أي:" وإذا القبور قُلِبت ببعث مَن كان فيها"[١٨٢٨].
عن السدي:" حركت للبعث"[١٨٢٩]. أي: القبور.
وعن السدي –أيضا-: ""تُبَعثر : تُحرّك فيخرج من فيها"[١٨٣٠].
قوله تعالى:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥]، أي:"حينئذ تعلم كلُّ نفس جميع أعمالها، ما تقدَّم منها، وما تأخر، وجوزيت بها"[١٨٣١].
وفي قوله تعالى:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها: علمت كلّ نفس ما قدّمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه، وأخرت وراءه من شيء سنَّه فعمل به. قاله القُرَظي[١٨٣٢].
الثاني : ما قدّمت من الفرائض التي أدتها، وما أخَّرت من الفرائض التي ضيعتها. قاله عكرمة[١٨٣٣]، وقتادة[١٨٣٤]..

(١٨٢١) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٨٢٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٨٢٣) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٨٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٥٢٦):ص٤٠٢/٣.
(١٨٢٥) تفسير عبدالرزاق(٣٥٢٦):ص٤٠٢/٣.
(١٨٢٦) انظر: تفسير مجاهد: ٧١٠. وقال الماوردي: ٢٢١/٦:" ويحتمل رابعاً : أي: فاضت". وإنما هو قول الربيع بن خثيم ولعله لم يصله فأفاده على حدّ قوله.
(١٨٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(١٨٢٨) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٨٢٩) انظر: النكت والعيون: ٢٢١/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٤١/٨.
(١٨٣٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨.
(١٨٣١) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٨٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(١٨٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.
(١٨٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٤.

عن عكرمة: "{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ}، قال: ما افترض عليها، {وَأَخَّرَتْ}، قال: مما افترض عليها"[١٨٣٥].

قال قتادة:" ما قدّمت من خير، وأخَّرت من حق الله عليها لم تعمل به"[١٨٣٦].

قال قتادة:" ما قدمت من طاعة الله وما أخرت من حق الله"[١٨٣٧].

الثالث : ما قدّمت من خير أو شرّ، وأخَّرت من خير أو شرّ. وهذا معنى قول إبراهيم التيمي[١٨٣٨].

عن العوّام، عن إبراهيم التيمي، قال: "ذكروا عنده هذه الآية :{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}، قال: أنا مما أخَّرَ الحجاج"[١٨٣٩].

والراجح هو القول الأول، لأن كلّ ما عمل العبد من خير أو شرّ فهو مما قدّمه، وأن ما ضيَّع من حقّ الله عليه وفرّط فيه فلم يعمله، فهو مما قد قدّم من شرّ، وليس ذلك مما أخَّر من العمل، لأن العمل هو ما عمله. فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدّمها، فلذلك قلنا: ما أخر: هو ما سنه من سنة حسنة وسيئة، مما إذا عمل به العامل، كان له مثل أجر العامل بها أو وزره"[١٨٤٠].

قال الفراء:" وهذا جواب : {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]"[١٨٤١]، لأنه خبر. قال ابن كثير:" أي : إذا كان هذا حَصَل هذا"[١٨٤٢].

وجعلها الحسن قَسَماً وقعت على قوله:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار : ٥]، الآية[١٨٤٣].

والأظهر ما عليه الجماعة من أنه خبر وليس بقسم[١٨٤٤].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨)} [الانفطار : ٦-٨]

التفسير:

يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغتَرُّ بربك الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة، أليس هو الذي خلقك فسوَّى خلقك فعَدَلك، وركَّبك لأداء وظائفك، في أيِّ صورة شاءها خلقك؟

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار : ٦]، أي:" يا أيها الإنسان المنكر للبعث، ما الذي جعلك تغتَرُّ بربك الجواد كثير الخير الحقيق بالشكر والطاعة"[١٨٤٥].

وفي المخاطب بقوله قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ} [الانفطار : ٦]، قولان:

أحدهما : أنه إشارة إلى كل كافر. قاله أيفع بن عبد الكلاعي[١٨٤٦].

عن أيفع بن عبد الكلاعي: "أنه قال في قوله: {مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود : ٥٦]، قال: فيأخذ بنواصي عباده، فيلين للمؤمن حتى يكون لهم ألين من الوالد بولده، ويقال للكافر: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار : ٦]"[١٨٤٧].

(١٨٣٥) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.

(١٨٣٦) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.

(١٨٣٧) أخرجه الطبري: ٢٦٨/٢٤.

(١٨٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.

(١٨٣٩) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٤.

(١٨٤٠) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.

(١٨٤١) انظر: معاني القرآن: ٢٣٨/١.

(١٨٤٢) تفسير ابن كثير: ٣٤١/٨.

(١٨٤٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٢١/٦.

(١٨٤٤) النكت والعيون: ٢٢١/٦.

(١٨٤٥) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٨٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٣):ص٢٠٤٧/٦.

الثاني : أنه أبي بن خلف ، قاله عكرمة[١٨٤٨].

وفي الذي غرَّه، قولان :

أحدهما : عدوه الشيطان ، قاله قتادة[١٨٤٩].

عن قتادة: "{مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} شيء ما غرّ ابن آدم هذا العدوّ الشيطان"[١٨٥٠].

الثاني : جهله، وهو قول عمر بن ذر[١٨٥١]، وربيع بن خثيم[١٨٥٢]، ورفعه صالح بن مسمار[١٨٥٣].

روي عن سفيان، قال: "سمع عمر بن ذر، رجلا يقول: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦]، فقال عمر: الجهل"[١٨٥٤].

عن صالح بن مسمار، قال: "بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار: ٦] فقال: «جهله»[١٨٥٥].

عن حماد بن بكر يحكي، عن بعضهم أنه قال: "لو سألني عن هذا ربي، لقلت: غرّني حلمك"[١٨٥٦].

وقال يحيى بن معاذ: " لو أقامني الله سبحانه بين يديه فقال: ما غرّك بي؟ قلت: غرّني بك برّك بي سابقا وآنفا"[١٨٥٧].

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} [الانفطار : ٧]، أي:" أليس هو الذي خلقك فسوَّى خلقك، فجعلك معتدل القامة منتصباً في أحسن الهيئات والأشكال"[١٨٥٨].

قال عطاء: "جعلك قائما معتدلا"[١٨٥٩].

عن ابن المسيب، قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال، قال: «آمنت بالذي خلقك فسواك فعدلك»"[١٨٦٠].

عن عبد الرحمن بن حرملة، قال: "انصرفت مع سعيد بن المسيب من المسجد، فقلنا: هذا الهلال يا أبا محمد، فلما انصرف قال: «آمنت بالذي خلقك فسواك فعدلك» ثم التفت إلي فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال هكذا"[١٨٦١].

عن سعيد بن عبيد ،قال: " رأيت سعيد بن جبير وهو يؤمهم في رمضان يردد هذه الآية: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} [غافر: ٧١]، {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ} [الانفطار: ٧]، يرددها مرتين أو ثلاثا"[١٨٦٢].

(١٨٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٣):ص٢٠٤٧/٦.

(١٨٤٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٧٤):ص٣٤٠٨/١٠. وعزاه لابن منذر.

(١٨٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٤.

(١٨٥٠) انظر: فضائل القرآن، للقاسم بن سلام: ١٥١.

(١٨٥١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأفياء: ١١٢/٥.

(١٨٥٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٣٤٨٦٤):ص١٤٨/٧.

(١٨٥٣) رواه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن": ١٥١.

(١٨٥٤) رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء وطبقات الأفياء": ١١٢/٥.

(١٨٥٥) رواه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن": ١٥١.

(١٨٥٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٦/١٠.

(١٨٥٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٦/١٠، وانظر: زاد المسير: ٤١١/٤، وتفسير البغوي: ٣٥٦/٨.

(١٨٥٨) انظر: التفسير الميسر: ٥٨٧، وصفوة التفاسير: ٥٠٣/٣.

(١٨٥٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٧٤/٦.

(١٨٦٠) جامع معمر بن راشد(٢٠٣٣٩):ص٢٠٧/١١، ومصنف عبدالرزاق الصنعاني(٧٣٥١):ً١٦٨/٤.

(١٨٦١) مصنف ابن أبي شيبة(٩٧٢٨):ً٣٤٢/٢.

(١٨٦٢) مصنف عبدالرزاق الصنعاني(٤١٩٦):ً٤٩١/٢.

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلى الهلال قال: «هلال خير ورشد ويمن ثلاثا الحمد لله الذي خلقك فسواك فعدلك، وجعلك آية للعالمين، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة»[١٨٦٣].

قوله تعالى:{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار : ٨]، أي:" في أيِّ صورة شاءها خلقك؟"[١٨٦٤].

وفي تفسير قوله تعالى:{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار : ٨]، وجهان:

أحدها : في أي صورة من صور الخلق ركبك حتى صرت على صورتك التي أنت عليها أيها الإنسان، لا يشبهك شيء من الحيوان، ولو شاء ركبك في غير صورة الإنسان. وهذا قول عكرمة[١٨٦٥]، وأبي صالح[١٨٦٦]،إسماعيل بن أبي خالد [١٨٦٧].

عن أبي صالح: "{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، قال: خنزيرا أو حمارا"[١٨٦٨]. وفي رواية:" إن شاء حمارًا، وإن شاء خنزيرًا، وإن شاء فرسًا، وإن شاء إنسانًا"[١٨٦٩].

قال إسماعيل بن أبي خالد:" إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار"[١٨٧٠].

قال عكرمة:" إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير"[١٨٧١].

الثاني : ما شاء ركبك من شبه أم أو أب أو خال أو عم ، قاله مجاهد[١٨٧٢].

قال مجاهد:" أي: شبه شاء صورك، شبه الأب أو الأم أو الخال أو العم"[١٨٧٣].

ويدل على صحة هذا ما روى موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه عن جده:" أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال له: " ما وُلِدَ لك؟ " قال: يا رسول الله ما عسَى أن يولد لي، إما غلام، وإما جارية، قال: "فَمَن يُشْبِهُ؟ " قال: يا رسول الله من عسى أن يشبه؟ إما أباه، وإما أمه؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم عندها: "مَهْ، لا تَقُولَنَّ هَكَذَا، إنَّ النُّطْفَةَ إذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ أحْضَرَ اللهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَينَ آدَمَ، أما قَرأتَ هَذِهِ الآيَةَ فِي كتاب الله: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}، قال: سَلَكَكَ"[١٨٧٤].

وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت ؛ لأن "مُطَهَّر بن الهيثم" قال فيه أبو سعيد بن يونس : كان متروك الحديث. وقال ابن حبان : يُرْوى عن موسى بن علي وغيره ما لا يُشبهُ حَديثَ الأثبات. ولكن في الصحيحين عن أبي هُرَيرة:«أن رَجُلا قال : يا رسول الله، إن امرأتي وَلَدت غُلامًا أسودَ ؟. قال : "هل لك من إبل ؟". قال : نعم. قال : "فما ألوانها ؟" قال : حُمر. قال : "فهل فيها من أورَق ؟" قال : نعم. قال : "فأنى أتاها ذلك ؟" قال : عسى أن يكون نزعة عِرْق. قال : "وهذا عسى أن يكون نزعة عرق»[١٨٧٥][١٨٧٦].

(١٨٦٣) الدعاء للطبراني(٩٠٧):ص٢٨٣.
(١٨٦٤) التفسير الميسر: ٥٨٧.
(١٨٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٦٨) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٦٩) أخرجه الرامهرمزي في "الأمثال": ص ٩٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٨٧٠) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٧١) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٧٣) تفسير مجاهد: ٧١٠، وتفسير الطبري: ٢٧٠/٢٤.
(١٨٧٤) أخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩١٧٦):ص٣٤٠٨/١٠.
(١٨٧٥)صحيح البخاري برقم (٥٣٠٥) وصحيح مسلم برقم (١٥٠٠).
(١٨٧٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٣/٨.

القرآن

{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)} [الانفطار : ٩-١٢]

التفسير:

ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله مُحِقون، بل تكذِّبون بيوم الحساب والجزاء. وإن عليكم لملائكة رقباء كراما على الله كاتبين لما وُكِّلوا بإحصائه، لا يفوتهم من أعمالكم شيء، يعلمون ما تفعلون من خير أو شر.

قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ} [الانفطار : ٩]، أي:" ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله مُحِقون، بل تكذِّبون بيوم الحساب والجزاء"[١٨٧٧].

عن مجاهد: "{بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}، قال: بالحساب"[١٨٧٨]. وفي لفظ:" بيوم الحساب"[١٨٧٩].

عن قتادة: "{بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}، قال: يوم شدّة، يوم يدين الله العباد بأعمالهم"[١٨٨٠].

قال عطاء الخراساني:" الدِّين: القضاء"[١٨٨١].

وقرأ جمهور الناس: «تكذبون» بالتاء من فوق، وقرأ الحسن وأبو جعفر: «يكذبون» بالياء[١٨٨٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ} [الانفطار : ١٠-١١]، أي:" وإن عليكم لملائكة رقباء، كراماً على الله، يكتبون أقوالكم وأعمالكم "[١٨٨٣].

عن ابن علية، قال: "قال بعض أصحابنا، عن أيوب[السِّخْتِيانِيّ]]، في قوله: "{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ}، قال: يكتبون ما تقولون وما تَعْنُون"[١٨٨٤].

عن محمد بن كعب القرظي:" {عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِرامًا كاتِبِينَ}، فقال: ما إليك مِن سبيل[١٨٨٥].

عن يعلى بن عبيد، قال: "دخلنا على محمد بن سُوقة، فقال: أحدِّثكم بحديث لعله ينفعكم، فإنه قد نفعني، قال: قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا ابن أخي، إنّ مَن كان قبلكم كان يكره فضول الكلام، ما عدا كتابَ الله تعالى أن تقرأه، أو أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، وأن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابدّ لك منها، أتنكرون أنّ {عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِرامًا كاتِبِينَ}، وأنّ {عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٧ - ١٨]؟! أما يستحيي أحدكم لو نشر صحيفته التي أملى صدرَ نهاره، وأكثر ما فيها ليس مِن أمر دينه، ولا دنياه!"[١٨٨٦].

عن مجاهد، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين : الجنابة والغائط. فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحرم حائط أو ببعيره، أو ليستره أخوه"[١٨٨٧].

(١٨٧٧) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٨٧٨) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.

(١٨٧٩) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.

(١٨٨٠) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.

(١٨٨١)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٩.

(١٨٨٢) انظر: المحرر الوجيز: ٤٤٧/٥.

(١٨٨٣) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٨٨٤) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٤.

(١٨٨٥)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٤٥ (٢٩٥).

(١٨٨٦)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٤٣٨ (٣٦٦١٨).

(١٨٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٤٤/٨.

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله ينهاكم عن التعرِّي، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم، الكرام الكاتبين، الذين لا يُفَارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط، والجنابة، والغسل. فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه، أو بحرم حائط، أو ببعيره"[١٨٨٨].

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما من حافظين يرفعان إلى الله، عز وجل، ما حفظا في يوم، فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفار إلا قال الله تعالى : قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة"[١٨٨٩].

قوله تعالى:{يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار : ١٢]، أي:" يعملون ما يصدر منكم من خير وشر، ويسجلونه في صحائف أعمالكم، لتجازوا به يوم القيامة"[١٨٩٠].

قال الحسن: {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} من الظاهر دون الباطن"[١٨٩١].

عن أبي صخر، قال: "سمعت القرظي يقول في «البرهان» الذي أرى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)} [الانفطار : ١--١٢]، وقول الله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} [يونس : ٦١]، وقول الله: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [الرعد : ٣٣] .قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل القرظي، وزاد آية أخرى رابعة: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا} [الإسراء : ٣٢]"[١٨٩٢].

القرآن

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)} [الانفطار : ١٣]

التفسير:

إن الأتقياء القائمين بحقوق الله وحقوق عباده لفي نعيم.

عن الحسن: " الْأَبْرارَ : هم الذين لا يؤذون الذرّ[١٨٩٣]"[١٨٩٤]

وعن محارب، عن ابن عمر، قال: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما سماهم الله الأبرار، لأنهم بروا الآباء والأبناء"[١٨٩٥].

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم المدني: "ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله؛ فإنّك تعلم ما لك عند الله. قال: فأين أجد في كتاب الله؟ قال: عند قوله: {إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وإِنَّ الفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ}. قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: {قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦]"[١٨٩٦].

القرآن

{وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦)} [الانفطار : ١٤-١٦]

التفسير:

(١٨٨٨) رواه البزاز مسند البزار برقم (٣١٧) "كشف الأستار"، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٨.

(١٨٨٩)رواه البزاز مسند البزار برقم (٣٢٥٢) "كشف الأستار"، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٤٤/٨.

(١٨٩٠) صفوة التفاسير: ٥٠٤/٣.

(١٨٩١) نقلا عن: تفسير ابن فورك: ١٦٩/٣.

(١٨٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٤٨٩):ص٢١٢٥/٧-٢١٢٦.

(١٨٩٣)في الصحاح «الذر»: النمل.

(١٨٩٤)أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٤، وانظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٠٦/٥، والكشاف: ٦٦٧/٤.

(١٨٩٥) رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" ١٩٩/٦١، وكما في تفسير ابن كثير: ٣٤٥/٨.

(١٨٩٦)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٣٤. وينظر: تفسير البغوي ٨/ ٣٥٧.

وإن الفُجَّار الذين قَصَّروا في حقوق الله وحقوق عباده لفي جحيم، يصيبهم لهبها يوم الجزاء، وما هم عن عذاب جهنم بغائبين لا بخروج ولا بموت.

قوله تعالى:{وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار : ١٤]، أي:" وإن الفُجَّار الذين قَصَّروا في حقوق الله وحقوق عباده لفي جحيم"(١٨٩٧).

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"(١٨٩٨).

روي عن الضحاك بن موسى، قال: " مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة، فأقام بها أياما، فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحدا، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا له: أبو حازم. فأرسل إليه، فلما دخل عليه، قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: أبو حازم يا أمير المؤمنين، وأي جفاء رأيت مني؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني، قال: يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك، قال: فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري، فقال: أصاب الشيخ وأخطأت، قال: سليمان يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: «لأنكم أخربتم الآخرة، وعمرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب»، قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غدا على الله؟ قال: «أما المحسن، فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء، فكالآبق يقدم على مولاه»، فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: «اعرض عملك على كتاب الله»، قال: وأي مكان أجده؟ قال: {إن الأبرار لفي نعيم، وإن الفجار لفي جحيم} [الانفطار: ١٤]، قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟ قال: أبو حازم «رحمة الله قريب من المحسنين»، قال له سليمان: يا أبا حازم، فأي عباد الله أكرم؟ قال: «أولو المروءة والنهى»، قال له سليمان: يا أبا حازم، فأي الأعمال أفضل؟ قال أبو حازم: «أداء الفرائض مع اجتناب المحارم»، قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟ قال أبو حازم: «دعاء المحسن إليه للمحسن»، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «للسائل البائس، وجهد المقل ليس فيها من ولا أذى»، قال: فأي القول أعدل؟ قال: «قول الحق عند من تخافه أو ترجوه»، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «رجل عمل بطاعة الله ودل الناس عليها»، قال: فأي المؤمنين أحمق؟ قال: «رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم، فباع آخرته بدنيا غيره»، قال له سليمان: أصبت، فما تقول فيما نحن فيه؟ قال: يا أمير المؤمنين، أو تعفيني؟ قال له سليمان: لا، ولكن نصيحة تلقيها إلي، قال: يا أمير المؤمنين، «إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين، ولا رضا لهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة، فقد ارتحلوا عنها، فلو شعرت ما قالوه، وما قيل لهم؟» فقال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم، قال أبو حازم: «كذبت، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه». قال له سليمان: فكيف لنا أن نصلح؟ قال: «تدعون الصلف، وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية»، قال له سليمان: كيف لنا بالمأخذ به؟ قال أبو حازم: «تأخذه من حله، وتضعه في أهله»، قال له سليمان: هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا، فتصيب منا ونصيب منك؟ قال: «أعوذ بالله»، قال له سليمان: ولم ذاك؟ قال: «أخشى أن أركن إليكم شيئا قليلا، فيذيقني الله ضعف الحياة، وضعف الممات»، قال له سليمان: ارفع إلينا حوائجك؟ قال: «تنجيني من النار، وتدخلني الجنة»، قال سليمان: ليس ذاك إلي، قال أبو حازم: «فما لي إليك حاجة غيرها»، قال: فادع لي، قال أبو حازم: «اللهم إن كان سليمان وليك، فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك، فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى»، قال له سليمان: قط، قال أبو حازم: «قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله، وإن لم تكن من أهله فما ينفعني أن أرمي عن قوس ليس لها وتر؟» قال له سليمان: أوصني. قال: " سأوصيك وأوجز: عظم ربك ونزهه، أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك ". فلما خرج من عنده، بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه: أن أنفقها ولك عندي مثلها كثير.

(١٨٩٧) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٨٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص٦/١٨٩٤.

قال: فردها عليه وكتب إليه: «يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلا، أو ردي عليك بذلا، وما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي؟»[١٨٩٩].

قوله تعالى:{يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ} [الانفطار : ١٥]، أي:" يصيبهم لهبها يوم الجزاء"[١٩٠٠].

قال الطبري: يقول: "يَصْلَى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة، يوم يُدان العباد بالأعمال، فيُجازَوْنَ بها"[١٩٠١].

عن مجاهد:{يَوْمَ الدِّينِ}، قال: "يوم الحساب"[١٩٠٢].

قال قتادة: " يوم تدان فيه الناس بأعمالهم"[١٩٠٣].

القرآن

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)} [الانفطار : ١٧-١٩]

التفسير:

وما أدراك ما عظمة يوم الحساب، ثم ما أدراك ما عظمةُ يوم الحساب؟ يوم الحساب لا يقدر أحد على نفع أحد، والأمر في ذلك اليوم لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه أحد.

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} [الانفطار : ١٩]، أي:" وما أدراك ما عظمة يوم الحساب، ثم ما أدراك ما عظمةُ يوم الحساب؟"[١٩٠٤].

عن قتادة، قوله: "{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}، تعظيما ليوم القيامة، يوم تدان فيه الناس بأعمالهم"[١٩٠٥].

قوله تعالى:{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا} [الانفطار : ١٩]، أي:" يوم الحساب لا يقدر أحد على نفع أحد"[١٩٠٦].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «يَوْم»، برفع الميم ردّا على «اليوم» الأول، وقراءة غيرهم بالنصب، أي: «في يوم»[١٩٠٧].

قوله تعالى:{وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار : ١٩]، أي:" والأمر في ذلك اليوم لله وحده الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، ولا ينازعه أحد"[١٩٠٨].

قال قتادة:" والأمر والله اليوم لله، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد"[١٩٠٩].

قال قتادة:" ليس ثم أحد يومئذ يقضي شيئا، ولا يصنع شيئا إلا ربّ العالمين"[١٩١٠].

«آخر تفسير سورة (الانفطار)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١٨٩٩) سنن الدارمي(٦٧٣):ص٤٩٩/١: [قال المحقق: إسناده مسلسل بالمجاهيل]

(١٩٠٠) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٩٠١) تفسير الطبري: ٢٧٢/٢٤.

(١٩٠٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(١٩٠٣) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٤.

(١٩٠٤) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٩٠٥) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٤.

(١٩٠٦) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٩٠٧) انظر: السبعة في القراءات: ٦٧٤، والكشف والبيان: ١٤٨/١٠.

(١٩٠٨) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٩٠٩) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٤.

(١٩١٠) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المطففين»

«سورة المطففين»: هي السورة الثالثة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة العنكبوت، وهي آخر سورة نزلت بمكة، وآياتها ست وثلاثون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربعمائة وثلاثون. وفواصل آياتها «من»[١٩١١].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة ثلاثة، أقوال:

أحدها: أنها مكّيّة كلها، قاله ابن مسعود[١٩١٢]، وابن عباس[١٩١٣]، وابن زبير[١٩١٤]، والضّحّاك[١٩١٥]، ويحيى بن سلام[١٩١٦].

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة «المطففين» بمكة"[١٩١٧]. وروي عن ابن الزبير[١٩١٨] مثله.

وعن ابن عباس قال: "آخر ما أنزل بمكة سورة «المطففين»"[١٩١٩].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جماعة من المفسرين، واحتجوا لذكر الأساطير، وهذا على أن هذا تطفيف الكيل والوزن كان بمكة حسبما هو في كل أمة لا سيما مع كفرهم"[١٩٢٠].

الثاني: مدنيّة، قاله ابن عباس-في الأصح عنه-[١٩٢١]، والحسن[١٩٢٢]، وعكرمة[١٩٢٣]، وقتادة[١٩٢٤]، والسدي[١٩٢٥]، ومقاتل[١٩٢٦]، إلّا أنّ ابن عباس، وقتادة قالا: "فيها ثمان آيات مكيّة، من قوله عزّ وجلّ: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٢٩]، إلى آخرها"[١٩٢٧].

وقال مقاتل: فيها آية مكّيّة، وهي قوله عزّ وجلّ: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين : ١٣][١٩٢٨].

الثالث: أنها نزلت بين مكّة، والمدينة، قاله جابر بن زيد[١٩٢٩]، وابن السّائب[١٩٣٠].

(١٩١١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٦/١.

(١٩١٢) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩١٣) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(١٩١٤) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٩١٥) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩١٦) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩١٧) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه.

(١٩١٨) انظر: الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه ابن مردويه.

(١٩١٩) الدر المنثور: ٤٤١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

(١٩٢٠) المحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.

(١٩٢١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٤، وزاد المسير: ٤١٣/٤، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.

(١٩٢٢) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩٢٣) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩٢٤) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩٢٥) انظر: الكشف والبيان: ١٥٠/١٠، والمحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.

(١٩٢٦) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩٢٧) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

(١٩٢٨) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤، وفي تفسير مقاتل: ٦٢٢/٤، قال مقاتل:" نزلت هذه الآية في النضر ابن الحارث بن علقمة..؟.

(١٩٢٩) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.

وذكر هبة الله بن سلامة المفسّر أنها:" نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة نصفها يقارب مكة ونصفها يقارب المدينة"[١٩٣١].

(١٩٣٠) انظر: زاد المسير: ٤١٣/٤.
(١٩٣١) الناسخ والمنسوخ: ١٩٥.

القرآن

{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)} [المطففين : ١ - ٤]

التفسير:

عذابٌ شديد للذين يبخسون المكيال والميزان، الذين إذا اشتروا من الناس مكيلا أو موزونًا يوفون لأنفسهم، وإذا باعوا الناس مكيلا أو موزونًا يُنْقصون في المكيال والميزان، فكيف بحال من يسرقهما ويختلسهما، ويبخس الناس أشياءهم؟ إنه أولى بالوعيد من مطففي المكيال والميزان. ألا يعتقد أولئك المطففون أن الله تعالى باعثهم ومحاسبهم على أعمالهم؟

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: " لما قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فكانوا من أخبث الناس كيلا، فأنزل الله عز وجل: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: ١]، فحسنوا الكيل بعد ذلك"(١٩٣٢).[حسن]

قال: القرظي: "كان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار: «المنابذة، والملامسة والمخاطرة»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق، وقرأها"(١٩٣٣).[مرسل]

وقال السدي: "قدم رسول الله المدينة وبها رجل يقال له «أبو جهينة»، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر. فأنزل الله تعالى هذه الآية"(١٩٣٤).[مرسل]

قال الفراء:" نزلت أول قدوم النبي صلى الله عليه إلى المدينة، فكان أهلها إذا ابتاعوا كيلا أو وزنا استوفوا وأفرطوا. وإذا باعوا كيلا أو وزنا نقصوا فنزلت «ويل للمطففين» فانتهوا، فهم أوفي الناس كيلا إلى يومهم هذا"(١٩٣٥).

ونقل الثعلبي عن القرطبي: "كان بالمدينة تجار يطفّفون وكانت بياعتهم كشبه القمار والمنابذة والملامسة والمخاطرة فأنزل الله سبحانه هذه الآية. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق وقرأها عليهم"(١٩٣٦).

وقال مقاتل:" وذلك أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين خرج إلى المدينة، وكان بسوق الجاهلية لهم كيلين وميزانين معلومة لا يعاب عليهم فيها فكان الرجل إذا اشترى اشترى بالكيل الزائد، وإذا باعه باعه بالناقص، وكانوا يريحون بين الكيلين وبين الميزانين، فلما قدم النبي- صلى الله عليه وسلم - المدينة قال لهم: ويل لكم مما تصنعون. فأنزل الله- تعالى- التصديق على لسانه، فقال: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١]"(١٩٣٧).

قوله تعالى:{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين : ١]، أي:" عذابٌ شديد للذين يبخسون المكيال والميزان"(١٩٣٨).

(١٩٣٢)أخرجه النسائي في السنن الكبرى(١١٥٩٠) :ص٣٢٧/١٠، وابن ماجه (٧٤٨/٢ - ح: ٢٢٢٣) وابن جرير (٥٨/٣٠) من طريق الحسين بن واقد به, صححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري: ٨/ ٦٩٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١)، وأخرجه الطبري في "جامع البيان": ٢٧٧/٢٤، ووقد صححه السيوطي في "الدر المنثور": ٤٤١/٨، وزاد نسبته إلى ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، وحسنه البوصيري في زوائد ابن ماجه (سنن ابن ماجه: ٧٤٨/٢)، وانظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٢٢٦٦.

(١٩٣٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤٧٥. بدون إسناد، فهو لا شيء.

(١٩٣٤) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/!٥٠، والواحدي في «أسباب النزول»: ٤٧٥، بدون إسناد عن السدي، فهو لا شيء. وقال الحافظ في «تخريجه» ٤/ ٧١٨: لم أجده. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤١٣/٤.

(١٩٣٥) معاني القرآن: ٢٤٥/٣.

(١٩٣٦) الكشف والبيان: ١٥٠/١٠.

(١٩٣٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢١/٤-٦٢٢.

(١٩٣٨) التفسير الميسر: ٥٨٧.

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَيْلٌ} [المطففين : ٤]، على أقوال :
أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[١٩٣٩]، وشقيق[١٩٤٠].
الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[١٩٤١].
يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[١٩٤٢]:
تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل
الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[١٩٤٣].
عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[١٩٤٤].
الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [١٩٤٥].
نستنتج مما سبق بأن «الْوَيْلُ»: هو الْهَلَاكُ والحزن والعذاب والهوان في اللغة، وقيل: هو وادٍ في جهنم من عصارة أهل النار، والله أعلم [١٩٤٦].
قال عكرمة: "أشهد أن كلّ كيال ووزّان في النار، فقيل له في ذلك، فقال: إنه ليس منهم أحد يزن كما يتزن ولا يكيل كما يكتال، وقد قال الله: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}"[١٩٤٧].
عن وهْب بن مُنَبِّه، قال: "تَرْكُكَ المكافأةَ تطفيفٌ؛ قال الله: {ويْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}"[١٩٤٨].
عن هلال بن طلق قال : "بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت : من أحسن الناس هيئةً وأوفاه كيلا ؟ أهل مكة أو المدينة ؟ قال : حق لهم، أما سمعت الله يقول :{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}"[١٩٤٩].
قال مالك بن دينار: "دخلت على جار لي وقد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار جبلين من نار، قال: قلت: ما تقول أتهجر؟ قال: يا أبا يحيى كان لي مكيالان، كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر، قال:

(١٩٣٩)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢/٢٦٧-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١/١٥٣.
(١٩٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢/٢٦٨.
(١٩٤١) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.
(١٩٤٢) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.
(١٩٤٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص١/٢٥٣، والطبري(١٣٩٦):ص٢/٢٧١-٢٧٢.
(١٩٤٤) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص٢/١٥.
(١٩٤٥) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٢٦.
١٩٤٦ جاء في فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢٣): وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَصْلُ فِي الْوَيْلِ وَيْ: أَيْ حُزْنٌ، كَمَا تَقُولُ: وَيْ لِفُلَانٍ: أَيْ حُزْنٌ لَهُ، فَوَصَلَتْهُ الْعَرَبُ بِاللَّامِ، قَالَ الْخَلِيلُ: وَلَمْ نَسْمَعْ عَلَى بِنَائِهِ إِلَّا وَيْحَ، وَوَيْسَ، وَوَيْهَ، وَوَيْكَ، وَوَيْبَ، وَكُلُّهُ مُتَقَارِبٌ فِي الْمَعْنَى، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهَا قَوْمٌ وَهِيَ مَصَادِرُ لَمْ يَنْطِقِ الْعَرَبُ بِأَفْعَالِهَا، وَجَازَ الِابْتِدَاءُ به وإن كان نكرة لأن فِيهِ مَعْنَى الدُّعَاءِ.انتهى. وقال أبو السعود في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٢٠): ومعنى الويل شدةُ الشر قاله الخليل. وقال الأصمعيُّ: الويلُ التفجُّع ، والويحُ الترحُّم. وقال سيبويه: ويلٌ لمن وقع في الهَلَكة، وويحٌ زجرٌ لمن أشرف على الهلاك. وقيل الويلُ الحزن، وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى أو بينه وبينها فرق؟ وقيل: ويل في الدعاء عليه، وويح وما بعده في الترحم عليه. وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: الويلُ العذاب الأليم. وعن سفيان الثوري أنه صديدُ أهلِ جهنم. ورَوى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ الله تعالى عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم أنه قال: الويلُ وادٍ في جهنمَ يهوي فيه الكافرُ أربعينَ خريفاً قبل أنْ يبلُغ قَعْرَه.(قال الألباني: ضعيف، التعليق الرغيب (٤ / ٢٢٩)، ضعيف الجامع الصغير (٦١٤٨). وقال سعيد ابن المسيب: إنه وادٍ في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرِّه. وقال ابن بريدة: جبلُ قيحٍ ودمٍ وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي أنه باب من أبواب جهنم. انتهى.
(١٩٤٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٧٨.
(١٩٤٨)أخرجه البيهقي (٩١٥٨).
(١٩٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير":٨/٣٤٦.

فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر، فقال: يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر إزداد عظما فمات في وجعه"[١٩٥٠].

وقال نافع:" كان ابن عمر يمرّ بالبائع فيقول: اتّق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطفّفين يوقفون يوم القيامة حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم"[١٩٥١].

قوله تعالى:{أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} [المطففين : ٤]، أي:" ألا يعتقد أولئك المطففون أن الله تعالى باعثهم ومحاسبهم على أعمالهم؟"[١٩٥٢].

عن قتادة: "أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك، واعدل كما تحب أن يعدل لك"[١٩٥٣].

عن غيلان أبي عبد الله، يقول: "سمعتُ الحسن يقول، وتلا هذه الآية: {ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم}: إنّ القوم -واللهِ- لو ظنُّوا ذلك لقاربوا العدل"[١٩٥٤].

وعن عبد الملك بن مروان: "أن أعرابيا قال له: قد سمعت ما قال الله في المطففين: أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن"[١٩٥٥].

القرآن

{لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)} [المطففين : ٥ - ٦]

التفسير:

سيكون بعثهم في يوم عظيم الهول، يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين.

قوله تعالى:{لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين : ٦]، أي:" سيكون بعثهم في يوم عظيم الهول، يوم يقوم الناس بين يدي الله، فيحاسبهم على القليل والكثير، وهم فيه خاضعون لله رب العالمين"[١٩٥٦].

عن قتادة: "{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: ذُكر لنا أن كعبا كان يقول: يقومون ثلثمائة سنة"[١٩٥٧].

قال قتادة:" كان كعب يقول: يقومون مقدار ثلثمائة سنة"[١٩٥٨].

قال: قتادة: "وحدثنا العلاء بن زياد العدويّ، قال: بلغني أن يوم القيامة يقصر على المومن حتى يكون كإحدى صلاته المكتوبة"[١٩٥٩].

عن كعب الأحبار -في الآية-، قال:" يقومون ثلاثمائة عام لا يُؤذن لهم بالقعود، فأمّا المؤمن فيُهَوَّن عليه كالصلاة المكتوبة"[١٩٦٠].

(١٩٥٠) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/!٥٠-١٥١.

(١٩٥١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٥٠.

(١٩٥٢) التفسير الميسر: ٥٨٧.

(١٩٥٣) نقلا عن: الكشاف: ٤/٧٢٠.

(١٩٥٤)أخرجه البيهقي في الزهد الكبير ص ٣٥٨ (٩٧٨).

(١٩٥٥) نقلا عن: الكشاف: ٤/٧٢٠.

(١٩٥٦) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(١٩٥٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٨١.

(١٩٥٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٨١.

(١٩٥٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٨١.

(١٩٦٠)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٥٥. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. كما أخرج شطره الأول ابن جرير ٢٤/ ١٩٢ وذكر عقبه: عن قتادة: أن العلاء بن زياد العدوي قال: بلغني: أنّ يوم القيامة يقصر على المؤمن، حتى يكون كإحدى صلاته المكتوبة.

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبشير الغفاري: "كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِي: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِربّ الْعَالمِين مِقْدَارَ ثَلثِمائَةِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيا، لا يأتِيهِمْ خَبرٌ مِنَ السَّماءِ، وَلا يُؤْمَرُ فِيهِمْ بأَمْر"، قال بشير: المستعان الله يا رسول الله، قال: "إذَا أَنْتَ أَوَيْتَ إلى فِراشِكَ فَتَعَوَّذْ بالله مِنْ كُرَب يَوْمِ القِيامَة، وَسُوءِ الْحِساب"[١٩٦١].

عن ابن عمر:"{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: يقومون مئة سنة"[١٩٦٢].

عن عبد الله بن مسعود، في قوله: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: "يمكثون أربعين عاما رافعي رءوسهم إلى السماء، لا يكلمهم أحد، قد ألجم العرق كلّ برّ وفاجر، قال: فينادي مناد: أليس عدلا من ربكم أن خلقكم ثم صوّركم، ثم رزقكم، ثم توليتم غيره أن يولي كلّ عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ قالوا: بلى، ثم ذكر الحديث بطوله"[١٩٦٣].

عن قيس بن سكن، قال: حدث عبد الله، وهو عند عمر :"{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: إذا كان يوم القيامة يقوم الناس بين يدي ربّ العالمين أربعين عاما، شاخصة أبصارهم إلى السماء حفاة عراة يلجمهم العرق، ولا يكلّمهم بشر أربعين عاما"[١٩٦٤].

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} يَوْمَ الْقِيامَةِ، حتى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ إلى أنصَافِ أُذُنَيْهِ فِي رَشْحِهِ"[١٩٦٥].

عن ابن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، في قوله: "{يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: يقوم أحدكم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"[١٩٦٦]. وفي رواية:" يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"[١٩٦٧].

عن نافع، قال: "قال ابن عمر: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}، حتى يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"[١٩٦٨].

عن المقداد - يعني ابن الأسود الكندي - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا كان يومُ القيامة أدنِيَت الشمس من العباد، حتى تكون قيدَ ميل أو ميلين، قال : فتصهرهم الشمس، فيكونون في العَرق كقَدْر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عَقِبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حَقْوَيه، ومنهم من يلجمه إلجاما"[١٩٦٩].

عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل، ويزاد في حرها كذا وكذا، تغلي منها الهوام كما تغلي القدور، يُعرَقون فيها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق"[١٩٧٠].

عن عقبة بن عامر، قال: سمعتُ رسول صلى الله عليه وسلم يقول : "تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عَقِبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العَجُز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه -

---

(١٩٦١) أخرجه الطبري:: ٢٨٠/٢٤.
(١٩٦٢) أخرجه الطبري:: ٢٨٠/٢٤.
(١٩٦٣) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٤.
(١٩٦٤) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٤.
(١٩٦٥) أخرجه الطبري:: ٢٨٠/٢٤.
(١٩٦٦) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢٤.
(١٩٦٧) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢٤.
(١٩٦٨) أخرجه الطبري: ٢٧٩/٢٤.
(١٩٦٩)المسند (٣/٦) وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٤) وسنن الترمذي برقم (٢٤٢١).
(١٩٧٠)المسند (٢٥٤/٥).

وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه". وضرب بيده إشارة[١٩٧١].

عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا، ويحمد عشرا، ويسبح عشرا، ويستغفر عشرا، ويقول : "اللهم اغفر لي واهدني، وارزقني وعافني". ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة"[١٩٧٢].

عن القمر بن أبي ابزى، قال: "حدّثني من سمع ابن عمر قرأ: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ}، فلما بلغ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ}، بكى حتى خرّوا وامتنع من قراءة ما بعده"[١٩٧٣].

قال سهل: أخبرني محمد بن سوار[١٩٧٤] أنه حج سنة من السنين فرأى أيوب السّختياني[١٩٧٥] قد ابتدأ بأول القرآن مصليا، وإذا بناحية منه رجل من أهل البصرة مستقبل الكعبة قد ابتدأ بسورة: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} [المطففين: ١]، وهو يردد قوله تعالى: {أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ} [المطففين: ٤]، قال: فبلغ أيوب السختياني إلى ثلثي القرآن وذلك الرجل يردد هذه الآية، فلما كان عند السحر بلغ أيوب «الفيل»، وانتهى الرجل إلى قوله: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ} [المطففين: ٦]، وغشي عليه، فتقدمنا إلى الرجل فوجدناه ميتا"[١٩٧٦].

القرآن

{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)} [المطففين : ٧ - ٩]

التفسير:

حقا إن مصير الفُجَّار ومأواهم لفي ضيق، وما أدراك ما هذا الضيق؟ إنه سجن مقيم وعذاب أليم، وهو ما كتب لهم المصير إليه، مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين : ٩]، أي:" حقا إن مصير الفُجَّار ومأواهم لفي ضيق"[١٩٧٧].

عن الحسن"{كَلَّا}: حقاً"[١٩٧٨].

وأما «سجّين»، ففيه أقوال :

أحدها : إن كتابهم لفي سفال، قاله الحسن[١٩٧٩].

قال خصيف: "انطلقت أنا ومجاهد إلى محمد بن كعب نسأله عن قول الله عز وجل: {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ} [المطففين: ٧]، قال: «قد رقم الله على الفجار ما هم عاملون في «سجين»، فهو أسفل، والفجار منتهون إلى ما قد رقم الله عليهم»[١٩٨٠].

الثاني : لفي خسار وضلال، قاله عكرمة[١٩٨١]. والمعنى: أنه أراد بطلان أعمالهم وذهابها بلا محمدة ولا ثواب وهذا سائغ مستفيض في كلام الناس، يقولون لمن خمل ذكره وسقط قدره قد لزق بالحضيض[١٩٨٢].

(١٩٧١)المسند (١٥٧/٤).

(١٩٧٢)سنن أبي داود برقم (٧٦٦) وسنن النسائي (٢٠٨/٣) وسنن ابن ماجة برقم (١٣٥٦).

(١٩٧٣) أخرجه الثعلبي في" الكشف والبيان": ١٠/!٥١.

(١٩٧٤)محمد بن سوار: يقال إنه كان خال سهل بن عبد الله التستري. روي عن ابن عيينة، وعنه سهل. (تهذيب التهذيب ٩/ ١٨٦).

(١٩٧٥)أيوب السختياني: أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر (٦٦- ١٣١ هـ) : سيد فقهاء عصره. تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث. كان ثبتا ثقة. (الحلية ٣/ ٣).

(١٩٧٦) تفسير التستري: ٢٠.

(١٩٧٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(١٩٧٨) انظر: الكشف والبيان: ١٥١/١٠.

(١٩٧٩) انظر: النكت والعيون: ٢٢٧/٦، وزاد المسير: ٤١٥/٤.

(١٩٨٠) القدر للفِرْيابي (٢٢٦):ص١٨٢. في إسناده خصيف، صدوق سيئ الحفظ، خلط بأخرة، ورمي بالإرجاء.

الثالث: أن «سجّين» تحت خدّ إبليس، قاله كعب الأحبار[١٩٨٣]، وسعيد بن جبير[١٩٨٤].

عن شمر، قال: "جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له ابن عباس: حدِّثني عن قول الله: {إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ... } الآية، قال كعب: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها، ويُهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها، فتهبط فتدخل تحت سبع أرضين، حتى ينتهي بها إلى «سجين»، وهو خدّ إبليس، فيخرج لها من سجين من تحت خدّ إبليس، رَقّ فيرقم ويختم ويوضع تحت خدّ إبليس بمعرفتها الهلاك إلى يوم القيامة"[١٩٨٥].

وقال وهب: "هي آخر سلطان إبليس"[١٩٨٦].

الرابع : أن «سجين»: الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفّار وأعمالهم، قاله مجاهد[١٩٨٧]، وقتادة[١٩٨٨]، والضحاك[١٩٨٩]، ومغيث بن سميّ[١٩٩٠]، ورواه البراء بن عازب مرفوعاً[١٩٩١]، وروي فيما معناه عن كعب الأحبار[١٩٩٢].

(١٩٨١) انظر: الكشف والبيان: ١٥١/١٠، والنكت والعيون: ٢٢٧/٦، وزاد المسير: ٤١٥/٤.

(١٩٨٢) انظر: تفسير الثعلبي: ١٠/!٥٢.

(١٩٨٣) انظر: تفسير الطبري:٢٨٣/٢٤-٢٨٤.

(١٩٨٤) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٩):ص٣٥.

(١٩٨٥) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤-٢٨٤.

(١٩٨٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥٢/١٠.

(١٩٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(١٩٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(١٩٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(١٩٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(١٩٩١) انظر: المسند(١٨٥٣٤):ص٤٩٩/٣٠-٥٠٣. إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. وأخرجه بتمامه ومختصرا: ابن أبي شيبة ٣١٠/٣ و٣٧٤ و٣٨٠-٣٨٢، و١٩٤/١٠، وهناد في "الزهد" (٣٣٩) ، والمروزي في زوائده على "الزهد" لابن المبارك (١٢١٩) ، والدارمي في "الرد على الجهمية" ص٢٩، وأبو داود (٤٧٥٣) ، والطبري في "التفسير" (٢٠٧٦٤) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧٢١) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة" ٤٥٩/٢- والآجري في "الشريعة" ص٣٦٧-٣٧٠ و٣٧٠، وابن منده في "الإيمان" (١٠٦٤) ، والحاكم في "المستدرك" ٣٧/١-٣٨، واللالكائي في "أصول الاعتقاد" (٢١٤٠) ، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢١) (٤٤) ، وفي "شعب الإيمان" (٣٩٥) من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. قال البيهقي في "الشعب": هذا حديث صحيح الإسناد، وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدة عن الأعمش، وعن المنهال ابن عمرو، والمنهال بن عمرو: هو الأسدي، مولاهم، الكوفي، أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة.
وروي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنهم.
قلنا: وقد وقع في مطبوع ابن أبي شيبة ص ٣٧٤: حدثنا أبو معاوية عن ابن نمير، وهو خطأ، صوابه: وابن نمير.
وأخرجه الطيالسي (٧٥٣) ، وأبو داود (٣٢١٢) و (٤٧٥٣) ، والطبري في التفسير" (٢٠٧٦٣) و (٢٠٧٦٥) و (٢٠٧٨٠) و (٢٠٧٨٧) ، وفي "تهذيب الآثار" (٧١٨) و (٧٢٠) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١١٩، وأبو عوانة- كما في "إتحاف المهرة" ٤٥٩/٢- والحاكم في "المستدرك" ٣٨/١ و٣٩، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢٠) و (٢١) من طرق عن الأعمش، به. زاد جرير عن الأعمش، عند أبي داود (٤٧٥٣) : "ثم يقيض له أعمى أبكم، معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل، لصار ترابا" وسترد هذه الزيادة ضمن سياق الرواية (١٨٦١٤) .
وأخرجه مختصرا النسائي في "المجتبى" ٧٨/٤، وابن ماجه (١٥٤٩) من طريق عمرو بن قيس، عن المنهال، به.
وأخرجه الطبري في "تهذيب الآثار" (٧٢٣) ، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٣٩٦) من طريق عيسى بن المسيب، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، به. وفيه ذكر اسم الملكين: منكر ونكير.
وأورده المنذري في "الترغيب والترهيب" (٥٢٢١) وقال: حديث حسن، رواته محتج بهم في الصحيح.
قال ابن حزم في "المحلى" ٢٢/١: لم يرو أحد أن في عذاب القبر رد الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي، فتعقبه ابن القيم في "الروح" ص٧٦ بقوله: هذا من مجازفته، وقال: الحديث صحيح لا شك فيه.
وأورده الهيثمي في "المجمع" ٤٩/٣-٥٠ وقال: هو في الصحيح باختصار، رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

عن مغيث بن سميّ، قال: "{إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}، قال: الأرض السفلى، قال: إبليس مُوثَق بالحديد والسلاسل في الأرض السفلى"(١٩٩٣).

عن قتادة:"{سِجِّينٍ}: الأرض السابعة"(١٩٩٤). وفي لفظ:" {فِي سِجِّينٍ}: قال: في أسفل الأرض السابعة"(١٩٩٥). وفي لفظ:" الأرض السابعة السفلي"(١٩٩٦).

قال الضحاك:" يقول: في الأرض السفلى"(١٩٩٧).

عن فرقد:"{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}، قال: الأرض السابعة"(١٩٩٨).

قال مجاهد:" عملهم في الأرض السابعة لا يصعد"(١٩٩٩).

وقال مجاهد : "«سجين»: صخرة تحت الأرض السابعة، تقلب فيجعل تحتها كتاب الكافر"(٢٠٠٠).

قال قتادة:" ذُكر أن عبد الله بن عمرو كان يقول: هي الأرض السفلى فيها أرواح الكفار، وأعمالهم أعمال السوء"(٢٠٠١).

عن هلال بن يساف، قال: "كنا جلوسا إلى كعب أنا وربيع بن خيثم وخالد بن عُرْعرة، ورهط من أصحابنا، فأقبل ابن عباس، فجلس إلى جنب كعب، فقال: يا كعب أخبرني عن سِجِّين، فقال كعب: أما «سجِّين»: فإنها الأرض السابعة السفلى، وفيها أرواح الكفار تحت خدّ إبليس"(٢٠٠٢).

قال السندي: قوله: ولما يلحد، على بناء المفعول، مجزوم بلما النافية ينكت، أي: يضرب الأرض بطرفه، وهذا يفعله المتفكر المهموم.

كما تسيل القطرة، أي: تخرج بسهولة.

فيجعلوها في ذلك ... يدل على أن الروح يكفن ويحنط، كالجسد.

فيشيعه، بالتشديد، أي: تبعه، تكريما له.

أن صدق عبدي. "أن" تفسيرية، أو مصدرية، بتقدير الباء، أي: نادى بأن صدق، أو بتقدير اللام، أي: لأجل أن صدق في الدنيا أو فيما قال في الحال أفرشوه.

فأفرشوه: هو بهمزة قطع، أي: اجعلوا له فراشا من فرش الجنة.

وألبسوه: يؤيد ما قيل: إن الميت يلبس غير الكفن، وعدم الظهور عند أعيننا لا يضر في ذلك، كما لا يضر عدم رؤية أحدنا جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم في حضوره عنده صلى الله عليه وسلم.

فيأتيه من روحها، أي: ما لا يوصف كنهه، فأبهم لذلك، ويحتمل أن تكون "من" تبعيضية، أو زائدة، عند من جوز.

المسوح، بضمتين، جمع مسح، بكسر الميم: كساء معروف، وقال النووي: هو ثوب من الشعر غليظ معروف.

السفود؛ ضبط بفتح السين، وتشديد الفاء: حديدة يشوى بها اللحم.

ثم قرأ: (ومن يشرك ...) الظاهر- والله تعالى أعلم- أن ليس المراد أن هذه الآية بيان لجزائه، بل المراد أن الآية بيان لقبح الشرك، وبعده عن العقول، فإذا كان عمل الكافر هذا، والجزاء يكون من جنس العمل، فجزاؤه ذاك.

هاه هاه: كلمة يقولها المتحير في الكلام.

أن كذب، أي: فيما قال: لا أدري، لأن دين الله ونبوة رسوله كان ظاهرا، ويحتمل أن المراد الكذب في الدنيا كما سبق في عديله، ولم يقل: عبدي، إهانة له، وقد قال تعالى: {وأن الكافرين لا مولى لهم} [محمد:١١]

(١٩٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(١٩٩٣) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(١٩٩٤) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(١٩٩٥) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(١٩٩٦) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(١٩٩٧) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(١٩٩٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٩٩٩) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٤.

(٢٠٠٠) الزهد والرقائق لابن مبارك(١٢٢٢):ص٤٣٣/١.

(٢٠٠١) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

(٢٠٠٢) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٤.

وعن ابن وهب، قال: "وحدّثني عمارة بن عيسى عن يونس بن يزيد عمّن حدّثه عن ابن عباس أنه قال لكعب الأحبار: أخبرني عن «سجّين» و«عليّين»، فقال كعب: والذي نفسي بيده لأخبرنّك عنها إلّا بما أجد في كتاب الله المنزل، أما سجّين فإنّها شجرة سوداء تحت الأرضين السبع مكتوب فيها كلّ اسم شيطان، فإذا قبضت نفس الكافر عرج بها إلى السماء فغلقت أبواب السماء دونها، ثم رمى بها إلى سجين فذلك سجين، وأما عليّيون فإنّه إذا قبضت نفس المسلم عرج بها إلى السماء وفتحت لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى العرش، قال: فيخرج كفّ من العرش فيكتب له نزله وكرامته فذلك عليّون"[٢٠٠٣].

وقال عطاء الخراساني: "هي الأرض السفلى وفيها إبليس وذريته"[٢٠٠٤].

وأولى ما قيل في «سجين»، ما صحّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم-... عن زاذان عن البراء عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ العبد الكافر أو الفاجر إذا مات صعد بروحه إلى السّماء الدنيا، فيقول الله جلّ وعزّ: اكتبوا كتابه في سِجِّينٍ»[٢٠٠٥]. قال: وهي الأرض السفلى"[٢٠٠٦][٢٠٠٧].

(٢٠٠٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان:" ١٥٢/١٠.

(٢٠٠٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥٢/١٠.

(٢٠٠٥)انظر: المسند(١٨٥٣٤):ص٤٩٩/٣٠-٥٠٣. إسناده صحيح. وسبق تخريجه مفصلا.

ونص الحديث:

عن البراء بن عازب، قال: «خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلسنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: " استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثا، "، ثم قال: " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ". قال: " فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض " قال: " فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني بها، على ملإ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى ". قال: " فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة ". قال: " فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره ". قال: " ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي ". قال: " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ". قال: " فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له "، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: " اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا ". ثم قرأ: {ومن يشرك بالله، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} [الحج: ٣١] " فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة».

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ(٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ} [المطففين : ٨-٩]، أي:" وما أدراك ما هذا الضيق؟ وهو ما كتب لهم المصير إليه، مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص"[٢٠٠٨].

وفي قوله تعالى:{كِتَابٌ مَرْقُومٌ} [المطففين : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «المرقوم»: المكتوب، قاله الحسن[٢٠٠٩]، وقتادة[٢٠١٠]، وأبو مالك[٢٠١١]، ومنه قول أوس بن حجر[٢٠١٢]:

سأَرقُمُ بالماء القُرَاحِ إليكُمُ ... على بُعدِكُم إن كان في الماء راقم

أي: سَأكتب.

عن قتادة :"{كِتَابٌ مَرْقُومٌ}، قال: كتاب مكتوب"[٢٠١٣].

ومنه: {الرَّقِيم} :"لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف"[٢٠١٤].

الثاني : أنه مختوم، وهو قول الضحاك[٢٠١٥].

قال القاسم بن سلام: أي:" مختوم بلغة حمير"[٢٠١٦].

الثالث : رُقِم له بَشَرٌ لا يزاد فيهم أحد، ولا ينقص منهم أحد، قاله محمد بن كعب[٢٠١٧]، وقتادة[٢٠١٨].

قال قتادة:" رقم لهم بشرٌ"[٢٠١٩].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ

(٢٠٠٦) إعراب القرآن للنحاس: ١١٠/٥.

(٢٠٠٧) اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة: فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار، وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها. وقيل: على أفنية قبورهم. وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة، تذهب حيث شاءت. وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولم يزيدوا على ذلك. وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضرموت! وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس! وقيل: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكافرين ببئر برهوت. وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله. قال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها. وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم. وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها كل يوم تسلم عليه. وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض. وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة. وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح! وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم.

(٢٠٠٨) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(٢٠٠٩) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٣٦):ص٤٠٤/٣.

(٢٠١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.

(٢٠١١) انظر: النكت والعيون: ٢٢٨/٦.

(٢٠١٢) ديوانه: ١١٦، وانظر: مادة: (رقم) في: "تهذيب اللغة" ٩/ ١٤٣، "مقاييس اللغة" ٢/ ٤٢٥، "لسان العرب" ١٢/ ٢٤٨.

(٢٠١٣) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٤.

(٢٠١٤)غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٦٣.

(٢٠١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٢٨/٦.

(٢٠١٦)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٢.

(٢٠١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٢٨/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٥٠/٨.

(٢٠١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٤.

(٢٠١٩) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٤. قال ابن الجوزي:" كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر". [زاد المسير: ٤١٥/٤]

يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)} [المطففين : ١٠ - ١٧]

التفسير:

عذاب شديد يومئذ للمكذبين، الذين يكذبون بوقوع يوم الجزاء، وما يكذِّب به إلا كل ظالم كثير الإثم، إذا تتلى عليه آيات القرآن قال: هذه أباطيل الأولين. ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غشاها من كثرة ما يرتكبون من الذنوب. ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنهم يوم القيامة عن رؤية ربهم -جل وعلا- لمحجوبون. ثم إنهم لداخلو النار يقاسون حرها، ثم يقال لهم: هذا الجزاء الذي كنتم به تكذبون.

قوله تعالى:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المطففين : ١٠-١١]، أي:" عذاب شديد يومئذ للمكذبين"(٢٠٢٠).

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"(٢٠٢١).

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المطففين : ١١]، أي:" الذين يكذبون بوقوع يوم الجزاء"(٢٠٢٢).

عن قتادة:{ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"(٢٠٢٣).

وقال مجاهد: "يوم الحساب"(٢٠٢٤).

قوله تعالى:{وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [المطففين : ١٢]، أي:" وما يكذِّب به إلا كل ظالم كثير الإثم"(٢٠٢٥).

عن قتادة: "{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}، قال الله: {وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ}، أي: بيوم الدين، إلا كلّ معتد في قوله، أثيم بربه"(٢٠٢٦).

قوله تعالى:{إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المطففين : ١٣]، أي:" إذا تتلى عليه آيات القرآن قال: هذه أباطيل الأولين"(٢٠٢٧).

عن السدي، قوله: {إن هذا إلا أساطير الأولين}: أساجيع الأولين"(٢٠٢٨).

عن قتادة، قوله: "{أساطير الأولين}، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"(٢٠٢٩). وروي عن الضحاك نحو ذلك(٢٠٣٠).

قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين : ١٤]، أي:" ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غشاها من كثرة ما يرتكبون من الذنوب"(٢٠٣١).

قال عطاء:" غشيت على قلوبهم فهوت بها، فلا يفزعون، ولا يتحاشون"(٢٠٣٢).

(٢٠٢٠) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٢١) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.
(٢٠٢٢) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٢٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(٢٠٢٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(٢٠٢٥) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٢٦) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٤.
(٢٠٢٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٠):ص٢٩١٦/٩.
(٢٠٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥١):ص٢٩١٦/٩.
(٢٠٣٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٩١٦/٩.
(٢٠٣١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٣٢) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.

عن الحسن: "قرأ: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، قال: الذنب على الذنب حتى يموت قلبه"(٢٠٣٣). وفي لفظ:" هو الذنب حتى يموت القلب"(٢٠٣٤). ولفظ:" الذنب على الذنب حتى يَعمى القلب فيموت"(٢٠٣٥).

عن قتادة: "{كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}: أعمال السوء، أي والله ذنب على ذنب، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ"(٢٠٣٦).

قال قتادة:" هذا الذنب على الذنب، حتى يَرِين على القلب فيسودّ"(٢٠٣٧).

عن مجاهد: "{بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}، قال: الخطايا حتى غمرته"(٢٠٣٨).

قال مجاهد:" انبثت على قلبه الخطايا حتى غمرته"(٢٠٣٩).

قال مجاهد:" العبد يعمل بالذنوب فتحيط بالقلب، ثم ترتفع، حتى تغشى القلب"(٢٠٤٠).

عن مجاهد، قال: القلب مثل الكفّ، فإذا أذنب الذنب قبض أصبعا، حتى يقبض أصابعه كلها، وإن أصحابنا يرون أنه الران"(٢٠٤١). وفي لفظ: "القلب مثل الكفّ، وإذا أذنب انقبض وقبض أصبعه، فإذا أذنب انقبض حتى ينقبض كله، ثم يطبع عليه، فكانوا يرون أن ذلك هو الران: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}"(٢٠٤٢).

قال مجاهد:" الران: الطبع يطبع القلب مثل الراحة، فيذنب الذنب فيصير هكذا، وعقد سفيان الخنصر، ثم يذنب الذنب فيصير هكذا، وقَبض سفيان كفه، فيطبع عليه"(٢٠٤٣).

عن الأعمش، قال: "أرانا مجاهد بيده، قال: كانوا يرون القلب في مثل هذا يعني: الكفّ، فإذا أذنب العبد ذنبا ضم منه، وقال بأصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى، فإذا أذنب ضمّ أصبعا أخرى، حتى ضمّ أصابعه كلها، ثم يطبع عليه بطابع، قال مجاهد: وكانوا يرون أن ذلك الرَّيْن"(٢٠٤٤).

قال مجاهد:" الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب عليه. قال مجاهد: وهي مثل الآية التي في سورة البقرة: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}"(٢٠٤٥).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فإن تابَ وَنزعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَتْ قَلْبَهُ، فإنْ زَادَ زَادَتْ حتى تَعْلُو قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذي قال الله: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون}"(٢٠٤٦).

أخرج ابن ابي حاتم عن بعض الصحابة، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من قتل مؤمنا إسود سدس قلبه، وإن قتل اثنين إسود ثلث قلبه، وإن قتل ثلاثة ران على قلبه فلم يبال ما قتل، فذلك قوله: {بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون}"(٢٠٤٧).

(٢٠٣٣) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٢٠٣٤) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٢٠٣٥) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٢٠٣٦) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٢٠٣٧) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤-٢٨٩.
(٢٠٣٨) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٢٠٣٩) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٢٠٤٠) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٢٠٤١) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٢٠٤٢) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٢٠٤٣) أخرجه الطبري: ٢٨٨/٢٤.
(٢٠٤٤) أخرجه الطبري: ٢٨٧/٢٤.
(٢٠٤٥) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(٢٠٤٦) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٤-٢٨٧.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين : ١٥]، أي:" ليس الأمر كما زعم الكفار، بل إنهم يوم القيامة عن رؤية ربهم -جل وعلا- لمحجوبون"[٢٠٤٨].

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدهما: معنى ذلك: إنهم محجوبون عن كرامته. قاله قتادة[٢٠٤٩].

قال قتادة:" هو لا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم"[٢٠٥٠].

الثاني: إنهم محجوبون عن رؤية ربهم. قاله الحسن[٢٠٥١].

قال الحسن:" «يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون كلّ يوم غُدْوة وعشية»، -قال الراوي-أو كلاما هذا معناه"[٢٠٥٢].

والصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم أنهم عن رؤيته محجوبون. ويُحتمل أن يكون مرادًا به الحجاب عن كرامته، وأن يكون مرادًا به الحجاب عن ذلك كله، ولا دلالة في الآية تدلّ على أنه مراد بذلك الحجاب عن معنى منه دون معنى، ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت حجته. فالصواب أن يقال: هم محجوبون عن رؤيته، وعن كرامته إذ كان الخبر عاما، لا دلالة على خصوصه"[٢٠٥٣].

عن الربيع بن صبيح وعبد الواحد بن زيد قالا: "قال الحسن: لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربّهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا"[٢٠٥٤].

وقال يحيى بن سليمان بن نضلة: يسئل مالك بن أنس عن هذه الآية قال: "لها حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه"[٢٠٥٥].

قال الربيع بن سليمان: "كنت ذات يوم عند الشافعي رضي الله عنه وجاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قول الله سبحانه: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}، فكتب فيه: لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا، فقلت له: أوتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أن يرى ربّه في المعاد لما عبده في الدنيا"[٢٠٥٦].

وروي عن ابن أبي مليكة:" أنه كان يقول في هذه الآية: {إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}، قال: المنان والمختال والذي يقتطع أموال الناس بيمينه بالباطل"[٢٠٥٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ} [المطففين : ١٦]، أي:" ثم إنهم لداخلو النار يقاسون حرها"[٢٠٥٨].

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[٢٠٥٩].

القرآن

(٢٠٤٧) تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٨٠):ص٣٤٠٩/١٠.
(٢٠٤٨) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(٢٠٥٠) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(٢٠٥١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٤-٢٩٠.
(٢٠٥٢) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤-٢٩٠.
(٢٠٥٣) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٢٠٥٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٥٤/١٠.
(٢٠٥٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥٤/١٠.
(٢٠٥٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٥٤/١٠.
(٢٠٥٧) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٤.
(٢٠٥٨) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.

{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)} [المطففين : ١٨ - ٢١]

التفسير:

حقا إن كتاب الأبرار -وهم المتقون- لفي المراتب العالية في الجنة. وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه المراتب العالية؟ كتاب الأبرار مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص، يَطَّلِع عليه المقربون من ملائكة كل سماء.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ} [المطففين : ٢١]، أي:" حقا إن كتاب الأبرار -وهم المتقون- لفي المراتب العالية في الجنة"(٢٠٦٠).

قال الحسن:" الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذرّ"(٢٠٦١).

روي هشام، عن شيخ، عن الحسن، قال: "سُئل عن الأبرار، قال: الذين لا يؤذون الذرّ"(٢٠٦٢).

وفي تفسير «عِلِّيِّينَ»، أقوال:

أحدها: السماء السابعة العليا، قاله كعب(٢٠٦٣)، ومجاهد(٢٠٦٤)، وقتادة(٢٠٦٥)، والضحاك-في رواية-(٢٠٦٦).

قال الضحاك:" في السماء عند الله"(٢٠٦٧).

قال كعب : "هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين"(٢٠٦٨).

قال محمد بن كعب:" رقم على الأبرار ما هم عاملون في «عليين»، وهم فوق، فهم منتهون إلى ما قد رقم الله عليهم»(٢٠٦٩).

الثالث : قائمة العرش اليمنى، قاله كعب(٢٠٧٠)، وقتادة(٢٠٧١).

قال قتادة:" عليون: قائمة العرش اليمنى"(٢٠٧٢).

قال قتادة:" فوق السماء السابعة، عند قائمة العرش اليمنى"(٢٠٧٣).

قال قتادة:" ذُكر لنا أن كعبًا كان يقول: هي قائمة العرش اليمنى"(٢٠٧٤).

عن شمر بن عطية، قال: "جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فسأله، فقال: حدثْنِي عن قول الله: {إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ... } الآية، فقال كعب: إن الروح المؤمنة إذا قُبضت، صُعد بها، فَفُتحت لها أبواب السماء، وتلقّتها الملائكة بالبُشرَى، ثم عَرَجُوا معها حتى ينتهوا إلى العرش، فيخرج لها من عند العرش فيُرقَم رَقّ، ثم يختم بمعرفتها النجاة بحساب يوم القيامة، وتشهد الملائكة المقرّبون"(٢٠٧٥).

(٢٠٦٠) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٦١) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٢٠٦٢) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٢٠٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٦٧) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٦٨) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٦٩) القدر للفِرْيابي (٢٢٦):ص١٨٢.
(٢٠٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٧١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٧٢) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٧٣) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٧٤) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤.
(٢٠٧٥) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٤-٢٩٢.

الثالث: يعني: في علو وصعود إلى الله تعالى، قاله الحسن[٢٠٧٦].
الرابع: سدرة المنتهى، قاله الضحاك-في رواية أخرى-[٢٠٧٧].
قال الضحاك:" إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثانية، قال الأجلح: قلت: وما المقرّبون؟ قال: أقربهم إلى السماء الثانية، فتنطلق معه المقرّبون إلى السماء الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى تنتهي به إلى سِدْرَة المنتهى. قال الأجلح: قلت للضحاك: لِمَ تُسمَّى سِدْرَة المنتهى؟ قال: لأنه يَنْتَهِي إليها كلّ شيء من أمر الله، لا يعدوها، فتقول: ربّ عبدك فلان، وهو أعلم به منهم، فيبعث الله إليهم بصَكّ مختوم يؤمِّنه من العذاب، فذلك قول الله: {كَلا إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُون}"[٢٠٧٨].
والظاهر : أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع [٢٠٧٩]، فإذا كان ذلك كالذي ذكرنا، فبين أنّ قوله: {لَفِي عِلِّيِّينَ} معناه: في علوّ وارتفاع في سماء فوق سماء، وعلوّ فوق علوّ وجائز أن يكون ذلك إلى السماء السابعة، وإلى سدرة المنتهى، وإلى قائمة العرش، ولا خبر يقطع العذر بأنه معنيّ به بعض ذلك دون بعض. والصواب أن يقال في ذلك، كما قال جلّ ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدّ قد علم الله جلّ وعزّ منتهاه، ولا علم عندنا بغايته، غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك[٢٠٨٠].
قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ} [المطففين : ٢١]، أي:" وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه المراتب العالية؟ كتاب الأبرار مكتوب مفروغ منه، لا يزاد فيه ولا يُنقص"[٢٠٨١].
عن قتادة: "{كِتَابٌ مَرْقُومٌ}، رقم"[٢٠٨٢].
قال شمر بتت عطية:" إذا عرج بروح المؤمن استقبله الملائكة المقربون في السماء الدنيا فيشيعونه من السماء العليا ثم رقم على روحه ثم قرأ: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ(١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ(٢٠)} [المطففين : ١٩-٢٠]"[٢٠٨٣].
قوله تعالى:{يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين : ٢١]، أي:" يَطَّلِع عليه المقربون من ملائكة كل سماء"[٢٠٨٤].
عن قتادة: "{يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ}، المُقرَّبون مِن ملائكة الله"[٢٠٨٥].
قال الضحاك:" يشهده مقرّبو أهل كلّ سماء"[٢٠٨٦].

القرآن
{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)} [المطففين : ٢٢ - ٢٨]

(٢٠٧٦) انظر: النكت والعيون: ٢٢٩/٦.
(٢٠٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٤.
(٢٠٧٨) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٤.
(٢٠٧٩) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٨.
(٢٠٨٠) تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٤-٢٩٣.
(٢٠٨١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٨٢) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤.
(٢٠٨٣)لجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١٠):ص٣٦.
(٢٠٨٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٨٥) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢٠٨٦) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٤.

التفسير:
إن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون، على الأسرَّة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعدَّ لهم من خيرات، ترى في وجوههم بهجة النعيم، يُسْقَون من خمر صافية محكم إناؤها، آخره رائحة مسك، وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون. وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعْرَف لعلوها بـ «تسنيم» ، عين أعدت ; ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها.

قوله تعالى:{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} [المطففين : ٢٢]، أي:" إن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون"(٢٠٨٧).

قال الحسن:" الأبرار: هم الذين لا يؤذون الذرّ"(٢٠٨٨).

قوله تعالى:{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين : ٢٣]، أي:" على الأسرَّة ينظرون إلى ربهم، وإلى ما أعدَّ لهم من خيرات"(٢٠٨٩).

عن مجاهد: "{عَلَى الأرَائِكِ}، قال: من اللؤلؤ والياقوت"(٢٠٩٠).

قوله تعالى:{تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} [المطففين : ٢٤]، أي:" ، ترى في وجوههم بهجة النعيم"(٢٠٩١).

قوله تعالى:{يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ} [المطففين : ٢٥-٢٦]، أي:" يُسْقَون من خمر صافية محكم إناؤها"(٢٠٩٢).

عن الحسن، وقتادة: "{رَحِيقٍ}، قال: هو الخمر"(٢٠٩٣).

عن مجاهد: "{يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ}، قال: خمر"(٢٠٩٤).

قوله تعالى:{خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين : ٢٥-٢٦]، أي:" آخره رائحة مسك"(٢٠٩٥).

وفي قوله تعالى:{خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين : ٢٥-٢٦]، وجوه:

أحدها : مِزاجه وخِلطه مِسك، قاله علقمة(٢٠٩٦).

قال علقمة:" طعمه وريحه مسك"(٢٠٩٧).

الثاني : أن آخر شرابهم يُخْتم بمسك يجعل فيه.

قال الضحاك:" طيَّب الله لهم الخمر، فوجدوا فيها في آخر شيء منها ريح المسك"(٢٠٩٨).

الثالث: عاقبته مسك، ويكون ختامه آخره ، كما قال الشاعر(٢٠٩٩):

(٢٠٨٧) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٨٨) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٤.
(٢٠٨٩) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٩٠) أخرجه الطبري: ٢٩٥/٢٤.
(٢٠٩١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٩٢) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٩٣) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢٤.
(٢٠٩٤) أخرجه الطبري: ٢٩٦/٢٤.
(٢٠٩٥) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢٠٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٤.
(٢٠٩٧) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.
(٢٠٩٨) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢٤.
(٢٠٩٩) الشعر للشاعر تميم بن أبي بن مقبل العجلاني في ديوانه: ٢٦٨، وهو شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وبلغ مائة وعشرين سنة. انظر ترجمته في "الشعر والشعراء" ص ٢٩٧، "الإصابة" ١/ ١٨٧، "الخزانة" ١/ ٢٣١.
يفتق: يشق، الحانوت: دكان الخمار، ناطفها: النطف سيلان الماء، الجون: يطلق على الأبيض والأسود، وقوله (ترقرق): تترقرق أي: تتلألأ، الناجون: راووق الخمر الذي يصفي به، الناطل: مكيال الخمر. انظر: "الحجة" ١/ ٢٩٢، ٢٩٤، "ديوان ابن مقبل" ص ٢٦٨، "المخصص" ٢/ ١٤٩

صرف ترقرق في الناجود ناطلها... بالفُلْفُلِ الجَوْنِ والرُّمَّانِ مَخْتُوم

وهذا قول الحسن[٢١٠٠]، وإبراهيم[٢١٠١]، وقتادة[٢١٠٢].

قال قتادة:" عاقبته مسك قوم تُمزَج لهم بالكافور، وتختم بالمسك"[٢١٠٣].

عن أبي الدرداء: "{خِتَامُهُ مِسْكٌ}، فالشراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها"[٢١٠٤].

الرابع: طينه مسك. قاله مجاهد[٢١٠٥]، وابن زيد[٢١٠٦].

وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد :"{خِتَامُهُ مِسْكٌ} قال : طيبه مسك"[٢١٠٧].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: آخره وعاقبته مسك: أي هي طيبة الريح، إن ريحها في آخر شربهم يختم لها بريح المسك، وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصحة؛ لأنه لا وجه للختم في كلام العرب إلا الطبع والفراغ، كقولهم: ختم فلان القرآن: إذا أتى على آخره، فإذا كان لا وجه للطبع على شراب أهل الجنة، يفهم إذا كان شرابهم جاريًا، جري الماء في الأنهار، ولم يكن معتقًا في الدنان فيطين عليها وتختم، تعين أن الصحيح من ذلك الوجه الآخر وهو العاقبة والمشروب آخرًا، وهو الذي ختم به الشراب. وأما الختم بمعنى: المزج، فلا نعلمه مسموعًا من كلام العرب[٢١٠٨].

قوله تعالى:{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين : ٢٦]، أي:" وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون"[٢١٠٩].

قال مجاهد: "فليعمل العاملون"[٢١١٠].

قوله تعالى:{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} [المطففين : ٢٧]، أي:" وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعْرَف لعلوها بـ «تسنيم»"[٢١١١].

وفي قوله تعالى:{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} [المطففين : ٢٧]، وجوه:

أحدها: من ماء يتنزل عليهم من معال. قاله مجاهد[٢١١٢]، والضحاك[٢١١٣].

عن مجاهد: "{تَسْنِيمٍ}، قال: تسنيم: يعلو"[٢١١٤].

قال مجاهد:" تسنيم عليهم من فوق دورهم"[٢١١٥].

قال الضحاك:" عين تتسنّم من أعلى الجنة ليس في الجنة عين أشرف منها"[٢١١٦].

وعن الضحاك:" أن التسنيم الماء"[٢١١٧].

(٢١٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.

(٢١٠١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.

(٢١٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(٢١٠٣) أخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٤.

(٢١٠٤) أخرجه الطبري: ٢٩٨/٢٤.

(٢١٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٨٥):ص٣٤١٠/١٠.

(٢١٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.

(٢١٠٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٥٣/٨.

(٢١٠٨) تفسير الطبري: ٢٩٨/٢٤.

(٢١٠٩) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(٢١١٠) تفسير الثعلبي: ٨٠/٢٩.

(٢١١١) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(٢١١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٨٤):ص٣٤١٠/١٠.

(٢١١٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١١٣/٥.

(٢١١٤) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.

(٢١١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٨٤):ص٣٤١٠/١٠.

(٢١١٦) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١١٣/٥.

الثاني : أنها عين في الجنة يشربها المقرّبون، وتمزج لأصحاب اليمين، قاله مسروق[٢١١٨]، وأبو صالح[٢١١٩]، ومالك بن الحارث[٢١٢٠]، وقتادة[٢١٢١].

عن مسروق:" {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، قال: عين في الجنة يشربها المقرّبون صرفا، وتمزج لأصحاب اليمين"[٢١٢٢].

عن مالك بن الحارث، في قوله: "{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، قال: في الجنة عين يشرب منها المقرّبون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة"[٢١٢٣].

قال أبو صالح:" هو أشرف شراب في الجنة. هو للمقرّبين صرف، وهو لأهل الجنة مزاج"[٢١٢٤].

قال قتادة:" شراب شريف، عين في الجنة يشربها المقرّبون صرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة"[٢١٢٥].

قال الضحاك:" شراب اسمه: «تسنيم»، وهو من أشرف الشراب"[٢١٢٦].

قال عطاء بن أبي رباح:" التسنيم: اسم العين التي يُمزج بها الخمر[٢١٢٧].

وقال حذيفة بن اليمان :" تسنيم عين في عدْن ، وعدْن دار الرحمن وأهل عدْن جيرانه "[٢١٢٨].

الثالث : أنها خفايا أخفاها الله لأهل الجنة، ليس لها شبه في الدنيا ولا يعرف مثلها. قاله الحسن[٢١٢٩].

عن الحسن: "{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، قال: خفايا أخفاها الله لأهل الجنة"[٢١٣٠].

قوله تعالى:{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين : ٢٨]، أي:" عين أعدت، ليشرب منها المقربون، ويتلذذوا بها"[٢١٣١].

عن مسروق :"{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، قال: يشرب بها المقرّبون صِرفًا، وتمزج لأصحاب اليمين"[٢١٣٢].

عن مالك بن الحارث:"{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، قال: عينا في الجنة يشرب بها المقربون صرفا، ويمزج لسائر أهل الجنة"[٢١٣٣].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣)} [المطففين : ٢٩ - ٣٣]

(٢١١٧) النكت والعيون: ٢٣١/٦.
(٢١١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٢١١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢١٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٤، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٤٠٩٢):ص٤٤/٧.
(٢١٢١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢١٢٢) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٢١٢٣) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٢١٢٤) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢١٢٥) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢١٢٦) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢١٢٧)أخرجه آدم بن ابي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧١٣ - ، والبيهقي (٣٦٦).
(٢١٢٨) الدر المنثور: ٤٥٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢١٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢١٣٠) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٤.
(٢١٣١) التفسير الميسر: ٥٨٨.
(٢١٣٢) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٤.
(٢١٣٣) صفة الجنة لابن أبي الدنيا(١٣١):ص١١٧.

التفسير:
إن الذين أجرموا كانوا في الدنيا يستهزئون بالمؤمنين، وإذا مروا بهم يتغامزون سخرية بهم، وإذا رجع الذين أجرموا إلى أهلهم وذويهم تفكهوا معهم بالسخرية من المؤمنين. وإذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اتبعوا الهدى قالوا: إن هؤلاء لتائهون في اتباعهم محمدًا صلى الله عليه وسلم، وما بُعث هؤلاء المجرمون رقباء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين : ٢٩]، أي:" إن الذين أجرموا كانوا في الدنيا يستهزئون بالمؤمنين"(٢١٣٤).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} في الدنيا، يقولون: والله إن هؤلاء لكذبة وما هم على شيء استهزاء بهم"(٢١٣٥)..

القرآن

{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤)} [المطففين : ٣٤]

التفسير:

فيوم القيامة يسخر الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه من الكفار، كما سخر الكافرون منهم في الدنيا.

قال كعب:" إن بين أهل الجنة، وأهل النار كُوى، لا يشاء رجل من أهل الجنة النظر إلى عدوه من أهل النار إلا فعل"(٢١٣٦).

قال الحسن: "{فاليَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ} هذه -واللهِ- الدُّولة الكريمة التي أدال الله المؤمنين على المشركين في الآخرة، فهم يضحكون منهم، وهم مُتّكئون على فُرُشهم ينظرون كيف يُعذَّبون، كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا، والجنة في السماء"(٢١٣٧).

عن أبي صالح، في قول الله -جل وعز-:" {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة: ١٥]، قال: يُقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا، ويُفتح لهم أبواب النار. فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على ... فإذا انتهوا إلى أبوابها غُلّقتْ دونهم، فذلك قول الله - عز وجل -: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} ... منهم المؤمنون حين غُلّقتْ دونهم، فذلك قوله: {فاليَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضْحَكُونَ عَلى الأرائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الكُفّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ}"(٢١٣٨).

القرآن

{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)} [المطففين : ٣٥ - ٣٦]

التفسير:

على المجالس الفاخرة ينظر المؤمنون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم في الجنة، ومن أعظم ذلك النظر إلى وجه الله الكريم. هل جوزي الكفار من جنس أعمالهم، جزاءً وفاق ما كانوا يفعلونه في الدنيا من الشرور والآثام؟

قوله تعالى:{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين : ٣٥]، أي:" على المجالس الفاخرة ينظر المؤمنون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعيم في الجنة"(٢١٣٩).

قال قتادة:" الأرائك: الحجال فيها السرر"(٢١٤٠).

(٢١٣٤) التفسير الميسر: ٥٨٨.

(٢١٣٥) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢١٣٦) التفسير البسيط للواحدي :٣٤٧/٢٣-٣٤٨.

(٢١٣٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٠٩ -.

(٢١٣٨)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٥٦ (٢٥٤) -.

(٢١٣٩) التفسير الميسر: ٥٨٩.

عن معمر، عن قتادة، في قوله: {على الأرائك}، قال: "هي الحجال. قال معمر، وقال غيره: السرر في الحجال"[٢١٤١].

قال قتادة:" دُكر لنا أن كعبا كان يقول: إن بين الجنة والنار كوى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدّو كان له في الدنيا، اطلع من بعض الكوى، قال الله جل ثناؤه: {فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ}، أي: في وسط النار، ودُكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلي"[٢١٤٢].

قال كعب: إن بين أهل الجنة وبين أهل النار كوى، لا يشاء رجل من أهل الجنة أن ينظر إلى غيره من أهل النار إلا فعل"[٢١٤٣].

قوله تعالى:{هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المطففين : ٣٦]، أي:" هل جوزي الكفار من جنس أعمالهم، جزاءً وفاق ما كانوا يفعلونه في الدنيا من الشرور والآثام؟"[٢١٤٤].

عن مجاهد: "{هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}، قال: جزي"[٢١٤٥].

ويقرأ :«هَثُوِّبَ»، بإدغام اللام في الثاء[٢١٤٦].

«آخر تفسير سورة (المطففين)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢١٤٠) الدر المنثور: ٣٨٩/٥، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.
(٢١٤١) أخرجه الطبري:١٨/١٨.
(٢١٤٢) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٤.
(٢١٤٣) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٤.
(٢١٤٤) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٤٥) أخرجه الطبري: ٣٠٥/٢٤.
(٢١٤٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٠١/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الانشقاق»

«سورة الانشقاق»: هي السورة الرابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الانفطار» وقبل «سورة الروم»، وآياتها ثلاث وعشرون عند الشامي والبصرى، وخمس عند الباقين. وكلماتها مائة وسبع. وحروفها أربعمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها اثنان {بيمينه} {ورآء ظهره} . فواصل آياتها «قهرتمان»، على الراء: {يَحُورَ} [الانشقاق : ١٤]، وعلى الميم: {أَلِيمٍ} [الانشقاق : ٢٤][٢١٤٧].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} بمكة"[٢١٤٨]. وروي عن ابن الزبير[٢١٤٩] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف بين المتأولين"[٢١٥٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٢١٥١].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٢١٥٢].

(٢١٤٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢١٤٨) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢١٤٩) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٢١٥٠) المحرر الوجيز: ٤٥٦/٥.

(٢١٥١) زاد المسير: ٤١٩/٤.

(٢١٥٢) التحرير والتنوير: ٢١٧/٣٠.

القرآن

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥)} [الانشقاق: ١-٥]

التفسير:

إذا السماء تصدَّعت، وتفطَّرت بالغمام يوم القيامة، وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به من الانشقاق، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره. وإذا الأرض بُسطت وَوُسِّعت، ودكت جبالها في ذلك اليوم، وقذفت ما في بطنها من الأموات، وتخلَّتْ عنهم، وانقادت لربها فيما أمرها به، وحُقَّ لها أن تنقاد لأمره.

قوله تعالى:{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: ١]، أي:" إذا السماء تصدَّعت، وتفطَّرت بالغمام يوم القيامة"(٢١٥٣).

قوله تعالى:{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} [الانشقاق: ٢]، أي:" وأطاعت أمر ربها فيما أمرها به من الانشقاق"(٢١٥٤).

عن مجاهد :{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}، قال: سمعت"(٢١٥٥). وفي لفظ:" سمعت لربها وأطاعت"(٢١٥٦).

قال سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك:" سمعت وأطاعت"(٢١٥٧).

قوله تعالى:{وَحُقَّتْ} [الانشقاق: ٢]، أي:" وحُقَّ للسماء أن تنقاد لأمره تعالى"(٢١٥٨).

وفي قوله تعالى:{وَحُقَّتْ} [الانشقاق: ٢]، وجهان:

أحدهما : أطاعت، قاله سعيد بن جبير(٢١٥٩)، وقتادة(٢١٦٠)، الضحاك(٢١٦١).

عن سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك:" {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}: سمعت وأطاعت"(٢١٦٢).

الثاني : معناه: حق لها أن تفعل ذلك، قاله مجاهد(٢١٦٣)، وسعيد بن جبير-أيضا-(٢١٦٤)، ومنه قول كثيّر(٢١٦٥):

فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا ... وَحُقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتِ

قال سعيد بن جبير:" وحُقّ لها"(٢١٦٦).

قوله تعالى:{وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} [الانشقاق: ٣]، أي:" وإذا الأرض بُسطت وَوُسِّعت، ودكت جبالها في ذلك اليوم"(٢١٦٧).

عن مجاهد، قوله: "{مُدَّتْ}، قال: يوم القيامة"(٢١٦٨).

وفي قوله تعالى:{مُدَّتْ} [الانشقاق: ٣]، وجهان:

(٢١٥٣) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٥٤) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٥٥) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢١٥٦) تفسير مجاهد: ٧١٤.
(٢١٥٧) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢١٥٨) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢١٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢١٦١) انظر: تفسير الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢١٦٢) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢١٦٣) انظر: تفسير مجاهد: ٧١٤.
(٢١٦٤) حكاه عن النحاس في إعراب القرآن: ١١٦/٥، بلفظ:" حقّ لها أن تأذن".
(٢١٦٥) انظر: أمالي القالي: ١٠٩/٢، وأمالي المرزوقي: ٦٤، والنكت والعيون: ٢٣٤/٦، وتفسير القرطبي: ٢٦٩/١٩.
(٢١٦٦) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٤.
(٢١٦٧) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٦٨) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤.

أحدهما : سويت، فدكّت الجبال وبيست البحار ، قاله السدي[٢١٦٩].
الثاني : بسطت، قاله الضحاك[٢١٧٠].

روى عليّ بن الحسين أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللهُ الأَرْضَ حَتّى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ إلا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، فَأَكُونَ أوَّلَ مَنْ يُدْعَي، وَجِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَاللهِ ما رآهُ قَبْلَهَا، فأقُولُ يَا رَبِّ إنَّ هَذَا أخْبَرَنِي أنَّكَ أرْسَلْتَهُ إليَّ، فَيَقُولُ: صَدَقَ، ثُمَّ أشْفَعُ فَأقُولُ: يَا رَبِّ عِبَادُكَ عَبَدُوكَ فِي أطْرَافِ الأرْضِ. - قال-: وَهُوَ المَقَامُ المَحْمُودُ»[٢١٧١].

قوله تعالى:{وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} [الانشقاق: ٤]، أي:" وقذفت ما في بطنها من الأموات، وتخلَّتْ عنهم"[٢١٧٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} [الانشقاق: ٤]، وجهان:
أحدهما : ألقت ما في بطنها من الموتى، وتخلت عمن على ظهرها من الأحياء، قاله ابن جبير[٢١٧٣]، ومجاهد[٢١٧٤].

قال مجاهد:" أخرجت ما فيها من الموتى"[٢١٧٥]. وفي لفظ:" أخرجت ما فيها من الموتى وتخلت منهم"[٢١٧٦].
الثاني : ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها ، وهو قول قتادة[٢١٧٧].

قال قتادة:" ألقت أثقالها وكنوزها، وتخلت منهما"[٢١٧٨].
قال قتادة:" أخرجت أثقالها وما فيها"[٢١٧٩].

القرآن
{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)} [الانشقاق: ٦]
التفسير:
يا أيها الإنسان إنك ساعٍ إلى الله، وعامل أعمالا من خير أو شر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فيجازيك بعملك بفضله أو عدله. أن لن يرجع.

قال قتادة:" عامل له عملا"[٢١٨٠].

قال قتادة:" إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوّة إلا بالله"[٢١٨١].

القرآن

(٢١٦٩) انظر: النكت والعيون: ٢٣٤/٦.
(٢١٧٠) انظر: النكت والعيون: ٢٣٤/٦.
(٢١٧١) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٥٤٦):ص٤٠٧/٣.
(٢١٧٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٧٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٥/٦.
(٢١٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١١/٢٤.
(٢١٧٥) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤.
(٢١٧٦) تفسير مجاهد: ٧١٤.
(٢١٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٣١١/٢٤.
(٢١٧٨) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٥٣):ص٤٠٩/٣.
(٢١٧٩) أخرجه الطبري: ٣١١/٢٤.
(٢١٨٠) أخرجه الطبري: ٣١٣/٢٤.
(٢١٨١) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٤-٣١٣.

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)} [الانشقاق: ٧-٩]

التفسير:

فأما من أعطي صحيفة أعماله بيمينه، وهو مؤمن بربه، فسوف يحاسب حسابًا سهلا ويرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا.

قوله تعالى:{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧)فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٧-٨]، أي:" فأما من أعطي صحيفة أعماله بيمينه، وهو مؤمن بربه ،فسوف يحاسب حسابًا سهلا"(٢١٨٢).

قال الحسن: "يجازى على الحسنات ويتجاوز له عن السيئات"(٢١٨٣).

عن عوف بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمتي ثلاث أثلاث: فثلث يدخلون الجنة ... بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكسفون، ثم تأتي الملائكة فيقولون: وجدناهم يقولون: لا إله إلا الله وحده، فيقول الله: «أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب» وهي التي قال الله: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِم} [العنكبوت : ١٣]، وتصديقا في التي ذكر الملائكة قال الله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر : ٣٢]، فجعلهم ثلاثة أنواع: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِه} [فاطر : ٣٢] فهذا الذي يكف ويمحص {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِد} [فاطر : ٣٢] وهو الذي يحاسب حسابا يسيرا ... {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَات} [فاطر : ٣٢]: فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله. يدخلونها جميعا لم يفرق بينهم {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ} [فاطر : ٣٣] ،إلى قوله: {لُغُوبٌ} [فاطر : ٣٥]"(٢١٨٤).

قوله تعالى:{وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: ٩]، أي:" ويرجع إلى أهله في الجنة مسرورًا"(٢١٨٥).

قال قتادة:" إلى أهْلٍ أعدّ الله لهم الجنة"(٢١٨٦).

روى الطبراني عن ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "إنكم تعملون أعمالا لا تعرف، ويوشك العازب أن يثوب إلى أهله، فمسرور ومكظوم"(٢١٨٧).

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)} [الانشقاق: ١٠-١٥]

التفسير:

وأمَّا مَن أُعطي صحيفة أعماله من وراء ظهره، وهو الكافر بالله، فسوف يدعو بالهلاك والثبور، ويدخل النار مقاسيًا حرها. إنه كان في أهله في الدنيا مسرورًا مغرورًا، لا يفكر في العواقب، إنه ظنَّ أن لن يرجع إلى خالقه حيا للحساب. بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله، إن ربه كان به بصيرًا عليمًا بحاله من يوم خلقه إلى أن بعثه.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} [الانشقاق: ١٠]، أي:" وأمَّا مَن أُعطي صحيفة أعماله من وراء ظهره، وهو الكافر بالله"(٢١٨٨).

(٢١٨٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.

(٢١٨٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٦/٦.

(٢١٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٩٠):ص٣١٨٢/١٠

(٢١٨٥) التفسير الميسر: ٥٨٩.

(٢١٨٦) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢٤.

(٢١٨٧)المعجم الكبير (٩٤/٢) من طريق يحيى الحماني، عن جعفر بن سليمان، عن أبي عبد الله الشامي، عن عائذ الله، عن ثوبان به مرفوعا، ويحيى الحماني ضعيف.

عن مجاهد:"{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ}، قال: يجعل يده من وراء ظهره"[٢١٨٩].

عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في أيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله"[٢١٩٠].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا} [الانشقاق: ١١]، أي:" فسوف يدعو بالهلاك والثبور"[٢١٩١].

قال الضحاك:" يدعو بالهلاك"[٢١٩٢].

قوله تعالى:{وَيَصْلَى سَعِيرًا} [الانشقاق: ١٢]، أي:" ويدخل النار مقاسيًا حرها"[٢١٩٣].

عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"[٢١٩٤].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا} [الانشقاق: ١٣]، أي:" إنه كان في أهله في الدنيا مسرورًا مغرورًا، لا يفكر في العواقب"[٢١٩٥].

عن قتادة: "{إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}، أي: في الدنيا"[٢١٩٦].

قال ابن عطاء:" لنفسه متابعا ساعيا"[٢١٩٧].

قوله تعالى:{إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} [الانشقاق: ١٤]، أي:" ، إنه ظنَّ أن لن يرجع إلى خالقه حيا للحساب"[٢١٩٨].

قال مجاهد:" أن لا يرجع إلينا"[٢١٩٩].

قال قتادة:" أن لا مَعَادَ له ولا رجعة"[٢٢٠٠]. وفي لفظ:" أن لن ينقلب: يقول: أن لن يبعث"[٢٢٠١].

القرآن

{فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)} [الانشقاق: ١٦-١٩]

التفسير:

أقسم الله تعالى باحمرار الأفق عند الغروب، وبالليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك، وبالقمر إذا تكامل نوره، لتركبُنَّ -أيها الناس- أطوارا متعددة وأحوالا متباينة: من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث والنشور.

قوله تعالى:{فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} [الانشقاق: ١٦]، أي:" أقسم باحمرار الأفق عند الغروب"[٢٢٠٢].

وفي المراد «بالشّفق» -هاهنا-، أقوال:

(٢١٨٨) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٨٩) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢٤.
(٢١٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٧١):ص٣٣٧١/١٠.
(٢١٩١) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٩٢) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢٤.
(٢١٩٣) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٠):ص٩٨٢/٣.
(٢١٩٥) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٩٦) أخرجه الطبري: ٣١٦/٢٤.
(٢١٩٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٠/!١٠.
(٢١٩٨) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢١٩٩) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(٢٢٠٠) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(٢٢٠١) أخرجه الطبري: ٣١٧/٢٤.
(٢٢٠٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.

أحدها: أنه الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس.

وقد روى ابن عمر ،عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- أنه قال: «الشفق: الحمرة»[٢٢٠٣].

وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «وقت الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطوله، ما لم يحضر العصر، ووقت العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة، فإنها تطلع بين قرني شيطان»[٢٢٠٤].

وهذا قول ابن المسيّب[٢٢٠٥]، وابن جبير[٢٢٠٦]، وطاووس[٢٢٠٧]، ومكحول[٢٢٠٨]، وعبدالله بن دينار[٢٢٠٩]، ومالك[٢٢١٠]، والأوزاعي[٢٢١١]، وأبي يوسف[٢٢١٢]، والشافعي[٢٢١٣]، وأبي ثور[٢٢١٤]، ومقاتل[٢٢١٥]، والفراء[٢٢١٦]، وأبي عبيد[٢٢١٧]، وأحمد[٢٢١٨]، وإسحاق[٢٢١٩]، وابن قتيبة[٢٢٢٠]، والزجاج[٢٢٢١]. وحكاه الثعلبي عن الأكثرين[٢٢٢٢].

الثاني: أنه النهار. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[٢٢٢٣].

عن مجاهد: "{فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ}، قال: النهار"[٢٢٢٤]. وفي لفظ: "النهار كله"[٢٢٢٥].

الثالث: الشمس. قاله مجاهد -أيضا-[٢٢٢٦].

الرابع: أنه ما بقي من النهار، قاله عكرمة[٢٢٢٧].

(٢٢٠٣)الصحيح موقوف، وأخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩ من حديث ابن عمر، وفي إسناده عتيق بن يعقوب، وهو لم يسمع من مالك. وورد من وجه آخر موقوفا، أخرجه الدارقطني ١/ ٢٦٩، وهو الراجح، وكذا روي عن جماعة من الصحابة موقوفا، وهو أصح، والله أعلم.

(٢٢٠٤) صحيح مسلم(٦١٢):ص٤٢٧/١.

(٢٢٠٥) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢٠٦) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢٠٧) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢٠٨) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢٠٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٢١٠) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢١١) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢١٢) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢١٤) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٢١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٣٩/٤.

(٢٢١٦) انظر: معاني القرآن: ٢٥١/٣.

(٢٢١٧) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٢١٨) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٢١٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٢٢٠) نقلا عن: زاد المسير: ٤٢١/٤.

(٢٢٢١) انظر: معاني القرآن: ٣٠٥/٥.

(٢٢٢٢) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.

(٢٢٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧١٥.

(٢٢٢٤) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٤.

(٢٢٢٥) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٤.

(٢٢٢٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٩٤):ص٣٤١١/١٠.

قال ابن كثير: ٣٥٨/٨-٣٥٩:" صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية :{فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ} هو النهار كله. وفي رواية عنه أيضا أنه قال : الشفق : الشمس. رواهما ابن أبي حاتم.

وإنما حمله على هذا قَرْنُهُ بقوله تعالى :{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}، أي : جمع. كأنه أقسم بالضياء والظلام".

الخامس: السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض، قاله أبو جعفر بن محمّد بن علي[٢٢٢٨].
السادس: أنه البياض، قاله عمر بن عبد العزيز[٢٢٢٩]، وأبو حنيفة[٢٢٣٠].
والاختيار، القول الأول لإجماع العبادلة عليه، ولأن الشواهد في كلام العرب وأشعارهم تشهد له، قال الشاعر[٢٢٣١]:
قُمْ يا غُلامُ أعنِّي غَيْرَ محتشم ... على الزَّمانِ بكأسٍ حَشوُهَا شَفَقُ"[٢٢٣٢].
قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ} [الانشقاق: ١٧]، أي:" وأقسم بالليل وما جمع من الدواب والحشرات والهوام وغير ذلك"[٢٢٣٣].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ} [الانشقاق: ١٧]، وجوه:
أحدها : أي: وما جمع وضم ، قاله سعيد بن جبير[٢٢٣٤]، والحسن[٢٢٣٥]، ومجاهد[٢٢٣٦]، وعكرمة[٢٢٣٧]، ومنه قول الشاعر[٢٢٣٨]:
إنَّ لنا قَلائصاً حَقَائِقا ... مُسْتَوْسِقَاتٍ لو يَجِدْنَ سَائِقَا
قال عكرمة:" وما جمع فيه من دوابه وحياته وعقاربه"[٢٢٣٩].
قال مجاهد:" وما جمع، يقول: ما آوى فيه من دابة"[٢٢٤٠].
عن مجاهد: "{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}: وما لفّ"[٢٢٤١]. وفي لفظ:" ما لُفّ عليه"[٢٢٤٢].
قال مجاهد:" وما أظلم عليه، وما أدخل فيه"[٢٢٤٣].
عن قتادة، وسعيد بن جبير: "{وَمَا وَسَقَ}، قال: وما جمع"[٢٢٤٤].
قال قتادة:" وما جمع من نجم أو دابة"[٢٢٤٥].
قال عكرمة:" ما حاز إذا جاء الليل"[٢٢٤٦].
الثاني : وما ساق ، لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مأواه ، قاله عكرمة[٢٢٤٧]، والضحاك[٢٢٤٨].

(٢٢٢٧) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٧/٦، وزاد المسير: ٤٢١/٤.
(٢٢٢٨) انظر: زاد المسير: ٤٢١/٤.
(٢٢٢٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٠/١٠، وزاد المسير: ٤٢١/٤.
(٢٢٣٠) انظر: الكشف والبيان: ٦٠/!١٠.
(٢٢٣١) بلا نسبة في الكشف والبيان: ٦٠/!١٠، وتفسير القرطبي: ١٩/ ٢٧٥، وفيه «مرتبك» «محتشم».
(٢٢٣٢) الكشف والبيان: ١٦٠/١٠.
(٢٢٣٣) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢٢٣٤) انظر: الكنى والأسماء للدولابي(٢٠٢٢):ص١١٥٩/٣.
(٢٢٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٢٤.
(٢٢٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٢٤.
(٢٢٣٧) انظر: الكنى والأسماء للدولابي(٢٠٢٣):ً١١٥٩/٣.
(٢٢٣٨)البيت للعجاج، كذا جاء في حاشية كتاب "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٠٥، أما "لسان العرب" فقد نسبه إلى طرفة: ١٠/ ٣٨٠، ديوان العجاج ملحقات مستقلة: ٢/ ٣٠٧، ولم أجده في ديوان طرفة.
(٢٢٣٩) الكنى والأسماء للدولابي(٢٠٢٣):ً١١٥٩/٣.
(٢٢٤٠) أخرجه الطبري: ٣١٩/٢٤.
(٢٢٤١) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٤.
(٢٢٤٢) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٤.
(٢٢٤٣) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٤.
(٢٢٤٤) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٤.
(٢٢٤٥) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٤.
(٢٢٤٦) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٤.
(٢٢٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢٤.
(٢٢٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢٤.

قال الضحاك:" ما ساق معه من ظلمة إذا أقبل"[٢٢٤٩].
الثالث : وما عمل فيه ، قاله سعيد بن جبير[٢٢٥٠]، وقال الشاعر [٢٢٥١]:
فيَوْماً ترانا صالِحِيْنَ وتارةً ... تقومُ بنا كالواسِقِ المُتَلَبِّبِ
أي: كالعامل .
قوله تعالى:{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ} [الانشقاق: ١٨]، أي:" وأقسم بالقمر إذا تكامل نوره"[٢٢٥٢].
وفي قوله تعالى:{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ} [الانشقاق: ١٨]، وجهان من التفسير:
أحدهما : إذا استوى، قاله سعيد بن جبير[٢٢٥٣]، ومجاهد[٢٢٥٤]، وعكرمة[٢٢٥٥]، وقتادة[٢٢٥٦].
وقال الحسن:" إذا اجتمع، إذا امتلأ"[٢٢٥٧].
عن سعيد بن جبير:"{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ}، قال: لثلاث عَشْرة"[٢٢٥٨].
قال الضحاك " إذا اجتمع فاستوى"[٢٢٥٩].
قال الضحاك: "ليلة أربع عشرة هي ليلة السواء[٢٢٦٠].
الثالث: والقمر إذا استدار ، قاله قتادة[٢٢٦١].
قوله تعالى:{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق: ١٩]، أي:" لتركبُنَّ -أيها الناس- أطوارا متعددة وأحوالا متباينة: من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى نفخ الروح إلى الموت إلى البعث والنشور"[٢٢٦٢].
وفي تفسير قوله تعالى:{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} [الانشقاق: ١٩]، وجوه:
أحدها : حالاً بعد حال، قاله سعيد بن جبير[٢٢٦٣]، والحسن[٢٢٦٤]، عكرمة[٢٢٦٥]، ومجاهد[٢٢٦٦]، ومرّة الطّيِّب[٢٢٦٧]، والضحاك[٢٢٦٨]، والشعبي[٢٢٦٩]، ومسروق[٢٢٧٠]، وأبو صالح[٢٢٧١]. ومنه قول كعب بن زهير [٢٢٧٢]:

(٢٢٤٩) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(٢٢٥٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦١!/١٠، والنكت والعيون: ٢٣٧/٦.
(٢٢٥١) بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٣٧/٦، وتفسير القرطبي: ٢٧٧/١٩، والبحر المحيط في التفسير: ٤٣٨/١٠، والدر المصون: ٧٣٧/١٠، واللباب: ٢٣٧/٢٠. وفي بعض المصادر«ويوما».
(٢٢٥٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢٢٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(٢٢٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(٢٢٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢٤.
(٢٢٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(٢٢٥٧) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(٢٢٥٨) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٤.
(٢٢٥٩) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٤.
(٢٢٦٠) انظر: النكت والعيون: ٢٣٨/٦.
(٢٢٦١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٥٤٩): ٤٠٨/٣.
(٢٢٦٢) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢٢٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.
(٢٢٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.
(٢٢٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.
(٢٢٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.
(٢٢٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٤.
(٢٢٦٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.
(٢٢٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٩٧): ٣٤١١/١٠.
(٢٢٧٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.
(٢٢٧١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.

كَذلِك المَرْءُ: إنْ يُنْسَأْ لَهُ أجَلٌ ... يَرْكَبْ عَلَى طَبَقٍ من بَعدِه طَبَقُ

قال مجاهد:" لَتَرْكَبُنَّ الأمور حالا بعد حال"[٢٢٧٣].

عن الشعبي: "{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} يا محمد حالا بعد حال"[٢٢٧٤].

وعن الحسن:" {طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} يقول: حالا بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقرا بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسَقَما بعد صحة"[٢٢٧٥].

الثاني : سماء بعد سماء، قاله مسروق[٢٢٧٦]، وأبو العالية[٢٢٧٧]، والشعبي[٢٢٧٨].

قال الشعبي:" «لَتَرْكَبَنَّ» يا محمد سماء بعد سماء"[٢٢٧٩].

عن مسروق: "«لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ»، قال: أنت يا محمد سماء عن سماء"[٢٢٨٠].

الثالث : أمراً بعد أمر. قاله مجاهد[٢٢٨١].

عن مجاهد، «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ»، قال: أمرًا بعد أمر"[٢٢٨٢].

وعن الحسن:" أمراً بعد أمر، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقراً بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقماً بعد صحة"[٢٢٨٣].

عن مجاهد: "{لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ}، قال: أمرًا بعد أمر"[٢٢٨٤].

الرابع : منزلا بعد منزل.قاله الحسن[٢٢٨٥]، وقتادة[٢٢٨٦]، والضحاك[٢٢٨٧].

عن الحسن:" منزلا عن منزل، وحالا بعد حال"[٢٢٨٨].

قال الضحاك:" منزلا بعد منزل، وحالا بعد حال"[٢٢٨٩].

وقال قتادة:" حالا بعد حال، ومنزلا عن منزل"[٢٢٩٠].

وعن سعيد بن جبير:" منزلة بعد منزلة ، قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة ، وقوم كانوا مرتفعين في الدنيا فاتضعوا في الآخرة"[٢٢٩١].

الخامس : أي: لتركبنّ سنة الأولين وسنة من كان قبلكم من الأولين. وهو معنى قول السدي[٢٢٩٢].

(٢٢٧٢)ديوانه ٢٢٨، والكشاف ٢/ ٥٣٤، ومفاتيح الغيب: ٨/ ٣٩٠، والبحر المحيط: ٨/ ٤٤٤ و ٤٤٧، واللسان: ٨١/١٢. وكعب شاعر مخضرم، ت ٢٦ هـ. (الشعر والشعراء ١٥٤، الأغاني ١٧ / ٨١، شرح بانت سعاد لأبي البركات الأنباري: ٢٠٢).

(٢٢٧٣) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(٢٢٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٩٧):ص٣٤١١/١٠.

(٢٢٧٥) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.

(٢٢٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٧٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤١٢/١٠. حكاه بدون سند.

(٢٢٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٩٩):ص٣٤١٢/١٠.

(٢٢٨٠) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٨١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٨٢) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٨٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٨/٦، وانظر: زاد المسير: ٤٢٢/٤.

(٢٢٨٤) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٨٥) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(٢٢٨٦) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤-٣٢٤.

(٢٢٨٧) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٨٨) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤.

(٢٢٨٩) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٤.

(٢٢٩٠) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٤-٣٢٤.

(٢٢٩١) النكت والعيون: ٢٣٨/٦، وانظر: زاد المسير: ٤٢٢/٤.

عن السدي: "عملاً بعد عمل ، يعمل الآخر عمل الأول"[٢٢٩٣].

وعن السدي:" {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل"[٢٢٩٤].

كأنه أراد معنى الحديث الصحيح : «لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم، حَذْو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحر ضَبٍّ لدخلتموه". قالوا : يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال : "فمن ؟»[٢٢٩٥]. وهذا محتمل"[٢٢٩٦].

السادس : شدة بعد شدة ، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء ، وفي كل حال من هذه شدة ، ذكر نحوه عطاء[٢٢٩٧]، وقد روى معناه جابر مرفوعاً[٢٢٩٨].

عن عطاء: "يريد شدة بعد شدة، يعني: شدائد القيامة"[٢٢٩٩].

عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن ابن آدم لفي غفلة مما خُلِقَ له ؛ إن الله إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه، اكتب أجله، اكتب أثره، اكتب شقيا أو سعيدًا، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه مَلَكا آخر فيحفظه حتى يدرك، ثم يرتفع ذلك الملك، ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته، فإذا حَضَره الموتُ ارتفع ذانك الملكان، وجاءه ملك الموت فقبض روحه، فإذا دخل قبره رَدَّ الروح في جسده، ثم ارتفع ملك الموت، وجاءه مَلَكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات، فانتشطا كتابا معقودا في عنقه، ثم حضرا معه : واحدٌ سائقا وآخر شهيدا"، ثم قال الله عز وجل :{لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} [ق : ٢٢]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} قال : "حالا بعد حال". ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إن قدامكم لأمرا عظيما لا تَقدرُونه، فاستعينوا بالله العظيم» [٢٣٠٠]. قال ابن أبي حاتم: "هذا حديث منكر".

قال ابن كثير:" هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء، ولكن معناه صحيح "[٢٣٠١].

السابع : أي: في كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه. قاله مكحول[٢٣٠٢].

قال مكحول:" في كل عشرين عاما تحدثون أمرا لم تكونوا عليه"[٢٣٠٣].

والصواب من التأويل قول من قال «لَتَرْكَبَنَّ» أنت يا محمد حالا بعد حال، وأمرًا بعد أمر من الشدائد. والمراد بذلك -وإن كان الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موجهًا- جميع الناس، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالا، وإنما قلنا: عُنِي بذلك ما ذكرنا أن الكلام قبل قوله: «لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ» جرى بخطاب الجميع، وكذلك بعده، فكان أشبه أن يكون ذلك نظير ما قبله وما بعده، وقوله: {طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ} من قول العرب: وقع فلان في بنات طبق: إذا وقع في أمر شديد[٢٣٠٤].

(٢٢٩٢) النكت والعيون: ٢٣٨/٦.

(٢٢٩٣) النكت والعيون: ٢٣٨/٦.

(٢٢٩٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.

(٢٢٩٥)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٥٦) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢٢٩٦)تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٨.

(٢٢٩٧) التفسير البسيط: ٣٧١/٢٣.

(٢٢٩٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٣):ص٣٤١٢/١٠.

(٢٢٩٩) التفسير البسيط: ٣٧١/٢٣.

(٢٣٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٣):ص٣٤١٢/١٠.

(٢٣٠١) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٨.

(٢٣٠٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٠٠):ص٣٤١٢/١٠.

(٢٣٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٠):ص٣٤١٢/١٠.

(٢٣٠٤) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٤.

قراءة العالمة: {لَتَرْكَبُنَّ}، بالتاء، وبضم الباء على وجه الخطاب للناس كافة أنهم يركبون أحوال الشدّة حالا بعد حال. وقد ذكر بعضهم أنه قرأ ذلك بالياء وبضم الباء، على وجه الخبر عن الناس كافة، أنهم يفعلون ذلك[٢٣٠٥].

القرآن

{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)} [الانشقاق: ٢٠-٢٤]

التفسير:

فأيُّ شيء يمنعهم من الإيمان بالله واليوم الآخر بعد ما وُضِّحت لهم الآيات؟ وما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله، ولا يسلِّمُون بما جاء فيه؟ إنما سجية الذين كفروا التكذيب ومخالفة الحق. والله أعلم بما يكتمون في صدورهم من العناد مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق، فبشرهم -أيها الرسول- بأن الله -عز وجل- قد أعدَّ لهم عذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الانشقاق: ٢٠]، أي:" فأيُّ شيء يمنعهم من الإيمان بالله واليوم الآخر بعد ما وُضِّحت لهم الآيات؟"[٢٣٠٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} [الانشقاق: ٢١]، أي:" وما لهم إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله، ولا يسلِّمُون بما جاء فيه؟"[٢٣٠٧].

قال قتادة:" لا يتواضعون ويخضعون"[٢٣٠٨].

وقال عكرمة: "لا يباشرون بجباههم المصلى"[٢٣٠٩].

وقال محمد بن كعب: "لا يصلون"[٢٣١٠].

قوله تعالى:{ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} [الانشقاق: ٢٣]، أي:" إنما سجية الذين كفروا التكذيب ومخالفة الحق، والله أعلم بما يكتمون في صدورهم من العناد مع علمهم بأن ما جاء به القرآن حق"[٢٣١١].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} [الانشقاق: ٢٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : بما يُسِرون في قلوبهم ، قاله قتادة[٢٣١٢].

عن قتادة: "{يُوعُونَ}، قال: في صدورهم"[٢٣١٣].

الثاني : بما يكتمون من أفعالهم ، قاله مجاهد[٢٣١٤].

والمعنى" والله أعلم بما تُوعيه صدور هؤلاء المشركين من التكذيب بكتاب الله ورسوله"[٢٣١٥].

قوله تعالى:{فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الانشقاق: ٢٤]، أي:" فبشرهم -أيها الرسول- بأن الله -عز وجل- قد أعدَّ لهم عذابًا موجعًا"[٢٣١٦].

(٢٣٠٥) انظر: الحجة للقراء السبعة: ٣٩١/٦، وتفسير الطبري: ٣٢٥/٢٤.
(٢٣٠٦) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢٣٠٧) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢٣٠٨) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٠/١٠.
(٢٣٠٩) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٠/١٠.
(٢٣١٠) البحر المحيط في التفسير: ٤٤٠/١٠.
(٢٣١١) التفسير الميسر: ٥٨٩.
(٢٣١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(٢٣١٣) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(٢٣١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤.
(٢٣١٥) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٤.
(٢٣١٦) التفسير الميسر: ٥٨٩.

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢٣١٧]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢٣١٨].

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)} [الانشقاق: ٢٥]

التفسير:

لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وأدَّوْا ما فرضه الله عليهم، لهم أجر في الآخرة غير مقطوع ولا منقوص.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الانشقاق: ٢٥]، أي:" لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وأدَّوْا ما فرضه الله عليهم"[٢٣١٩].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٢٣٢٠].

قوله تعالى:{لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق: ٢٥]، أي:" لهم أجر في الآخرة غير مقطوع ولا منقوص"[٢٣٢١].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق: ٢٥]، وجوه:

أحدها : غير محسوب، قاله مجاهد[٢٣٢٢]، وإبراهيم النخعي[٢٣٢٣].

الثاني : غير منقوص، قاله السدي[٢٣٢٤]، ومنه قول زهير بن أبي سلمى[٢٣٢٥]:

فضل الجياد على الخيل البطاء فلا ... يعطي بذلك ممنونا ولا ترقا

الثالث : أجر بغير عمل. قاله الضحاك[٢٣٢٦].

الرابع: غير ممنون عليهم[٢٣٢٧] مِن أذًى. قاله الحسن[٢٣٢٨].

«آخر تفسير سورة (الانشقاق)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢٣١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٢٣١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٢٣١٩) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٣٢٠)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.

(٢٣٢١) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٣٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٤، وتفسير مجاهد: ٥٨٥.

(٢٣٢٣) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٤.

(٢٣٢٤) انظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.

(٢٣٢٥) ديوانه: ٤٢.

أراد أن الممدوح فضل الناس فضل الجياد على البطاء من الخيل. الجياد: الواحد جواد، الذي يجود بما عنده من الجري. الممنون: المقطوع. الترق: الذي يبطئ بعد الجري والذي يعطي ثم يكف.

(٢٣٢٦)تفسير البغوي ٨/ ٤٧٣.

(٢٣٢٧)قال ابن كثير:" وقال بعضهم :{غَيْرُ مَمْنُونٍ} عليهم، وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ؛ فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائما سرمدًا، والحمد لله وحده أبدا ؛ ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَّفَس :{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]". [تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٨].

(٢٣٢٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٦ -.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «البروج»

«سورة البروج»: هي السورة الخامسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «والشمس وضحاها» وقبل سورة «التين»، وآياتها اثنتان وعشرون. وكلماتها مائة وتسع. وحروفها أربعمائة وثمان وخمسون. وفواصل آياتها: «قرط ظب جد»[٢٣٢٩].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: نزلت {والسماء ذات البروج} بمكة"[٢٣٣٠].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين لا خلاف في ذلك"[٢٣٣١].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٢٣٣٢].

(٢٣٢٩) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠٨/١.

(٢٣٣٠) انظر: الدر المنثور: ٤٦١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه.

(٢٣٣١) المحرر الوجيز: ٤٦٠/٥.

(٢٣٣٢) زاد المسير: ٤٢٣/٤.

القرآن

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)} [البروج : ١-٩]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالسماء ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر، وبيوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، وشاهد يشهد، ومشهود يشهد عليه. ويقسم الله -سبحانه- بما يشاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم بغير الله، فإن القسم بغير الله شرك - لُعن الذين شَقُّوا في الأرض شقًا عظيمًا؛ لتعذيب المؤمنين، وأوقدوا النار الشديدة ذات الوَقود، إذ هم قعود على الأخدود ملازمون له، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تنكيل وتعذيب حضورٌ. وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الذي لا يغالَب، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه، الذي له ملك السماوات والأرض، وهو -سبحانه- على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١]، أي:" أقسم بالسماء ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر"[٢٣٣٣].

وفي تفسير قوله تعالى: {ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج : ١]، أقوال:

أحدها : ذات النجوم، قاله الحسن[٢٣٣٤]، ومجاهد[٢٣٣٥]، وقتادة[٢٣٣٦]، والضحاك[٢٣٣٧]، والسدي[٢٣٣٨].

قال مجاهد:" البروج: النجوم"[٢٣٣٩].

قال قتادة:" بروجها: نجومها"[٢٣٤٠].

قال قتادة: "سُميت بروجاً، لظهورها"[٢٣٤١].

الثاني : ذات الكواكب، قاله مجاهد-أيضا-[٢٣٤٢]، وقتادة-أيضا-[٢٣٤٣].

عن قتادة :" {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} [الحجر : ١٦]، قال: الكواكب"[٢٣٤٤].

الثالث : أنها الكواكب العظام، يعني: السبعة السيارة. قاله أبو صالح[٢٣٤٥].

عن أبي صالح قوله: "{ولقد جعلنا في السماء بروجا}، قال: الكواكب العظام"[٢٣٤٦].

الرابع : ذات القصور ، قاله يحيى بن رافع[٢٣٤٧].

قال الضحاك:" يزعمون أنها قصور في السماء"[٢٣٤٨].

(٢٣٣٣) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٣٣٤) انظر: النكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.

(٢٣٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٤.

(٢٣٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٤.

(٢٣٣٧) انظر: النكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.

(٢٣٣٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.

(٢٣٣٩) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٤.

(٢٣٤٠) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٤.

(٢٣٤١) نقلا عن: زاد المسير: ٥٢٦/٢.

(٢٣٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/١٧.

(٢٣٤٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٤٥):ص٢٢٥٩/٧.

(٢٣٤٤) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤، وابن أبي حاتم(١٢٣٤٥):ص٢٢٥٩/٧.

(٢٣٤٥) نظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٤٦):ص٢٢٥٩/٧.

(٢٣٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٦):ص٢٢٥٩/٧.

(٢٣٤٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.

وعن عطية:"{ولقد جعلنا في السماء بروجا}، قال: قصورا في السماء فيها الحرس"[٢٣٤٩].
وحكي عن مجاهد:" البروج التي فيها الحرس"[٢٣٥٠].
الخامس : ذات الخلْق الحسن ، قاله المنهال بن عمرو[٢٣٥١].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معنى ذلك: والسماء ذات منازل الشمس والقمر، وذلك أن البروج جمع برج، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة، ومن ذلك قول الله: {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} هي منازل مرتفعة عالية في السماء، وهي اثنا عشر برجًا، فمسير القمر في كلّ برج منها يومان وثلث، فذلك ثمانية وعشرون منزلا ثم يستسرّ ليلتين، ومسير الشمس في كلّ برج منها شهر[٢٣٥٢].
قوله تعالى:{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ} [البروج : ٢]، أي:" وبيوم القيامة الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه"[٢٣٥٣].
قال قتادة: "اليوم الموعود ، يوم القيامة "[٢٣٥٤].
عن أبي مالك الأشعريّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « {الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ}: يوم القيامة»[٢٣٥٥].
عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ"[٢٣٥٦].
عن عمار، قال: قال أبو هريرة: "«{الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ}: يَوْمُ الْقِيَامَةِ». قال يونس، وكذلك الحسن"[٢٣٥٧].
قوله تعالى:{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [البروج : ٣]، أي:" وشاهد يشهد، ومشهود يشهد عليه"[٢٣٥٨].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} [البروج : ٣]، أقوال :
أحدها: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة، رواه أبو هريرة عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلم-[٢٣٥٩]، وبه قال عمار مولى بني هاشم[٢٣٦٠]، والحسن[٢٣٦١]، وقتادة[٢٣٦٢].
قال قتادة:" الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة"[٢٣٦٣].
قال قتادة:" يومان عظيمان من أيام الدنيا، كنا نحدّث أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة"[٢٣٦٤].
عن سعيد بن المسَيَّب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهدُ، والمشهود يوم عرفة"[٢٣٦٥].

(٢٣٤٨) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٤.
(٢٣٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٤٧):ص٢٢٥٩/٧.
(٢٣٥٠) تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٢٣٥١) انظر: النكت والعيون: ٢٤٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٦٣/٨.
(٢٣٥٢) تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(٢٣٥٣) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢٣٥٤) أخرجه عبدالرزاق(٣٥٦١):ص٤١١/٣، والطبري: ٣٣٣/٢٤.
(٢٣٥٥) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٤.
(٢٣٥٦) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(٢٣٥٧) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٤.
(٢٣٥٨) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢٣٥٩)مسند احمد(٧٩٧٢):ص٣٥١/١٣.
(٢٣٦٠) انظر: مسند أحمد (٧٩٦٠):ص٩١/٨. إسناده صحيح، ولفظه موثق.
(٢٣٦١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/٢٤.
(٢٣٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٤/٢٤.
(٢٣٦٣) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٤.
(٢٣٦٤) أخرجه الطبري: ٣٣٤/٢٤.

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اليوم الموعود يوم القيامة، وإن الشاهد يوم الجمعة، وإن المشهود يوم عرفة، ويوم الجمعة ذخره الله لنا"[٢٣٦٦].

عن عمار، قال: قال أبو هريرة: "الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم عرفة"[٢٣٦٧].

فعلى هذا سمي يومُ الجمعة شاهداً، لأنه يشهد على كل عامل بما يعمل فيه، وسمي يومُ عرفة مشهوداً، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج، وتشهده الملائكة[٢٣٦٨].

الثاني: أن الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يوم القيامة، يشهده الأولون والآخرون. قاله الحسن[٢٣٦٩].

الثالث : أن الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة، قاله سعيد بن المسيب[٢٣٧٠].

الرابع : أنّ الشاهد ابن آدم، والمشهود: يوم القيامة، قاله عكرمة[٢٣٧١]، والضحاك[٢٣٧٢]، ورواه ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد[٢٣٧٣].

الخامس : أن الشاهد: آدم، والمشهود: يوم القيامة. رواه ابن أبي نجح عن مجاهد[٢٣٧٤].

السادس: أنّ الشاهد: آدم، وذريته، والمشهود يوم القيامة، قاله عطاء بن يسار[٢٣٧٥].

وروي عن سعيد بن المسيب: {وَمَشْهُودٍ}: يوم القيامة"[٢٣٧٦].

السابع: أن الشاهد: الإنسان، والمشهود: الله عزّ وجلّ، قاله محمد بن كعب[٢٣٧٧].

الثامن: أن الشاهد: يوم النحر، والمشهود: يوم عرفة، قاله إبراهيم[٢٣٧٨].

التاسع: أنّ الشاهد: عيسى ابن مريم عليه السلام، والمشهود: أمته، قاله أبو مالك[٢٣٧٩]. ودليله قوله عزّ وجلّ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة : ١١٧].

العاشر: أن الشاهد: محمد-صلى الله عليه وسلم-، والمشهود: يوم الجمعة. رواه يزيد عن عكرمة[٢٣٨٠].

الحادي عشر : أن الشاهد: محمد، والمشهود: يوم عرفة، قاله الضحاك[٢٣٨١].

الثاني عشر: أن الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم، حكي السدي نحوه[٢٣٨٢].

الثالث عشر: أن الشاهد: الملك يشهد على آدم، والمشهود: يوم القيامة. ودليله هاتين الآيتين: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} [ق : ٢١] {وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ} [هود : ١٠٣]. قاله عكرمة[٢٣٨٣].

الرابع عشر : أن الشاهد: هو الله، والمشهود: بنو آدم، قاله سعيد بن جبير[٢٣٨٤].

(٢٣٦٥) أخرجه الطبري:٣٣٤/٢٤.

(٢٣٦٦) أخرجه الطبري:٣٣٤/٢٤-٣٣٥.

(٢٣٦٧) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٤.

(٢٣٦٨) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.

(٢٣٦٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.

(٢٣٧٠) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.

(٢٣٧١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.

(٢٣٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.

(٢٣٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٤. رواية ابن أبي نجيح عنه، وانظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠، رواية ليث عنه.

(٢٣٧٤) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.

(٢٣٧٥) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.

(٢٣٧٦) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٤.

(٢٣٧٧) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.

(٢٣٧٨) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.

(٢٣٧٩) انظر: الكشف والبيان: ١٦٦/١٠.

(٢٣٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٤.

(٢٣٨١) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.

(٢٣٨٢) انظر: تفسير السمعاني: ١٩٤/٦، حكي عن السدي:" أن الشاهد هو الملائكة، والمشهود هو الإنسان".

(٢٣٨٣) انظر: الكشف والبيان: ١٠/!٦٦.

الخامس عشر : أن الشاهد: الليالي والأيام، والمشهود: بنو آدم. وهو معنى قول الحسن[٢٣٨٥].

عن الحسن، قال: " ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم يقول: يا أيها الناس إني يوم جديد، وأنا على من يعمل في شهيد، وإني لو غربت الشمس لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة"[٢٣٨٦].

قال قتادة:" وقع القسم –هاهنا- :{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}"[٢٣٨٧].

قوله تعالى:{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} [البروج : ٤]، أي:" لُعن الذين شَقُّوا في الأرض شقًا عظيمًا؛ لتعذيب المؤمنين"[٢٣٨٨].

عن قتادة :{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}، قال: يعني: القاتلين الذين قتلوهم يوم قتلوا"[٢٣٨٩].

وقد اختلف أهل العلم في «أصحاب الأخدود»، على أقوال:

أحدها: أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلّمه السّحر، فكان الغلام يمرُّ على راهب، فأعجبه أمره، فتبعه، فعلم به المَلِك، فأمره أن يرجع عن دينه، فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه، فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. اجمع الناس في صعيد واحد، واصلبني على جذع، وارمني بسهم من كنانتي، وقل: بسم الله ربِّ الغلام، ففعل، فمات الغلام، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فخدَّ الأخاديد، وأضرم فيها النار، وقال: فمن لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا، وهذا مختصر حديث صهيب عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم[٢٣٩٠].

(٢٣٨٤) انظر: زاد المسير: ٤٢٤/٤.

(٢٣٨٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد (٤٢٤):ص١٨٦، وفي كلام الليالي والأيام(٢٢):ص٢٤.

(٢٣٨٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد (٤٢٤):ص١٨٦، وفي كلام الليالي والأيام(٢٢):ص٢٤.

(٢٣٨٧) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤.

(٢٣٨٨) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٣٨٩) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٤. ورواية عبدالرزاق في التفسير(٣٥٦٧):ص٤١٢/٣: «يعني: القاتلين الذين قتلوا , ثم قتلوا»

(٢٣٩٠)صحيح. أخرجه مسلم ٣٠٠٥ وابن حبان ٨٧٣ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ٤٥٩- ٤٦٠ من طريق هدبة بن خالد به. من حديث صهيب. وأخرجه الطبري (٣٦٨٧٤):ص ٣٣٩/٢٤-٣٤٠ من طريق حرمي بن عمارة ثنا حماد بن سلمة به. وأخرجه الترمذي ٣٣٤٠ وعبد الرزاق ٩٧٥١ والطبراني ٧٣١٩ من طريق معمر عن ثابت به. وأخرجه النسائي في «الكبرى» ١١٦٦١ وأحمد ٦/ ١٧ و ١٨ والطبراني ٧٣٢٠ من طرق عن حماد بن سلمة به.

نص الحديث:« عن صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ ساحِرٌ، فَأَتَى السَّاحِرُ الْمَلِكَ فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجَلِي، فَادْفَعْ لِي غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ "، قال: " فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ "، قَالَ: " فَكَانَ الْغُلامُ يَخْتَلِفُ إلى السَّاحِرِ، وكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ "، قال: " فَكَانَ الْغُلامُ إِذَا مَرَّ بالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ، فَأَعْجِبَ بِكَلامِهِ، فَكَانَ الْغُلامُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إلى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ في طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لا تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ، فَقَالَ الْغُلامُ: الآنَ أَعْلَمُ: أَمْرُ السَّاحِرِ أَرْضَى عِنْدَ اللهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا "، قَالَ: فَقَالَ: " اللَّهُمْ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَإِنِّي أَرْمِي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ، قَالَ: فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَازَ النَّاسُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ "، قَالَ: وَأَتَاهُ الْغُلامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِن ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّنَّ عَلَيَّ "؛ قَالَ: " وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأدواءِ، وكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَعَمِيَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلامًا يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟ قَالَ: " فَاتَّخَذَ لَهُ هَدَايا "؛ قَالَ: " ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا غُلامُ، إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطَبِيبٍ يَشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكَ "، قَالَ: " فَآمَنَ ن صهيب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَلِكٌ، وَكَانَ لَهُ ساحِرٌ، فَأَتَى السَّاحِرُ الْمَلِكَ فَقَالَ: قَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَنَا أَجَلِي، فَادْفَعْ لِي غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ "، قال: " فَدَفَعَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ السِّحْرَ "، قَالَ: " فَكَانَ الْغُلامُ يَخْتَلِفُ إلى السَّاحِرِ، وكَانَ بَيْنَ السَّاحِرِ وَبَيْنَ المَلِكِ رَاهِبٌ "، قال: " فَكَانَ الْغُلامُ إِذَا مَرَّ بالرَّاهِبِ قَعَدَ إِلَيْهِ فَسَمِعَ مِنْ كَلامِهِ، فَأَعْجِبَ بِكَلامِهِ، فَكَانَ الْغُلامُ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَقَالَ: مَا حَبَسَكَ؟ وَإِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَعَدَ عِنْدَ الرَّاهِبِ يَسْمَعُ كَلامَهُ، فَإِذَا رَجَعَ إلى أَهْلِهِ ضَرَبُوهُ وَقَالُوا: مَا حَبَسَكَ؟ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ السَّاحِرُ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ أَهْلُكَ: مَا حَبَسَكَ؟ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ مَرَّ في طَرِيقٍ وَإِذَا دَابَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الطَّرِيقِ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ لا تَدَعُهُمْ يَجُوزُونَ، فَقَالَ

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يَسَار هذه القصة في السيرة بسياق آخر، فيها مخالفة لما تقدم[٢٣٩١].

الْغُلامُ: الآنَ أَعْلَمُ: أَمْرُ السَّاحِرِ أَرْضَى عِنْدَ اللهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَجَرًا "، قَالَ: فَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَإِنِّي أَرْمِي بِحَجَرِي هَذَا فَيَقْتُلُهُ وَيَمُرُّ النَّاسُ، قَالَ: فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَجَازَ النَّاسُ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ "، قَالَ: وَأَتَاهُ الْغُلامُ فَقَالَ الرَّاهِبُ لِلْغُلامِ: إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِّي، وَإِن ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّنَّ عَلَيَّ "؛ قَالَ: " وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدوَاءِ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَعَمِيَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلامًا يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَسَائِرَ الأَدْوَاءِ فَلَوْ أَتَيْتَهُ؟ قَالَ: " فَاتَّخَذَ لَهُ هَدَايا "؛ قَالَ: " ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا غُلامُ، إِنْ أَبْرَأْتَنِي فَهَذِهِ الهَدَايَا كُلُّهَا لَكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِطبيبٍ يشْفِيكَ، وَلَكِنَّ اللهَ يَشْفِي، فَإِذَا آمَنْتَ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكَ "، قَالَ: " فَآمَنَ الأَعْمَى، فَدَعَا اللهَ فَشَفَاهُ، فَقَعَدَ الأَعْمَى إِلَى الْمَلِكِ كَمَا كَانَ يَقْعُدُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَلَيْسَ كُنْتَ أَعْمَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَنْ شَفَاكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيرِي؟ قَالَ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ "، قَالَ: " فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ فَقَالَ: لَتَدُلَّنِي عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا "، قَالَ: " فَدَلَّ عَلَى الغلامِ، فَدَعَا الْغُلامَ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ "، قَالَ: " فَأَبَى الْغُلامُ "؛ قَالَ: فَأَخَذَهُ بِالْعَذَابِ "، قَالَ: " فَدَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَأَخَذَ الرَّاهِبَ فَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى "، قَالَ: " فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ "، قَالَ: " وَأَخَذَ الأَعْمَى فَقَالَ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ "، قَالَ: " فَأَبَى الأَعْمَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ عَلَى هَامَتِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ لِلْغُلامِ: لَتَرْجِعَنَّ أَوْ لأَقْتُلَنَّكَ "، قال: " فَأَبَى "، قَالَ: " فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ حَتَّى تَبْلُغُوا بِهِ ذِرْوَةَ الْجَبَلِ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلا فَدَهْدِهُوهُ، فَلَمَّا بَلَغُوا به ذِرْوَةَ الْجَبَلِ فَوَقَعُوا فَمَاتُوا كُلُّهُمْ. وَجَاءَ الْغُلامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. قَالَ: فَاذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَغَرِّقُوهُ " قال: " فَذَهَبُوا بِهِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ قَالَ الْغُلامُ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ. وَجَاءَ الْغُلامُ يَتَلَمَّسُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: أَيْنَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: دَعَوْتُ اللهَ فَكَفَانِيهِمْ، قَالَ: لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ: مَا أَنْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَصْنَعَ مَا آمُرُكَ "، قَالَ: " فَقَالَ الْغُلامُ لِلْمَلِكِ: اجْمَعِ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اصْلُبْنِي، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي فَارْمِنِي وَقُلْ: باسْمِ رَبِّ الْغُلامِ فَإِنَّكَ سَتَقْتُلُنِي "، قَالَ: " فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ "، قَالَ: " وَصَلَبَهُ وَأَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ رَمَى، فَقَالَ: باسْمِ رَبِّ الْغُلامِ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِ الْغُلامِ، فَوَضَعَ يَدَهُ هَكَذَا عَلَى صُدْغِهِ وَمَاتَ الْغُلامُ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، فَقَالُوا لِلْمَلِكِ: مَا صَنَعْتَ، الَّذِي كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَقَعَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَأُخِذَتْ، وَخَدَّ الأُخْدُودَ وضَرَمَّ فِيهِ النِّيرَانَ، وَأَخَذَهُمْ وَقَالَ: إِنْ رَجَعُوا وَإِلا فَأَلْقُوهُمْ فِي النَّارِ "، قَالَ: " فَكَانُوا يُلْقُونَهُمْ فِي النَّارِ "، قَالَ: " فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا "، قَالَ: " فَلَمَّا ذَهَبَتْ تَقْتَحِمُ وَجَدَتْ حَرَّ النَّارِ، فَنَكَصَتْ "، قَالَ: " فَقَالَ لَهَا صَبِيُّهَا يا أُمَّاهُ امْضِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتْ فِي النَّارِ"».

(٢٣٩١) فقال : حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي - وحدثني أيضًا بعض أهل نجران، عن أهلها - : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريبًا من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جمَاعُ أهل تلك البلاد - ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها قيمُون- ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه، قالوا : رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه، حتى أسلم فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي، إنك لن تحمله ؛ أخشى ضعفك عنه. والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه، وتخوف ضعفه فيه، عمد إلى أقداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدْح، وكل اسم في قدح، حتى إذا أحصاها أوقد نارًا ثم جعل يقذفها فيها قدْحا قدْحًا، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدْحه، فوثب القدْح حتى خرج منها لم يضره شيء، فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي كتمه فقال : وما هو : قال : هو كذا وكذا. قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع. قال : أي ابن أخي، قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل. فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدًا به ضر إلا قال : يا عبد الله، أتوحدُ الله وتدخلُ في ديني وأدعو الله لك فيعافيكَ مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم. فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له فَيشفَى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه، فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلنّ بك. قال : لا تقدر على ذلك. قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل، فَيُطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ما به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه نجران، بُحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك، فيلقى به فيها، فيخرج ليس به بأس. فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك - والله - لا تقدر على قتلي حتى تُوَحّدَ الله فَتُؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت سُلطتَ عليّ فقتلتني. قال : فوحّدَ الله ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة، فقتله، وهلك الملك مكانه. واستجمع أهلُ نجران على دين عبد الله بن الثامر - وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم، عليه السلام، من الإنجيل وحُكمه - ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران.

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أيّ ذلك

الثاني: أنهم أناس اقتتل مؤمنوهم وكافروهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يَغدِر بعضهم ببعض، فغدر الكفار، فأخذوهم، فقال لهم رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً، واعرضوا عليها، فمن تابعكم على دينكم، فذاك الذي تحبون، ومن لم يتابعكم أُقحم النار فاسترحتم منه. ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها، ذكره قتادة[٢٣٩٢].

كان. قال : فسار إليهم ذو نواس بجنده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيَّرهم بين ذلك أو القتل، فاختاروا القتل، فخدّ الأخدود، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم، حتى قتل منهم قريبًا من عشرين ألفا، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله، عز وجل، على رسوله صلى الله عليه وسلم :{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}"[السيرة النبوية لابن هشام (٣٤/١)].

قال ابن كثير:" هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس، واسمه : زرعة، ويسمَّى في زمان مملكته بيوسف، وهو ابن تِبَان أسعد أبي كَرب، وهو تُبَّع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة، فكان تَهَوّد من تَهَوّد من أهل اليمن على يديهما، كما ذكره ابن إسحاق مَبسوطًا، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفا، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له : دوس ذو ثَعلبان، ذهب فارسا، وطَرَدُوا وراءه فلم يُقدَر عليه، فذهب إلى قيصر ملك الشام، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسل معه جيشًا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة، فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود، وذهب ذو نواس هاربًا فَلَجَّج في البحر، فغرق. واستمر مُلْكُ الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة، ثم استنقذه سيف ابن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى، لما استجاش بكسرى ملك الفرس، فأرسل معه من في السجون، وكانوا قريبًا من سبعمائة، ففتح بهم اليمن، ورجع الملك إلى حمير. وسنذكر طرفًا من ذلك - إن شاء الله - في تفسير سورة :{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}". [تفسير ابن كثير: ٣٦٩/٨-٣٧٠].

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أنه حُدِّث : أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب، حَفَر خَرِبَة من خَرِب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن فيها قاعدا، واضعا يده على ضربة في رأسه، ممسكا عليها بيده، فإذا أخذت يده عنها ثَعبتْ دما، وإذا أرسلت يده رُدّت عليها، فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه : ربي الله. فكُتِب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره، فكتب عمر إليهم : أن أقرّوه على حاله، وردّوا عليه الدّفَن الذي كان عليه. ففعلوا ".[السيرة النبوية لابن هشام (٣٦/١)]

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، حدثني بعض أهل العلم : أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط، فبناه فسقط، ثم بناه فسقط، فقيل له : إن تحته رجلا صالحًا. فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائمًا معه سيف، فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض، نقمت على أصحاب الأخدود. فاستخرجه أبو موسى، وبنى الحائط، فثبت.
قلت : هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مُضاض بن عمرو الجرهمي، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد نَبْت بن إسماعيل بن إبراهيم، وَوَلَدُ الحارث هذا هو : عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قاله العرب [السيرة النبوية لابن هشام (١١٥/١)]:

كَأن لم يَكُنْ بَين الحَجُون إلى الصّفا... أنِيسٌ، ولم يَسمُر بمكّة سَامِرُ
بَلَى، نَحنُ كُنَّا أهلَهَا فأبادَنَا... صُروفُ اللَّيالي والجُدودُ العَوَاثِرُ

[نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٨]

ثم قال ابن كثير:" وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل، عليه السلام، بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمان الفترة التي بين عيسى ومحمد، عليهما من الله السلام، وهو أشبه، والله أعلم.

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرًا، كما قال ابن أبي حاتم : « عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتُونا، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بختنصر، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه : عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما بردًا وسلاما، وأنقذهما منها، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط، فأكلتهم النار»[تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٨-٣٧١]

(٢٣٩٢) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٤. عن قتادة، قوله: "{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}، قال: حُدِّثنا أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقول: هم ناس بمذارع اليمن، اقتتل مؤمنوها وكفارها، فظهر مؤمنوها على كفارها، ثم اقتتلوا الثانية، فظهر مؤمنوها على كفارها ثم أخذ بعضهم على بعض عهدًا ومواثيق أن لا يغدر بعضهم ببعض، فغدر بهم الكفار فأخذوهم أخذًا، ثم إن رجلا

الثالث: أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبَّار من عبدة الأوثان، فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا، فخدّ لهم أخدودا، وألقاهم فيه، قاله الربيع بن أنس[٢٣٩٣].

الرابع: ما روي عن عبد الرحمن بن جبير، قال: "كانت الأخدود في اليمن زمان تبع، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد، فاتخذوا أتونا، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد. وفي العراق في أرض بابل بختنصر، الذي وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له، فامتنع دانيال وصاحباه: عزريا وميشائيل، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار، ثم ألقاهما فيه، فجعلها الله عليهما بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار"[٢٣٩٤].

واختلفوا في الذين أُحرقوا، على أقوال:

أحدها: من بني إسرائيل.

قال الضحاك:" يزعمون أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل، أخذوا رجالا ونساء، فخدّوا لهم أخدودًا، ثم أوقدوا فيها النيران، فأقاموا المؤمنين عليها، فقالوا: تكفرون أو نقذفكم في النار"[٢٣٩٥].

الثالث: من أهل اليمن، قاله الحسن[٢٣٩٦].

وقال الضحاك: "كانوا من نصارى اليمن، وذلك قبل مبعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم بأربعين سنة"[٢٣٩٧].

الثاني: من أهل نجران، قاله مجاهد[٢٣٩٨].

عن مجاهد، قوله: "{قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}، قال: كان شقوق في الأرض بنَجْرَان كانوا يعذّبون فيها الناس"[٢٣٩٩].

من المؤمنين قال لهم: هل لكم إلى خير، توقدون نارًا ثم تعرضوننا عليها، فمن تابعكم على دينكم فذلك الذي تشتهون، ومن لا اقتحم النار، فاسترحتم منه، قال: فأجَّجوا نارًا وعُرِضوا عليها، فجعلوا يقتحمونها صناديدهم، ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكصت، فقال لها طفل في حجرها: يا أماه امضي ولا تنافقي. قصّ الله عليكم نبأهم وحديثهم".

(٢٣٩٣) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤. عن الربيع بن أنس، قال: "كان أصحاب الأخدود قومًا مؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، وإن جبارًا من عَبَدَة الأوثان أرسل إليهم، فعرض عليهم الدخول في دينه، فأبوا، فخدّ أخدودًا، وأوقد فيه نارًا، ثم خيرهم بين الدخول في دينه، وبين إلقائهم في النار، فاختاروا إلقاءهم في النار، على الرجوع عن دينهم، فألقوا في النار، فنجَّى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار من الحريق، بأن قبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، فذلك قول الله: {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة {وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} في الدنيا".

وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٩):ص٣٤١٣/١٠-٣٤١٤، عن الربيع بن انس:" سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون إعتزلوا إلى قرية سكنوها، وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا، وأنهم أبوا عليه كلهم، وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم فأبوا عليه، فحفر أخدودا من نار، وقال لهم الجبار- ووقفهم عليها-: إختاروا هذه أو الذي نحن فيه. فقالوا: هذه أحب إلينا. وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم: لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها، ففي ذلك أنزل الله عز وجل: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)} [البروج : ٤ - ٩]".

(٢٣٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٠٨):ص٣٤١٣/١٠.

(٢٣٩٥) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٤.

(٢٣٩٦) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.

(٢٣٩٧) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.

(٢٣٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٤.

(٢٣٩٩) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٤.

الثالث: من النبط، قاله عكرمة[٢٤٠٠].

وقال السدي: "كانت الأخدود ثلاثة : خَدّ بالعراق، وخَدّ بالشام، وخَدّ باليمن"[٢٤٠١].

وفي عددهم، قولان:

أحدهما: اثنا عشر ألفاً، قاله وهب[٢٤٠٢].

الثاني: ثمانين بين رجل وامرأة. قاله الحسن[٢٤٠٣].

وقال الحسن: كان أصحاب الأخدود ثمانين بين رجل وامرأة، فأخذهم المشركون، فخذوا لهم أخدودا في الأرض، ثم أوقدوا لهم نارا ضخمة ثم فجعلوا يقولون للرجل وللمرأة منهم: إما أن تترك دينك وإما أن نقذفك في النار. فيقول: ما أنا بتارك ديني لشيء! فيقذف فيها فيحترق حتى أتوا عليهم، فبقيت امرأة ومعها صبي فتهيبت، فقال لها الصبي: امضي ولا تنافقي، فمضت فاحترقت"[٢٤٠٤].

قوله تعالى:{ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥)إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ} [البروج : ٥-٦]، أي:" وأوقدوا النار الشديدة ذات الوَقود، إذ هم قعود على الأخدود ملازمون له"[٢٤٠٥].

عن مجاهد:" {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ} كانوا قعودًا على الكراسي عند الأخدود"[٢٤٠٦].

عن قتادة، قوله: {النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ}، يعني: بذلك المؤمنين"[٢٤٠٧].

قال الربيع بن أنس: "{النّارِ ذاتِ الوَقُودِ} نجّى الله المؤمنين الذين ألقُوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسّهم النار، وخرجت النار إلى مَن على شفِيرِ الأخدود مِن الكفار فأحرقتهم"[٢٤٠٨].

قوله تعالى:{وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ} [البروج : ٧]، أي:" وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تنكيل وتعذيب حضور"[٢٤٠٩].

عن قتادة: "{وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ}، يعني: بذلك الكفار"[٢٤١٠].

قوله تعالى:{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [البروج : ٨]، أي:" وما أخذوهم بمثل هذا العقاب الشديد إلا أن كانوا مؤمنين بالله العزيز الذي لا يغالب، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه"[٢٤١١].

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"[٢٤١٢].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٤١٣]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٤١٤].

ذلك[٢٤١٤].

(٢٤٠٠) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.

(٢٤٠١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٧١/٨.

(٢٤٠٢) انظر: زاد المسير: ٤٢٦/٤.

(٢٤٠٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١١٤/٥-١١٥.

(٢٤٠٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١١٤/٥-١١٥.

(٢٤٠٥) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤٠٦)تفسير البغوي ٨/ ٣٨٧.

(٢٤٠٧) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٤. وقال:" وهذا التأويل الذي تأوّله قتادة على مذهب من قال: قُتل أصحاب الأخدود من أهل الأيمان".

(٢٤٠٨)تفسير البغوي ٨/ ٣٨٧.

(٢٤٠٩) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤١٠) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٤.

(٢٤١١) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٩٨٣/٣.

(٢٤١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٢٤١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

قوله تعالى:{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [البروج : ٩]، أي:" هذا الإله الجليل الذي له ملك السماوات والأرض"(٢٤١٥).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٢٤١٦).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)} [البروج : ١٠]

التفسير:

إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله، ثم لم يتوبوا، فلهم في الآخرة عذاب جهنم، ولهم العذاب الشديد المحرق.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا} [البروج : ١٠]، أي:" إن الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن دين الله، ثم لم يتوبوا"(٢٤١٧).

قال الضحاك:" حرّقوهم"(٢٤١٨).

قال قتادة:" حرّقوهم بالنار"(٢٤١٩).

قال السدي:" يعني: أحرقوهم بالنار"(٢٤٢٠).

عن مجاهد: "{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا}، قَالَ: عَذَّبُوا"(٢٤٢١).

قال الحسن: "انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة"(٢٤٢٢).

عن الحسن -من طريق المبارك بن فَضالة- قال: "كان أصحاب الأخدود خَدُّوا أخدودًا، وملئوها نارًا، فألقَوا فيها مَن آمن بالله، وتركوا مَن كفر، فألقَوا بضعةً وثمانين مؤمنًا حتى أتَوا على عجوز كبيرة وابنها خلفها صبي صغير، فلما رأت النار كيف تأخذهم جزعتْ، قالت: يا بني، أما ترى! قال لها ابنها: يا أُمّتاه، امضي ولا تُنافِقي. فمضتْ، واقتحم ابنُها على أثرها، قال الحسن: كانت لذعة نار، لا نار عليهم آخر ما عليهم. ثم قال: يا سبحان الله! ما أحلم الله! إنهم يُعذِّبون أولياءه بالنار، وهو يدعوهم إلى التوبة! ثم قرأ: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ} يقول: أحرقوا المؤمنين والمؤمنات، ثم لم يتوبوا، أي: فلو تابوا لتاب الله - عز وجل – عليهم"(٢٤٢٣).

قوله تعالى:{فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} [البروج : ١٠]، أي:" فلهم في الآخرة عذاب جهنم"(٢٤٢٤).

عن الربيع :"{فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ}: في الآخرة"(٢٤٢٥).

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} [البروج : ١٠]، أي:" ولهم العذاب الشديد المحرق"(٢٤٢٦).

(٢٤١٥) انظر: صفوة التفاسير: ٥١٦/٣.

(٢٤١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٢٤١٧) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤١٨) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.

(٢٤١٩) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.

(٢٤٢٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١١٥ -.

(٢٤٢١) أخرجه الطبري ٣٤٣/٢٤-٣٤٤.

(٢٤٢٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧١/٨.

(٢٤٢٣)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧١٨ -.

(٢٤٢٤) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤٢٥) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.

(٢٤٢٦) التفسير الميسر: ٥٩٠.

عن الربيع :"{وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}: في الدنيا"[٢٤٢٧].

عن الربيع بن أنس: "أن النار التي أحرقوا المؤمنين فيها ارتفعت من الأخدود، فأحرقت الملك وأصحابه، فهو معنى قوله: {ولهم عذاب الحريق}"[٢٤٢٨].

عن الربيع بن أنس -من طريق أبي جعفر- قال: ... نجّى اللهُ المؤمنين الذين أُلقُوا في النار مِن الحريق بأن قبض أرواحهم قبل أنْ تمسّهم النار، وخرجت النار إلى مَن على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم، فذلك قول الله: {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة، {ولَهُمْ عَذابُ الحَرِيقِ} في الدنيا"[٢٤٢٩].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)} [البروج : ١١]

التفسير:

إن الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ذلك الفوز العظيم.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البروج : ١١]، أي:" إن الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحات"[٢٤٣٠].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٢٤٣١].

عن قتادة : "{المؤمن}، قال: يعني: الذي آمن بكتابه"[٢٤٣٢].

قوله تعالى:{لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [البروج : ١١]، أي:" لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[٢٤٣٣].

عن أبي مالك: قوله :" {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"[٢٤٣٤].

عن مسروق قال: قال عبد الله: "أنهار الجنة تفجر من جبل المسك"[٢٤٣٥].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٢٤٣٦].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال، أو من تحت جبال المسك»"[٢٤٣٧].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج : ١١]، أي:" ذلك هو الظفر العظيم بغاية المطلوب، الذي لا سعادة ولا فوز بعده"[٢٤٣٨].

عن أبي مالك، قوله: "{ذلك}، يعني: هذا"[٢٤٣٩].

(٢٤٢٧) أخرجه الطبري ٣٤٤/٢٤.
(٢٤٢٨) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٩٩/٦.
(٢٤٢٩) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤.
(٢٤٣٠) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢٤٣١)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(٢٤٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٠): ص٦٥/١.
(٢٤٣٣) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢٤٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٣): ص٦٦/١.
(٢٤٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤): ص٦٦/١.
(٢٤٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨): ص٨٤٥/٣.
(٢٤٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٢): ص٦٥/١.
(٢٤٣٨) صفوة التفاسير: ٥١٦/٣.

عن سعيد بن جبير: "{وذلك} يعني: ذلك الثواب .."[٢٤٤٠].

القرآن

{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)} [البروج : ١٢-١٦]

التفسير:

إن انتقام ربك من أعدائه وعذابه لهم لعظيم شديد، إنه هو يُبدئ الخلق ثم يعيده، وهو الغفور لمن تاب، كثير المودة والمحبة لأوليائه، صاحب العرش المجيدُ الذي بلغ المنتهى في الفضل والكرم، فَعَّال لما يريد، لا يمتنع عليه شيء يريده.

قوله تعالى:{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج : ١٢]، أي:" إن انتقام ربك من أعدائه وعذابه لهم لعظيم شديد"[٢٤٤١].

قال قتادة:" وقع القسم –هاهنا- :{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}"[٢٤٤٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ} [البروج : ١٣]، أي:" إنه هو يُبدئ الخلق ثم يعيده"[٢٤٤٣].

عن الضحاك:" {يُبْدِئُ ويُعِيدُ}: يعني: الخَلْق"[٢٤٤٤].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} [البروج : ١٤]، أي:" وهو الغفور لمن تاب، كثير المودة والمحبة لأوليائه"[٢٤٤٥].

عن مجاهد :"الواد"[٢٤٤٦].

قال الحسن: "يتودد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم في وأرزاقهم، وما يغفر لهم من الذنوب"[٢٤٤٧].

قوله تعالى:{ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ} [البروج : ١٥]، أي:" صاحب العرش المجيدُ الذي بلغ المنتهى في الفضل والكرم"[٢٤٤٨].

عن قتادة:" {ذُو العَرْشِ المَجِيدُ}: الكريم"[٢٤٤٩].

عن أبي خالد، قال:" سمعت سعد الطائي، يقول: العرش ياقوتة حمراء"[٢٤٥٠].

قال وهب بن منبه:" إن الله خلق العرش من نوره"[٢٤٥١].

القرآن

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)} [البروج : ١٧-٢٢]

التفسير:

(٢٤٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٦٥):ص١٩٦٦/٦.

(٢٤٤٠)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٣/ ٨٩١.

(٢٤٤١) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤٤٢) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٤.

(٢٤٤٣) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢٤.

(٢٤٤٥) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤٤٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/!٧٥.

(٢٤٤٧) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ١١٦/٥.

(٢٤٤٨) التفسير الميسر: ٥٩٠.

(٢٤٤٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٧٥.

(٢٤٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.

(٢٤٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٢):ص٢٠٠٥/٦.

هل بلغك -أيها الرسول- خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها، فرعون وثمود، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال، لم يعتبر القوم بذلك، بل الذين كفروا في تكذيب متواصل كدأب مَن قبلهم، والله قد أحاط بهم علما وقدرة، لا يخفى عليه منهم ومن أعمالهم شيء. وليس القرآن كما زعم المكذبون المشركون بأنه شعر وسحر، فكذَّبوا به، بل هو قرآن عظيم كريم، في لوح محفوظ، لا يناله تبديل ولا تحريف.

قوله تعالى:{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ} [البروج : ١٧-١٨]، أي:" هل بلغك -أيها الرسول- خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها، فرعون وثمود، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال"[٢٤٥٢].

قال عطاء: "يعني: الذين تجندوا على أنبياء الله وأصفيائه، يعزي نبيه بذلك"[٢٤٥٣].

عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ :{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ} فقام يسمع، فقال : "نعم، قد جاءني"[٢٤٥٤].

قوله تعالى:{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ} [البروج : ٢١]، أي:" وليس القرآن كما زعم المكذبون المشركون بأنه شعر وسحر، فكذَّبوا به، بل هو قرآن عظيم كريم"[٢٤٥٥].

عن قتادة وسعيد بن جبير: "{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ}، يقول: قرآن كريم"[٢٤٥٦].

وقال عبد العزيز بن يحيى: "مجيد يعني غير مخلوق"[٢٤٥٧].

قوله تعالى:{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج : ٢٢]، أي:" في لوح محفوظ، لا يناله تبديل ولا تحريف"[٢٤٥٨].

عن قتادة: "{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}: عند الله"[٢٤٥٩].

عن مجاهد:" {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}، قال: في أُمِّ الكتاب"[٢٤٦٠].

عن عبد الله بن بريدة، في قوله: {فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}، قال: "لوح عند الله، وهو أُمّ الكتاب"[٢٤٦١].

عن أبي الأعْيَس - هو عبد الرحمن بن سَلْمَان - قال : "ما من شيء قضى الله - القرآن فما قبله وما بعده - إلا وهو في اللوح المحفوظ. واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل، لا يؤذن له بالنظر فيه"[٢٤٦٢].

وقال الحسن البصري : "إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه"[٢٤٦٣].

عن أنس بن مالك: "{بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}، قال: إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله، {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} في جَبْهَة إسرافيل"[٢٤٦٤].

القراءة العامة:{محفوظٍ}، خفضًا على معنى أن اللوح هو المنعوت بالحفظ، وقرئ: «مَحْفُوظٌ» رفعًا، ردًّا على القرآن، على أنه من نعته وصفته[٢٤٦٥].

«آخر تفسير سورة (البروج)، والحمد لله وحده»

(٢٤٥٢) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢٤٥٣) التفسير البسيط للواحدي: ٣٩٧/٢٣.
(٢٤٥٤) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٧٢/٨. وهو مرسل.
(٢٤٥٥) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢٤٥٦) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٤.
(٢٤٥٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٧٥/١٠.
(٢٤٥٨) التفسير الميسر: ٥٩٠.
(٢٤٥٩) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٤.
(٢٤٦٠)أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢٤٦١)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٢٤٦٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.
(٢٤٦٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٨.
(٢٤٦٤) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٤.
(٢٤٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٤-٣٤٨.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الطارق»

«سورة الطارق»: هي السورة السادسة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البلد»، وآياتها سبع عشرة في عد الجميع، غير أبى جعفر؛ فإنها عند ست عشرة. أسقط : {يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق : ١٥]، وعدها الباقون. وكلماتها إحدى وستون. وحروفها مائتان وتسع وثلاثون. فواصل آياتها «ظل بق عار»[٢٤٦٦].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت {والسماء والطارق} بمكة"[٢٤٦٧].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف بين المفسرين في ذلك"[٢٤٦٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٢٤٦٩].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق، نزلت قبل سنة عشر من البعثة"[٢٤٧٠].

روي عن عبد الرحمن بن خالد العدواني، عن أبيه:" أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشرق ثقيف، وهو قائم على قوس، أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، قال: " فسمعته يقرأ: «والسماء والطارق» حتى ختمها "، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام، قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه"[٢٤٧١].

(٢٤٦٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٢/١.

(٢٤٦٧) انظر: الدر المنثور: ٤٧٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٢٤٦٨) المحرر الوجيز: ٤٦٤/٥.

(٢٤٦٩) زاد المسير: ٤٢٨/٤.

(٢٤٧٠) المحرر الوجيز: ٢٥٧/٣٠.

(٢٤٧١) مسند احمد(١٨٩٥٨): ص٢٨٨/٣١-٢٨٩، إسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن خالد العدواني، فقد تفرد بالرواية عنه عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، ولم يؤثر توثيقه عن غير ابن حبان، وقال الحسيني في "الإكمال": مجهول، وتعقبه الحافظ في "التعجيل" بقوله: صحح ابن خزيمة حديثه، ومقتضاه أن يكون عنده من الثقات. قلنا:

وله علة أخرى، وهي تفرد عبد الله: بن عبد الرحمن الطائفي به، وهو ضعيف يعتبر به في الشواهد والمتابعات، ولم يتابعه أحد هنا.

وأخرجه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٢٧٥) من طريق ابن أبي شيبة، بهذا الإسناد.

وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٣٨/٣-١٣٩، وابن خزيمة (١٧٧٨) ، والطبراني فيه "الكبير" (٤١٢٦) و (٤١٢٧) من طرق عن مروان بن معاوية، به.

وأخرجه ابن أبي عاصم (١٢٧٤) ، والطبراني (٤١٢٨) من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد، عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، به قال السندي: قوله: "في مشرق ثقيف" ضبط على وزن اسم المفعول من التشريق، قيل: وهو سوق بالطائف.

على قوس: معتمدا عليه.

فقال من معهم من قريش: تنفيرا لهم.

القرآن

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)} [الطارق : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بالسماء والنجم الذي يطرق ليلا وما أدراك ما عِظَمُ هذا النجم؟ هو النجم المضيء المتوهِّج. ما كل نفس إلا أوكل بها مَلَك رقيب يحفظ عليها أعمالها؛ لتحاسب عليها يوم القيامة.

سبب نزول الآيات: [١-٣]:

قال الثعلبي:" نزلت في أبي طالب وذلك لأنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذا بخط نجم فامتلأ ماء ثمّ نارا ففزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا، فقال رسول الله - عليه السلام- «هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله تعالى»"[٢٤٧٢].

قال محمد بن السّائِب الكلبي: "{والسَّماءِ والطّارِق} نزلت في أبي طالب، وذلك أنه أتى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فأتحفه بخبز ولبن، فبينما هو جالس يأكل إذا انحطّ نجم فامتلأ ماء ثم نارًا، ففزع أبو طالب، وقال: أي شيء هذا؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هذا نجم رُمِي به، وهو آية مِن آيات الله - عز وجل -». فعجب أبو طالب؛ فأنزل الله - عز وجل -: {والسَّماءِ والطّارِق}"[٢٤٧٣].

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ(١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ} [الطارق : ١-٢]، أي:" أقسم بالسماء والنجم الذي يطرق ليلا، وما أدراك ما عِظَمُ هذا النجم؟"[٢٤٧٤].

عن الضحاك:" {الطّارِق}: النجم"[٢٤٧٥].

عن قتادة:" {والسَّماءِ والطّارِق}، قال: هو ظهور النجوم بالليل، يقول: تطرقك بالليل"[٢٤٧٦].

عن ابن جريج:" {والسَّماءِ والطّارِق}، قال: النجم يخفى بالنهار، ويبدو بالليل"[٢٤٧٧].

حكي أبو الليث عن سعيد بن جبير، قال: «سألت ابن عباس- رضي الله عنهم- عن قوله: :{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}، فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)} [الطارق : ٢ - ٣]، وسكت. فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما أعلم منها، إلا ما أعلم ربي». يعني: تفسير الآية ما ذكر في هذه الآية، وهو قوله: والنجم الثاقب. يعني: هو الطارق"[٢٤٧٨].

قوله تعالى:{النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق : ٣]، أي:" هو النجم المضيء المتوهِّج"[٢٤٧٩].

قال الحسن:" {النَّجْمُ}: -ها هنا- جماع النجوم"[٢٤٨٠].

وفي تفسير قوله تعالى:{النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق : ٣]، وجوه:

أحدها : يعني: المضيء، قاله قتادة[٢٤٨١]، وعطاء الخراساني[٢٤٨٢].

وقال عكرمة : "هو مضيء ومحرق للشيطان"[٢٤٨٣].

(٢٤٧٢) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٧٧/١٠، والواحدي في أسباب النزول: ٤٥٣. والخبر بدون إسناد.

(٢٤٧٣)تفسير البغوي ٨/ ٢٩١. قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٨٣: «ذكره الثعلبي والواحدي بغير إسناد».

(٢٤٧٤) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٤٧٥) أخرجه الطبري:٣٥١/٢٤.

(٢٤٧٦)أخرجه عبد الرزاق(٣٥٦٩) ص٤١٦/٣، والطبري:٣٥١/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢٤٧٧)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢٤٧٨) نقلا عن: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣.

(٢٤٧٩) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٤٨٠) نقلا عن: تفسير ابن فورك: ١٩٥/٣.

(٢٤٨١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.

(٢٤٨٢) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٥):ص١٠٩.

عن قتادة: "{النَّجْمُ الثَّاقِبُ}: المضيء"[٢٤٨٤].
قال قتادة:" ثقوبه: ضوءه"[٢٤٨٥].
قال عطاء الخراساني:" ثقوبه: استنارته"[٢٤٨٦].
الثاني : المتوهَّج، قاله مجاهد[٢٤٨٧].
الثالث : المنقضّ ، قاله عكرمة[٢٤٨٨].
الرابع: أن الثاقب: هو النجم، حين يرسل على الشياطين، فيثقبه، يعني: فيحرقه. قاله الحسن البصري[٢٤٨٩]، وعطاء[٢٤٩٠].
وروي عن عكرمة، قال: أن "{الثَّاقِبُ}: الذي يثقب"[٢٤٩١].
وحكي الماوردي عن السدي:" الثاقب : الشياطين حين ترمى"[٢٤٩٢].
ولفظ آخر حكاه ابن كثير عن السدي:" يثقب الشياطين إذا أرسل عليها"[٢٤٩٣].
قال يزيد الرقاشي: "يثقب الشيطان حتى يخرج من الجانب الآخر، فذكر ذلك لابي مجلز رضي الله، عنه، فقال: ليس ذاك، ولكن ثقوبه ضوءه"[٢٤٩٤].
الخامس : الثاقب في مسيره ومجراه[٢٤٩٥]، قاله الضحاك[٢٤٩٦].
قوله تعالى:{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} [الطارق : ٤]، أي:" ما كل نفس إلا أوكل بها مَلَك رقيب يحفظ عليها أعمالها؛ لتحاسب عليها يوم القيامة"[٢٤٩٧].
عن ابن عون، قال: "قرأت عند ابن سيرين: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} فأنكره[٢٤٩٨]، وقال: سبحان الله، سبحان الله"[٢٤٩٩].
عن الحسن البصري -من طريق هارون- أنه كان يقرؤها: "{إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمّا عَلَيْها حافِظٌ} مُشدّدة. ويقول: إلا عليها حافظ، وهكذا كلّ شيء في القرآن بالتثقيل"[٢٥٠٠].
وفي «الحافظ»، وجهان :
أحدهما : حفظة من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أو شر ، قاله قتادة[٢٥٠١].

(٢٤٨٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٨.
(٢٤٨٤) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(٢٤٨٥) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(٢٤٨٦)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٥):ص١٠٩.
(٢٤٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(٢٤٨٨) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.
(٢٤٨٩) انظر: بحر العلوم للسمرقندي: ٥٦٨/٣.
(٢٤٩٠) حكاه الثعلبي عنه في "الكشف والبيان": ١٧٨/١٠.
(٢٤٩١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٢/٢٤.
(٢٤٩٢) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.
(٢٤٩٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٨.
(٢٤٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٨):ص٣٢٠٥/١٠.
(٢٤٩٥) قال النحاس:" لطلوعه من المشرق كأنه يثقب موضعه". [إعراب القرآن: ١٢٣/٥].
(٢٤٩٦) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.
(٢٤٩٧) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٤٩٨) أي: أنكر التشديد في «لما».
(٢٤٩٩) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٤.
(٢٥٠٠) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٥٢، و{لَمّا} بتشديد الميم قراءة متواترة، قرأ بها ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، وقرأ بقية العشرة: «لما» بالتخفيف. انظر: الإتحاف ص ٥٧٩.
(٢٥٠١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٤.

قال قتادة:" حفظة يحفظون عملك ورزقك وأجلك، إذا توفيته يا ابن آدم قُبِضت إلى ربك"[٢٥٠٢].
قال قتادة:" قرينه يحفظ عمله"[٢٥٠٣].
الثاني: حافظ من الله يحفظ عليه أجله ورزقه ، قاله سعيد بن جبير [٢٥٠٤].
وروي عن خُصَيف بن عبد الرحمن -من طريق عتّاب بن بشر- في قوله: {إن كل نفس لما عليها حافظ}، يقول: لمّا عليها مِن الحق حافظ من الله"[٢٥٠٥].

القرآن
{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)} [الطارق : ٥-٨]
التفسير:
فلينظر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ ليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أوّلا خلق من منيٍّ منصبٍّ بسرعة في الرحم، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة. إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت.
قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق : ٥]، أي:" فلينظر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ ليعلم أن إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أوّلا"[٢٥٠٦].
عن عكرمة، في قوله: {فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِقَ}، قال: "هو أبو الأشُدَّيْن، كان يقوم على الأديم، فيقول: يا معشر قريش، مَن أزالني عنه فله كذا وكذا. ويقول: إنّ محمدًا يزعم أنّ خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة"[٢٥٠٧].
قوله تعالى:{خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق : ٧]، أي:" خلق من منيٍّ منصبٍّ بسرعة في الرحم، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة"[٢٥٠٨].
وفي تفسير قوله تعالى:{يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق : ٧]، وجهان:
أحدهما : من بين صلب الرجل وترائبه ، قاله الحسن[٢٥٠٩]، وقتادة[٢٥١٠].
قال قتادة:" يخرج من بين صلب الرجل ونحره"[٢٥١١].
الثاني : بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء. قاله عكرمة[٢٥١٢].
وفي «التَّرَائِبِ»، ستة أقوال :
أحدها : أنه الصدر ، قاله سعيد بن جبير[٢٥١٣]، وابن عياض[٢٥١٤]، ومنه قول دريد بن الصمة[٢٥١٥]:
فإنَّ تُدْبروا نأخذكُم في ظهوركم ... وإنْ تُقْبِلُوا نأخذكُم في الترائب

(٢٥٠٢) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٤.
(٢٥٠٣) تفسير عبدالرزاق(٣٥٧٣):ص٤١٧/٣.
(٢٥٠٤) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٦.
(٢٥٠٥)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٣١٧ (٢٤٤١).
(٢٥٠٦) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٥٠٧)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٢٥٠٨) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٥٠٩) انظر: النكت والعيون: ٢٤٧/٦.
(٢٥١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢٥١١) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢٥١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢٥١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢٥١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢٥١٥) النكت والعيون: ٢٤٧/٦، وتفسير القرطبي: ٥/٢٠.

الثاني : ما بين المنكبين والصدر ، قاله مجاهد[٢٥١٦].
وروي عن مجاهد: "{التَّرَائِبِ}، قال: أسفل من التراقي"[٢٥١٧].
الثالث : أن «الترائب»: موضع القلادة ، قاله عكرمة[٢٥١٨]، قال المثقّب العبدي[٢٥١٩]:
وَمِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلَى تَرِيبٍ ... كَلَوْنِ العَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ
وقال آخر[٢٥٢٠]:
وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرِقا ... بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ
عن أبي رجاء، قال: "سُئل عكرمة عن «الترائب»، فقال: هذه، ووضع يده على صدره بين ثدييه"[٢٥٢١].
الرابع : أن الترائب: الأضلاع التي أسفل الصلب، قاله سعيد بن جبير[٢٥٢٢].
الخامس : أن «الترائب»: أطراف الرجل واليدان والرجلان والعينا ، قاله الضحاك[٢٥٢٣].
قال الضحاك:" الترائب: اليدان والرجلان"[٢٥٢٤].
وقال الضحاك:" عيناه ويداه ورجلاه"[٢٥٢٥].
السادس : هي عصارة القلب، ومنه يكون الولد. قاله معمر بن أبي حبيبة[٢٥٢٦].
والصواب قولُ من قال: هو موضع القِلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، وبه جاءت أشعارهم[٢٥٢٧].
قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} [الطارق : ٨]، أي:" إن الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت"[٢٥٢٨].
وفي تفسير قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} [الطارق : ٨]، وجوه:
أحدها : على أن يرد المني في الإحليل ، قاله مجاهد[٢٥٢٩].
عن مجاهد: "{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، قال: في الإحليل"[٢٥٣٠].
قال مجاهد:" على أن يرد الماء في الإحليل"[٢٥٣١].
قال مجاهد:" على ردّ النطفة في الإحليل"[٢٥٣٢].
الثاني : على أن يرد الماء في الصلب ، قاله عكرمة[٢٥٣٣].

(٢٥١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢٥١٧) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢٥١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢٥١٩)الشاهد للمثقب العبد في شعره ص ٣٢، وديوان المفضليات ٥٧٩، وتفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٢٥٢٠)الشاهد للمخبّل السعدي في ديوانه: ٢٩٣، ولسان العرب (شرق) ، وتاج العروس (شرق) ، وبلا نسبة في تاج العروس (ترب) ، ولسان العرب (ترب) ، والمخصص ٢/ ٢٠ ، ومعاني القرآن للفراء: ١٤٦/٣، وتفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤، والبحر المحيط في التفسير: ٤٥٣/٨.
(٢٥٢١) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٤.
(٢٥٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٢٥٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢٥٢٤) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢٥٢٥) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٤.
(٢٥٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٢٥٢٧) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٤.
(٢٥٢٨) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٥٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٢٥٣٠) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٢٥٣١) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.
(٢٥٣٢) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.

عن عكرمة: "{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، قال: لِلصُّلب"[٢٥٣٤].

قال عكرمة:" إنه على رَدّه في صُلْبه لقادر"[٢٥٣٥].

الثالث : على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا إلى النطفة ، قاله الضحاك[٢٥٣٦].

قال الضحاك:" يقول: إن شئتُ رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصِّبا، ومن الصبا إلى النطفة"[٢٥٣٧].

الرابع : على ردّ الإنسان ماءً كما كان قبل أن يخلقه منه. وهذا قول الضحاك أيضا-[٢٥٣٨].

قال الضحاك:" إن شئتُ رددتُه كما خلقته من ماءٍ"[٢٥٣٩].

الخامس : على أن يعيده حيّاً بعد موته ، قاله الحسن[٢٥٤٠]، وعكرمة[٢٥٤١]، وقتادة[٢٥٤٢].

عن قتادة: "{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر"[٢٥٤٣].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إن الله على ردّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيًّا، كهيئته قبل مماته لقادر، وإنما قلت: هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لقوله: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}، فكان في إتباعه قوله: {إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}، نبأ من أنباء القيامة، دلالة على أن السابق قبلها أيضًا منه، ومنه {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} يقول تعالى ذكره: إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تُبلى السرائر، فاليوم من صفة الرجع، لأن المعنى: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر[٢٥٤٤].

القرآن

{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)} [الطارق : ٩-١٠]

التفسير:

يوم تُخْتَبر السرائر فيما أخفته، ويُمَيَّز الصالح منها من الفاسد، فما للإنسان من قوة يدفع بها عن نفسه، وما له من ناصر يدفع عنه عذاب الله.

قوله تعالى:{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق : ٩]، أي:" يوم تُخْتَبر السرائر فيما أخفته، ويُمَيَّز الصالح منها من الفاسد"[٢٥٤٥].

قال عطاء بن أبي رباح:" ذلك الصوم والصلاة وغسل الجنابة، وهو السرائر، ولو شاء أن يقول: قد صُمْتُ، وليس بصائم، وقد صلّيتُ، ولم يصلّ، وقد اغتسلت، ولم يغتسل"[٢٥٤٦].

عن قتادة: "{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}، إن هذه السرائر مختبرة، فأسِرّوا خيرًا وأعلنوه إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله"[٢٥٤٧].

(٢٥٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٤.

(٢٥٣٤) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.

(٢٥٣٥) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.

(٢٥٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٤.

(٢٥٣٧) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٤. قال الطبري:" وعلى هذا التأويل تكون الهاء في قوله: {عَلَى رَجْعِهِ} من ذكر الإنسان".

(٢٥٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٧/٢٤.

(٢٥٣٩) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٤.

(٢٥٤٠) انظر: النكت والعيون: ٢٤٧/٦.

(٢٥٤١) انظر: النكت والعيون: ٢٤٧/٦.

(٢٥٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٤.

(٢٥٤٣) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٤. قال الطبري:" وعلى هذا التأويل تكون الهاء في قوله: {عَلَى رَجْعِهِ} من ذكر الإنسان".

(٢٥٤٤) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢٤.

(٢٥٤٥) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٥٤٦) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٤.

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من حافظ عليها فهو وليّ الله حقا، ومن اختانهن فهو عدو الله حقا، الصلاة والصوم والغسل من الجنابة»[٢٥٤٨].

وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد[٢٥٤٩]:

سَيَبْقَى لَهَا فِيْ مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا ... سَرِيْرَةُ وِدٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِر

فقال: ما أغفله عما في «وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ»؟"[٢٥٥٠].

قوله تعالى:{فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} [الطارق : ١٠]، أي:" فما للإنسان من قوة يدفع بها عن نفسه، وما له من ناصر يدفع عنه عذاب الله"[٢٥٥١].

عن قتادة: "{فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ}: ينصره من الله"[٢٥٥٢].

قال قتادة:" من قوّة يمتنع بها، ولا ناصر ينصره من الله"[٢٥٥٣].

القرآن

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)} [الطارق : ١١-١٤]

التفسير:

والسماء ذات المطر المتكرر، والأرض ذات التشقق بما يتخللها من نبات، إن القرآن لقول فصل بَيْنَ الحق والباطل، وما هو بالهزل.

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق : ١١]، أي:" والسماء ذات المطر المتكرر"[٢٥٥٤].

قال الحسن:" ترجع بأرزاق الناس كلّ عام"[٢٥٥٥].

قال أبو رجاء: "سُئل عنها عكرمة، فقال: رجعت بالمطر"[٢٥٥٦].

عن الضحاك:" {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ}، يعني: المطر"[٢٥٥٧].

قال مجاهد:" السحاب يمطر، ثم يَرجع بالمطر"[٢٥٥٨].

قال قتادة:" ترجع بالغيث كلّ عام"[٢٥٥٩].

(٢٥٤٧) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.

(٢٥٤٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٨٠/١٠.

(٢٥٤٩)إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر

سيقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر

لمجنون بنى عامر صاحب ليلى العامرية. وسلا عنه سلوة وسلوا: صد عنه وأعرض، وشبه بعث الحب إياه وحمله على دوام المودة بقول القائل على طريق التصريحية، وتسمية الحب شافعا: ترشيح. ومن بيانية. ويحتمل أنها تجريدية دلالة على أن الحب بلغ نهاية اللذة حتى حمل على دوام المودة فانتزع منه غيره وأسند له الفعل. ويجوز أنها تبعيضية دالة على أن بعضه يكفى في الشفاعة. وقوله «المقابر» أى دخولها، كناية عن الموت. والمراد: التأبيد، بدليل ما بعده. ومضمر القلب: المضمر في القلب. أو مضمر هو القلب. وتبلى: مبنى للفاعل، أى: تفنى.

ويحتمل بناءه للمفعول، أى: تختبر. والحشا- بالفتح-: عطف على القلب أعم منه، دلالة على أن الحب في غير قلبه أيضا.

(٢٥٥٠) نقلا عن: الكشاف: ٧٣٦/٤.

(٢٥٥١) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٥٥٢) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.

(٢٥٥٣) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٤.

(٢٥٥٤) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٥٥٥) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.

(٢٥٥٦) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.

(٢٥٥٧) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.

(٢٥٥٨) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.

(٢٥٥٩) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.

قال قتادة: "ترجع بأرزاق العباد كلّ عام، لولا ذلك هلكوا، وهلكت مواشيهم"[٢٥٦٠].
قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق : ١٢]، أي:" والأرض ذات التشقق بما يتخللها من نبات"[٢٥٦١].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق : ١٢]، وجهان:
أحدهما : ذات النبات لانصداع الأرض عنه، قاله الحسن[٢٥٦٢]، وقتادة[٢٥٦٣]، والضحاك[٢٥٦٤]، وسعيد بن جُبَير[٢٥٦٥]، وعكرمة[٢٥٦٦]، وأبو مالك[٢٥٦٧]، والسدي[٢٥٦٨].
عن الضحاك :"{وَالأرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ}: النبات"[٢٥٦٩].
قال قتادة:" تصدع عن النبات"[٢٥٧٠].
قال قتادة:" تصدع عن الثمار وعن النبات كما رأيتم"[٢٥٧١].
قال الحسن:" هذه تصدع عما تحتها؛ قال أبو رجاء: وسُئل عنها عكرِمة، فقال: هذه تصدع عن الرزق"[٢٥٧٢].
الثاني : ذات الطرق التي تصدعها المشاة ، قاله مجاهد[٢٥٧٣].
عن مجاهد: "{وَالأرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ}، مثل المأزم[٢٥٧٤] مأزم منى"[٢٥٧٥].
قال مجاهد:" الصدع: مثل المأزم، غير الأودية وغير الجُرُف"[٢٥٧٦].
قوله تعالى:{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} [الطارق : ١٣]، أي:" إن القرآن لقول فصل بَيْنَ الحق والباطل"[٢٥٧٧].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن هذا القول وهذا الخبر لقول يفصل بين الحقّ والباطل ببيانه"[٢٥٧٨].
عن قتادة: "{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ}، أي: حُكْم"[٢٥٧٩].
قوله تعالى:{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق : ١٤]، أي:" ليس فيه شيءٌ من اللهو والباطل والعبث، بل هو جدٌّ كله"[٢٥٨٠].

(٢٥٦٠) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٤.
(٢٥٦١) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٥٦٢) انظر: الطبري: ٣٦١/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٢٥٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٦٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٢٥٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٢٥٦٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٢٥٦٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٨.
(٢٥٦٩) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٧٠) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٧١) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٧٢) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٢٥٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٢٥٧٤)المأزم: كل طريق ضيق بين جبلين، ومنه سمي الموضع الذي بين المشعر وعرفة مأزمين. وفي الصحاح: المأزم المضيق، وموضع الحرب أيضا.
(٢٥٧٥) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٢٥٧٦) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٤.
(٢٥٧٧) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٥٧٨) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٧٩) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٨٠) صفوة التفاسير: ٥٢٠/٣.

عن مجاهد: "{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ}، قال: باللعب"[٢٥٨١].
قال سعيد بن جبير:" وما هو باللعب"[٢٥٨٢].
قال عطاء الخراساني:" الهزل: الباطل"[٢٥٨٣].
عن الحارث الأعور، قال: "دخلتُ المسجد، فإذا الناس قد وقعوا في الأحاديث، فأتيتُ عليًّا، فأخبرتُه، فقال: أوَقَدْ فعلوها؟ سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إنها ستكون فتنة». قلتُ: فما المخرج منها، يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله؛ فيه نبأ مَن قبلكم، وخبر مَن بعدكم، وحُكْم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه مِن جبّار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذِّكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس منه الألسن، ولا يَخلَق عن الرّدّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنتَهِ الجنُّ إذ سمعتْه أن قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} [الجن: ١ - ٢]. مَن قال به صَدَق، ومَن حَكَم به عَدَل، ومَن عمل به أُجِر، ومَن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم»"[٢٥٨٤].

القرآن

{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)} [الطارق : ١٥-١٧]

التفسير:

إن المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم، وللقرآن، يكيدون ويدبرون؛ ليدفعوا بكيدهم الحق ويؤيدوا الباطل، وأكيد كيدًا لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، فلا تستعجل لهم -أيها الرسول- بطلب إنزال العقاب بهم، بل أمهلهم وأنظرهم قليلا ولا تستعجل لهم، وسترى ما يحلُّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك.

قوله تعالى:{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق : ١٧]، أي:" فلا تستعجل لهم -أيها الرسول- بطلب إنزال العقاب بهم، أمهلهم وأنظرهم قليلا، وسترى ما يحلُّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك"[٢٥٨٥].

قال قتادة:" الرويد: القليل"[٢٥٨٦].
قال الحسن:" قليلا"[٢٥٨٧].
قال السدي:" أمْهلهم حتى آمرَ بالقتال"[٢٥٨٨].

(٢٥٨١) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٤.
(٢٥٨٢)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٣٩.
(٢٥٨٣)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٩.
(٢٥٨٤)أخرجه الترمذي ٥/ ١٧١ - ١٧٢ (٣١٣٠). وأورده الثعلبي ٣/ ١٦٢.
قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال». وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٢١ تعقيبًا على كلام الترمذي: «قلتُ: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزةُ مِن عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تَكلّموا فيه، بل قد كذّبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أمّا إنه تعمّد الكذب في الحديث فلا، والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون مِن كلام أمير المؤمنين علي؟، وقد وهم بعضهم في رفعْه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد رُوي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم -». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ٣/ ١٣٤٨ - ١٣٤٩ (٢٩١٣): «رواه شعيب بن صفوان، عن حمزة الزيات، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي. ولا يُتابع شعيب عليه». وقال الفتني في تذكرة الموضوعات ص ٧٧: «موضوع». وقال الألباني في الضعيفة ١٣/ ٨٨٣ (٦٣٩٣): «ضعيف».
(٢٥٨٥) التفسير الميسر: ٥٩١. [بتصرف]
(٢٥٨٦) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٤.
(٢٥٨٧) حكاه عنه النحاس في "إعراب القرآن": ١٢٥/٥.
(٢٥٨٨)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الضحاك : "فقتلوا يوم بدر"[٢٥٨٩].

«آخر تفسير سورة (الطارق)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢٥٨٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٠/٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الأعلى»

«سورة الأعلى»: هي السورة السابعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكوير»، آياتها تسع عشرة بالإجماع. وكلماتها ثمان وسبعون. وحروفها مائتان وإحدى وسبعون. فواصل آياتها على الألف[٢٥٩٠].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قالته عائشة[٢٥٩١]، وابن عباس[٢٥٩٢]، وابن زبير[٢٥٩٣].

عن عائشة قالت: "نزلت سورة {سبح اسم ربك} بمكة"[٢٥٩٤].

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {سبح} بمكة"[٢٥٩٥].

عن عبدالله بن زبير، قال:" أنزلت سورة {سبح اسم ربك الأعلى} بمكة"[٢٥٩٦].

عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: " أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم " جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد[٢٥٩٧] والصبيان، يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء، حتى قرأت: {سبح اسم ربك الأعلى} [الأعلى: ١] في سور مثلها"[٢٥٩٨].

الثاني: أنها مدنية كلها. حكي ذلك عن الضحاك[٢٥٩٩].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول الجمهور، وحكى النقاش عن الضحاك أنها مدنية، وذلك ضعيف، وإنما دعا إليه قول من قال: إن ذكر صلاة العيد فيها "[٢٦٠٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٢٦٠١].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور، وحديث البراء بن عازب[٢٦٠٢] يدل عليه، وعن ابن عمر وابن عباس أن قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} [الأعلى : ١٤ - ١٥]، نزل في صلاة العيد وصدقة الفطر، أي فهما مدنيتان فتكون السورة بعضها مكي وبعضها مدني"[٢٦٠٣].

(٢٥٩٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٤/١.

(٢٥٩١) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٥٩٢) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢٥٩٣) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٥٩٤) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٥٩٥) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢٥٩٦) انظر: الدر المنثور: ٤٧٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٥٩٧)(الولائد) جمع وليدة وهي الصبية والأمة.

(٢٥٩٨) صحيح البخاري(٤٩٤١):ص١٦٨/٦

(٢٥٩٩) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٥.

(٢٦٠٠) المحرر الوجيز: ٤٦٤/٥.

(٢٦٠١) زاد المسير: ٤٣١/٤.

(٢٦٠٢) انظر: صحيح البخاري(٤٩٤١):ص١٦٨/٦

(٢٦٠٣) المحرر الوجيز: ٢٧١/٣٠.

القرآن

{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى : ١-٥]

التفسير:

نَزِّه اسم ربك الأعلى عن الشريك والنقائص تنزيهًا يليق بعظمته سبحانه، الذي خلق المخلوقات، فأتقن خلقها، وأحسنه، والذي قدَّر جميع المقدرات، فهدى كل خلق إلى ما يناسبه، والذي أنبت الكلأ الأخضر، فجعله بعد ذلك هشيمًا جافًا متغيرًا إلى السَّواد بعد اخضراره.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، قال: قلنا: يا رسول الله، كيف نقول في سجودنا؟ فأنزل الله: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}. فأمَرَنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نقول في سجودنا: سبحان ربي الأعلى -وترًا- "[٢٦٠٤].

قوله تعالى:{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : ١]، أي:" نَزِّه اسم ربك الأعلى عن الشريك والنقائص تنزيهًا يليق بعظمته سبحانه"[٢٦٠٥].

قال السدي:" أي: عظّم ربك الأعلى"[٢٦٠٦].

عن الضَّحّاك :"أنه كان يقرؤها كذلك، ويقول: مَن قرأها فليقُل: سبحان ربي الأعلى"[٢٦٠٧].

عن قتادة : "{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها، قال: سبحان ربي الأعلى"[٢٦٠٨].

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى : ٢]، أي:" الذي خلق المخلوقات، فأتقن خلقها، وأحسنه"[٢٦٠٩].

قال الضحاك: "خلق آدم فسوى خلقه"[٢٦١٠].

قوله تعالى:{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} [الأعلى : ٣]، أي:" والذي قدَّر جميع المقدرات، فهدى كل خلق إلى ما يناسبه"[٢٦١١].

وفي قوله تعالى:{فَهَدَى} [الأعلى : ٣]، ثلاثة أقوال:

أحدها: هدى الإنسان للشِّقوة والسعادة، وهَدى الأنعام لمراتعها. قاله مجاهد[٢٦١٢]، والحسن[٢٦١٣].

قال الحسن:" بيّن له السبيل؛ سبيل الهدى، وسبيل الضلالة"[٢٦١٤].

(٢٦٠٤)أخرجه الطبراني في الدعاء ص ١٩١ (٥٨٥)، وآدم ابن أبي إياس-كما في تفسير مجاهد ص ٧٢٢ - واللفظ له، والواحدي في التفسير الوسيط ٤/ ٤٦٩ (١٣٣٠) من طريق سلام الطويل [أو محمد بن الفضل]، عن زيد العمّي، عن مُرّة الهمذاني [أو مُعاوية بن قرّة]، عن أبي هريرة به.

إسناده واهٍ؛ فيه سلام الطويل، وهو ابن سليم أو سلم أبو سليمان المدائني، قال عنه ابن حجر في التقريب (٢٧٠٢): «متروك». وفيه محمد بن الفضل بن عطية العبدي العبسي؛ قال عنه ابن حجر في التقريب (٦٢٢٥): «كذّبوه». وفيه زيد بن الحواري أبو الحواري العمّي البصري، قال عنه ابن حجر في التقريب (٢١٣١): «ضعيف».

(٢٦٠٥) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٦٠٦) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٦، وتفسير القرطبي: ١٣/٢٠.

(٢٦٠٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٦٠٨) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٤.

(٢٦٠٩) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٦١٠) النكت والعيون: ٢٥٢/٦.

(٢٦١١) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٦١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢١٦):ص٣٤١٦/١٠.

(٢٦١٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٠ -.

(٢٦١٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٠ -.

الثاني: جعل لكلّ دابة ما يُصلحها، وهداها له. قاله عطاء[٢٦١٥].
الثالث: قدر الولد في الرحم تسعة أشهر، أقل، أو أكثر، وهدى للخروج من الرحم. قاله السدي[٢٦١٦].
والصواب : أن الله عمّ بقوله: {فَهَدَى} الخبر عن هدايته خلقه، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم لسبيل الخير والشرّ، وهدى الذكور لمأتى الإناث، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة، دالّ على خصوصه[٢٦١٧]، وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية"[٢٦١٨].
قال ابن سابط: "ما أبهمت عليه البهائم فلم تبهم، عن أربع: تعلم إن الله ربها، ويأتي الذكر الأنثى، وتهتدي لمعايشها وتخاف الموت"[٢٦١٩].
قوله تعالى:{وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى} [الأعلى : ٤]، أي:" والذي أنبت الكلأ الأخضر"[٢٦٢٠].
عن إبراهيم النَّخْعي:" {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى}، قال: النبات"[٢٦٢١]. وروي عن أبي رزين مثله[٢٦٢٢].
قال قتادة:" نبت كما رأيتم بين أصفر وأحمر وأبيض"[٢٦٢٣].
قوله تعالى:{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} [الأعلى : ٥]، أي:" فجعله بعد ذلك هشيمًا جافًا متغيرًا إلى السَّواد بعد اخضراره"[٢٦٢٤].
وفي تفسير قوله تعالى:{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} [الأعلى : ٥]، وجهان:
أحدهما: أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، وأن التقدير: والذي أخرج المرعى أحوى فصار غثاء، والأحوى : ألوان النبات الحي من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض ، ويعبر عن جميعه بالسواد، كما سمي به: سواد العراق ، وقال امرؤ القيس [٢٦٢٥]:
وغيثٍ دائمِ التهْتا ... نِ حاوي النبتِ أدْهم
والغثاء : الميت اليابس[٢٦٢٦].
روي نحو هذا المعنى عن قتادة[٢٦٢٧].
قال قتادة:" الغثاء: الشيء البالي، و{أَحْوَى}: أصفر، وأخضر، وأبيض، ثم ييبس يكون يابسا بغير خضرة"[٢٦٢٨].
وقال قتادة : "وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها"[٢٦٢٩].
القول الثاني : والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أسود، من قدمه واحتراقه. أي: فكذلك يميتكم بعد الحياة. وهو معنى قول مجاهد[٢٦٣٠].

(٢٦١٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٣.
(٢٦١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨٣/١٠.
(٢٦١٧) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٤.
(٢٦١٨) تفسير السعدي: ٩٢٠.
(٢٦١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٥٧):ص٢٤٢٥/٧.
(٢٦٢٠) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٦٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢١٧):ص٣٤١٦/١٠.
(٢٦٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٤.
(٢٦٢٣) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٤.
(٢٦٢٤) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٦٢٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٣/٦.
(٢٦٢٦) النكت والعيون: ٢٥٣/٦.
(٢٦٢٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٧٦):ص٤١٨/٣.
(٢٦٢٨) تفسير عبدالرزاق(٣٥٧٦):ص٤١٨/٣.
(٢٦٢٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٣/٦.

عن مجاهد : "{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}، قال: غثاء السيل. {أَحْوَى}، قال: أسود"[٢٦٣١].
قال قتادة:" يعود يبسًا بعد خُضرة"[٢٦٣٢].
قال الحسن: "{أحْوى} الأسود مِن شدة الخُضرة"[٢٦٣٣].

القرآن
{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)} [الأعلى : ٦-٧]
التفسير:
سنقرئك -أيها الرسول- هذا القرآن قراءة لا تنساها، إلا ما شاء الله مما اقتضت حكمته أن ينسيه لمصلحة يعلمها. إنه -سبحانه- يعلم الجهر من القول والعمل، وما يخفى منهما.
سبب النزول:
عن عبد الله بن عباس، قال: "كان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل مِن الوحي حتى يُزمَّل مِن ثِقَل الوحي، حتى يتكلَّم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بأوله؛ مخافة أن يُغشى عليه فيَنسى، فقال له جبريل: لِمَ تفعل ذلك؟ قال: «مخافة أن أنسى». فأنزل الله: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ}، فالنبيُّ - صلى الله عليه وسلم - نسي آيات مِن القرآن ليس بحلال ولا حرام، ثم قال له جبريل: إنه لم يَنزل على نبيٍّ قبلك إلا نسي وإلا رُفع بعضه. وذلك أنّ موسى أهبط الله عليه ثلاثة عشر سِفرًا، فلما ألقى الألواح انكسرتْ وكانت مِن زُمُرّد، فذهب أربعة، وبقي تسعة"[٢٦٣٤].
قال ابن عباس:" كان النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يستذكر القرآن مخافة أن ينساه، فقيل له: كفيناك ذلك. ونزلت: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}"[٢٦٣٥]. وروي عن سعد بن أبي وقاص، نحوه[٢٦٣٦].
قال مجاهد، وابن سائب الكلبي:" كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه جبريل - عليه السلام - لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأولها مخافة أن ينساها؛ فأنزل الله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} فلم ينسَ بعد ذلك شيئًا"[٢٦٣٧].
قوله تعالى:{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعلى :٦- ٧]، أي:" سنقرئك -أيها الرسول- هذا القرآن قراءة لا تنساها، إلا ما شاء الله مما اقتضت حكمته أن ينسيه لمصلحة يعلمها"[٢٦٣٨].
عن مالك بن أنس: "{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}، قال: تأويل ذلك: أن سنقرئك، فتَحْفَظ"[٢٦٣٩].
عن مجاهد: قوله:"{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}، قال: كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى"[٢٦٤٠].
قال قتادة:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله"[٢٦٤١].
قوله تعالى:{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} [الأعلى : ٧]، أي:" إنه -سبحانه- يعلم الجهر من القول والعمل، وما يخفى منهما"[٢٦٤٢].

(٢٦٣٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٢١):ص٣٤١٦/١٠، والطبري: ٣٧٠/٢٤.
(٢٦٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢١):ص٣٤١٦/١٠، والطبري: ٣٧٠/٢٤.
(٢٦٣٢) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٤.
(٢٦٣٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٠ -.
(٢٦٣٤)أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٢٠ (١٢٦٤٩). قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٣٦ (١١٤٨٥): «وفيه جويبر، وهو ضعيف».
(٢٦٣٥)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
(٢٦٣٦)أخرجه الحاكم ٢/ ٥٢١.
(٢٦٣٧)تفسير البغوي ٨/ ٤٠١، وتفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٤.
(٢٦٣٨) التفسير الميسر: ٥٩١.
(٢٦٣٩)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٣٨ (٢٧٧).
(٢٦٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٢):ص٣٤١٦/١٠.
(٢٦٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٤):ص٣٤١٦/١٠-٣٤١٧.

عن قتادة :" {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}، قال: الوسوسة"[٢٦٤٣]. وروي عن سعيد بن جبير[٢٦٤٤]، ومجاهد[٢٦٤٥] مثله.

عن سعيد بن جبير:" {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}، قال: ما أخفيت في نفسك"[٢٦٤٦].

القرآن

{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨)} [الأعلى : ٨]

التفسير:

ونيسرك لليسرى في جميع أمورك، ومن ذلك تسهيل تَلَقِّي أعباء الرسالة، وجعل دينك يسرًا لا عسر فيه.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره ونسهلك يا محمد لعمل الخير وهو اليُسرَى، واليُسرَى: هو «الفُعلى»، من: اليسر"[٢٦٤٧].

عن الضحاك:" للدين واليسر وليس بالعسر"[٢٦٤٨].

القرآن

{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)} [الأعلى : ٩-١٠]

التفسير:

فعظ قومك -أيها الرسول- حسبما يسرناه لك بما يوحى إليك، واهدهم إلى ما فيه خيرهم. وخُصَّ بالتذكير من يرجى منه التذكُّر، ولا تتعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكر إلا عتوًّا ونفورًا. سيتعظ الذي يخاف ربه.

قوله تعالى:{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى : ٩]، أي:" فعظ قومك -أيها الرسول- حسبما يسرناه لك بما يوحى إليك، واهدهم إلى ما فيه خيرهم. وخُصَّ بالتذكير من يرجى منه التذكُّر، ولا تتعب نفسك في تذكير من لا يورثه التذكر إلا عتوًّا ونفورًا"[٢٦٤٩].

عن مجاهد{فَذَكِّرْ}: قال:" بالقرآن"[٢٦٥٠].

قوله تعالى:{سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} [الأعلى : ١٠]، أي:" سيتعظ الذي يخاف ربه"[٢٦٥١].

قال قتادة:" والله ما خشي الله عبد قط إلا ذكره"[٢٦٥٢]. وفي لفظ:" فاتقوا الله، ما خشي الله عبد قطّ إلا ذكره"[٢٦٥٣].

وقال قتادة:" واللهِ، ما خشي اللهَ عبدٌ قطّ إلا ذَكَّره، ولا يتنكّب عبدٌ هذا الذِّكْر زُهدًا فيه وبُغضًا لأهله إلا شَقيٌّ بَيِّنُ الشقاء"[٢٦٥٤].

القرآن

(٢٦٤٢) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٦٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٤):ص١٠/٣٤١٦-٣٤١٧.

(٢٦٤٤)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٢٦٤٥)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٢٦٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٢٥):ص١٠/٣٤١٧.

(٢٦٤٧) تفسير الطبري: ٢٤/٣٧٢.

(٢٦٤٨) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٥٤.

(٢٦٤٩) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٦٥٠) النكت والعيون: ٦/٢٥٤.

(٢٦٥١) التفسير الميسر: ٥٩١.

(٢٦٥٢) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٧٢، وابن أبي حاتم(١٩٢٢٧):ص١٠/٣٤١٧.

(٢٦٥٣) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٧٢.

(٢٦٥٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} [الأعلى : ١١-١٥]

التفسير:

ويبتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه، الذي سيدخل نار جهنم العظمى يقاسي حرَّها، ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه. قد فاز مَن طهر نفسه من الأخلاق السيئة، وذكر الله، فوحَّده ودعاه وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وامتثالا لشرعه.

قوله تعالى:{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} [الأعلى : ١١]، أي:" ويبتعد عن الذكرى الأشقى الذي لا يخشى ربه"[٢٦٥٥].

قال قتادة:" فلا والله لا يتنكَّب عبد هذا الذكر زهدًا فيه وبُغضًا لأهله، إلا شَقِيٌّ بَيِّن الشقاء"[٢٦٥٦].

قوله تعالى:{الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى(١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [الأعلى : ١٢]، أي:" الذي سيدخل نار جهنم العظمى يقاسي حرَّها، ثم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه"[٢٦٥٧].

عن الحسن: "الكبرى نار جهنم، والصغرى نار الدنيا"[٢٦٥٨].

قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى : ١٤]، أي:" قد فاز مَن طهر نفسه من الأخلاق السيئة"[٢٦٥٩].

وفي قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى : ١٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : من تطهّر من الشرك بالإيمان، قاله عكرمة[٢٦٦٠]، وعطاء[٢٦٦١]. وهو الصحيح لأن الجمهور على أن السورة مكية.

قل عطاء:" من آمن"[٢٦٦٢].

قال عكرمة:" من قال: "لا إله إلا الله. قاله"[٢٦٦٣].

الثاني : من كان صالح عمله زكياً نامياً ، قاله الحسن[٢٦٦٤]، والربيع[٢٦٦٥].

قال الحسن:" من كان عمله زاكيًا"[٢٦٦٦].

الثالث: من عمل صالحا وورعا. قاله قتادة[٢٦٦٧].

وقال قتادة:" بعمل صالح"[٢٦٦٨]. وفي لفظ:" يعمل وَرِعًا"[٢٦٦٩].

الرابع : من أكثر الاستغفار. قاله عطاء"[٢٦٧٠].

(٢٦٥٥) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٦٥٦) أخرجه الطبري: ٢٤/ ٣٧٢، وابن أبي حاتم(١٩٢٢٧):ص٣٤١٧/١٠.

(٢٦٥٧) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٦٥٨) تفسير القرطبي: ٢١/٢٠.

(٢٦٥٩) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٦٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.

(٢٦٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٠):ص٣٤١٧/١٠.

(٢٦٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٠):ص٣٤١٧/١٠.

(٢٦٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.

(٢٦٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.

(٢٦٦٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٥/٦، وزاد المسير: ٤٣٢/٤.

(٢٦٦٦) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٤.

(٢٦٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٤.

(٢٦٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٢):ص٣٤١٧/١٠.

(٢٦٦٩) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٤.

(٢٦٧٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣١):ص٣٤١٧/١٠.

الخامس : عُنِي بذلك صدقة الفطر. وهذا قول أبي العالية[٢٦٧١]، ومحمد بن سيرين[٢٦٧٢]، وعطاء -أيضا- [٢٦٧٣]، وقتادة[٢٦٧٤].

قال محمد بن سيرين:" أدى صدقة الفطر ثم خرج فصلى بعد ما أدى"[٢٦٧٥].

عن أبي خلدة، قال: "دخلت على أبي العالية، فقال لي: إذا غَدَوت غدًا إلى العيد فمرّ بي، قال: فمررت به، فقال: هل طَعِمت شيئا؟ قلت: نعم، قال: أفَضْت على نفسك من الماء؟ قلت: نعم، قال: فأخبرني ما فعلت بزكاتك؟ قلت: قد وجَّهتها، قال: إنما أردتك لهذا، ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}، وقال: إن أهل المدينة لا يَرَونَ صدقة أفضل منها ومن سِقَاية الماء"[٢٦٧٦].

السادس : أنها زكوات الأموال كلها ، قاله أبو الأحوص[٢٦٧٧]، وقتادة[٢٦٧٨].

قال قتادة:" تزكى رجل من ماله، وأرضى خالقه"[٢٦٧٩].

عن عطاء، قال: "قلت لابن عباس -رضي الله عنهما- أرأيت قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} [الأعلى : ١٤]، للفطر! قال: لم أسمع بذلك، ولكن الزكاة كلها، ثم عاودته فيها، فقال لي: والصدقات كلها"[٢٦٨٠].

وعن سعيد بن جبير:" {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}، يعني: من ماله"[٢٦٨١].

وقال قتادة:" من أرضى خالقه من ماله"[٢٦٨٢].

قال أبو الأحوص:" من استطاع أن يرضَخَ فليفعل، ثم ليقم فليصلّ"[٢٦٨٣].

قال أبو الأحوص:" إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة، فليقدّم بين يدي صلاته زكاته، فإن الله يقول: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} فمن استطاع أن يقدّم بين يدي صلاته زكاةً فليفعل"[٢٦٨٤].

قال أبو الأحوص:" لو أن الذي يتصدق بالصدقة صلى ركعتين ثم قرأ قد أفلح من تزكى الآية"[٢٦٨٥].

قوله تعالى:{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى : ١٥]، أي:" وذكر الله، فوحَّده ودعاه وعمل بما يرضيه، وأقام الصلاة في أوقاتها؛ ابتغاء رضوان الله وامتثالا لشرعه"[٢٦٨٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{ فَصَلَّى} [الأعلى : ١٥]، ثلاثة أقوال :

أحدهما: صلاة التطوع، قاله أبو الأحوص[٢٦٨٧].

قال أبو الأحوص:" هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة"[٢٦٨٨].

(٢٦٧١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢٦٧٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٥):ص٣٤١٨/١٠.
(٢٦٧٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٤):ص٣٤١٨/١٠.
(٢٦٧٤) انظر: زاد المسير: ٤٣٢/٤.
(٢٦٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٥):ص٣٤١٨/١٠.
(٢٦٧٦) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢٦٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢٦٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢٦٧٩) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢٦٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٦):ص٣٤١٨/١٠.
(٢٦٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٨):ص٣٤١٨/١٠.
(٢٦٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٩):ص٣٤١٨/١٠.
(٢٦٨٣) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢٦٨٤) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٤.
(٢٦٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٠):ص٣٤١٨/١٠.
(٢٦٨٦) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢٦٨٧) انظر: النكت والعيون: ٢٥٥/٦، وزاد المسير: ٤٣٣/٤.
(٢٦٨٨) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٥/٦.

الثاني : عُنِيَ به: صلاة العيد يوم الفطر. وهذا قول محمد بن سيرين[٢٦٨٩].

عن جعفر بن برقان، قال: "كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: إنّ هذا الرجف شيء يعاقب الله به عباده، وقد كتب إلى أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا فاخرجوا، ومَن أراد منكم أن يتصدّق فليفعل؛ فإنّ الله تعالى قال: {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى}"[٢٦٩٠].

القرآن

{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦)} [الأعلى : ١٦]

التفسير:

إنكم -أيها الناس- تفضِّلون زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة.

قال عكرمة:" يعني: هذه الأمة، وإنكم ستؤثرون الحياة الدنيا"[٢٦٩١].

قال قتادة:" فاختار الناس العاجلة إلا من عصم الله"[٢٦٩٢].

عن عَرْفَجَة الثقفي، قال: "استقرأت ابن مسعود {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}، فلما بلغ: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، ترك القراءة وأقبل على أصحابه، وقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا؛ لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزُويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل"[٢٦٩٣].

قال ابن كثير:" وهذا منه على وجه التواضع والهضم، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو، والله أعلم "[٢٦٩٤].

عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»[٢٦٩٥].

وقرأ أبو عمرو: "«بَلْ يؤْثِرُونَ» بالياء، وقال: يعني: الأشقياء"[٢٦٩٦].

القرآن

{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧)} [الأعلى : ١٧]

التفسير:

والدار الآخرة بما فيها من النعيم المقيم، خير من الدنيا وأبقى.

قال الطبري:" يقول: وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى، لأن الحياة الدنيا فانية، والآخرة باقية، لا تنفَدُ ولا تفنى"[٢٦٩٧].

(٢٦٨٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٥):ص٣٤١٨/١٠.

(٢٦٩٠)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢٦٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٢):ص٣٤١٩/١٠.

(٢٦٩٢) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٢٦٩٣) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٢٦٩٤) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٨.

(٢٦٩٥) المسند(١٩٦٩٧):ص٤٧٠/٣٢، والمستدرك للحاكم(٧٨٥٣):ص٣٤٣/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي بقوله: "فيه انقطاع"، وفي (٧٨٩٧):ص٣٥٤/٤، قال الحاكم: هذا حديث صحيح". وأقره الذهبي". فجل من لا يسهو.

(٢٦٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٢٦٩٧) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٤.

قال ابن كثير:" أي : ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنيَّة فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريبا، ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد ؟!"(٢٦٩٨).

قال قتادة:" {وَالآخِرَةُ خَيْرٌ} في الخير {وَأَبْقَى} في البقاء"(٢٦٩٩).

عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدنيا دَارُ من لا دارَ له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له"(٢٧٠٠).

القرآن

{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)} [الأعلى : ١٨-١٩]

التفسير:

إن ما أخبرتم به في هذه السورة هو مما ثبت معناه في الصُّحف التي أنزلت قبل القرآن، وهي صُحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [الأعلى : ١٨]، أي:" إن ما أخبرتم به في هذه السورة هو مما ثبت معناه في الصُّحف التي أنزلت قبل القرآن"(٢٧٠١).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [الأعلى : ١٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى ، قاله قتادة(٢٧٠٢).

قال قتادة:" تتابعت كتب الله كما تسمعون أن الآخرة خير وأبقى"(٢٧٠٣).

قال قتادة:" في الصحف الأولى: إن الآخرة خير من الدنيا"(٢٧٠٤).

الثاني : هذه السورة، قاله عكرمة(٢٧٠٥)، والسدي(٢٧٠٦)، ونحوه عن أبي العالية(٢٧٠٧)، وقتادة(٢٧٠٨).

قال السدي:" أن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم"(٢٧٠٩).

عن عكرمة: "{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}، يقول: الآيات التي في {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}"(٢٧١٠).

وعن ابن عباس قال : "لما نزلت :{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} قال النبي صلى الله عليه وسلم : "كان كل هذا - أو : كان هذا - في صحف إبراهيم وموسى"(٢٧١١).

(٢٦٩٨) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٨.

(٢٦٩٩) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٤.

(٢٧٠٠)المسند (٧١/٦) وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٨/١٠) : "رجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة".

(٢٧٠١) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٧٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٤.

(٢٧٠٣) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٤٦):ص٣٤١٩/١٠.

(٢٧٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٧):ص٣٤١٩/١٠.

(٢٧٠٥) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.

(٢٧٠٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٤٤):ص٣٤١٩/١٠، زاد المسير: ٤٣٣/٤.

(٢٧٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٤.

(٢٧٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٤.

(٢٧٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٤):ص٣٤١٩/١٠.

(٢٧١٠) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.

(٢٧١١)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٦٨). قال ابن كثير: ٣٨٣/٨:" يعني أن هذه الآية كقوله في سورة "النجم" :{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم : ٣٦ - ٤٢]".

وقال أبو العالية:" قصة هذه السورة لفي الصحف الأولى"[٢٧١٢].
وقال قتادة:" إن هذا الذي قصّ الله في هذه السورة، لفي الصحف الأولى"[٢٧١٣].
الثالث: أنها كتب الله كلها، قاله الحسن[٢٧١٤].
عن الحسن :" {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} [الأعلى : ١٨]، قال: في كتب الله كلها"[٢٧١٥].
وحكى وهب بن منبه :"أن جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب ، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس ، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم ، وأنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والفرقان على محمد عليهم السلام"[٢٧١٦].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم خليل الرحمن، وصحف موسى بن عمران، وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره؛ لأن هذا إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قرب منها أولى من أن يكون إشارة إلى غيره"[٢٧١٧].
قوله تعالى:{صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} [الأعلى : ١٩]، أي:" وهي صُحف إبراهيم وموسى -عليهما السلام-"[٢٧١٨].
عن أبي الخلد، قال: "نزلت صحف إبراهيم في أوّل ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستّ ليال خلون من رمضان، وأنزل الزبور لاثنتي عشرة ليلة، وأنزل الإنجيل لثماني عشرة، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين"[٢٧١٩].
«آخر تفسير سورة (الأعلى)، والحمد لله وحده»
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢٧١٢) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(٢٧١٣) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٤.
(٢٧١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٤٨):ص٣٤١٩/١٠. وحكاه الماوردي في "النكت والعيون": ٢٥٦/٦ دون عزو.
(٢٧١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٨):ص٣٤١٩/١٠.
(٢٧١٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٥٦/٦.
(٢٧١٧) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٤.
(٢٧١٨) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢٧١٩) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الغاشية»

«سورة الغاشية»: هي السورة الثامنة والثمانون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الذاريات» وقبل «سورة الكهف»، وآياتها ست وعشرون. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها ثلاثمائة وأحد وثمانون. فواصل آياتها: «عمرته»[٢٧٢٠].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «الغاشية» بمكة"[٢٧٢١]. وروي عن ابن الزبير مثله[٢٧٢٢].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف في ذلك بين أهل التأويل"[٢٧٢٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٢٧٢٤].

قال القرطبي:" هي مكية في قول الجميع"[٢٧٢٥].

(٢٧٢٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٦/١.

(٢٧٢١) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢٧٢٢) انظر: الدر المنثور: ٤٩٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٧٢٣) المحرر الوجيز: ٤٧٢/٥.

(٢٧٢٤) زاد المسير: ٤٣٤/٤.

(٢٧٢٥) تفسير القرطبي: ٢٥/٢٠.

القرآن

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١)} [الغاشية : ١]

التفسير:

هل أتاك -أيها الرسول- خبر القيامة التي تغشى الناس بأهوالها؟

وفي معنى «الْغَاشِيَةِ»، قولان:

أحدهما: أنها القيامة، تغشى الناس بالأهوال ، قاله الضحاك[٢٧٢٦].

عن الضحاك:" الغاشية: الساعة"[٢٧٢٧]. وفي رواية " الغاشية: القيامة"[٢٧٢٨].

قال الحسن:" يعني: القيامة، تغشى الناسَ بعذابها وعقابها"[٢٧٢٩].

وعن قتادة:" {هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَةِ}، قال: حديث الساعة"[٢٧٣٠].

الثاني : أنها النار تغشى وجوه الكفار ، قاله سعيد بن جبير[٢٧٣١].

قال سعيد بن جبير:" الغاشية: غاشية النار"[٢٧٣٢].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ}، لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولا أنه عنى غاشية النار. وكلتاهما غاشية، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشي الكفار باللفح في الوجوه، والشُّواظ والنحاس، فلا قول في ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه، ويعمّ الخبر بذلك كما عمه[٢٧٣٣].

عن عمرو بن ميمون قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ: هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيَةِ}، فقام يسمع، ويقول: «نعم قد جاءني»[٢٧٣٤].

القرآن

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)} [الغاشية : ٢-٧]

التفسير:

وجوه الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب، مجهدة بالعمل متعبة، تصيبها نار شديدة التوهج، تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة، ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو مِن شر الطعام وأخبثه، لا يُسْمن بدن صاحبه من الهُزال، ولا يسدُّ جوعه ورمقه.

قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} [الغاشية : ٢]، أي:" وجوه الكفار يومئذ ذليلة بالعذاب"[٢٧٣٥].

عن قتادة: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ}، أي: ذليلة"[٢٧٣٦].

قال قتادة:" خاشعة في النار"[٢٧٣٧].

(٢٧٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤.

(٢٧٢٧) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٤.

(٢٧٢٨)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٢٧٢٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٣ -.

(٢٧٣٠)أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٠):ص٣٤٢٠/١٠. وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢٧٣١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤-٣٨٢.

(٢٧٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٤-٣٨٢.

(٢٧٣٣) تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(٢٧٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥١):ص٣٤٢٠/١٠.

(٢٧٣٥) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٧٣٦) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.

(٢٧٣٧) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.

عن سعيد بن جبير: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ}، قال: يعني في الآخرة"[٢٧٣٨].
قوله تعالى:{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} [الغاشية : ٣]، أي:" مجهدة بالعمل متعبة"[٢٧٣٩].
وفي قوله تعالى:{عَامِلَةٌ} [الغاشية : ٣]، وجهان:
أحدهما : عاملة في الدنيا بالمعاصي ، قاله عكرمة[٢٧٤٠]، والسدي[٢٧٤١].
الثاني : أنها تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى، فأعملها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب ، قاله قتادة[٢٧٤٢].
قال الحسن:" لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها في النار"[٢٧٤٣].
وفي قوله تعالى:{نَاصِبَةٌ} [الغاشية : ٣]، وجهان:
أحدهما : ناصبة في أعمال المعاصي. وهم الرهبان وأصحاب الصوامع. قاله سعيد بن جبير[٢٧٤٤]، وزيد بن أسلم[٢٧٤٥].
عن سعيد بن جبير، وزيد بن أسلم:" {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عامِلَةٌ ناصِبَةٌ} هم الرُّهبان، وأصحاب الصوامع"[٢٧٤٦].
عن جعفر قال :" سمعت أبا عمران الجَوني، يقول : مر عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بدير راهب، قال : فناداه : يا راهب يا راهب فأشرف. قال : فجعل عمر ينظر إليه ويبكي. فقيل له : يا أمير المؤمنين، ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله، عز وجل في كتابه :{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} فذاك الذي أبكاني"[٢٧٤٧].
الثاني : ناصبة في النار بالعذاب والأغلال، قاله قتادة[٢٧٤٨]، وعكرمة[٢٧٤٩]، والسدي[٢٧٥٠].
قال قتادة:" عاملة ناصبة في النار"[٢٧٥١].
قال قتادة:" تكبّرتْ في الدنيا عن طاعة الله، فأعْملها وأنصبها في النار"[٢٧٥٢].
قال عكرمة:" عاملة في الدنيا بالمعاصي، تنصب في النار يوم القيامة"[٢٧٥٣].
قال الضحاك:" يُكلّفون ارتقاء جبل مِن حديد في النار"[٢٧٥٤].
عن الحسن:" أنه قرأ: {عامِلَةٌ ناصِبَةٌ}، قال: لم تعمل لله في الدنيا، فأعْملها في النار"[٢٧٥٥].

(٢٧٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٢):ص٣٤٢٠/١٠.
(٢٧٣٩) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢٧٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٠/١٠.
(٢٧٤١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٥/٨.
(٢٧٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٤.
(٢٧٤٣) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.
(٢٧٤٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨.
(٢٧٤٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨.
(٢٧٤٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨.
(٢٧٤٧) رواه الحافظ أبو بكر البرقاني كما في "تفسير ابن كثير": ٣٨٥/٨، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٩/٢) عن جعفر بن سليمان، عن أبي عمران به، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٢٢/٢) من طريق الخضر بن أبان، عن سيار، عن جعفر به، وقال الحاكم : "هذه حكاية في وقتها، فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر".
(٢٧٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٤.
(٢٧٤٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٠/١٠.
(٢٧٥٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٨٥/٨.
(٢٧٥١) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٤.
(٢٧٥٢)عزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٢٧٥٣) الدر المنثور: ٤٩١/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٠/١٠. [مختصرا]
(٢٧٥٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٧، وتفسير البغوي ٨/ ٤٠٨.
(٢٧٥٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار ٦/ ٤٢٧ - ٤٢٨ (١٢٩) من طريق يونس.

قوله تعالى:{تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الغاشية : ٤]، أي:" تصيبها نار شديدة التوهج، تُسقى من عين بلغت منتهى الحرارة"[٢٧٥٦].

وفي قوله تعالى:{عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الغاشية : ٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : قد بلغت إناها وحان شربها ، قاله مجاهد[٢٧٥٧].

الثاني : يعني: قد أنى حرها فانتهى واشتد.

قال السدي:" انتهى حرها فليس فوقه حر"[٢٧٥٨].

قال الحسن:" من عين أنَى حرّها: يقول: قد بلغ حرّها"[٢٧٥٩].

قال الحسن:" أنَى طبخها منذ يوم خلق الله الدنيا"[٢٧٦٠]. وفي لفظ:" منذ يوم خلق الله السموات والأرض"[٢٧٦١].

قال قتادة:" قد أنَى طبخها منذ خلق الله السموات والأرض"[٢٧٦٢].

قوله تعالى:{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} [الغاشية : ٦]، أي:" ليس لأصحاب النار طعام إلا من نبت ذي شوك لاصق بالأرض، وهو مِن شر الطعام وأخبثه"[٢٧٦٣].

وفي قوله تعالى:{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} [الغاشية : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها شجرة تسميها قريش: الشبرق، كثيرة الشوك، قاله مجاهد[٢٧٦٤]، وعكرمة[٢٧٦٥]، وعطاء الخراساني[٢٧٦٦]، ومنه قول الشاعر [٢٧٦٧]:

رَعَى الشِّبْرِقَ الرَّيَّانَ حَتَّى إِذَا ذَوَى ... وَعَادَ ضَرِيعًا عَادَ عَنْهُ النَّحَائِصُ

قال عطاء:" شجرة يقال لها: الشِّبرق"[٢٧٦٨].

قال مجاهد:" الشِّبرق اليابس"[٢٧٦٩].

قال قتادة:" هو الشبرق إذا يبس يسمى الضريع"[٢٧٧٠].

قال قتادة:" الضريع:-بلغة قريش- في الربيع: الشبرق، وفي الصيف: الضريع"[٢٧٧١].

قال قتادة:" من شرّ الطعام، وأبشعه وأخبثه"[٢٧٧٢].

(٢٧٥٦) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٧٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٤.

(٢٧٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٧):ص٣٤٢١/١٠.

(٢٧٥٩) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.

(٢٧٦٠) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.

(٢٧٦١) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.

(٢٧٦٢) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٤.

(٢٧٦٣) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٧٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٢٧٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٢٧٦٦)(٥) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٤.

(٢٧٦٧) البيت منسوب إلى أبي ذؤيب الهذلي، كما في : النكت والعيون: ٢٥٩/٦، ووالكشاف: ٧٢٤/٤، والمحرر الوجيز: ٤٧٣/٥، ومفاتيح الغيب: ١٤٠/٣١، وتفسير القرطبي: ٣٠/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٤٦٠/١٠، ولم نعثر عليه في ديوان أبي ذؤيب.

«النحائص» : جمع نحوص، وهي الأتان الوحشية التي في بطنها ولد.

(٢٧٦٨)(٥) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٤.

(٢٧٦٩) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٢٧٧٠) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٢٧٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٩):ص٣٤٢١/١٠.

(٢٧٧٢) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

قال عكرمة:" هي شجرة ذات شوك، لاطئة بالأرض، فإذا كان الربيع سمَّتها قريش: الشِّبرق، فإذا هاج العود سمتها: الضَّريع"[٢٧٧٣].

الثاني : السُّلّاء، قال أبو الجوزاء[٢٧٧٤].

قال أبو الجوزاء:" الضريع: السُّلّاء، وهو الشوك"[٢٧٧٥].

الثالث : أنها الحجارة ، قاله سعيد بن جبير[٢٧٧٦].

الرابع : الزقوم. قاله سعيد بن جبير[٢٧٧٧].

قوله تعالى:{لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} [الغاشية : ٧]، أي:" لا يُسْمن بدن صاحبه من الهُزال، ولا يسدُّ جوعه ورمقه"[٢٧٧٨].

قال أبو الجوزاء:" وكيف يسمن من كان طعامه الشوك"[٢٧٧٩].

الحسن البصري: "إنّ الله تعالى يُرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون، فيُغاثون مِن الضّريع، ثم يستغيثون، فيُغاثون بطعام ذا غُصّة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون، فيُعطشهم ألف سنة، ثم يُسقون من عين آنية، شَربة لا هنيئة ولا مريئة، فإذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل إلى بطونهم قطعها، فذلك قوله عز جل: {وسُقُوا ماءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ} [محمد: ١٥]"[٢٧٨٠].

القرآن

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)} [الغاشية : ٨-١٦]

التفسير:

وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة؛ لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة، في جنة رفيعة المكان والمكانة، لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة، فيها عين تتدفق مياهها، فيها سرر عالية، وأكواب معدة للشاربين، ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى، وبُسُط كثيرة مفروشة.

قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ} [الغاشية : ٨]، أي:" وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة"[٢٧٨١].

عن سعيد بن جُبَير أنه قرأ في سورة الغاشية: "(مُتَّكِئِينَ فِيها ناعِمِينَ فِيها)"[٢٧٨٢].

قوله تعالى:{لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ} [الغاشية : ٩]، أي:" لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة"[٢٧٨٣].

(٢٧٧٣) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٤.

(٢٧٧٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦١):ص٣٤٢١/١٠.

(٢٧٧٥)عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وفي مصنف ابن أبي شيبة في (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٤٨٨ - ٤٨٩ (٣٦٨٠٧) بلفظ: «السلم»، وهو كذلك في بعض نسخ الدر المنثور و تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦١):ص٣٤٢١/١٠. و"السَّلم": نوع من العضاه وهو كلّ شجر له شوك. أما السُّلّاء: فشوك النخل، واحدتها سلاءة. اللسان (سلأ، سلم، عضه).

(٢٧٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٢):ص٣٤٢١/١٠

(٢٧٧٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٣):ص٣٤٢١/١٠

(٢٧٧٨) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٧٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٦١):ص٣٤٢١/١٠.

(٢٧٨٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٨، وتفسير البغوي ٨/ ٤٠٨.

(٢٧٨١) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٧٨٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٧٨٣) التفسير الميسر: ٥٩٢.

قوله تعالى:{فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} [الغاشية : ١٠]، أي:" في جنة رفيعة المكان والمكانة"[٢٧٨٤].
عن الضحاك:"أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية"[٢٧٨٥].
قوله تعالى:{لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً} [الغاشية : ١١]، أي:" لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة"[٢٧٨٦].
قال مجاهد:" لا تسمع فيها شتما"[٢٧٨٧].
قال قتادة:" لا تسمع فيها باطلا ، ولا إثما"[٢٧٨٨].
وقال قتادة:" لا تسمع فيها باطلا ولا مأثما"[٢٧٨٩].
وعن قتادة: {لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً}، قال:" الإثم"[٢٧٩٠].
وعن الأعمش:" {لا تسمع فيها لاغية} قال: مؤذية"[٢٧٩١].
وعن الحسن: "{لا تسمع فيها لاغية} قال: المعصية "[٢٧٩٢].
قرأ رفع، ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: «لا يُسمع فيها لاغية». بالياء مضمومة «لاغية» ، وقرأ عبيد، وعباس، واليزيدي، وأبو زيد، وعبد الوارث، وعلي بن نصر عن أبي عمرو: «ولا يُسْمَعُ» بضم الياء، وروي عن هارون، والنضر بن شميل، عن هارون وعبد الوهاب عن أبي عمرو بالياء، والتاء جميعًا[٢٧٩٣].
قوله تعالى:{فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ(١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} [الغاشية : ١٢-١٤]، أي:" فيها عين تتدفق مياهها، فيها سرر عالية، وأكواب معدة للشاربين"[٢٧٩٤].
قال السدي:" الأكواب: التي ليست لها آذان"[٢٧٩٥].
قال مجاهد:" الأكواب ما ليس لها آذان"[٢٧٩٦]. وفي رواية:" ليس لها عرى ولا آذان"[٢٧٩٧].
عن أبي رجاء، قال: "سئل الحسن عن الأكواب، قال: هي الأباريق التي يصبّ لهم منها"[٢٧٩٨].
قال قتادة:" الأكواب التي يغترف بها ليس لها خراطيم، وهي أصغر من الأباريق"[٢٧٩٩].
قال الضحاك:" الأكواب جرار ليست لها عرى، وهي بالنبطية كوبا، وإياها عنى الأعشى بقوله:
صَرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها لَهَا زَبَدٌ بَينَ كُوبٍ ودَنّ"[٢٨٠٠].
قوله تعالى:{وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} [الغاشية : ١٥]، أي:" ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى"[٢٨٠١].

(٢٧٨٤) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢٧٨٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(٢٧٨٦) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢٧٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٢٤.
(٢٧٨٨) أخرجه عبدالرزاق(٣٥٨٧):ص٤٢١/٣، والطبري: ٣٨٦/٢٤.
(٢٧٨٩) الدر المنثور: ٤٩٣/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.
(٢٧٩٠) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦.
(٢٧٩١) الدر المنثور: ٤٩٣/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٧٩٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٠/٦، وتفسير القرطبي: ٣٣/٢٠.
(٢٧٩٣)انظر: كتاب "السبعة في القراءات" لابن مجاهد: ٦٨١، "القراءات وعلل النحويين فيها" ٢/ ٧٦٩، "الحجة" ٦/ ٣٩٩، "المبسوط" ٤٠٦، "حجة القراءات" ٧٦٠، "إتحاف فضلاء البشر" ٤٣٧.
(٢٧٩٤) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢٧٩٥) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.
(٢٧٩٦) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٣.
(٢٧٩٧) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٢٧٩٨) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٢٧٩٩) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٢٨٠٠) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(٢٨٠١) التفسير الميسر: ٥٩٢.

قال قتادة:" النمارق: الوسائد"[٢٨٠٢].
قوله تعالى:{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} [الغاشية : ١٦]، أي:" وبُسُط كثيرة مفروشة"[٢٨٠٣].
عن الحسن :" {وزَرابِيُّ}، قال: البُسُط"[٢٨٠٤].
وفي «المبثوثة»، وجهان :
أحدهما : مبسوطة، قاله قتادة[٢٨٠٥].
عن قتادة: "{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}: المبسوطة"[٢٨٠٦].
عن عبد الله بن عمار، قال: "رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي على عبقريّ، وهو الزرابيّ"[٢٨٠٧].
الثاني : بعضها على بعض، قاله عكرمة[٢٨٠٨].
عن أسامة بن زيد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «"ألا هل من مُشَمِّر للجنة، فإن الجنة لا خَطَر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحُلل كثيرة، ومقام في أبد في دارٍ سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية ؟". قالوا : نعم يا رسول الله، نحن المشمرون لها. قال : " قولوا : إن شاء الله". قال القوم: إن شاء الله»[٢٨٠٩].

القرآن
{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)} [الغاشية : ١٧-٢٠]
التفسير:
أفلا ينظر الكافرون المكذِّبون إلى الإبل: كيف خُلِقَت هذا الخلق العجيب؟ وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟ وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت؟
سبب النزول:
عن قتادة، قال: "لما نعت الله ما في الجنة عجِب من ذلك أهلُ الضلالة؛ فأنزل الله: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إلى الإبلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}، وكانت الإبل عيشًا من عيش العرب، وخَوَلًا مِن خَوَلهم"[٢٨١٠].
عن قتادة، قال: "ذكر الله تعالى ارتفاع سُرُرِ الجنة، وفُرُشِها، فقالوا: كيف نصعدها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٢٨١١].
قوله تعالى:{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية : ١٧]، أي:" أفلا ينظر الكافرون المكذِّبون إلى الإبل: كيف خُلِقَت هذا الخلق العجيب؟"[٢٨١٢].

(٢٨٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٢٤.
(٢٨٠٣) التفسير الميسر: ٥٩٢.
(٢٨٠٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢٨٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٢٨٠٦) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٢٨٠٧) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤.
(٢٨٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٧):ص٣٤٢١/١٠.
(٢٨٠٩)البعث لابن أبي داود برقم (٧١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٥/٣) : "هذا إسناد فيه مقال، الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي في طبقات التهذيب : "مجهول". وسليمان بن موسى مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات".
(٢٨١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(٢٨١١)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٩، وتفسير البغوي ٨/ ٤١٠.

سُئِل الحسن البصري عن هذه الآية: "{أفَلا يَنْظُرُونَ إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}، وقيل له: الفيل أعظم في الأعجوبة؟ فقال: أمّا الفيل فالعرب بعيدة العهد بها، ثم هو لا خير فيه، لا يُركب ظهرها، ولا يؤكل لحمها، ولا يُحلب درّها، والإبل أعزّ مالٍ للعرب وأنفَسها، تأكل النوى والقتّ وتُخرج اللبن"(٢٨١٣).

عن أبي إسحاق، عمن سمع شريحا، يقول: "اخرجوا بنا ننظر إلى الإبل كيف خُلقت"(٢٨١٤).

وعن سعيد بن جبير، قال: "لقيت شريحا القاضي فقلت: أين تريد؟ قال: أريد الكناسة: قلت: وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت"(٢٨١٥).

قوله تعالى:{وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} [الغاشية : ١٨]، أي:" وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟"(٢٨١٦).

قوله تعالى:{ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨)وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ} [الغاشية : ١٨-١٩]، أي:" وإلى السماء كيف رُفِعَت هذا الرَّفع البديع؟ وإلى الجبال كيف نُصبت، فحصل بها الثبات للأرض والاستقرار؟"(٢٨١٧).

عن قتادة -من طريق سعيد- قال: "{وإلى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وإلى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ}، قال: تصعد إلى الجبل الصَّيْخُود عامة يومك، فإذا أفضيتَ إلى أعلاه أفضيتَ إلى عيون مُتفجِّرة، وأثمار متهدّلة، لم تغرسه الأيدي، ولم تعمله الناس، نعمة من الله، وبُلْغَة إلى أجل"(٢٨١٨).

قوله تعالى:{وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} [الغاشية : ٢٠]، أي:" وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت؟"(٢٨١٩).

عن قتادة: "{وَإلى الأرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}، أي: بُسطت"(٢٨٢٠).

قال قتادة:" يقول: أليس الذي خلق هذا بقادر على أن يخلق ما أراد في الجنة"(٢٨٢١).

القرآن

{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)} [الغاشية : ٢١-٢٢]

التفسير:

فعِظْ -أيها الرسول- المعرضين بما أُرْسِلْتَ به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم، ليس عليك إكراههم على الإيمان.

قوله تعالى:{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} [الغاشية : ٢١]، أي:" فعِظْ -أيها الرسول- المعرضين بما أُرْسِلْتَ به إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم"(٢٨٢٢).

قال قتادة:" أي: كِلْ إليّ عبادي"(٢٨٢٣).

قوله تعالى:{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]، أي:" ليس عليك إكراههم على الإيمان"(٢٨٢٤).

(٢٨١٢) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٨١٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٨٩، وتفسير البغوي ٨/ ٤١٠.

(٢٨١٤) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٤.

(٢٨١٥) نقلا عن: الكشاف: ٧٤٤/٤-٧٤٥.

(٢٨١٦) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٨١٧) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٨١٨) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٢٨١٩) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٨٢٠) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢٤.

(٢٨٢١) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢٤.

(٢٨٢٢) التفسير الميسر: ٥٩٢.

(٢٨٢٣) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢٤.

(٢٨٢٤) التفسير الميسر: ٥٩٢.

وفي تفسير قوله تعالى:{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} [الغاشية : ٢٢]، أربعة وجوه:
أحدها : لست عليهم بجبار، قاله مجاهد[٢٨٢٥].
الثاني :بقاهر. قاله قتادة[٢٨٢٦].
الثالث: برب، قاله الحسن[٢٨٢٧]، ومعنى الكلام:" لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان"[٢٨٢٨].
الرابع : لست عليهم بمسلط، قاله الضحاك[٢٨٢٩].
عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله »، ثم قرأ: {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}"[٢٨٣٠].

القرآن
{إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤)} [الغاشية : ٢٣-٢٤]
التفسير:
لكن الذي أعرض عن التذكير والموعظة وأصرَّ على كفره، فيعذبه الله العذاب الشديد في النار.
قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ} [الغاشية : ٢٣]، أي:" لكن الذي أعرض عن التذكير والموعظة وأصرَّ على كفره"[٢٨٣١].
عن مجاهد: "{إلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ}، قال: حسابه على الله"[٢٨٣٢].
قرأ ابن عباس وزيد بن أسلم وقتادة وزيد بن على «ألا من تولى»، بفتح الهمزة على معنى: استفتاح الكلام، «ومَنْ» على هذه القراءة شرطية[٢٨٣٣].
عن علي بن خالد :«أن أبا أمامة الباهلي مَرَّ على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ألا كلكم يدخل الجنة، إلا من شَرَد على الله شَراد البعير على أهله"»[٢٨٣٤].

القرآن
{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)} [الغاشية : ٢٥-٢٦]
التفسير:
إنَّ إلينا مرجعهم بعد الموت، ثم إن علينا جزاءهم على ما عملوا.
قوله تعالى:{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٥]، أي:" إنَّ إلينا مرجعهم بعد الموت"[٢٨٣٥].
عن السدي :"{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ}، قال: منقلبهم"[٢٨٣٦].

(٢٨٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٠/٢٤.
(٢٨٢٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٦٨. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢٨٢٧) انظر: النكت والعيون: ٢٩٣/٦.
(٢٨٢٨) النكت والعيون: ٢٩٣/٦.
(٢٨٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٧):ص٣٤٢٢/١٠.
(٢٨٣٠)أخرجه أحمد في المسند():ص١١٩/٢٢-١٢٠، وابن أبي شيبة ١٢٣/١٠ و٣٧٦/١٢، ومسلم (٢١) (٣٥)، والترمذي في سننه (٣٣٤١)، والنسائي في "الكبرى" (١١٦٧٠)، وأخرجه الطبري في "التفسير": ٣٩٠/٢٤، وابن منده في "الإيمان" (٣٠) ، والحاكم ٥٢٢/٢، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٩٦.[إسناده صحيح]
(٢٨٣١) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٢٨٣٢) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٤.
(٢٨٣٣) انظر: المحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.
(٢٨٣٤)المسند (٢٥٨/٥).
(٢٨٣٥) التفسير الميسر: ٥٩٣.

عن عطاء الخراساني:" {إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ}، قال: مرجعهم"[٢٨٣٧].

قرأ الجمهور: «إيابهم» مصدر من آب يؤوب إذا رجع، وهو الحشر، والمراد إلى الله، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «إيّابهم» بشد الياء على وزن فعال بكسر الفاء أصله :فيعال، من: أيب، فعل، أصله: فيعل، ويصح أن يكون أوب فيجيء: إيوابا، وسهلت الهمزة وكان اللازم في الإدغام يردها أوابا، لكن استحسنت فيه الياء على غير قياس[٢٨٣٨].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٦]، أي:" ثم إن علينا جزاءهم على ما عملوا"[٢٨٣٩].

قال السدي: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ}" يعني: جزاءهم"[٢٨٤٠].

عن قتادة: "{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}، يقول: إن إلى الله الإياب وعليه الحساب"[٢٨٤١].

«آخر تفسير سورة (الغاشية)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢٨٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٨):ص٣٤٢٢/١٠.

(٢٨٣٧)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. وينظر: فتح الباري ٨/ ٧٠١.

(٢٨٣٨) انظر: المحرر الوجيز: ٤٧٥/٥.

(٢٨٣٩) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٢٨٤٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٥ -.

(٢٨٤١) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الفجر»

«سورة الفجر»: هي السورة التاسعة والثمانون بحسب الرسم القرآني، وهي العاشرة في عداد نزول السور. نزلت بعد «سورة الليل» وقبل «سورة الضحى»، وآياتها ثلاثون في عد الشام، والكوفة، وتسع وعشرون في البصرة، واثنتان وثلاثون في الحجاز، وكلماتها مائة وسبع وعشرون، وحروفها خمسمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها أربع: {نَعَّمَهُ} [الفجر : ١٥]، {رِزْقَهُ } [الفجر : ١٦]، {بِجَهَنَّمَ } [الفجر : ٢٣]، {فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، فواصل آياتها «هاروت ندم» [٢٨٤٢].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت {والفجر} بمكة"[٢٨٤٣].

وعن عبدالله بن الزبير، قال :"أنزلت {والفجر} بمكة"[٢٨٤٤].

قال ابن عطية:" هي مكية عند جمهور المفسرين، وحكى أبو عمرو الداني في كتابه المؤلف في تنزيل القرآن عن بعض العلماء أنه قال: هي مدنية، والأول أشهر وأصح"[٢٨٤٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٢٨٤٦].

قال القرطبي:" سورة الفجر مكية"[٢٨٤٧].

(٢٨٤٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥١٨/١.

(٢٨٤٣) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي.

(٢٨٤٤) انظر: الدر المنثور: ٤٩٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٨٤٥) المحرر الوجيز: ٤٧٦/٥.

(٢٨٤٦) زاد المسير: ٤٣٧/٤.

(٢٨٤٧) تفسير القرطبي: ٣٨/٢٠.

القرآن

{وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥)} [الفجر : ١-٥]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بوقت الفجر، والليالي العشر الأوَل من ذي الحجة وما شرفت به، وبكل شفع وفرد، وبالليل إذا يَسْري بظلامه، أليس في الأقسام المذكورة مَقْنَع لذي عقل؟

قوله تعالى:{وَالْفَجْرِ} [الفجر : ٥]، أي:" أقسم بوقت الفجر"[٢٨٤٨].

عن ميمون بن مهران، قال: "إنّ الله تعالى يُقسم بما يشاء من خَلْقه، وليس لأحد أن يُقسم إلا بالله"[٢٨٤٩].

وفي قسم الله بـ«الفجر»، أقوال :

أحدها : أن الفجر: الصبح الذي يبدأ به النهار من كل يوم، قاله عكرمة[٢٨٥٠]، وزيد بن أسلم[٢٨٥١]، والأسود بن يزيد[٢٨٥٢]، والسدي[٢٨٥٣].

قال الأسود بن يزيد :" هو فجركم هذا"[٢٨٥٤].

عن مجاهد[٢٨٥٥]، والضحاك[٢٨٥٦]:" {والفَجْرِ}، قال: فجر النهار".

وقال القرظي: "انفجار الصبح من كلّ يوم إلى انقضاء الدّنيا"[٢٨٥٧].

عن عطية العَوفيّ، في قوله: "{والفَجْرِ}، قال: هذا الذي تعرفون. قيل: هل تروي هذا عن أحد مِن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: نعم، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم "[٢٨٥٨].

الثاني : أنه أراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر. قاله مسروق[٢٨٥٩]، ومجاهد[٢٨٦٠]، ومحمد بن كعب[٢٨٦١].

قال مجاهد:" فجر يوم النحر وليس كل فجر"[٢٨٦٢].

الثالث: أنه فجر أول يوم من ذي الحجة، لأنّ الله سبحانه قرن الأيّام بها. قاله الضحاك[٢٨٦٣].

الرابع : أنه أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة. قاله قتادة[٢٨٦٤].

(٢٨٤٨) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٢٨٤٩)أخرجه ابن أبي شيبة (القسم الأول من الجزء الرابع) ص ١٩.

(٢٨٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢٤.

(٢٨٥١) انظر: الكشف والبيان: ١٩١/١٠.

(٢٨٥٢) انظر: معاني القرآن للفراء:٢٥٩/٣.

(٢٨٥٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.

(٢٨٥٤) رواه الفراء في "معاني القرآن":٢٥٩/٣.

(٢٨٥٥)تفسير مجاهد ص ٧٢٦.

(٢٨٥٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٨٥٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٩١/١٠.

(٢٨٥٨)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٢٨٥٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.

(٢٨٦٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٢):ص٣٤٢٣/١٠.

(٢٨٦١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٨.

(٢٨٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٢):ص٣٤٢٣/١٠.

(٢٨٦٣) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ١٩١، وتفسير البغوي ٨/ ٤١٢، وزاد المسير: ٤٣٧/٤.

(٢٨٦٤) انظر: الكشف والبيان: ١٩١/١٠، وزاد المسير: ٤٣٧/٤.

قوله تعالى:{وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر : ٥]، أي: "وأقسم بالليالي العشر الأوَل من ذي الحجة وما شرفت به"[٢٨٦٥].

وفي قوله تعالى: قوله تعالى:{وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر : ٥]، أقوال:

أحدها : أنها ليالي عشر ذي الحجة، به قال مسروق[٢٨٦٦]، ومجاهد[٢٨٦٧]، وعكرمة[٢٨٦٨]، والضحاك[٢٨٦٩]، وقتادة[٢٨٧٠]، والسدي[٢٨٧١].

عن مجاهد: "{وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، قال: عشر ذي الحجة"[٢٨٧٢].

قال مسروق:" عشر ذي الحجة، وهي التي وعد الله موسى صلى الله عليه وسلم"[٢٨٧٣].

قال مسروق:" ليال العشر، قال: هي أفضل أيام السنة"[٢٨٧٤].

قال الضحاك:" يعني: عشر الأضحى"[٢٨٧٥].

قال قتادة:" كنا نحدَّث أنها عشر الأضحى"[٢٨٧٦].

قال قتادة:" هي العشر الأول من ذي الحجة، أتمها الله لموسى"[٢٨٧٧].

قال الأسود بن يزيد :" عشر الأضحى"[٢٨٧٨].

الثاني : هي العشر الأول من رمضان، قاله الضحاك[٢٨٧٩].

الثالث : هي العشر الأول من المحرم، قاله يمان بن رئاب[٢٨٨٠].

الرابع : هي عشر موسى عليه السلام التي أتمها الله سبحانه له ، قاله مجاهد[٢٨٨١].

قال مجاهد:" ليس عمل في ليال من ليالي السنة أفضل منه في ليالي العشر، وهي عشر موسى التي أتمَّها الله له"[٢٨٨٢].

والصواب: أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التفسير عليه، وقد روي عن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «{وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ}، قال: عَشْرُ الأَضْحَى»"[٢٨٨٣].

قوله تعالى:{وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر : ٥]، أي:" وأقسم وبكل شفع وفرد"[٢٨٨٤].

واختلف أهل التفسير في «الشفع والوتر»، على أقوال:

(٢٨٦٥) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٢٨٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٨٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٨٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٨٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٢٨٧٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٥٨٩):ص٤٢٢/٣.
(٢٨٧١) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٤.
(٢٨٧٢) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٨٧٣) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٨٧٤) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٢٨٧٥) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٢٨٧٦) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤.
(٢٨٧٧) تفسير عبدالرزاق(٣٥٨٩):ص٤٢٢/٣.
(٢٨٧٨) رواه الفراء في "معاني القرآن":٢٥٩/٣.
(٢٨٧٩) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٤.
(٢٨٨٠) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٤.
(٢٨٨١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٤-٣٩٧.
(٢٨٨٢) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٤-٣٩٧.
(٢٨٨٣) تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.
(٢٨٨٤) التفسير الميسر: ٥٩٣.

أحدها: أنّ الشّفع يوم النحر، والوتر: يوم عرفة. رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٢٨٨٥]، وبه قال عكرمة[٢٨٨٦]، والضحاك[٢٨٨٧].

قال الأسود بن يزيد :" «والشفع» : يوم الأضحى، و«الوتر»: يوم عرفة"[٢٨٨٨].

قال الضحاك:" عرفة وَتْر، والنحر شفع، عرفة يوم التاسع، والنحر يوم العاشر"[٢٨٨٩].

قال الضحاك:" أقسم الله بهنّ لما يعلم من فضلهنّ على سائر الأيام، وخير هذين اليومين لما يُعلم من فضلهما على سائر هذه الليالي{وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، قال: الشفع: يوم النحر، والوَتر: يوم عرفة"[٢٨٩٠].

الثاني: أن الشفع والوتر: الصلاة، منها الشفع، ومنها الوتر، رواه عمران بن حصين عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٢٨٩١]، وبه قال قتادة[٢٨٩٢].

قال قتادة:" إن من الصلاة شفعا، وإن منها وترا"[٢٨٩٣].

قال قتادة:" هي الصلاة المكتوبة فيها الشفع والوتر"[٢٨٩٤].

قال الربيع بن أنس:" ذلك صلاة المغرب، الشفع: الركعتان، والوتر: الركعة الثالثة"[٢٨٩٥].

الثالث: أن الشفع: الخلق كله، والوتر: الله تعالى، به قال مجاهد-في رواية-[٢٨٩٦]، وأبو صالح[٢٨٩٧].

عن أبي صالح:" {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، قال: خلق الله من كل شيء زوجين، والله وَتْر واحد صَمَد"[٢٨٩٨].

قال مجاهد:" كلّ خلق الله شفع، السماء والأرض والبرّ والبحر والجنّ والإنس والشمس والقمر، والله الوَتر وحده"[٢٨٩٩].

قال مجاهد:" الوتر: الله، وما خلق الله من شيء فهو شفع"[٢٩٠٠].

(٢٨٨٥)أخرجه النسائي في «التفسير» ٦٩١ و ٦٩٢ وأحمد ٣/ ٣٢٧ والطبري ٣٧٠٧٣ والحاكم ٤/ ٢٢٠ والبزار ٢٢٨٦ «كشف» من حديث جابر، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» ٧/ ١٣٧: رجال أحمد والبزار رجال الصحيح غير عياش بن عقبة، وهو ثقة اهـ. قلت: ومداره على أبي الزبير، وهو مدلس، وقد عنعن، فالإسناد ضعيف. وقال الحافظ ابن كثير ٤/ ٦٠٠ رجاله لا بأس بهم، وعندي أن المتن في رفعه نكارة، والله أعلم اه. وهو كما قال: فإن هناك روايات أخرى مرفوعة وموقوفة على خلاف ذلك، فلو صح مرفوعا لما اختلف الصحابة والتابعون في تفسير هذه الآيات، والله أعلم.

(٢٨٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(٢٨٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(٢٨٨٨) رواه الفراء في "معاني القرآن":٢٥٩/٣.

(٢٨٨٩) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(٢٨٩٠) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٤.

(٢٨٩١)ضعيف. أخرجه الترمذي ٣٣٤٢ وأحمد ٤/ ٤٣٧- ٤٣٨ والطبري ٣٧٠٩٩ والحاكم ٢/ ٥٢٢ من حديث عمران بن حصين، وإسناده ضعيف فيه راو لم يسم، وضعفه الترمذي بقوله: غريب اه وقد سقط الراوي الذي لم يسم من إسناد الحاكم فجرى على ظاهره، وحكم بصحته! وسكت الذهبي! وهو من صنع أحد الرواة، ورجح ابن كثير رحمه الله ٤/ ٦٠٠ كونه مقوفا، وهو كما قال. والله أعلم.

(٢٨٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩/٢٤.

(٢٨٩٣) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٤.

(٢٨٩٤) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.

(٢٨٩٥) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.

(٢٨٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.

(٢٨٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩/٢٤.

(٢٨٩٨) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.

(٢٨٩٩) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٤. وفي رواية ابن أبي حاتم(١٩٢٣٨):ص٣٤٢٤/١٠:" : كل خلق الله شفع السماء والأرض والبر والبحر والإنس والجن والشمس والقمر ونحو هذا شفع، والوتر الله وحد".

(٢٩٠٠) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.

عن مجاهد، في قوله: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ}، قال: الكفر والإيمان، والسعادة والشقاوة، والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والجنّ والإنس، والوَتْر: الله؛ قال: وقال في الشفع والوتر مثل ذلك"[٢٩٠١].

قال مجاهد:" كل شيء خلقه الله شفع، السماء والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس والشمس والقمر، نحا مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات : ٤٩]، أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحد"[٢٩٠٢].

وقال مجاهد:" الشفع: الزوج، والوتر: الله"[٢٩٠٣]. وفي رواية:" الله الوتر، وخلقه: الشفع الذكر والأنثى"[٢٩٠٤].

الرابع: أن الشفع: صلاة الغداة، والوتر: صلاة المغرب، حكاه عطية[٢٩٠٥].

الخامس: أن الشفع: الركعتان من صلاة المغرب، والوتر: الركعة الثالثة، قاله أبو العالية[٢٩٠٦]، والربيع بن أنس[٢٩٠٧].

قال أبو العالية:" ذلك صلاة المغرب، الشفع: الركعتان، والوتر: الركعة الثالثة"[٢٩٠٨].

السادس: أن الشفع والوتر: الخلق كله، منه شفع، ومنه وتر، به قال مجاهد -في رواية-[٢٩٠٩]، والحسن[٢٩١٠].

السابع: أنه العدد، منه شفع، ومنه وتر، وهذا مروي عن الحسن-أيضا-[٢٩١١].

عن قتادة، أنه سُئل عن «الشفع والوتر»، فقال: "قال الحسن: هو العدد"[٢٩١٢].

وروي عن معمر، قال: "قال الحسن في ذلك: الخلق كله شفع {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}، قال: كان أبي يقول: كلّ شيء خلق الله شفع ووتر، فأقسم بما خلق، وأقسم بما تبصرون وبما لا تبصرون"[٢٩١٣].

الثامن: أن الشفع: عشر ذي الحجة، والوتر: أيام منى الثلاثة، قاله الضحاك[٢٩١٤].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر، ولم يخصص نوعا من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا لعموم قسَمه بذلك[٢٩١٥].

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} [الفجر : ٥]، أي:" وأقسم بالليل إذا يَسْري بظلامه"[٢٩١٦].

عن أبي العالية، ومجاهد، وقتادة، وزيد بن أسلم: "{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}، قال: إذا سار"[٢٩١٧].

عن أبي العالية:" {واللَّيْلِ إذا يَسْرِ}، يقول: إذا أقبل"[٢٩١٨].

(٢٩٠١) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٤-٣٩٩.
(٢٩٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٤٥):ص٣٤٢٤/١٠.
(٢٩٠٣) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٤٣):ص٣٤٢٤/١٠.
(٢٩٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٩):ص٣٤٢٤/١٠.
(٢٩٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٢٩٠٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٣٧):ص٣٤٢٣/١٠.
(٢٩٠٧) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٦، وزاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٢٩٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٣٧):ص٣٤٢٣/١٠.
(٢٩٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٨/٢٤.
(٢٩١٠) انظر: زاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٢٩١١) انظر: : تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٤، وزاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٢٩١٢) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٤.
(٢٩١٣) أخرجه الطبري: ٣٩٩/٢٤.
(٢٩١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٦، وزاد المسير: ٤٣٨/٤.
(٢٩١٥) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٤.
(٢٩١٦) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٢٩١٧) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٤، وانظر: قول زيد بن أسلم في "تفسير ابن كثير": ٣٩٣/٨-٣٩٤

عن الضحاك:" {والَّيْلِ إذا يَسْرِ}، قال: يجري"[٢٩١٩].
عن عكرمة: "{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}، قال: ليلة جمع"[٢٩٢٠]. وروي عن الضحاك مثله[٢٩٢١].
عن عكرمة:" {والَّيْلِ إذا يَسْرِ}، قال: ليلة جَمع. قال: وكانوا يقولون: سرى الليلُ بجَمع فمضى. يعني: مضى الليل والناس بجَمع. قال عكرمة: هذا القَسم في أيام العشر كلّه"[٢٩٢٢].
عن محمد بن كعب القُرَظيّ :" أنه قيل له: ما {والَّيْلِ إذا يَسْرِ}؟ قال: هذه الإفاضة، اسْرِ، يا ساري، ولا تَبِيتنّ إلا بجَمع"[٢٩٢٣].
قرأ ابن كثير، ويعقوب «يسري» بياءٍ في الوصل والوقف، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي «يسر» بغير ياءٍ في الوصل والوقف. قال الفراء، والزجاج: الاختيار حذفها لمشاكلتها لرؤوس الآيات، ولاتّباع المصحف[٢٩٢٤].
قوله تعالى:{هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} [الفجر : ٥]، أي:" أليس في الأقسام المذكورة مَقْنَع لذي عقل؟"[٢٩٢٥].
وفي «ذي الحجر» لأهل التفسير خمسة أقوال :
أحدها : لذي عقل ، قاله الحسن-في رواية-[٢٩٢٦]، ومجاهد[٢٩٢٧]، وقتادة[٢٩٢٨].
قال مجاهد:" لذي عقل، لذي رأي"[٢٩٢٩].
وقال الحسن: "لذي لُبّ"[٢٩٣٠].
قال قتادة:" لذي حِجى، لذي عقل ولُبّ"[٢٩٣١].
الثاني : لذي حلم ، قاله الحسن[٢٩٣٢].
الثالث : لذي دين، قاله محمد بن كعب[٢٩٣٣].
الرابع : لذي ستر من النار، قاله أبو مالك[٢٩٣٤].
الخامس : لذي علم، قاله أبو رجاء[٢٩٣٥].

(٢٩١٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢٩١٩)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٢٩٢٠) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٤.
(٢٩٢١)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢٩٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٤١٦ - . وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد.
(٢٩٢٣)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٤١٦ -.
(٢٩٢٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٦٠/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٢١/٥.
قال الفراء:" وحذفها أحب إليَّ لمشاكلتها رءوس الآيات، ولأن العرب قَدْ تحذف الياء، وتكتفي بكسر ما قبلها منها".
قال الزجاج:" واتباع المصحف وحذف الياء أَحَبُّ إليَّ لأن القراءة بذلك أكثر. ورُووس الآي فَوَاصِلُ تحذف معها اليَاءَات وتدل عليه الكسرات".
ق الأب وعبيدة في مجاز القرآن: ٢٩٧/٢:" لعرب تحذف هذه الياء فى هذه فى موضع الرفع ومثل ذلك «لا أدر»".
(٢٩٢٥) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٢٩٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.
(٢٩٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.
(٢٩٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤.
(٢٩٢٩) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٤.
(٢٩٣٠) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٤.
(٢٩٣١) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٤.
(٢٩٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥١):ص٣٤٢٥/١٠.
(٢٩٣٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٦.
(٢٩٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٢):ص٣٤٢٥/١٠.
(٢٩٣٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٦.

السادس: لذي نهى وحلم وحياء. قاله عطاء الخراساني[٢٩٣٦].

والحجر : "المنع ، ومنه اشتق اسم الحجر لامتناعه بصلابته ، ولذلك سميت الحجرة لامتناع ما فيها بها ، ومنه سمي حجر المَولَّى عليه لما فيه من منعه عن التصرف ، فجاز أن يحمل معناه على كل واحد من هذه التأويلات لما يضمنه من المنع"[٢٩٣٧].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)} [الفجر : ٦-٨]

التفسير:

ألم تر -أيها الرسول- كيف فعل ربُّك بقوم عاد، قبيلة إرم، ذات القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة، التي لم يُخلق مثلها في البلاد في عِظَم الأجساد وقوة البأس؟

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٨) إِرَمَ} [الفجر : ٨-٩]، أي:" ألم تر -أيها الرسول- كيف فعل ربُّك بقوم عاد، قبيلة إرم؟"[٢٩٣٨].

وفي قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٨) إِرَمَ} [الفجر : ٨-٩]، وجوه:

أحدها : أن «إرم»: هي الأرض، قاله قتادة[٢٩٣٩].

الثاني : دمشق ، قاله عكرمة[٢٩٤٠]، وسعيد بن المسيب[٢٩٤١]، ومالك بن أنس[٢٩٤٢]، ورواه ابن أبي ذئب عن المقبري[٢٩٤٣].

قال أنس بن مالك:" يقال: إنّ {إرم ذات العماد} دمشق"[٢٩٤٤].

الثالث : الإسكندرية ، قاله محمد بن كعب[٢٩٤٥].

فمن زعم أن المراد بقوله :{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} مدينة إما دمشق، كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة، أو اسكندرية كما رُوي عن القُرَظي أو غيرهما، ففيه نظر، فإنه كيف يلتئم الكلام على هذا :{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ. ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يُرَد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، وإنما نبهت على ذلك لئلا يُغْتَرَّ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها :{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} مبنية بلبن الذهب والفضة، قصورها ودورها وبساتينها، وإن حصباءها لآلئ وجواهر، وترابها بنادق المسك، وأنهارها سارحة، وثمارها ساقطة، ودورها لا أنيس بها، وسورها وأبوابها تصفر، ليس بها داع ولا مجيب. وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام، وتارة باليمن، وتارة بالعراق، وتارة بغير ذلك من البلاد - فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين، من وضع بعض زنادقتهم، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك.

(٢٩٣٦)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي: ١٠٥.

(٢٩٣٧) النكت والعيون: ٢٦٧/٦.

(٢٩٣٨) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٢٩٣٩) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.

(٢٩٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٥٨):ص٣٤٢٦/١٠.

(٢٩٤١)أخرجه ابن عساكر ١/ ٢١٧ ، وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.

(٢٩٤٢)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢١٨.

(٢٩٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٤٤)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١/ ٢١٨.

(٢٩٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

وذكر الثعلبي[٢٩٤٦] وغيره أن رجلا من الأعراب - وهو عبد الله بن قِلابة - في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت، فبينما هو يتيه في ابتغائها، إذ طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب، فدخلها فوجد فيها قريبًا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس، فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا.

وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} هاهنا مطولة جدا، فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك، أو أنه أصابه نوع من الهَوَس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج، وليس كذلك. وهذا مما يقطع بعدم صحته. وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين، من وجود مطالب تحت الأرض، فيها قناطير الذهب والفضة، وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير، ونحو ذلك من الهذيانات، ويَطْنزون بهم. والذي يجزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزًا كثيرة، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب[٢٩٤٧].

الرابع : أن «إرم»: أمة من الأمم ، قاله مجاهد[٢٩٤٨]، قال الشاعر[٢٩٤٩]:

كما سحرت به إرم وعاد ..... فأضحوا مثل أحلام النيام

قال أبو عبيدة:" هما عادان: عاد الأخيرة، وعاد الأولى وهى:{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}، ذات الطول"[٢٩٥٠].

الخامس : أنه اسم قبيلة من عاد، قاله قتادة[٢٩٥١]، والسدي[٢٩٥٢].

قال قتادة:" كنا نحدّث أن إرم قبيلة من عاد، بيت مملكة عاد"[٢٩٥٣].

قال قتادة:" «إِرَمَ»: قبيلة من عاد كان يقال لهم: إرم، جدّ عاد"[٢٩٥٤][٢٩٥٥].

قال السدي:" عاد بن إرَم، نَسبَهم إلى أبيهم الأكبر"[٢٩٥٦].

(٢٩٤٦) انظر: الكشف والبيان: ١٩٧/١٠، روي الثعلبي بسنده عن عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنّه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحاري عدن إذا هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كبيرة وأعلام طوال، فلمّا دنى منها ظنّ أنّ فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن، فلمّا دخل في الحصن إذا هو ببابين عظيمين لم ير أعظم منهما، والبابان مرصّعان باليواقوت الأبيض والأحمر فلمّا رأى ذلك دهش وأعجبه ففتح أحد البابين، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصور كل قصر معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كلّ قصر منها غرف:

اعتبر يا أيها المغرور بالعمر المديد ... أنا شداد بن عاد صاحب الحصن المشيد

وأخو القوّة والبأساء والملك الحشيد ... دار أهل الأرض لي من خوف وعيدي ووعيد

وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد ... وبفضل الملك والعدّة فيه والعديد

فأتى هود وكنّا في ضلال قبل هود ... فدعانا لو قبلناه إلى الأمر الرشيد

وعصيناه ونادى هل من محيد ... فأتتنا صيحة تهوي من الأفق البعيد

فتوافينا كزرع وسط بيداء حصيد".

(٢٩٤٧) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨-٣٩٦.

(٢٩٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٤٩) البيت لزهير في ديوانه: ١٠٠، (طبعة دار صادر ودار بيروت عام ١٣٧٩ هـ) .

(٢٩٥٠) مجاز القرآن: ٢٩٧/٢.

(٢٩٥١) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٥٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.

(٢٩٥٣) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٥٤) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٥٥)قال ابن كثير:" وهذا قول حسن جيد قوي". [تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨].

(٢٩٥٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

السادس : أن «إرم»: اسم جد عاد ، قاله محمد بن إسحاق[٢٩٥٧]، وحكى عنه أنه أبوه ، وأنه عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح.

عن ابن إسحاق: "{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ}، يقول الله: بعاد إرم، إن عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح"[٢٩٥٨].

السابع : أن «إرم» : أمة قديمة، يعني : عادا الأولى. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[٢٩٥٩].

الثامن : أنه الهلاك ، يقال : أرم بنو فلان ، أي: هلكوا، قاله الضحاك[٢٩٦٠].

عن الضحاك:" {بِعَادٍ إِرَمَ}: الهلاك؛ ألا ترى أنك تقول أُرِمَ بنو فلان: أي هَلَكوا"[٢٩٦١].

التاسع : أن الله تعالى رمّهم رّماً فجعلهم رميماً ، فلذلك سماهم ، قاله السدي[٢٩٦٢]، وشهر بن حوشب[٢٩٦٣].

قال شهر بن حوشب:" رمّهم رمًّا فجعلهم رممًا"[٢٩٦٤].

والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن إرم إما بلدة كانت عاد تسكنها، فلذلك ردّت على عاد للإتباع لها، ولم يجر من أجل ذلك، وإما اسم قبيلة فلم يُجر أيضا، كما لا يُجْرى أسماء القبائل، كتميم وبكر، وما أشبه ذلك إذا أرادوا به القبيلة، وأما اسم عاد فلم يجر، إذ كان اسما أعجميا. فأما ما ذُكر عن مجاهد أنه قال: عُنِيَ بذلك القديمة، فقول لا معنى له، لأن ذلك لو كان معناه لكان محفوظا بالتنوين، وفي ترك الإجراء الدليل على أنه ليس بنعت ولا صفة. وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها، وترك إجرائها، كما يقال: ألم تر ما فعل ربك بتميم نهشل؟ فيترك إجراء نهشل، وهي قبيلة، فترك إجراؤها لذلك، وهي في موضع خفض بالردّ على تميم، ولو كانت إرم اسم بلدة، أو اسم جدّ لعاد لجاءت القراءة بإضافة عاد إليها، كما يقال: هذا عمروُ زبيدٍ وحاتمُ طيئ، وأعشى هَمْدانَ، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى، كما قال قتادة، والله أعلم، فلذلك أجمعت القرّاء فيها على ترك الإضافة وترك الإجراء[٢٩٦٥].

قوله تعالى:{ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر : ٨]، أي:" ذات القوة والأبنية المرفوعة على الأعمدة"[٢٩٦٦].

وفي قوله تعالى:{ذَاتِ الْعِمَادِ} [الفجر : ٨]، وجوه:

أحدها : ذات الطُّول. وهو معنى قول مجاهد[٢٩٦٧].

قال مجاهد:" كان لهم جسم في السماء"[٢٩٦٨].

الثاني : ذات العماد، لأنهم كانوا أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث، قاله مجاهد-أيضا-[٢٩٦٩]، وقتادة[٢٩٧٠].

عن مجاهد: "{الْعِمَادِ}، قال: أهل عَمُود لا يقيمون"[٢٩٧١].

(٢٩٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٥٨) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢٤.

(٢٩٦٠)أخرجه الطبري: ٢٤/ ٤٠٥، وابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/ ٧٠٢ - . ونقل السيوطي عقب هذا الأثر قول الحافظ ابن حجر: «هذا التفسير على قراءة شاذة (أرَّم) بفتحتين وتشديد الراء، على أنه فعل ماض، و (ذات) بفتح التاء، مفعول، أي: أهلك الله ذات العماد». وينظر: الفتح ٨/ ٧٠٢.

(٢٩٦١) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٤.

(٢٩٦٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.

(٢٩٦٣)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/ ٧٠٢ -.

(٢٩٦٤)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/ ٧٠٢ -.

(٢٩٦٥) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٤.

(٢٩٦٦) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٢٩٦٧) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٤-٤٠٦.

(٢٩٦٨) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٤-٤٠٦.

(٢٩٦٩) انظر: تفسير الطبري :٤٠٦/٢٤.

(٢٩٧٠) انظر: تفسير الطبري :٤٠٦/٢٤.

قال قتادة:" ذُكر لنا أنهم كانوا أهل عَمُود لا يقيمون، سيارة"[٢٩٧٢].
قال قتادة:" كانوا أهلَ عمود"[٢٩٧٣].
وقال الحسن:" ذات البناء الرفيع"[٢٩٧٤].
الثالث : ذات القوة والشدة ، مأخوذ من قوة: الأعمدة ، قاله الضحاك[٢٩٧٥].
عن الضحاك:" {ذَاتِ الْعِمَادِ}، يعني: الشدّة والقوّة"[٢٩٧٦].
عن ثور بن زيد الديلي قال: "قرأت كتابا قد سمى حيث قرأه: أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد، وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد وأنا الذي كنزت كنزا على سبعة أذرع، لا يخرجه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[٢٩٧٧].
عن المقدام، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه ذكر إرم ذات العماد فقال: "كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم"[٢٩٧٨].
وأشبه الأقوال في ذلك بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال: عُنِيَ بذلك أنهم كانوا أهل عمود، سيارة لأن المعروف في كلام العرب من العماد، ما عمل به الخيام من الخشب والسواري التي يحمل عليها البناء، ولا يعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح، بل وجه أهل التأويل قوله: {ذَاتِ الْعِمَادِ} إلى أنه عُنِيَ به طول أجسامهم، وبعضهم إلى أنه عُنِيَ به عماد خيامهم، فأما عماد البنيان، فلا يعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه، وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وجد إلى ذلك سبيلا دون الأنكر"[٢٩٧٩].
قال ابن كثير :" فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو، أو سلاحا يقاتلون به، أو طول الواحد منهم - فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقرونون بثمود كما هاهنا، والله أعلم[٢٩٨٠].
قوله تعالى:{الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} [الفجر : ٨]، أي:" التي لم يُخلق مثلها في البلاد في عِظَم الأجساد وقوة البأس"[٢٩٨١].
وفي قوله تعالى:{الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} [الفجر : ٨]، وجهان:
أحدهما : لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد في البلاد ، قاله عكرمة[٢٩٨٢].
وهذا قول ضعيف ؛ لأنه لو كان أراد ذلك لقال : التي لم يعمل مثلها في البلاد، وإنما قال :{لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ}[٢٩٨٣].
الثاني : لم يخلق مثل قوم عاد في البلاد ، لطولهم وشدتهم ، قاله الحسن[٢٩٨٤]، وقتادة[٢٩٨٥].

(٢٩٧١) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(٢٩٧٢) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(٢٩٧٣) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(٢٩٧٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٧ -.
(٢٩٧٥) انظر: تفسير الطبري :٤٠٦/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٠):ص٣٤٢٦/١٠.
(٢٩٧٦) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢٤.
(٢٩٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٥):ص٣٤٢٥/١٠.
(٢٩٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٥٤):ص٣٤٢٥/١٠.
(٢٩٧٩) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢٤-٤٠٧.
(٢٩٨٠) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.
(٢٩٨١) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٢٩٨٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.
(٢٩٨٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٨.
(٢٩٨٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٦.
(٢٩٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٧/٢٤.

قال قتادة:" ذكر أنهم كانوا اثني عشر ذراعا طولا في السماء"[٢٩٨٦].

عن ثور بن زيد الدّيلميِّ، قال: "قرأتُ كتابًا: أنا شدادُ بن عاد، أنا الذي رفعتُ العماد، وأنا الذي سدَدْتُ بذراعي بطنَ وادٍ، وأنا الذي كنَزتُ كنزًا في البحر على تسع أذرُعٍ لا يُخرجُه إلا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم –"[٢٩٨٧].

القرآن

{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩)} [الفجر : ٩]

التفسير:

وكيف فعل بثمود قوم صالح الذين قطعوا الصخر بالوادي واتخذوا منه بيوتًا؟

قال مجاهد:" جابوا الجبال، فجعلوها بيوتا"[٢٩٨٨]. وفي رواية:" خَرقوا الجبال، فجعلوها بيوتًا"[٢٩٨٩].

قال قتادة:" نَقبوا الصخر"[٢٩٩٠].

قال قتادة:" جابوها ونحتوها بيوتا"[٢٩٩١]. وفي رواية:" نَقبوا الصخر؛ نَحتوا الصخر"[٢٩٩٢].

قال الضحاك:" يقول: قَدُّوا الحجارة"[٢٩٩٣].

قال عطاء الخراساني:" نَقبوا الصخر بيوتًا"[٢٩٩٤].

وروى أبو الأشهب عن أبي نضرة، قال: كان رسول الله عليه السلام في غزوة تبوك، فأتى على وادي ثمود وهو على فرس شقراء، فقال: «أسرعوا السير فإنكم في واد ملعون»[٢٩٩٥].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما مرّ بوادي ثمود، وهو عامد إلى تبوك، قال: فأمر أصحابه أن يسرعوا السير، وأن لا ينزلوا به، ولا يشربوا من مائه، وأخبرهم أنه وادٍ ملعون"[٢٩٩٦].

القرآن

{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠)} [الفجر : ١٠]

التفسير:

وكيف فعل بفرعون مَلِك «مصر» ، صاحب الجنود الذين ثبَّتوا مُلْكه، وقوَّوا له أمره؟

وفي تفسير الآية، أقوال:

أحدها: لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد يشدها في أيديهم ، قاله الحسن، وسعيد بن جبير[٢٩٩٧]، ومجاهد[٢٩٩٨].

قال مجاهد:" كان يوتد الناس بالأوتاد"[٢٩٩٩].

(٢٩٨٦) أخرجه الطبري: ٤٠٧/٢٤.

(٢٩٨٧)عزاه السيوطي إلى الزبير بن بكار في الموفَّقِيّات.

(٢٩٨٨) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.

(٢٩٨٩)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٦٦، وفتح الباري ٨/ ٧٠٢ -.

(٢٩٩٠) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.

(٢٩٩١) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.

(٢٩٩٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٠.

(٢٩٩٣) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٤.

(٢٩٩٤)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٦.

(٢٩٩٥) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٥٣/٢.

(٢٩٩٦) أخرجه الطبري: ٣٧٩/١٥.

(٢٩٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.

(٢٩٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٤.

(٢٩٩٩) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٤.

قال سعيد بن جبير:" كان يجعل رجلا هاهنا ورجلا هاهنا، ويدا هاهنا ويدا هاهنا بالأوتاد"[٣٠٠٠].
عن أبي رافع، قال: "أوتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحا عظيمة حتى ماتت"[٣٠٠١].
الثاني : أن الأوتاد: بنيان ومنارات، يعذّب الناس عليها. قاله سعيد بن جبير[٣٠٠٢].
وعن الضحاك:" أن الأوتاد: البنيان، فسمي بذي الأوتاد لكثرة بنائه"[٣٠٠٣].
وقال محمد بن كعب: "يعني: ذا البناء المحكم"[٣٠٠٤].
الثالث : لأنه كانت له مظال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها ، قاله قتادة[٣٠٠٥].
قال قتادة:" ذي البناء، كانت مظال يلعب له تحتها، وأوتادا تضرب له"[٣٠٠٦].
قال قتادة:" كانت له أوتاد، وأرسان وملاعب يلعب له عليها"[٣٠٠٧].
وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عُنِيَ بذلك: الأوتاد التي تُوتَّد، من خشب كانت أو حديد، لأن ذلك هو المعروف من معاني الأوتاد، ووصف بذلك لأنه إما أن يكون كان يعذّب الناس بها، كما قال سعيد بن جُبير، وإما أن يكون كان يُلعب له بها[٣٠٠٨].

القرآن
{الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)} [الفجر : ١١-١٤]
التفسير:
هؤلاء الذين استبدُّوا، وظلموا في بلاد الله، فأكثروا فيها بظلمهم الفساد، فصب عليهم ربُّك عذابا شديدا. إنَّ ربك -أيها الرسول- لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلا ثم يأخذه أخْذَ عزيز مقتدر.
قوله تعالى:{ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١)فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} [الفجر : ١٢]، أي:" هؤلاء الذين استبدُّوا، وظلموا في بلاد الله، فأكثروا فيها بظلمهم الفساد"[٣٠٠٩].
عن السدي:{فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ}، قال: " بالمعاصي"[٣٠١٠].
قوله تعالى:{فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} [الفجر : ١٣]، أي:" فصب عليهم ربُّك عذابا شديدا"[٣٠١١].
وفي قوله تعالى:{فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} [الفجر : ١٣]، وجوه:
أحدها : قسط عذاب، كالعذاب بالسوط الذي يعرف إلا أنه أعظم.
قال السدي:"أي: "كلّ يوم لون آخر من العذاب"[٣٠١٢].
عن قتادة:" يعني: "لونا من العذاب صبّه عليهم"[٣٠١٣].

(٣٠٠٠) أخرجه الطبري: ٤١٠/٢٤.
(٣٠٠١) معاني القرآن: ٢٦١/٣.
(٣٠٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.
(٣٠٠٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٦٩/٦.
(٣٠٠٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٩٨/١٠.
(٣٠٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٤.
(٣٠٠٦) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٤، وعبدالرزاق(٣٦٠٢):ص٤٢٥/٣، مختصرا.
(٣٠٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٣٣٥):ص٣٢٣٦/١٠.
(٣٠٠٨) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٤.
(٣٠٠٩) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣٠١٠)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٣٠١١) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣٠١٢) انظر: الكشف والبيان: ١٩٩/١٠.

عن عمرو بن عبيد :" كان الحسن: إذا قرأ هذه الآية، قال: إن عند الله أسواطا كثيرة، فأخذهم بسوط منها"[٣٠١٤].

الثاني : أنه وجع من العذاب ، قاله السدي[٣٠١٥].

الثالث : أن العذاب الذي عذّبهم به سماه: سوط عذاب، قاله مجاهد[٣٠١٦]، وقتادة[٣٠١٧].

عن مجاهد: {سَوْطَ عَذَابٍ}، قال: ما عذّبوا به"[٣٠١٨].

وقال قتادة : "كان سوط عذاب هو الغرق"[٣٠١٩].

قال قتادة:" كلّ شيء عذّب اللهُ به فهو سَوْط عذاب"[٣٠٢٠].

والظاهر أن «الصب» يستعمل في السوط لأنه يقتضي سرعة في النزول..وإنما خص «السوط» بأن يستعار للعذاب لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره[٣٠٢١].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} [الفجر : ١٤]، أي:" إنَّ ربك -أيها الرسول- لبالمرصاد لمن يعصيه، يمهله قليلا ثم يأخذه أخْذَ عزيز مقتدر"[٣٠٢٢].

عن الحسن: "{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}، قال: بمرصاد أعمال بني آدم"[٣٠٢٣].

قال عطاء بن أبي رباح: "لا يفوته أحد"[٣٠٢٤].

قال السدي:" السُّدِّيّ: أرصد النار على طريقهم حتّى يهلكهم"[٣٠٢٥].

عن الضحاك في هذه الآية، قال: "إذا كان يوم القيامة، يأمر الربّ بكرسيه، فيوضع على النار، فيستوي عليه، ثم يقول: وعزّتي وجلالي، لا يتجاوزني اليوم ذو مَظلِمة، فذلك قوله: {لَبِالْمِرْصَادِ}"[٣٠٢٦].

عن سالم بن أبي الجعد، في قوله: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ}، قال: "إنّ لجهنم ثلاث قناطر؛ قنطرة فيها الأمانة، وقنطرة فيها الرَّحِم، وقنطرة فيها الرّبّ -تبارك وتعالى-، وهي المرصاد، لا ينجو منها إلا ناجٍ، فمَن نجا مِن ذينك لم ينج مِن هذا"[٣٠٢٧].

عن عمرو بن قيس -من طريق الحكم بن بشير- قال: "بلغني: أنّ على جهنم ثلاث قناطر؛ قنطرة عليها الأمانة، إذا مَرُّوا بها تقول: يا ربّ، هذا أمين، يا ربّ، هذا خائن. وقنطرة عليها الرَّحِم، إذا مَرُّوا بها تقول: يا ربّ، هذا واصل، يا ربّ، هذا قاطع. وقنطرة عليها الرّبّ: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصادِ}"[٣٠٢٨].

عن صفوان بن عمرو، عن أيفع بن عبد الكلاعي : أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول : "إن لجهنم سبع قناطر - قال : والصراط عليهن، قال : فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى، فيقول :{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات : ٢٤]، قال : فيحاسبون على الصلاة ويُسألون عنها، قال : فيهلك فيها من هلك، وينجو

(٣٠١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٩٩/١٠.

(٣٠١٤) نقلا عن: الكشاف: ٧٤٨/٤، ومفاتيح الغيب: ١٥٤/٣١، وتفسير القرطبي: ٥٠/٢٠

(٣٠١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٦٥):ص٣٤٢٧/١٠، والدر المنثور: ٥٠٧/٨.

(٣٠١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١١/٢٤.

(٣٠١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٧٠/٦.

(٣٠١٨) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٤.

(٣٠١٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٧٠/٦.

(٣٠٢٠)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في فتح الباري ٨/ ٧٠٢ -.

(٣٠٢١) المحرر الوجيز: ٤٧٨/٥-٤٧٩.

(٣٠٢٢) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٣٠٢٣) أخرجه عبدالرزاق(٣٦٠٥):ص٤٢٥/٣، والطبري: ٤١٢/٢٤.

(٣٠٢٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٠٠.

(٣٠٢٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٠٠، وتفسير البغوي ٨/ ٤٢١.

(٣٠٢٦) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٤-٤١٢.

(٣٠٢٧)عزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٠٢٨) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٤.

من نجا، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حُوسبوا على الأمانة كيف أدوها، وكيف خانوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سُئلوا عن الرحم كيف وَصَلُوها وكيف قطعوها ؟ قال : فيهلك من هلك وينجو من نجا. قال : والرحم يومئذ متدلية إلى الهُويّ في جهنم تقول : اللهم من وصلني فَصِلْه، ومن قطعني فاقطعه. قال : وهي التي يقول الله عز وجل :{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}"[٣٠٢٩].

القرآن

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥)} [الفجر : ١٥]

التفسير:

فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة، وبسط له رزقه، وجعله في أطيب عيش، فيظن أن ذلك لكرامته عند ربه، فيقول: ربي أكرمن.

سبب نزول الآيتين:[١٥، ١٦]:

قال مقاتل:" نزلت الآية في أمية بن خلف الجمحي، وعبد الله بن نفيل، أتاه يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويذكره ذلك، فقال له أمية بن خلف: ويحك أليس الله يقول: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١]، قال عبد الله بن نفيل: نعم. قال: فماله أغناني وأفقرك؟ قال: كذلك أراد الله. قال أمية: بل أغناني الله لكرامتي عليه، وأفقرك لهوانك عليه. قال عبد الله بن خطل عند ذلك: لخليق أن يكون الله فعل ذلك، فأنزل الله- تعالى-: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)} [الفجر : ١٥ - ١٦]"[٣٠٣٠].

عن قتادة:" {وأمّا إذا ما ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أهانَنِ}: ما أسرع كفر ابن آدم، يقول الله - جلّ ثناؤه-: كلا إنّي لا أُكرِم مَن أكرمتُ بكثرة الدنيا، ولا أُهين مَن أهنتُ بقِلّتها، ولكن إنما أُكرِم مَن أكرمتُ بطاعتي، وأُهين مَن أهنتُ بمعصيتي"[٣٠٣١].

عن قتادة، قوله: "{فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ}، وحقّ له"[٣٠٣٢].

قال مجاهد:" ظنَّ كرامة الله في كثرة المال، وهوانه في قِلّته، وكذب، إنما يُكرم بطاعته مَن أكرم، ويُهين بمعصيته مَن أهان"[٣٠٣٣].

قال الحسن: "لا يزال العبد بخير ما علم ما الذي يفسد عمله"[٣٠٣٤].

القرآن

{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)} [الفجر : ١٦]

التفسير:

وأما إذا ما اختبره، فضيَّق عليه رزقه، فيظن أن ذلك لهوانه على الله، فيقول: ربي أهانن.

عن قتادة: "{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}، ما أسرع كفر ابن آدم"[٣٠٣٥].

وقرأ أبو جعفر:« فَقَدَّرَ» بالتشديد[٣٠٣٦].

(٣٠٢٩) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٩٨/٨. قال ابن كثير:" هكذا أورد هذا الأثر، ولم يذكر تمامه".

(٣٠٣٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٨٩/٤-٦٩٠.

(٣٠٣١) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٤.

(٣٠٣٢) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٤.

(٣٠٣٣)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣٠٣٤) نقلا عن: تفسير التستري: ١٩٣.

(٣٠٣٥) أخرجه الطبري: ٤١٢/٢٤.

(٣٠٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١٢/٢٤.

القرآن
{كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)} [الفجر : ١٧-٢٠]

التفسير:

ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، بل الإكرام بطاعة الله، والإهانة بمعصيته، وأنتم لا تكرمون اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير، ولا تحسنون معاملته، ولا يَحُثُّ بعضكم بعضًا على إطعام المحتاج الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلا شديدًا، وتحبون المال حبًا مفرطًا.

قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر : ١٧]، أي:" ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان، بل الإكرام بطاعة الله، والإهانة بمعصيته، وأنتم لا تكرمون اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير، ولا تحسنون معاملته"(٣٠٣٧).

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"(٣٠٣٨).

عن الحسن في قوله{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ}، الآية، قال: «كلا» أكذبتهما جميعا ما بالغنى أكرمك، ولا بالفقر أهانك، ثم أخبرهم بما يهين «كَلَّا بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ»، الآية"(٣٠٣٩).

قال مجاهد:" ظن كرامة الله في المال، وهو أنه في قتله، وكذب، إنما يكرم بطاعته، ويهين بمعصيته، من أهان"(٣٠٤٠).

قال قتادة:" ما أسرع ما كفر ابن آدم، يقول الله جلّ ثناؤه: كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلتها، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي، وأُهينُ من أهنت بمعصيتي"(٣٠٤١).

قوله تعالى:{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} [الفجر : ١٩]، أي:" وتأكلون حقوق الآخرين في الميراث أكلا شديدًا"(٣٠٤٢).

عن الحسن، وقتادة: "{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا}، أي: الميراث"(٣٠٤٣).

وفي قوله تعالى:{ لَمًّا} [الفجر : ١٩]، أربعة وجوه :

أحدها : يعني: أكلا شديداً ، قاله قتادة(٣٠٤٤)، والضحاك(٣٠٤٥)، والسدي(٣٠٤٦).

الثاني : يعني: جمعاً، من قولهم لممت الطعام لمّاً، إذا أكلته جمعاً، قاله الحسن(٣٠٤٧)، وبكر بن عبد الله(٣٠٤٨)، وعكرمة(٣٠٤٩).

عن الحسن: "{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا}ـ قال: نصيبه ونصيب صاحبه"(٣٠٥٠).

قال بكر بن عبد الله:" اللمّ: الاعتداء في المِيراث، يأكل ميراثه وميراث غيره"(٣٠٥١). وروي ابن أبي حاتم عن عكرمة بن عبدالله المزني مثل ذلك(٣٠٥٢).

(٣٠٣٧) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣٠٣٨) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.
(٣٠٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧١):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٢):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٤١) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٤.
(٣٠٤٢) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣٠٤٣) أخرجه الطبري :٤١٤/٢٤.
(٣٠٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٦):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٣٠٤٦) انظر: النكت والعيون: ٢٧٠/٦.
(٣٠٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٤-٤١٥.
(٣٠٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٣٠٤٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٥):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٥٠) أخرجه الطبري: ٤١٤/٢٤-٤١٥.

الثالث : معناه : سفه سفاً ، قاله مجاهد[٣٠٥٣].
قال مجاهد:" اللمّ السفّ، لفّ كل شيء"[٣٠٥٤].
الرابع : هو أنه إذا أكل مال نفسه ألمّ بمال غيره فأكله ، ولا يتفكر فيما أكل من خبيث وطيب ، قاله الحسن[٣٠٥٥].
عن الحسن:"{ أكلا لمًّا}، قال: من طيب أو خبيث"[٣٠٥٦].
قوله تعالى:{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر : ٢٠]، أي:" وتحبون المال حبًا مفرطًا"[٣٠٥٧].
وفي قوله تعالى:{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر : ٢٠]، وجهان:
أحدهما : يعني: حبا شديدا، قاله قتادة[٣٠٥٨]، و«الجمّ» الكثير ، قال الشاعر[٣٠٥٩]:
إنْ تَغْفِرْ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا ... وَأيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا
عن الضحاك: "{وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}، فيحبون كثرة المال"[٣٠٦٠].
وقال مجاهد:" الجمّ: الكثير"[٣٠٦١].
الثاني : فاحشاً، تجمعون حلاله إلى حرامه، قاله الحسن[٣٠٦٢].
عن الحسن:"{حُبًّا جَمًّا}، قال: فاحشا"[٣٠٦٣].

القرآن
{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)} [الفجر : ٢١-٢٢]
التفسير:
ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم. فإذا زلزلت الأرض وكَسَّر بعضُها بعضًا، وجاء ربُّك لفصل القضاء بين خلقه، والملائكة صفوفًا صفوفًا.
قوله تعالى:{كَلَّا} [الفجر : ٢١]، أي:" ما هكذا ينبغي أن يكون حالكم"[٣٠٦٤].
قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٣٠٦٥].
قوله تعالى:{إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا} [الفجر : ٢١]، أي:" فإذا زلزلت الأرض وكَسَّر بعضُها بعضًا"[٣٠٦٦].
قال الربيع بن أنس:" تحمل الأرض والجبال فيدك بعضها على بعض"[٣٠٦٧].

(٣٠٥١) أخرجه الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٣٠٥٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٥):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٣٠٥٤) أخرجه الطبري: ٤١٥/٢٤.
(٣٠٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٥٧) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣٠٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٦):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٥٩)البيت لأمية بن أبي الصلت، قاله عند احتضار. والبيت في "تهذيب اللغة" ١٥/ ٣٤٧، و"اللسان" ٣/ ٣٩٧ (لمم)، و"الخزانة" ٢/ ٢٩٥، و"المقتضب" ٤/ ٢٤٢، و"الأغاني" ٣/ ١٨٣، وليس في "ديوانه".
(٣٠٦٠) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٤.
(٣٠٦١) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٧٧):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٧٨):ص٣٤٢٨/١٠.
(٣٠٦٤) التفسير الميسر: ٥٩٣.
(٣٠٦٥) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.
(٣٠٦٦) التفسير الميسر: ٥٩٣.

قوله تعالى:{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر : ٢٢]، أي:" وجاء ربُّك لفصل القضاء بين خلقه، والملائكة صفوفًا صفوفًا"(٣٠٦٨).

عن قتادة: "{وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، صفوف الملائكة"(٣٠٦٩).

قال عطاء:" يريد: صفوف الملائكة، وأهل كلّ سماء صفٌّ على حِدة"(٣٠٧٠).

قال السدي:" يعني: صفوف الملائكة، كلّ أهل سماء على حِدة"(٣٠٧١).

قال الضحاك:" جاء أهل السماوات كل سماء صفا"(٣٠٧٢).

قال الضحاك:" إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، وأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفُّوا صفًا دون صفّ، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه فذلك قول الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}، وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قول الله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}"(٣٠٧٣).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تُوقفُونَ مَوْقِفا وَاحِدًا يَوْمَ الْقِيامَةِ مِقْدَارَ سَبْعِينَ عاما، لا يُنْظَرُ إِلَيْكُمْ وَلا يُقْضَى بَيْنَكُمْ، قَدْ حُصِرَ عَلَيْكُمْ، فَتَبْكُونَ حتى يَنْقطِعَ الدَّمْعُ، ثُمَّ تَدْمعُون دما وَتَبْكُون حتى يَبْلُغَ ذلكَ مِنْكُمْ الأذْقَانَ، أَوْ يُلْجِمَكُمْ فَتَضُجُّونَ، ثُمَّ تَقُولُونَ مَنْ يَشْفَعُ لنا إلى رَبِّنا، فَيَقْضِي بَيْنَنا، فَيَقُولُونَ مَنْ أَحَقُّ بِذلكَ مِنْ أَبِيكُمْ، جَعَلَ اللهُ تُرْبَتَهُ وَخَلْقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وكَلَّمَهُ قُبُلا فَيُؤْتَى آدَمُ صَلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فَيُطْلَبُ ذلكَ إِلَيْهِ فَيأْبَى، ثُمَّ يَسْتَقْرُونَ الأنبياءَ نَبِيًّا نَبِيًّا، كُلَّما جاءُوا نَبِيًّا أبى "قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "حتى يَأتونِي، فإذَا جاءُونِي خَرَجْتُ حتى آتِي الفَحْص "، قال أبو هريرة: يا رسول الله، ما الفحصُ؟ قال: "قُدَّامَ العَرْشِ، فأخِرُّ ساجِدًا، فَلا أزَالُ ساجِدًا حتى يَبْعَثَ اللهُ إليَّ مَلَكًا، فَيأخُذُ بعَضُدِي، فَيرْفَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لِي: مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أعْلَمُ، فأقُولُ: نَعَم، فَيَقُولُ: ما شأنُكَ؟ فأقول: يا رَبِّ وَعَدْتَنِي الشَّفاعَةَ، شَفِّعْنِي فِي خَلْقِكَ فاقْضِ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُ: قَدْ شَفَّعْتُكَ، أنا آتِيكُمْ فأقْضِي بَيْنَكُمْ". قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "فأنصَرِفُ حتى أقِفَ مَعَ النَّاس، فَبَيْنا نَحْنُ وَقُوفٌ، سَمِعْنا حِسًّا مِنَ السَّماءِ شَدِيدًا، فَهالَنا، فَنزلَ أهْلُ السَّماءِ الدُّنْيا بِمِثْلَيْ مَنْ فِي الأرْضِ مِنَ الجِنّ والإنس، حتى إذَا دنوْا مِنَ الأرْضِ، أشْرَقَتِ الأرْضُ، بِنُورِهِمْ، وأخَذُوا مَصَافَّهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ، ثُمَّ يَنزلُ أهْلُ السَّماءِ الثَّانِيَةِ بِمِثْلَيْ مَنْ نزلَ مِنَ المَلائِكَةِ، وَبِمِثْلَيْ مَنْ فِيها مِنَ الجِنّ وَالإنْس، حتى إذَا دَنَوْا مِنَ الأرْضِ أشْرَقَتِ الأرضُ بِنُورِهِمْ، وأخَذُوا مَصَافَّهُمْ، وَقُلْنَا لَهُمْ: أفِيكُمْ رَبُّنا؟ قالوا: لا وَهُوَ آتٍ. ثُمَّ نزلَ أهْلُ السَّمَوَاتِ عَلى قَدْرِ ذلكَ مِنَ الضِّعْفِ حتى نزلَ الجَبَّارُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةِ، وَلَهُمْ زَجَلٌ مِنْ تَسْبِيحِهِمْ، يَقُولُونَ: سُبْحانَ ذِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ، سُبْحانَ رَبِّ العَرْشِ ذِي الجَبَرُوتِ، سُبْحَانَ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ سُبْحانَ الَّذِي يميت الخلائق ولا يَمُوتُ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلائِكَةِ والرُّوحِ، قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، سُبْحانَ رَبِّنا الأعْلى سُبْحان ذِي الجَبرُوتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِياءِ والسُّلْطانِ والعَظَمَةِ سُبْحانَهُ أبَدًا أبَدًا، يَحْمِلُ عَرْشَهُ يَوْمَئِذٍ ثمَانِيَةٌ، وَهمُ اليَوْمَ أرْبَعَةٌ، أقْدَامُهُم على تُخُومِ الأرْضِ السُّفْلى، والسَّمَوَاتُ إلى حُجَزِهِمْ، وَالعَرْشُ عَلى مَناكِبِهِمْ، فَوَضَعَ الله عَرْشَهُ حَيْثُ شَاء مِنَ

(٣٠٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٢):ص٣٤٢٩/١٠.

(٣٠٦٨) التفسير الميسر: ٥٩٣.

(٣٠٦٩) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.

(٣٠٧٠)تفسير البغوي ٨/ ٤٢٢.

(٣٠٧١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٢٩ -.

(٣٠٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٣):ص٣٤٢٩/١٠.

(٣٠٧٣) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٤.

الأرْض، ثُمَّ يُنادِي بِنِدَاءٍ يُسْمِعُ الخَلائِقَ فَيَقُولُ يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْس، إنِّي قَدْ أنْصَتُّ مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتُكُمْ إلى يَوْمِكُمْ هَذَا، أسمَعُ كَلامَكُمْ، وأبْصِرُ أعمالكمْ، فَأنْصِتُوا إليَّ، فإنَّمَا هِيَ صُحُفُكُمْ وأعمالكُمْ تُقْرأُ عليْكُمْ فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، ومَنْ وَجَدَ غَيرَ ذلكَ فَلا يَلُومَنَّ إلا نَفْسَهُ، ثُمَّ يأمُرُ اللهُ جَهَنَّمَ فَتُخْرِجُ مِنْها عُنُقا ساطِعا مُظْلِما، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} إلى قوله: {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}، {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ} فيتميز الناس ويَجْثُونَ، وَهِيَ التي يَقُولُ اللهُ: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ ... } الآية، فَيَقْضِي اللهُ بَينَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْسِ وَالْبَهائِمِ، فإنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ لِلْجَمَّاءِ مِنْ ذَاتِ القُرُون، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدةٍ لأخْرَى قال اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، ثُمَّ يَقْضِي اللهُ سُبْحانَهُ بَينَ الجِنِّ والإنْس"[٣٠٧٤].

القرآن

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)} [الفجر : ٢٣-٢٤]

التفسير:

وجيء في ذلك اليوم العظيم بجهنم، يومئذ يتعظ الكافر ويتوب، وكيف ينفعه الاتعاظ والتوبة، وقد فرَّط فيهما في الدنيا، وفات أوانهما؟ يقول: يا ليتني قدَّمتُ في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياتي في الآخرة.

قوله تعالى:{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر : ٢٣]، أي:" وجيء في ذلك اليوم العظيم بجهنم"[٣٠٧٥].

عن قتادة: "{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، قال: جيء بها مزمومة"[٣٠٧٦]. وروي عن أبي وائل مثله[٣٠٧٧].

قال قتادة:" جَنبَتَيْه الجنة والنار، قال: هذا حين ينزل مِن عرشه إلى كرسيه لحساب خَلْقه. وقرأ: {وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} "[٣٠٧٨].

عن زيد بن أسلم، قال: "جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فناجاه، ثم قام النبي - صلى الله عليه وسلم - مُنكسر الطرف، فسأله عليٌّ، فقال: «أتاني جبريل، فقال لي: {كَلَّا إذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وجيء بها تُقاد بسبعين ألف زمام، كلّ زمام يقوده سبعون ألف مَلَك، فبينما هم كذلك إذ شردتْ عليهم شردةً انفلتتْ مِن أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقتْ مَن في الجمع، فأخذوها»"[٣٠٧٩].

قال أبو وائل:" يُجاء بها يوم القيامة تُقاد بسبعين ألف زمام، مع كلّ زمام سبعون ألف ملك"[٣٠٨٠].

قال ابن وهب قال: "أخبرني العطاف بن خالد في قول الله: {وجيء يومئذٍ بجهنم}، قال: يقال: يؤتى بجهنم يوم القيامة، يأكل بعضها بعضا يقودها سبعون ألف ملك، فإذا رأت الناس، فذلك قول الله: {إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيظا وزفيرا}، قال: فإذا رأيتم زفرت زفرة فلا يبقى نبيٌ ولا صديقٌ إلا برك لركبتيه، يقول: يا رب، نفسي، نفسي، ويقول رسول الله: يا رب، أمتي، أمتي"[٣٠٨١].

عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: تنزل الملائكة من السموات، فتحيط بأقطار الأرض، ويجاء بجهنم، فإذا رأوها هالتهم، فندوا في الأرض كما تند الإبل، فلا يتوجهون قطرا إلا رأوا ملائكة فيرجعون من حيث جاءوا، وذلك قوله: « {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..}

(٣٠٧٤) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٤-٤١٩.
(٣٠٧٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٠٧٦) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.
(٣٠٧٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٦٠٦):ص٤٢٦/٣.
(٣٠٧٨) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.
(٣٠٧٩)عزاه السيوطي إلى ابن وهب في كتاب الأهوال.
(٣٠٨٠) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.
(٣٠٨١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٤):ص٤٨/٢.

[الرحمن : ٣٣] وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر : ٢٢] ، {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر : ٢٣]، وذلك قوله: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان : ٢٥]"[٣٠٨٢].

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ(٢٣) وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} [الفجر : ٢٣]، أي:" يومئذ يتعظ الكافر ويتوب، وكيف ينفعه الاتعاظ والتوبة، وقد فرَّط فيهما في الدنيا، وفات أوانهما؟"[٣٠٨٣].

عن الضحاك: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ}، قال: " يريد التوبة"[٣٠٨٤].

قوله تعالى:{يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر : ٢٤]، أي:" يقول: يا ليتني قدَّمتُ في الدنيا من الأعمال ما ينفعني لحياتي في الآخرة"[٣٠٨٥].

عن مجاهد: "{يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، قال: الآخرة"[٣٠٨٦].

قال الضحاك:" عملتُ في الدنيا لحياتي في الآخرة"[٣٠٨٧].

عن قتادة: "{يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، هُناكُم والله الحياة الطويلة"[٣٠٨٨].

عن قتادة :"{يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، قال: علم الله أنه صادق، هناك حياة طويلة لا موت فيها آخر ما عليه"[٣٠٨٩].

عن محمد بن أبي عَمِيرة - وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : لو أن عبدًا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هَرمًا في طاعة الله، لَحَقِرَه يوم القيامة، ولودَّ أنه يُرَدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب"[٣٠٩٠].

القرآن

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦)} [الفجر : ٢٥-٢٦]

التفسير:

ففي ذلك اليوم العصيب لا يستطيع أحدٌ ولا يقدر أن يُعذِّبَ مثل تعذيب الله من عصاه، ولا يستطيع أحد أن يوثِقَ مثل وثاق الله، ولا يبلغ أحدٌ مبلغه في ذلك.

قوله تعالى:{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ} [الفجر : ٢٥]، أي:" ففي ذلك اليوم العصيب لا يستطيع أحدٌ ولا يقدر أن يُعذِّبَ مثل تعذيب الله من عصاه"[٣٠٩١].

عن أبي قِلابة، قال: ثني من أقرأه النبيّ صلى الله عليه وسلم «فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ»[٣٠٩٢].

قوله تعالى:{وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر : ٢٦]، أي:" ولا يستطيع أحد أن يوثِقَ مثل وثاق الله، ولا يبلغ أحدٌ مبلغه في ذلك"[٣٠٩٣].

قال قتادة:" ولا يوثِق كوثاق الله أحد"[٣٠٩٤].

(٣٠٨٢) رواه الفراء في "معاني القرآن": ٣/٧-٨.
(٣٠٨٣) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٠٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٥):ص٣٤٢٩/١٠.
(٣٠٨٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٠٨٦) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٤.
(٣٠٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٥):ص٣٤٢٩/١٠.
(٣٠٨٨) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٤.
(٣٠٨٩) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٤.
(٣٠٩٠)المسند (١٨٥/٤).
(٣٠٩١) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٠٩٢) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢٤، وقال:" واهي الإسناد".
(٣٠٩٣) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٠٩٤) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢٤.

قال الحسن:"قد علم الله أن في الدنيا عذابا وَوَثاقا، فقال {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ} [الفجر: ٢٥]: في الدنيا، {وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر: ٢٦]: في الدنيا"[٣٠٩٥].

القرآن

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر : ٢٧-٣٠]

التفسير:

يا أيتها النفس المطمئنة إلى ذِكر الله والإيمان به، وبما أعدَّه من النعيم للمؤمنين، ارجعي إلى ربك راضية بإكرام الله لك، والله سبحانه قد رضي عنك، فادخلي في عداد عباد الله الصالحين، وادخلي معهم جنتي.

قوله تعالى:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر : ٢٧]، أي:" يا أيتها النفس المطمئنة إلى ذِكر الله والإيمان به"[٣٠٩٦].

وفي قوله تعالى:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} [الفجر : ٢٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : المؤمنة بما وعد الله ، قاله قتادة[٣٠٩٧].

قال قتادة:" هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله"[٣٠٩٨].

قال الحسن:" المطمئنة إلى ما قال الله، والمصدّقة بما قال"[٣٠٩٩].

وحكي الثعلبي عن الحسن:" المؤمنة: الموقنة"[٣١٠٠].

قال سهل:" المطمئنة: المصدقة بثواب الله وعقابه"[٣١٠١].

الثاني : الراضية بقضاء الله التي قد علمت أنّ ما أصابها لم يكن ليخطئها وأنّ ما أخطأها لم يكن ليصيبها، رواه ابن أبي نجاح عن مجاهد[٣١٠٢]، وعطية[٣١٠٣].

الثالث : الموقِنة بأن الله ربها، المسلمة لأمره فيما هو فاعل بها. قاله مجاهد-أيضا-[٣١٠٤].

قال مجاهد:" المنيبة المخبتة التي قد أيقنت أن الله ربها، وضربت لأمره جأشا"[٣١٠٥].

قال مجاهد:" النفس التي أيقنت أن الله ربها، وضربت جأشا لأمره وطاعته"[٣١٠٦].

قال مجاهد:" أيقنت بأن الله ربها، وضربت لأمره جأشا"[٣١٠٧].

قال مجاهد:" المخبتة"[٣١٠٨].

قال مجاهد:" المُخبِتة والمطمئنة إلى الله"[٣١٠٩].

الرابع: المخلصة. قاله ابن كيسان[٣١١٠].

(٣٠٩٥) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢٤، وقال:" واهي الإسناد".

(٣٠٩٦) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(٣٠٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٦):ص٣٤٣١/١٠.

(٣٠٩٨) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣٠٩٩) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣١٠٠) الكشف والبيان: ٢٠٢/١٠.

(٣١٠١) تفسير التستري: ١٩٤.

(٣١٠٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/١٠، وزاد المسير: ٤٤٤/٤.

(٣١٠٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٢/١٠.

(٣١٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣١٠٥) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣١٠٦) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣١٠٧) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣١٠٨) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

(٣١٠٩) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٤.

الخامس : أنها التي يبيّض الله وجهها ويعطيها كتابها بيمينها فعند ذلك تطمئن. حكاه المسيّب عن أبي روق[٣١١١].

السادس : أن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله عز وجل، واطمأن الله إليها . وهذا قول الحسن[٣١١٢].

قوله تعالى:{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر : ٢٨]، أي:" ارجعي إلى ربك راضية بإكرام الله لك، والله سبحانه قد رضي عنك"[٣١١٣].

قال الحسن البصري: "{راضِيَةً} عن الله بما أعدّ لك، {مَرْضِيَّةً} رضي عنكِ ربّكِ"[٣١١٤].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: "{راضِيَةً} ما رأيتِ من ثوابي، مرضيًّا عنكِ؛ حتى يسألكِ منكر ونكير"[٣١١٥].

واختلفوا في أيّ حين يقال لها ذلك، على ثلاثة أقوال:

أحدها: عند خروجها من الدنيا، قاله أبو صالح[٣١١٦]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٣١١٧].

عن أبي صالح: "{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، قال: هذا عند الموت. {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي}، قال: هذا يوم القيامة"[٣١١٨].

قال زيد بن أسلم:" بُشِّرت بالجنة عند الموت، ويوم الجمع، وعند البعث"[٣١١٩].

الثاني: عند البعث يقال لها: ارجعي إلى صاحبك، وإلى جسدك، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد، به قال سعيد بن جبير[٣١٢٠]، وعكرمة[٣١٢١]، والضحّاك[٣١٢٢]، وعطاء[٣١٢٣].

عن عكرمة:" في هذه الآية: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، إلى الجسد"[٣١٢٤].

قال الضحاك:" يأمر الله الأرواح يوم القيامة أن ترجع إلى الأجساد، فيأتون الله كما خلقهم أول مرّة"[٣١٢٥].

قال سعيد بن جبير: "يسيل واد من أصل العرش فتنبت فيه كل دابة على وجه الأرض، ثم تطير الأرواح، فتؤمر أن تدخل الأجساد، فهو قوله: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}"[٣١٢٦].

والصواب أن ذلك إنما يقال لهم عند ردّ الأرواح في الأجساد يوم البعث لدلالة قوله: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي}[٣١٢٧].

(٣١١٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٣/١٠.
(٣١١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٠٢/١٠.
(٣١١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٤):ص٣٤٣٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٢/٦.
(٣١١٣) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣١١٤)تفسير البغوي ٨/ ٤٢٤.
(٣١١٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٣١١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/ ، ٤٢٥٤٢٤.
(٣١١٧) انظر: زاد المسير: ٤٤٤/٤.
(٣١١٨) اخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١١٩) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٢٩٨):ص٣٤٣١/١٠.
(٣١٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٢):ص٣٤٣٠/١٠.
(٣١٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٢٣) انظر: زاد المسير: ٤٤٤/٤.
(٣١٢٤) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٢٥) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٢):ص٣٤٣٠/١٠.
(٣١٢٧) تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.

وفي تفسير قوله تعالى:{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً} [الفجر : ٢٨]، ثلاثة وجوه:
أحدهما: ارجعي إلى صاحبك الذي كنتِ في جسده، به قال سعيد بن جبير[٣١٢٨]، وعكرمة[٣١٢٩]، والضّحّاك[٣١٣٠]. ودليل هذا القول القراءة « فادخلي في عبدي»[٣١٣١] على التوحيد.
الثاني: ارجعي إلى ثواب ربك وكرامته، قاله الحسن[٣١٣٢].
الثالث: إلى أمثالك من عباد ربك الصالحين. قاله ابن كيسان[٣١٣٣].
قوله تعالى:{فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، أي:" فادخلي في عداد عباد الله الصالحين"[٣١٣٤].
وفي قوله تعالى:{فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} [الفجر : ٢٩]، وجوه:
أحدها : في عبدي.
قرأ سعد بن أبي وقاص، وأُبيّ بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبو العالية، وأبو عمران، وأبو جعفر، وأبو صالح والكلبي: «فادخلي في عبدي»[٣١٣٥].
يعني: "الروح ترجع في الجسد"[٣١٣٦].
فعلى هذه القراءة - والله أعلم -: "ادخلي إلى صاحبك الذي خرجت منه فادخلي فيه. والأكثر في القراءة والتفسير: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٢٩-٣٠]"[٣١٣٧].
وقرأ ابن مسعود: «في جسد عبدى»[٣١٣٨].
الثاني : في طاعتي ، قاله الضحاك[٣١٣٩].
الثالث : ادخلي مع عبادي. قاله السدي[٣١٤٠].
الرابع: معناه: ادخلي في عبادي الصالحين. قاله قتادة[٣١٤١].
عن أبي صالح: "{ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، قال هذا عند الموت. {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي}، قال: هذا يوم القيامة"[٣١٤٢].
قوله تعالى:{وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر : ٣٠]، أي:" وادخلي معهم جنتي"[٣١٤٣].
أحدهما : في رحمتي، قاله الضحاك[٣١٤٤].
الثاني : الجنة التي هي دار الخلود ومسكن الأبرار، قاله قتادة[٣١٤٥]، وحكاه الماوردي عن الجمهور[٣١٤٦].
واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية، على خمسة أقوال:

(٣١٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٢):ص٣٤٣٠/١٠.
(٣١٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٣١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٤، والبحر المحيط: ٨/ ٤٧٢، وزاد المسير: ٤٤٥/٤.
(٣١٣٢) انظر: تفسير الثعلبي:٣١١/٢٩. [ط. دار التفسير]، وزاد المسير: ٤٤٥/٤.
(٣١٣٣) انظر: تفسير الثعلبي:٣١١/٢٩. [ط. دار التفسير].
(٣١٣٤) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣١٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٤، والبحر المحيط: ٨/ ٤٧٢، وزاد المسير: ٤٤٥/٤.
(٣١٣٦) تفسير الطبري: ٤٢٦/٢٤.
(٣١٣٧) معاني القرآن: ٣٢٥/٥. ونقله ابن الجوزي بتمامه في "زاد المسير": ٤٤٥/٤.
(٣١٣٨) انظر: الكشاف: ٧٥٣/٤.
(٣١٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٧):ص٣٤٣١/١٠.
(٣١٤١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٦):ص٣٤٣١/١٠.
(٣١٤٢) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٤.
(٣١٤٣) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣١٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢٤.
(٣١٤٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٦):ص٣٤٣١/١٠.
(٣١٤٦) انظر: النكت والعيون: ٢٧٢/٦.

أحدها : أنها نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-.

عن سعيد بن جبير قال: "قرأت عند النبي -صلى الله عليه وسلم-:"{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}، فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: إن هذا حسن، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت»"[٣١٤٧].

الثاني : أنها نزلت في عثمان حين أوقف بئر رومة ، قاله الضحاك[٣١٤٨].

الثالث : أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب، لما استشهد يوم أُحد، قاله أبو هريرة[٣١٤٩]، وبريدة الأسلمي[٣١٥٠].

قال بريدة: "يعني: نفس حمزة"[٣١٥١].

عن ابن بريدة في هذه الآية يا: {أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ}، قال: نفس حمزة بن عبد المطّلب نزلت فيه يوم استشهد يوم أحد، بل نزلت نفسه عند ربّ العالمين، مكرمة مشرفة على من عنده حتّى يردها الله سبحانه إلى حمزة في دعة، وسكون وكرامة"[٣١٥٢].

الرابع : أنها عامة في كل المؤمنين، قاله عكرمة[٣١٥٣].

قال سعيد بن جبير: "مات ابن عباس بالطائف، فشهدت جنازته، فجاء طير أبيض لم ير على خلته حتى دخل في نعشه، ثم لم ير خارجا منه، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر، لم ندر من تلاها : {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر : ٢٧ - ٣٠]"[٣١٥٤].

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشكّر - في كتاب "العجائب" بسنده عن قُبَاث بن رزين أبي هاشم قال : أسرتُ في بلاد الروم، فجمعنا الملك وعَرَض علينا دينه، على أن من امتنع ضربت عنقه. فارتد ثلاثة، وجاء الرابع فامتنع، فضربت عنقه، وألقي رأسه في نهر هناك، فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء، ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يا فلان، ويا فلان، ويا فلان، ويا فلان - يناديهم بأسمائهم - قال الله تعالى في كتابه :{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي} ثم غاص في الماء، قال فكادت النصارى أن يسلموا، ووقع سرير الملك، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام. قال : وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا"[٣١٥٥].

عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : «اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك»[٣١٥٦].

«آخر تفسير سورة (الفجر)، والحمد لله وحده»

(٣١٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٨٨):ص٣٤٣٠/١٠.

(٣١٤٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٨٨):ص٣٤٣٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٣/٦، وزاد المسير: ٤٤٤/٤.

(٣١٤٩) انظر: زاد المسير: ٤٤٤/٤.

(٣١٥٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٢٩٠):ص٣٤٣٠/١٠.

(٣١٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٠):ص٣٤٣٠/١٠.

(٣١٥٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٠٥/١٠.

(٣١٥٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٦، وزاد المسير: ٤٤٤/٤.

(٣١٥٤) المعجم الكبير للطبراني (١٠٥٨١):ص٢٣٦/١٠، وقال الهيثمي في المجمع (٢٨٥/٩) : "رجاله رجال الصحيح".
و أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٢٩٩):ص٣٤٣١/١٠، بلفظ:" مات ابن عباس بالطائف، فجاء طير لم ير على خلقه، فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه، فلما دفن تليت هذه الآية عن شفير القبر -ما يدرى من تلاها-:{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [الفجر : ٢٧ - ٣٠]".

(٣١٥٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٠١/٨.

(٣١٥٦) المعجم الكبير للطبراني(٧٤٩٠):ص٩٩/٨، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٨١/٣٥، (طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «البلد»

«سورة البلد»: هي السورة التسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة ق»، وقبل «سورة الطارق» وآياتها عشرون. وكلماتها اثنتان وثمانون. وحروفها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. فواصل آياتها «هدنا»[٣١٥٧].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت سُورَة {لَا أقسم بِهَذَا الْبَلَد} بِمَكَّة"[٣١٥٨]. وروي عن ابن الزبير مثله[٣١٥٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٣١٦٠].

قال القرطبي:" سورة البلد مكية باتفاق"[٣١٦١].

قال الزمخشري:" هي مكية"[٣١٦٢].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال قوم هي مدنية "[٣١٦٣].

قال الألوسي:" مكية في قوله الجمهور بتمامها، وقيل مدنية بتمامها، وقيل مدنية إلّا أربع آيات من أولها. واعترض كلا القولين بأنه يأباهما قوله تعالى: {بِهذَا الْبَلَدِ} [البلد: ١، ٢]، قيل -ولقوة الاعتراض- ادعى الزمخشري الإجماع على مكيتها، وسيأتي إن شاء الله تعالى أن في بعض الأخبار ما هو ظاهر في نزول صدرها بمكة بعد الفتح"[٣١٦٤].

قال ابن عاشور:" هي مكية، وحكى الزمخشري والقرطبي[٣١٦٥] الاتفاق عليه واقتصر عليه معظم المفسرين، وحكى ابن عطية عن قوم: أنها مدنية[٣١٦٦]. ولعل هذا قول من فسر قوله: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَدِ} [البلد: ٢] أن الحل الإذن له في القتال يوم الفتح وحمل وأنت حل على معنى: وأنت الآن حل، وهو يرجع إلى ما روى القرطبي عن السدي وأبي صالح وعزي لابن عباس. وقد أشار في «الكشاف» إلى إبطاله بأن السورة نزلت بمكة بالاتفاق[٣١٦٧]، وفي رده بذلك مصادرة، فالوجه أن يرد بأن في قوله: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد إلى قوله: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} [البلد: ٥- ١١] ضمائر غيبة يتعين عودها إلى الإنسان في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤]، وإلا لخلت الضمائر عن معاد"[٣١٦٨].

قال السيوطي:" حكى ابن الفرس فيها أيضا قولين، وقوله: {بهذا البلد} يرد القول بأنها مدنية"[٣١٦٩].

(٣١٥٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٠/١.

(٣١٥٨) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣١٥٩) انظر: الدر المنثور: ٥١٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣١٦٠) زاد المسير: ٤٤٦/٤.

(٣١٦١) تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.

(٣١٦٢) الكشاف: ٧٥٣/٤.

(٣١٦٣) المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.

(٣١٦٤) روح المعاني: ٣٤٩/١٥.

(٣١٦٥) انظر: تفسير القرطبي: ٥٩/٢٠.

(٣١٦٦) انظر: المحرر الوجيز: ٤٨٣/٥.

(٣١٦٧) انظر: الكشاف: ٧٥٤/٤.

(٣١٦٨)التحرير والتنوير: ٣٤٥/٣٠.

(٣١٦٩) الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١.

القرآن

{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)} [البلد : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»، وأنت -أيها النبي- حلال في هذا «البلد الحرام» تصنع فيه ما شئت، ولم يحل له إلا ساعة من نهار. وفي الآية بشارة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بفتح «مكة» على يده، وحلِّها له في القتال. وأقسم بوالد البشرية -وهو آدم عليه السلام- وما تناسل منه من ولد، لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا.

قوله تعالى:{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١]، أي:" أقسم بهذا البلد الحرام، وهو «مكة»"[٣١٧٠].

وفي {لَا}، قولان:

أحدهما: أن «لا» زائدة، والتقدير: أقسم بهذا البلد. وهذا قول ابن جبير[٣١٧١]، ومنه قول الشاعر[٣١٧٢]:

تَذكّرْت ليلى فاعْتَرْتني صَبابةٌ ... وكاد ضمير القلْبِ لا يتَقطّع

أي: يتقطع، ودخل حرف «لا» صلة[٣١٧٣].

الثاني : إنها للنفي، وإن المنفي بها محذوف، وهو كلام الكفار الجاحدين، كأنه قال: ليس الأمر كما ذكرتم أقسم بهذا البلد، وهذا قول مجاهد[٣١٧٤]، وكثير من النحويين[٣١٧٥]، كقول القائل: لا، والله، فـ«لا»: رد لكلام قد تقدمها، ومنه قول امرىء القيس[٣١٧٦]:

فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ ... لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

عن مجاهد في قوله: لا أقسم قال: «لا» ردا عليهم، {أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ}"[٣١٧٧].

قال هشام الرفاعي: "سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قوله: {لا أُقْسِمُ} توكيد للقسم كقوله: لا والله"[٣١٧٨].

وذهب جمهور المفسرين إلا أن «لا» مزيدة للتوكيد، والمعنى: فأقسم[٣١٧٩].

وفي قوله تعالى:{بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ١]، قولان :

أحدهما : مكة ، قاله مجاهد[٣١٨٠]، وقتادة[٣١٨١]، وعطاء[٣١٨٢].

قال قتادة:" البلد: مكة"[٣١٨٣].

الثاني : الحرم كله ، قاله مجاهد-أيضا-[٣١٨٤].

(٣١٧٠) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(٣١٧١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٤.

(٣١٧٢)بلا نسبة في الجنى الداني : ٣٠٢؛ ورصف المباني : ٢٧٤.

(٣١٧٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٩٤/٤.

(٣١٧٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٠١):ص٣٤٣٢/١٠.

(٣١٧٥) حكاه عنهم الشوكاني في "فتح القدير": ٤٠٢/٥.

(٣١٧٦)انظر: الديوان: ١٥٤، والخزانة: ٤/ ٤٨٩. وفيه: «لَا وَأَبِيكِ».

وابنة العامري: اسمها هو، وقد ذكر اسمها في هذه القصيدة. والعامري: من بني عمرو بن عامر من الأزد، اسمه سلامة بن عبد الله، وقيل غير ذلك.

(٣١٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠١):ص٣٤٣٢/١٠.

(٣١٧٨) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.

(٣١٧٩) فتح القدير: ١٩٢/٥.

(٣١٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.

(٣١٨١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.

(٣١٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤-٤٣٠.

(٣١٨٣) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢٤.

عن مجاهد: "{لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ}، قال: الحرام"[٣١٨٥].

قوله تعالى:{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ٢]، أي:" وأنت -أيها النبي- حلال في هذا «البلد الحرام» تصنع فيه ما شئت"[٣١٨٦].

وفي قوله تعالى:{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد : ٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتال أو غيره، قاله مجاهد[٣١٨٧]، وقتادة[٣١٨٨]، والضحاك[٣١٨٩]، ومنصور[٣١٩٠].

عن منصور :"{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، قال: أُحِلَّت للنبي صلى الله عليه وسلم، قال: اصنع فيها ما شئت"[٣١٩١].

عن الضحاك: "{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، يعني: محمدا، يقول: أنت حلّ بالحرم، فاقتل إن شئت، أو دع"[٣١٩٢].

عن قتادة: "{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، يقول: بريء عن الحرج والإثم"[٣١٩٣].

قال قتادة:" أنت به حلّ لست بآثم"[٣١٩٤].

عن مجاهد: "{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}، قال: ما صنعت فأنت في حلّ من أمر القتال"[٣١٩٥].

قال مجاهد:" يعنى: رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: أنت في حل مما صنعت فيه"[٣١٩٦].

قال مجاهد:" أحل له أن يصنع فيه ما شاء"[٣١٩٧].

قال مجاهد:" أنت حِلّ مما صنعت فيه"[٣١٩٨].

قال مجاهد:" أحلّ الله لك يا محمد ما صنعت في هذا البلد من شيء، يعني: مكة"[٣١٩٩].

قال مجاهد:" لا تؤاخَذ بما عملت فيه، وليس عليك فيه ما على الناس"[٣٢٠٠].

الثاني : أنت مُحِل في هذا البد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح، قاله الحسن[٣٢٠١]، ومجاهد-أيضا-[٣٢٠٢]، وعطاء[٣٢٠٣].

قال الحسن:" أحلها الله لمحمد صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار يوم الفتح"[٣٢٠٤].

(٣١٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(٣١٨٥) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢٤.
(٣١٨٦) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣١٨٧)انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٣١٨٨)انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣١٨٩)انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣١٩٠)انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٣١٩١) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٣١٩٢) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣١٩٣) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣١٩٤) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣١٩٥) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٣١٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠٢):ص٣٤٣٢/١٠.
(٣١٩٧) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٣١٩٨) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣١٩٩) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣٢٠٠) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣٢٠١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٠٤):ص٣٤٣٢/١٠.
(٣٢٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٣٢٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٠٦):ص٣٤٣٢/١٠.
(٣٢٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠٤):ص٣٤٣٢/١٠.

قال عطاء:" إن الله حرّم مكة، لم تحلّ لنبيّ إلا نبيكم ساعة من نهار"[٣٢٠٥].
قال مجاهد:" أحلّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع فيه ساعة"[٣٢٠٦].
قال عطاء:" إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لبشر إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار، ولا يختلي خلاها، ولا يعضد عضاها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمعرف"[٣٢٠٧].
قوله تعالى:{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد : ٣]، أي:" وأقسم بوالد البشرية -وهو آدم عليه السلام- وما تناسل منه من ولد"[٣٢٠٨].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد : ٣]، أقوال:
أحدها : الوالد: آدم، وما ولد: ولده، قاله مجاهد[٣٢٠٩]، وقتادة[٣٢١٠]، والحسن[٣٢١١]، والضحاك[٣٢١٢]، وأبو صالح[٣٢١٣].
عن أبي صالح في قول الله (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قال: آدم وما ولد"[٣٢١٤].
عن قتادة: "{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}، قال: آدم وما ولد"[٣٢١٥].
قال الضحاك:" الوالد: آدم، وما ولد: ولده"[٣٢١٦].
عن مجاهد: "{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}، قال: ولده"[٣٢١٧].
قال مجاهد:" الوالد: آدم، وما ولد: ولده"[٣٢١٨].
الثاني : أن الوالد إبراهيم وما ولد ، قاله أبو عمران الجَوْنِيّ[٣٢١٩].
الثالث : أن الوالد: العاقر ، وما ولد: التي تلد ، قاله عكرمة[٣٢٢٠].
عن عكرمة: "{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}، قال: العاقر، والتي تلد"[٣٢٢١].
قوله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البلد : ٤]، أي:" لقد خلقنا الإنسان في شدة وعناء من مكابدة الدنيا"[٣٢٢٢].
قال قتادة: "وقع -ها هنا- القسم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}"[٣٢٢٣].
وفي قوله تعالى:{فِي كَبَدٍ} [البلد : ٤]، أقوال :

(٣٢٠٥) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٤.
(٣٢٠٦) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٤.
(٣٢٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٠٦):ص٣٤٣٢/١٠.
(٣٢٠٨) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٢٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١١) النكت والعيون:٢٧٥/٦.
(٣٢١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٤) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٥) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٦) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٧) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٨) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٣٢٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢٢١) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٤.
(٣٢٢٢) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٢٢٣) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.

أحدها : أن المعنى: خلق منتصباً يمشي على رجلين، وسائر الحيوان غير منتصب، قاله عكرمة[٣٢٢٤]، والضحاك[٣٢٢٥]، وإبراهيم[٣٢٢٦].

وعلى هذا التفسير، يكون معنى «الكبد»: الاستواء والاستقامة[٣٢٢٧].

قال عكرمة:" في انتصاب، يعني: القامة"[٣٢٢٨].

عن أبي صالح: "{خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: قائما"[٣٢٢٩].

قال الضحاك:" خُلِق منتصبا على رجلين، لم تخلق دابة على خلقه"[٣٢٣٠].

عن مجاهد: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: في صَعَد"[٣٢٣١].

وعن عبد الله بن شَدَّاد، في قوله: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: معتدلا بالقامة، قال أبو صالح: معتدلا في القامة"[٣٢٣٢].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن إبراهيم: -أحسبه عن عبد الله- {فِي كَبَدٍ}، قال منتصبا"[٣٢٣٣].

عن عبد الحميد بن جعفر:" سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: في قيامه واعتداله. فلم ينكر عليه أبو جعفر"[٣٢٣٤].

الثاني: خلق في شدّة، يعني: مولده ونبات أسنانه وغير ذلك، وهو مأخوذ من: المكابدة، ومنه قول لبيد[٣٢٣٥]:

عَيْنِ هَلا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ ... قُمْنا وَقَامَ الخُصُومِ فِي كَبَدِ

قاله الحسن[٣٢٣٦]، وعكرمة[٣٢٣٧]، ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد[٣٢٣٨].

قال ابن كيسان: "المكابدة: مقاساة الأمر وركوب معظمه، وأصله: الشدّة، وهو من الكبد"[٣٢٣٩].

عن الحسن:" أنه قال في هذه الآية: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، يقول: في شدّة"[٣٢٤٠].

عن مجاهد: "{الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: شدة خروج أسنانه"[٣٢٤١].

الثالث : لأنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، قاله الحسن[٣٢٤٢]، وسعيد بن أبي الحسن[٣٢٤٣]، وقتادة[٣٢٤٤]، وعطاء[٣٢٤٥].

(٣٢٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤.

(٣٢٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢٤.

(٣٢٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤.

(٣٢٢٧) انظر: زاد المسير: ٤٤٧/٤.

(٣٢٢٨) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.

(٣٢٢٩) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.

(٣٢٣٠) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.

(٣٢٣١) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.

(٣٢٣٢) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٤.

(٣٢٣٣) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣١٣):ص٣٤٣٣/١٠.

(٣٢٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٦):ص٣٤٣٣/١٠.

(٣٢٣٥)ورد البيت في: "ديوانه" ص ٥٠ ط. دار صادر. وانظر (كبد) في: "تهذيب اللغة" ١٠/ ١٢٧، و"لسان العرب" ٣/ ٣٧٦، وفي "جامع البيان" ٣٠/ ١٩٨، و"الكشف والبيان" ١٣/ ٩٦ أ، و"النكت والعيون" ٨/ ٢٧٦، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٤٨٤، "الكشاف" ٤/ ٢١٣، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٦٢، و"روح المعاني" ٣٠/ ١٣٥، و"الكامل" ٣/ ١٣٩٤، و"الخصائص" ٢/ ٢٠٥، ٣/ ٣١٨، "الدر المنثور" ٨/ ٥٢٠، و"الإتقان" ٢/ ٥٧، و"جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي، تح: البجاوي ص ٢١.

(٣٢٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.

(٣٢٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤.

(٣٢٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤، وتفسير مجاهد: ٧٢٩.

(٣٢٣٩) نقلا عن: الكشف والبيان:.

(٣٢٤٠) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.

(٣٢٤١) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.

عن الحسن:"{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة"(٣٢٤٦).
قال الحسن:" يكابد أمور الدنيا وأمور الآخرة"(٣٢٤٧).
قال الحسن: "يكابد السرّاء والضرّاء، وليس أحد يكابد الأمور ما يكابد ابن آدم"(٣٢٤٨).
عن الحسن:" أنه قرأ هذه الآية: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: "لا أعلم خليقة يكابد من الأمر ما يكابد هذا الإنسان"(٣٢٤٩).
قال الحسن:" لم يخلق الله خلقا يكابد ما يُكابد ابن آدم"(٣٢٥٠).
قال قتادة:" يكابد أمر الدنيا والآخرة"(٣٢٥١).
قال قتادة:" حين خُلِق في مشقة لا يُلقى ابن آدم إلا مكابد أمر الدنيا والآخرة"(٣٢٥٢).
عن سعيد بن أبي الحسن يقول: "{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}، قال: يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة"(٣٢٥٣).
الرابع : يعني: من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، يتكبد في الخلق، مأخوذ من: تكبد الدم. وهو غلظه ، ومنه أخذ أسم: الكبد، لأنه دم قد غلظ ، وهو معنى قول مجاهد(٣٢٥٤).
قال مجاهد: " يكون نطفة وعلقة ولا يزال في مكابدة"(٣٢٥٥).
وبعد...فإن هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أبين ما قيل فيها أي يكابد الأمور ويعالجها. فهذا الظاهر من كلام العرب في معنى كبد. قال ذو الإصبع العدواني(٣٢٥٦):
لي ابن عمّ لو أنّ النّاس في كبد ... لظلّ محتجرا بالنّبل يرميني
وقال لبيد(٣٢٥٧):
قمنا وقام الخصوم في كبدي"(٣٢٥٨).

القرآن
{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)} [البلد : ٥]
التفسير:

(٣٢٤٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣١٤):ص٣٤٣٣/١٠، وتفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٣٢٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٤/٢٤، ومسند أبن الجعد(٣٢٨١):ص٤٧٢.
(٣٢٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٣٢٤٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥.
(٣٢٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٤):ص٣٤٣٣/١٠.
(٣٢٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٥):ص٣٤٣٣/١٠.
(٣٢٤٨) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥.
(٣٢٤٩) الزهد والرقائق لابن المبارك(٢٣٠):ص٧٨. وانظر: مسند ابن الجعد(٣٢٨٠):ص٤٧٢، بلفظ:" لا أعلم خليقة تكابد من الأمر ما يكابد الإنسان".
(٣٢٥٠) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(٣٢٥١) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٣٢٥٢) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٤.
(٣٢٥٣) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٤.
(٣٢٥٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥، والنكت والعيون: ٢٧٦/٦.
(٣٢٥٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٢/٥.
(٣٢٥٦)الشاهد في ديوان المفضليات ٣٢٦، والمقاصد النحوية ٣/ ٢٨٨.
(٣٢٥٧)الشاهد للبيد في ديوانه ١٦٠، وتذكرة النحاة ص ١١٨، والخصائص ٣/ ٣١٨، ولسان العرب (كبد) ، وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٢٠٥ ولسان العرب (عدل) ، وصدره:
«يا عين هلّا بكيت أربد إذ.
(٣٢٥٨) إعراب القرآن: ١٤٢/٥.

أيظنُّ بما جمعه من مال أن الله لن يقدر عليه؟
قال الحسن البصري : "يعني: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يأخذ ماله"[٣٢٥٩].
عن مجاهد:" {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}:، قال: لم يقدر عليه أحد"[٣٢٦٠].
قال الضحاك:" الأحد: الله - عز وجل-"[٣٢٦١].
وقال قتادة :{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} قال : ابن آدم يظن أن لن يُسأل عن هذا المال : من أين اكتسبه ؟ وأين أنفقه ؟"[٣٢٦٢].
عن السدي:" {أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} الآية، قال: الكافر يحسب أن لن يقدر الله عليه، ولم يره"[٣٢٦٣].

القرآن
{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)} [البلد : ٦-٧]
التفسير:
يقول -متباهيًا-: أنفقت مالا كثيرًا. أيظنُّ في فعله هذا أن الله عز وجل لا يراه، ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟
قوله تعالى:{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا} [البلد : ٧]، أي:" يقول -متباهيًا-: أنفقت مالا كثيرًا"[٣٢٦٤].
عن مجاهد: "{مَالا لُبَدًا}، قال: كثيرا"[٣٢٦٥]. وروي عن قتادة مثله[٣٢٦٦].
عن شرحبيل بن سعد :" {أهلكت مالا لبدا}، قال: كثير"[٣٢٦٧].
عن الضحاك:"{أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}، قال: أنفقت مالا في الصد عن سبيل الله"[٣٢٦٨].
ويُقْرأ: «لُبَّداً»، بالتشديد، جمع: لأبِد[٣٢٦٩].
قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ} [البلد : ٨]، أي:" أيظنُّ في فعله هذا أن الله عز وجل لا يراه، ولا يحاسبه على الصغير والكبير؟"[٣٢٧٠].
عن قتادة:" {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ}، قال: ابن آدم، إنك مسؤول عن هذا المال؛ من أين اكتسبتَه، وأين أنفقتَه"[٣٢٧١].

القرآن
{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)} [البلد : ٨-١٠]
التفسير:
ألم نجعل له عينين يبصر بهما، ولسانًا وشفتين ينطق بها، وبيَّنا له سبيلي الخير والشر؟

(٣٢٥٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٨.
(٣٢٦٠)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٦٨ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.
(٣٢٦١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٣.
(٣٢٦٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٠٤/٨.
(٣٢٦٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٣٢٦٤) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٢٦٥) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(٣٢٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٤.
(٣٢٦٧)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٣٤٧ (٢٤٦٦).
(٣٢٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣١٧):ص٣٤٣٤/١٠.
(٣٢٦٩) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ٤٧٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٢٨/٥.
(٣٢٧٠) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٢٧١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٣.

قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ(٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} [البلد : ٨-٩]، أي:" ألم نجعل له عينين يبصر بهما"[٣٢٧٢].

عن قتادة: "{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}: نِعَم من الله متظاهرة، يقررك بها كيما تشكره"[٣٢٧٣].

قوله تعالى:{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد : ١٠]، أي:" وبيَّنا له سبيلي الخير والشر"[٣٢٧٤].

أحدها : سبيل الخير والشر، قاله الحسن[٣٢٧٥]، ومجاهد[٣٢٧٦]، وعكرمة[٣٢٧٧]، والضحاك[٣٢٧٨]، وعطاء الخراساني[٣٢٧٩].

قال مجاهد:" سبيل الخير والشرّ"[٣٢٨٠].

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هُمَا نَجْدَانِ: نَجْدُ خَيْرٍ، وَنَجْدُ شَرّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ"[٣٢٨١].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "أَيُّها النَّاسُ إِنَّمَا هُمَا النَجْدَانِ: نَجْدُ الخَيْرِ، وَنَجْدُ الشَّرّ، فَمَا جَعَلَ نَجْدَ الشَّرّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الخَيْرِ"[٣٢٨٢].

الثاني : سبيل الشقاء والسعادة ، قاله مجاهد[٣٢٨٣].

الثالث : الثديين ليتغذى بهما، قاله ابن المسيب[٣٢٨٤]، والضحاك[٣٢٨٥]، وقتادة[٣٢٨٦]، والربيع بن خثيم[٣٢٨٧].

عن الضحاك، قال: "الثديان"[٣٢٨٨].

وروي عن أبي بُردة، قال: "مرّ بنا الربيع بن خثيم، فسألناه عن هذه الآية: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}، فقال: أما إنهما ليسا بالثديين"[٣٢٨٩].

الصواب في ذلك: قول من قال: عُنِي بذلك طريق الخير والشرّ، والثديان وإن كانا سبيلي اللبن، فإن الله تعالى ذكْره إذ عدّد على العبد نِعَمه بقوله: {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ}، إنما عدّد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه، فكذلك قوله: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}"[٣٢٩٠].

(٣٢٧٢) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٢٧٣) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٤.
(٣٢٧٤) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٢٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(٣٢٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(٣٢٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(٣٢٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(٣٢٧٩) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٣):ص١٠٩.
(٣٢٨٠) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(٣٢٨١) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٤.[مرسل]-و عبدالرزاق في "التفسير"(٣٦١٨):ص٤٢٨/٣
(٣٢٨٢) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٤.
(٣٢٨٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٧/٦، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.
(٣٢٨٤) انظر: زاد المسير: ٤٤٨/٤.
(٣٢٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٤.
(٣٢٨٦) انظر: النكت والعيون: ٢٧٧/٦، وتفسير ابن كثير: ٤٠٥/٨.
(٣٢٨٧) انظر: النكت والعيون: ٢٧٧/٦، وتفسير ابن كثير: ٤٠٥/٨.
(٣٢٨٨) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢٤.
(٣٢٨٩) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٤.
(٣٢٩٠) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢٤.

القرآن
{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١)} [البلد : ١١]
التفسير:
فهلا تجاوز مشقة الآخرة بإنفاق ماله، فيأمن.
وفي تفسير الآية، أقوال:
أحدها : أنها عقبة شديدة في النار دون الجسر، قاله الحسن[٣٢٩١]، وقتادة[٣٢٩٢].
قال قتادة:" للنار عقبة دون الجسر"[٣٢٩٣].
قال قتادة:" إنها قحمة شديدة، فاقتحموها بطاعة الله"[٣٢٩٤].
قال قتادة:" النار عقبة دون الجنة"[٣٢٩٥].
قال قتادة:" للناس عقبة دون الجنة واقتحامها {فَكُّ رَقَبَةٍ} [البلد : ١٣]، الآية"[٣٢٩٦].
عن الحسن، في قوله: "{فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}، قال: جهنم"[٣٢٩٧].
وقال الحسن:" عَقَبةٌ في جهنم"[٣٢٩٨].
الثاني: سبعون دركة في جهنم، قاله كعب[٣٢٩٩].
قال كعب:" العقبة: سبعون درجة في جهنم"[٣٣٠٠].
عن أبي رجاء رضي الله عنه قال: "بلغني أن «العقبة»، التي ذكر الله في كتابه، مطلعها سبعة آلالف سنة، ومهبطها سبعة آلاف سنة"[٣٣٠١].
الثالث: أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف، قاله مجاهد[٣٣٠٢]، والضّحّاك[٣٣٠٣].
حكي عنهم الثعلبي، قالوا: " هي الصراط يضرب على جهنّم كحدّ السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلا وصعودا وهبوطا، وأنّ لجنبتيه كلاليب وخطاطيف كأنّها شوك السعدان، فناج مسلم وناج مخدوس ومكردس في النار منكوس، فمن الناس من يمرّ عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ عليه كالريح العاصف، ومنهم من يمرّ عليه كالفارس، ومنهم من يمرّ عليه كالرجل يسير، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم الزالّون والزالّات، ومنهم من يكردس في النار، واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشاء"[٣٣٠٤].
الرابع : أن ذكر «العقبة» -هاهنا- مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البرِّ، فجعله كالذي يتكلّف صعود العقبة. يقول: لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة، والإطعام، وهذا قول قتادة[٣٣٠٥]، والحسن[٣٣٠٦].

(٣٢٩١) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٤، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.
(٣٢٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٤. وفي النكت والعيون: ٢٧٨/٦: النار عقبة دون الحشر". وهو تصحيف، والصواب ما رواه عنه الطبري. «الجسر»
(٣٢٩٣) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.
(٣٢٩٤) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.
(٣٢٩٥) تفسير عبدالرزاق(٣٦٢٢):ص٤٢٩/٣.
(٣٢٩٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٥):ص٣٤٣٤/١٠.
(٣٢٩٧) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.
(٣٢٩٨) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٤.
(٣٢٩٩) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٦٢٢):ص٤٢٩/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٨):ص٣٤٣٥/١٠.
(٣٣٠٠) تفسير عبدالرزاق(٣٦٢٢):ص٤٢٩/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٨):ص٣٤٣٥/١٠.
(٣٣٠١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٢٧):ص٣٤٣٥/١٠.
(٣٣٠٢) انظر: الكشف والبيان: ٢١٠/١٠، وزاد المسير: ٤٤٨/٤.
(٣٣٠٣) انظر: الكشف والبيان: ٢١٠/١٠، والنكت والعيون: ٢٧٨/٦.
(٣٣٠٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢١٠، وتفسير البغوي ٨/ ٤٣٢.
(٣٣٠٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢١٠.

قال قتادة:" هذا مَثَل ضربه الله سبحانه، يقول: إنّ المعتق والمطعم يقاحم نفسه وشيطانه مثل مَن يتكلف صعود العقبة"[٣٣٠٧].

قال الحسن : "عقبة والله شديدة"[٣٣٠٨].

القرآن

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)} [البلد : ١٢ - ١٣]

التفسير:

وأيُّ شيء أعلمك: ما مشقة الآخرة، وما يعين على تجاوزها؟ إنه عتق رقبة مؤمنة من أسر الرِّق.

عن قتادة :"{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}، ثم أخبر عن اقتحامها، فقال: {فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ}"[٣٣٠٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَكُّ رَقَبَةٍ} [البلد : ١٣]، وجهان:

أحدهما : يعني: فك رقبة من الذنوب بالتوبة. قاله عكرمة[٣٣١٠].

الثاني : يعني: عتقها من الرق، وسمي المرقوق رقبة، لأنه بالرق كالأسير المربوط من رقبته، وسمي: عتقاً فكها، لأنه كفك الأسير من الأسر ، قال حسان بن ثابت [٣٣١١]:

كَمْ مِنْ أسِيرٍ فَكَكنَاهُ بِلاَ ثَمَنٍ ... وجَرِّ نَاصِيةٍ كُنَّا مَواليهَا

قال الحسن:" ذُكر لنا أنه ليس مسلم يعتق رقبة مسلمة، إلا كانت فداءه من النار"[٣٣١٢].

قال قتادة : ذُكِر أن قيسا الجذامي حَدّث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار"[٣٣١٣].

قال قتادة : "ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الرقاب أيها أعظم أجرا؟ قال: " أكثرها ثمنا"[٣٣١٤].

عن سُليم بن عامر : "أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو بن عَبسة حَدِّثنا حديثًا ليس فيه تَزَيّد ولا نسيان. قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار، عُضْوا بعضو. ومن شاب شيبة في سبيل الله، كانت له نورا يوم القيامة، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ، كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل"[٣٣١٥].

عن الغريف بن الديلمي، قال : أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا حَديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان. فغضب وقال : إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته، فيزيد وينقص. قلنا : إنما أردنا حديثًا سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب - يعني النار - بالقتل، فقال : "أعتقوا عنه يُعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار"[٣٣١٦].

(٣٣٠٦) انظر: النكت والعيون: ٢٧٨/٦، والكشاف: ٧٥٦/٤.

(٣٣٠٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢١٠.

(٣٣٠٨) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٧٨/٦.

(٣٣٠٩) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٤.

(٣٣١٠) انظر: تفسير البغوي: ٤٣٣/٨.

(٣٣١١) الشاهد في النكت والعيون: ٢٧٩/٦، وأحكام القرآن لابن العربي: ٤٠١/٤، وتفسير القرطبي: ٦٨/٢٠، واللباب في علوم الكتاب: ٣٤٩/٢٠.

(٣٣١٢) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٤.

(٣٣١٣)المسند (١٤٧/٤).

(٣٣١٤) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٤.

(٣٣١٥)المسند (١١٣/٤)، وسنن أبي داود برقم (٣٩٦٦)، وسنن النسائي الكبرى برقم (٤٨٨٥، ٤٨٨٦).

(٣٣١٦)سنن أبي داود برقم (٣٩٦٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (٤٨٩٠، ٤٨٩١).

قال ابن عادل الحنبلي:" قال أبو حنيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه -: العِتْقُ أفضل من الصدقة، وعند صاحبيه الصدقة أفضل، والآية أدلّ على قول أبي حنيفة، لتقديم العتق على الصدقة"[٣٣١٧].

قرئ :{فَكُّ رَقَبَةٍ} بالإضافة، وقُرئ على أنه فعل، وفيه ضمير الفاعل و«الرقبة» مفعوله، وكلتا القراءتين معناهما متقارب[٣٣١٨].

القرآن

{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦)} [البلد : ١٤-١٦]

التفسير:

أو إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة، يتيمًا -مات أبوه وهو صغير- من ذوي القرابة يجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرحم، أو فقيرًا معدمًا لا شيء عنده.

قوله تعالى:{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} [البلد : ١٤]، أي:" أو إطعام في يوم ذي مجاعة شديدة"[٣٣١٩].

عن مجاهد: "{فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}، قال: الجوع"[٣٣٢٠].

قال عكرمة:" ذي مجاعة"[٣٣٢١].

قال الحسن:" في يوم، الطعام فيه عزيز"[٣٣٢٢]. وروي عن إبراهيم مثله[٣٣٢٣].

وقال قتادة:" يوم يُشْتَهَى فيه الطعام"[٣٣٢٤].

قوله تعالى:{يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} [البلد : ١٥]، أي:" يتيمًا -مات أبوه وهو صغير- من ذوي القرابة يجتمع فيه فضل الصدقة وصلة الرحم"[٣٣٢٥].

قال عكرمة والحسن والضحاك والسدي :"أي: ذا قرابة منه"[٣٣٢٦].

عن الشعبي:" أن زينب امرأة عبد الله سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة على الأقارب، فقال: «الصدقة على الأقارب تضاعف على غير الأقارب مرتين»[٣٣٢٧].

عن سليمان بن عامر، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان، صدقة وصلة"[٣٣٢٨].

قوله تعالى:{أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} [البلد : ١٦]، أي:" أو فقيرًا معدمًا لا شيء عنده"[٣٣٢٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} [البلد : ١٦]، أقوال:

أحدها : أن «ذا المتربة»: هو المطروح على الطريق لا بيت له، قاله مجاهد[٣٣٣٠].

(٣٣١٧) اللباب في علوم الكتاب: ٣٤٩/٢٠.

(٣٣١٨) انظر: السبعة في القراءات: ٦٨٦، وتفسير ابن كثير: ٤٠٦/٨.

(٣٣١٩) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(٣٣٢٠) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(٣٣٢١) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢٤.

(٣٣٢٢) تفسير مجاهد: ٧٣١.

(٣٣٢٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٣٠):ص٣٤٣٥/١٠.

(٣٣٢٤) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(٣٣٢٥) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(٣٣٢٦) تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٨.

(٣٣٢٧) مسند إسحاق بن راهويه(٢٤٠١):ص٢٤٨/٥.

(٣٣٢٨)المسند (٢١٤/٤) وسنن الترمذي برقم (٦٥٨) وسنن النسائي (٩٢/٥) وقال الترمذي : "حديث سلمان بن عامر حديث حسن".

(٣٣٢٩) التفسير الميسر: ٥٩٤.

(٣٣٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٣/٢٤.

قال مجاهد:" الذي ليس له مأوى إلا التراب"[٣٣٣١].

وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر عن النبي - -صلى الله عليه وسلم- في قوله: {مِسْكينا ذَا مَتْرَبَة}، قال: «الذي مأواه المزابل»[٣٣٣٢].

الثاني : الذي قد ألصقه الفقر بالتراب، فلا يقيه من التراب لباس ولا غيره، قاله الحسن[٣٣٣٣]، ومجاهد- أيضا-[٣٣٣٤]، وعكرمة[٣٣٣٥]، وأبو الرجاء[٣٣٣٦]، وعطاء الخراساني[٣٣٣٧].

عن مجاهد: "{ذَا مَتْرَبَةٍ}، قال: ساقط في التراب"[٣٣٣٨].

قال مجاهد:" المطروح في الأرض، الذي لا يقيه شيء دون التراب"[٣٣٣٩].

قال مجاهد:" الذي لا يقيه من التراب شيء""[٣٣٤٠].

قال مجاهد:" الذي لا يُواريه إلا التراب"[٣٣٤١].

قال عكرمة:" الملتزق بالأرض من الحاجة"[٣٣٤٢]. وفي لفظ :" المترب: اللازق بالأرض من الجهد"[٣٣٤٣].

قال عكرمة:" التراب: اللاصق بالأرض"[٣٣٤٤].

قال عكرمة:" ليس بينه وبين التراب شيء قد لزق به"[٣٣٤٥].

الثالث : أنه ذو العيال ، قاله سعيد بن جبير[٣٣٤٦]، وقتادة[٣٣٤٧]، والضحاك[٣٣٤٨].

قال قتادة:" مسكين ذو بنين وعيال، ليس بينك وبينه قرابة"[٣٣٤٩].

قال قتادة:" كنا نحدّث أن الترب هو ذو العيال الذي لا شيء له"[٣٣٥٠].

قال الضحاك:" ذا عيال لاصقين بالأرض، من المسكنة والجهد"[٣٣٥١].

الرابع : أنه المديون، قاله عكرمة[٣٣٥٢].

الخامس : أنه ذو زمانة ، قاله أبو سنان[٣٣٥٣].

(٣٣٣١) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(٣٣٣٢) الدر المنثور: ٥٢٦/٨.

(٣٣٣٣) رواه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٠/١٠-٢١١، وحكاه عنه ابن أبي زمنين في تفسيره:: ١٣٤/٥.

(٣٣٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٤.

(٣٣٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٣٦) رواه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢١٠/١٠-٢١١.

(٣٣٣٧) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣١٤):ص١٠٩.

(٣٣٣٨) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٤.

(٣٣٣٩) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٤.

(٣٣٤٠) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(٣٣٤١) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٤.

(٣٣٤٢) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٤٣) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٦٢٤)ص: ٤٢٩/٣.

(٣٣٤٤) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٤٥) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٦٢١)ص: ٤٢٩/٣.

(٣٣٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٤٩) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٥٠) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٥١) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.

(٣٣٥٢) انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦.

السادس : أنه الذي ليس له أحد ، قاله ابن جبير[٣٣٥٤].
السابع : هو المحارَف الذي لا مال له. قاله عكرمة[٣٣٥٥].
قال الثعلبي:" سمعت أبا القاسم الحلبي، يقول: سمعت أبا حامد الخازرجي، يقول: المتربة -هاهنا-: من التربة، وهي: شدّة الحال، وأنشد الهذلي[٣٣٥٦]:
وكُنَّا إذا مَا الضيفُ حَلَّ بأرضِنا، ... سَفَكْنا دِماءَ البُدْنِ فِي تُرْبَةِ الْحَالِ"[٣٣٥٧].
وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عُنِيَ به: أو مسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة؛ لأن ذلك هو الظاهر من معانيه. وأن قوله: {مَتْرَبَةٍ} إنما هي «مَفْعَلَةٍ»، من ترب الرجل: إذا أصابه التراب[٣٣٥٨].

القرآن
{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧)} [البلد : ١٧]
التفسير:
ثم كان مع فِعْل ما ذُكر من أعمال الخير من الذين أخلصوا الإيمان لله، وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وتواصوا بالرحمة بالخلق.
قوله تعالى:{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا(١٥) وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [البلد : ١٥]، أي:" ثم كان مع فِعْل ما ذُكر من أعمال الخير من الذين أخلصوا الإيمان لله، وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه"[٣٣٥٩].
عن كعب:" {وتواصوا بالصبر} [البلد: ١٧] : «على فرائض الله وحكمه»"[٣٣٦٠].
قال الحسن:" الصبر: طاعة الله"[٣٣٦١].

القرآن
{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨)} [البلد : ١٨]
التفسير:
الذين فعلوا هذه الأفعال، هم أصحاب اليمين، الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات اليمين إلى الجنة.
وفي تسميتهم «أصحاب الميمنة»، وجوه:
أحدها : لأنهم أُخذوا من شق آدم الأيمن، قاله زيد بن أسلم[٣٣٦٢].
الثاني : لأنهم أوتوا كتابهم بأيمانهم. قاله عطاء[٣٣٦٣]، ومحمد بن كعب[٣٣٦٤].
الثالث : لأنهم ميامين على أنفسهم. قاله الحسن[٣٣٦٥]، والربيع[٣٣٦٦].

(٣٣٥٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦.
(٣٣٥٤) انظر: النكت والعيون: ٢٧٩/٦.
(٣٣٥٥) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٤.
(٣٣٥٦) وانظر: البيت في اللسان مادة(حول):ص١٩١/١.
(٣٣٥٧) الكشف والبيان: ٢١١/١٠.
(٣٣٥٨) تفسير الطبري: ٤٤٦/٢٤.
(٣٣٥٩) التفسير الميسر: ٥٩٤.
(٣٣٦٠) تفسير مجاهد: ٧٤٧.
(٣٣٦١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٩٣):ص٤٥٨/٣.
(٣٣٦٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٦٣)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٦٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٦٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.

الرابع : لأنهم أهل الجنة. قاله السدي[٣٣٦٧].
الخامس: لأنه منزلهم على اليمين ، قاله ميمون[٣٣٦٨].

عن الحسن، عن معاذ بن جبل: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٢٧] ، {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة: ٤١]- فقبض بيديه قبضتين فقال: «هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي»"[٣٣٦٩].

عن أنس بن مالك، قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل: لخازن السماء افتح، قال: من هذا؟ قال هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول: ففتح، - قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة، قال أنس - فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم "، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم، أن ابن عباس، وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»، قال ابن حزم، وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك"»[٣٣٧٠].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)} [البلد : ١٩]

التفسير:

والذين كفروا بالقرآن هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى النار.

(٣٣٦٦)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٦٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.
(٣٣٦٨) انظر: النكت والعيون: ٢٨٠/٦.
(٣٣٦٩)المسند (٢٢٠٧٧):ص٣٩٥/٣٦، والحسن لم يسمع من معاذ.
(٣٣٧٠) صحيح البخاري(٣٤٩):ص٧٨/١.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا} [البلد : ١٩]، أي:" والذين كفروا بالقرآن"[٣٣٧١].
عن سعيد بن جبير: "{آياتنا}، يعني: القرآن"[٣٣٧٢].
عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"[٣٣٧٣].
قوله تعالى:{هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [البلد : ١٩]، أي:" هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة ذات الشمال إلى النار"[٣٣٧٤].
وفي تسميتهم بذلك، سبعة وجوه:
أحدها : لأنهم أخذوا من شق آدم الأيسر، قاله زيد بن أسلم[٣٣٧٥].
الثاني : لأنهم أوتوا كتابهم بشمالهم ، قاله عطاء[٣٣٧٦]، ومحمد بن كعب[٣٣٧٧].
الثالث : لأنهم مشائيم على أنفسهم، قاله الحسن[٣٣٧٨]، والربيع[٣٣٧٩].
الرابع : لأنهم أهل النار ، قاله السدي[٣٣٨٠].
الخامس: لأن منزلهم عن اليسار، وهو مقتضى قول ميمون[٣٣٨١].

القرآن
{عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)} [البلد : ٢٠]
التفسير:
جزاؤهم جهنم مطبَقةٌ مغلقة عليهم.
قال الضحاك:" مغلقة عليهم"[٣٣٨٢].
عن الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطية العوفي:" {عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ}، قال: مُطبَقة"[٣٣٨٣].
قال قتادة:" أي: مُطْبَقة، أطبقها الله عليهم، فلا ضوء فيها ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد"[٣٣٨٤].
وقال أبو عمران الجوني : " إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فأوثقوا في الحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم، ثم أو صدوها عليهم، أي: أطبقوها قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدا، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا"[٣٣٨٥].
«آخر تفسير سورة (البلد)، والحمد لله وحده»

(٣٣٧١) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٣٣٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢].
(٣٣٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.
(٣٣٧٤) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٣٣٧٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٧٦)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٧٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٧٨) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٧٩)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٣٣٨٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.
(٣٣٨١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٠/٦.
(٣٣٨٢) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٤.
(٣٣٨٣)تفسير مجاهد ص ٧٣١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد. وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٥.
(٣٣٨٤) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٤.
(٣٣٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٢٦):ص٣٤٣٥/١٠.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الشمس»

«سورة الشمس»: هي السورة الحادية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القدر»، وقبل «سورة البروج»، وآياتها خمس عشرة عند القراء. وعند المكي ست عشرة. وكلماتها أربع وخمسون. وحروفها مائتان وأربعون. المختلف فيها آية:{فَعَقَرُوهَا} [الشمس : ١٤]. فواصل آياتها على «الألف»[٣٣٨٦].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سُورَة: {وَالشَّمْس وَضُحَاهَا} بِمَكَّة"[٣٣٨٧]. وروي عن ابن الزبير مثله[٣٣٨٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٣٣٨٩].

قال القرطبي:" مكية باتفاق"[٣٣٩٠].

قال ابن عطية:" هي مكية"[٣٣٩١].

(٣٣٨٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٢/١.

(٣٣٨٧) انظر: الدر المنثور: ٥٢٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٣٨٨) انظر: الدر المنثور: ٥٢٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٣٨٩) زاد المسير: ٤٥٠/٤.

(٣٣٩٠) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

(٣٣٩١) المحرر الوجيز: ٤٨٧/٥.

القرآن

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)} [الشمس : ١-١٠]

التفسير:

أقسم الله بالشمس ونهارها وإشراقها ضحى، وبالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول، وبالنهار إذا جلَّى الظلمة وكشفها، وبالليل عندما يغطي الأرض فيكون ما عليها مظلمًا، وبالسماء وبنائها المحكم، وبالأرض وبَسْطها، وبكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها، فبيَّن لها طريق الشر وطريق الخير، قد فاز مَن طهَّرها ونمَّاها بالخير، وقد خسر مَن أخفى نفسه في المعاصي.

قوله تعالى:{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} [الشمس : ١]، أي:" أقسم بالشمس ونهارها وإشراقها ضحى"(٣٣٩٢).

واختلف في تفسير قوله تعالى:{وَضُحَاهَا} [الشمس : ١]، على وجهين:

أحدهما : أن الضحى: هو النهار كله. قاله قتادة(٣٣٩٣).

عن قتادة: "{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، قال: هذا النهار"(٣٣٩٤).

الثاني : أن الضحى ضيائها. قاله مجاهد(٣٣٩٥).

عن مجاهد: "{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، قال: ضوئها"(٣٣٩٦).

والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جلّ ثناؤه بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار(٣٣٩٧).

قرأ الأعمش وأصحابه «ضحاها» و«تلاها» و«طحاها» بالفتح، وقرأوا باقي السورة بالكسر. وقرأ الكسائي السورة كلها بالإمالة. وقرأها أبو عمرو بن العلاء بين اللفظين(٣٣٩٨).

قوله تعالى:{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} [الشمس : ٢]، أي:" وأقسم بالقمر إذا تبعها في الطلوع والأفول"(٣٣٩٩).

عن مجاهد: "{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}، قال: تبعها"(٣٤٠٠).

قال مجاهد:" يعني: الشمس إذا تبعها القمر"(٣٤٠١).

قال قتادة:" يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رُؤي الهلال"(٣٤٠٢).

قال قتادة:" إذا تلاها ليلة الهلال"(٣٤٠٣).

قوله تعالى:{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} [الشمس : ٣]، أي:" وأقسم بالنهار إذا جلَّى الظلمة وكشفها"(٣٤٠٤).

عن قتادة :"{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا}، قال: إذا غشيها النهار"(٣٤٠٥).

(٣٣٩٢) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٣٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.

(٣٣٩٤) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٤.

(٣٣٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.

(٣٣٩٦) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٤، وانظر: تفسير مجاهد: ٧٣٢.

(٣٣٩٧) تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.

(٣٣٩٨) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٣١/٥.

(٣٣٩٩) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤٠٠) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.

(٣٤٠١) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.

(٣٤٠٢) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.

(٣٤٠٣) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.

(٣٤٠٤) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

قال مجاهد:" يعني: إذا أضاء"[٣٤٠٦].

عن يزيد بن ذي حمامة، قال : "إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله : غشي عبادي خلقي العظيم، فالليل يهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب"[٣٤٠٧].

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} [الشمس : ٤]، أي:" وأقسم بالليل عندما يغطي الأرض فيكون ما عليها مظلمًا"[٣٤٠٨].

عن قتادة: "{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}: إذا غَشَّاها الليل"[٣٤٠٩].

قال مجاهد:" يغشاها الليل"[٣٤١٠].

قوله تعالى:{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} [الشمس : ٥]، أي:" وأقسم بالسماء وبنائها المحكم"[٣٤١١].

وفي «ما»، قولان[٣٤١٢]:

أحدهما: بمعنى «مَن» تقديره «والسماء وبانيها»، قاله الحسن[٣٤١٣]، ومجاهد[٣٤١٤].

عن مجاهد: "{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا}، قال: الله بنى السماء"[٣٤١٥].

الثاني: أنها بمعنى المصدر، تقديره: والسماء وبنائها ، وهذا مذهب قتادة[٣٤١٦].

عن قتادة: "{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا}، وبناؤها: خَلْقُها"[٣٤١٧].

وكلاهما متلازم، والبناء هو الرفع، كقوله :{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ}، أي : بقوة {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} [الذاريات : ٤٧، ٤٨][٣٤١٨].

قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} [الشمس : ٦]، أي:" وأقسم بالأرض وبَسْطها"[٣٤١٩].

عن مجاهد:"{وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}، قال: دحاها"[٣٤٢٠].

قوله تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس : ٧]، أي:" وأقسم بكل نفس وإكمال الله خلقها لأداء مهمتها"[٣٤٢١].

قال مجاهد:" سوى خلقها ولم ينقص منه شيئا"[٣٤٢٢].

قوله تعالى:{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [الشمس : ٨]، أي:" فبيَّن لها طريق الشر وطريق الخير"[٣٤٢٣].

عن مجاهد :"{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}، قال: عَرَّفَها"[٣٤٢٤].

(٣٤٠٥) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٤.

(٣٤٠٦) تفسير مجاهد: ٧٣٢.

(٣٤٠٧) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير" : ٤١١/٨.

(٣٤٠٨) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤٠٩) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٤.

(٣٤١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٤٠):ص٣٤٣٧/١٠.

(٣٤١١) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤١٢)وكذلك القول في: {وَمَا طَحَاهَا} [الشمس : ٦]، {وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس : ٧].

(٣٤١٣) انظر: زاد المسير: ٤٥٠/٤.

(٣٤١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.

(٣٤١٥) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٤.

(٣٤١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.

(٣٤١٧) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٤.

(٣٤١٨) تفسير ابن كثير: ٤١١/٨.

(٣٤١٩) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤٢٠) أخرجه الطبري: ٤٥٤/٢٤.

(٣٤٢١) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٤١):ص٣٤٣٧/١٠.

(٣٤٢٣) التفسير الميسر: ٥٩٥.

قال مجاهد:" عرفها الشقاء والسعادة"[٣٤٢٥].
قال قتادة:" فبَيَّن لها فجورها وتقواها"[٣٤٢٦].
قال سعيد بن جبير:" ألزمها الفجور والتقوى"[٣٤٢٧].
قال الضحاك:" بين لها الطاعة والمعصية"[٣٤٢٨].

عن أبي الأسود الدّيلي، قال: "قال لي عمران بن حُصين: أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم من قَدَرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام، وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قُضِيَ عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلما؟ قال: ففزعت منه فزعا شديدا، قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خَلْقُه، ومِلْكُ يده، {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}، قال: سددّك الله، إنما سألتك "أظنه أنا" لأخْبُرَ عقلك. إن رجلا من مُزَينة أو جهينة، أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم، ومضى عليهم من قدر سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه السلام وأكّدت به عليهم الحجة؟ قال: "فِي شَيء قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ"؛ قال: ففيم نعملُ؟ قال: "مَنْ كانَ اللهُ خَلَقَهُ لإحْدَى المَنزلتَين يُهَيِّئُهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلكَ فِي كِتَابِ اللهِ: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}"[٣٤٢٩].

قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس : ٩]، أي:" قد فاز مَن طهَّرها ونمَّاها بالخير"[٣٤٣٠].
قال قتادة:" قد وقع القسم -ها هنا- :{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}"[٣٤٣١].
عن مجاهد، وسعيد بن جُبير، وعكرمة: "{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}، قالوا: من أصلحها"[٣٤٣٢].
قال قتادة:" قد أفلح من زكّى نفسَه بعمل صالح[٣٤٣٣].
قال قتادة:" من عمل خيرا زكَّاها بطاعة الله"[٣٤٣٤].

عن أبي هريرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ :{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} قال : "اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[٣٤٣٥].

عن صالح بن سُعَيد، عن عائشة : أنها فَقَدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه، فلمسته بيدها، فوقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول : "رب، أعط نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها"[٣٤٣٦].

قوله تعالى:{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس : ١٠]، أي:" وقد خسر مَن أخفى نفسه في المعاصي"[٣٤٣٧].

وفي قوله تعالى:{دَسَّاهَا} [الشمس : ١٠]، وجهان من التفسير:

(٣٤٢٤) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(٣٤٢٥) تفسير مجاهد: ٧٣٢.
(٣٤٢٦) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(٣٤٢٧) تفسير مجاهد: ٧٣٢.
(٣٤٢٨) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٤.
(٣٤٢٩) تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٤-٤٥٦، والمسند (٤٣٨/٤) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٠).
(٣٤٣٠) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٣٤٣١) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.
(٣٤٣٢) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(٣٤٣٣) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(٣٤٣٤) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٤.
(٣٤٣٥) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير: ٤١٣/٨، ورواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٣١٨) عن يعقوب بن حميد به.
(٣٤٣٦)المسند (٢٠٩/٦).
(٣٤٣٧) التفسير الميسر: ٥٩٥.

أحدهما : أغواها وأضلها، قاله مجاهد[٣٤٣٨]، وسعيد بن جبير[٣٤٣٩]، لأنه دسّى نفسه في المعاصي ، ومنه قول الشاعر[٣٤٤٠]:

فأنتَ الذي دَسَّيْتَ عَمْراً فأصبحتْ ... حلائلُه منه أراملَ ضُيَّعاً

عن خصيف، عن مجاهد، وسعيد بن جُبير :"{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، قال أحدهما: أغواها، وقال الآخر: أضلّها"[٣٤٤١].

عن مجاهد :"{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}، قال: أضلّها، وقال سعيد: مَنْ أغواها"[٣٤٤٢].

عن مجاهد: "{مَنْ دَسَّاهَا}، قال: أغواها"[٣٤٤٣].

قال مجاهد:" خاب من أغواه الله عز وجل"[٣٤٤٤].

الثاني : أثمها وأفجرها، قاله قتادة[٣٤٤٥].

القرآن

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)} [الشمس : ١١-١٥]

التفسير:

كذَّبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان، إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة، فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شِرْب يوم ولكم شِرْب يوم معلوم. فشق عليهم ذلك، فكذبوه فيما توعَّدهم به فنحروها، فأطبق عليهم ربهم العقوبة بجرمهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يُفْلِت منهم أحد. ولا يخاف -جلت قدرته- تبعة ما أنزله بهم من شديد العقاب.

قوله تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} [الشمس : ١١]، أي:" كذَّبت ثمود نبيها ببلوغها الغاية في العصيان"[٣٤٤٦].

وفي قوله تعالى:{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} [الشمس : ١١]، وجهان من التفسير:

أحدهما : كذّبت ثمود بطغيانها ومعصيتها، قاله مجاهد[٣٤٤٧]، وقتادة[٣٤٤٨].

عن قتادة :"{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}، أي: الطغيان"[٣٤٤٩].

قال مجاهد:" بمعصيتها"[٣٤٥٠].

الثاني : بأجمعها ، قاله محمد بن كعب[٣٤٥١].

(٣٤٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٣٤٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٣٤٤٠)البيت في اللسان «دسا»، وقد جعل «عمرا»، قبيلة من القبائل، وأنشده:

وأنت الذي دَسَّيت عَمْراً فأصبحت ... نِساؤُهُمُ منهم أراملُ ضُيَّعُ

أنشده ابن الأعرابي لرجل من طيئ، وهو في مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٧ بالرواية التي أثبتناها.

(٣٤٤١) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٣٤٤٢) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٣٤٤٣) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٤.

(٣٤٤٤) تفسير مجاهد: ٧٣٣.

(٣٤٤٥) انظر: تفسيرا لطبري: ٤٥٨/٢٤.

(٣٤٤٦) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣٤٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٤-٤٥٩.

(٣٤٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٤.

(٣٤٤٩) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٤.

(٣٤٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٤٠):ص٣٤٣٧/١٠. والطبري٤٥٨/٢٤-٤٥٩، بلفظ: "معصيتها".

عن محمد بن كعب:"{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}، قال: بأجمعها"[٣٤٥٢].

قوله تعالى:{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} [الشمس : ١٢]، أي:" إذ نهض أكثر القبيلة شقاوة لعقر الناقة"[٣٤٥٣].

عن قتادة :"{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}، يعني: أُحَيْمِرَ ثَمود"[٣٤٥٤].

عن عبد الله بن زَمْعة، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر في خطبته الناقة، والذي عَقَرها، فقال: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}، انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَة"[٣٤٥٥].

قوله تعالى:{فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس : ١٣]، أي:" فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: احذروا أن تمسوا الناقة بسوء؛ فإنها آية أرسلها الله إليكم، تدل على صدق نبيكم، واحذروا أن تعتدوا على سقيها، فإن لها شِرْب يوم ولكم شِرْب يوم معلوم"[٣٤٥٦].

عن قتادة:"{فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}، قسْم الله الذي قسم لها من هذا الماء"[٣٤٥٧].

قال محمد بن إسحاق:" فمكثت الناقة التي أخرج الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر، وتشرب الماء، فقال لهم صالح: هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم"[٣٤٥٨].

قوله تعالى:{ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا (١٣) فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا} [الشمس : ١٤]، أي:" فكذبوا نبيه صالحاً وقتلوا الناقة، ولم يتلفتوا إلى تحذيره، فأطبق عليهم ربهم العقوبة بجرمهم، فجعلها عليهم على السواء فلم يُفْلِت منهم أحد"[٣٤٥٩].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن أحيمر ثمود أبى أن يعقرها، حتى بايعه صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها"[٣٤٦٠].

قال الحسن:" لما عقروا الناقة طلبوا فصيلها، فصار في قارة الجبل، فقطع الله قلوبهم"[٣٤٦١].

قوله تعالى:{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : ١٥]، أي:" ولا يخاف -جلت قدرته- تبعة ما أنزله بهم من شديد العقاب"[٣٤٦٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس : ١٥]، وجهان:

أحدهما : ولا يخاف الله عقبى ما صنع بهم من الهلاك، قاله الحسن[٣٤٦٣]، وقتادة[٣٤٦٤]، وبكر بن عبد الله المزنيّ[٣٤٦٥].

عن بكر بن عبد الله المزنيّ :"{وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا}، قال: لا يخاف الله التبعة"[٣٤٦٦].

(٣٤٥١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٣٤٥٢) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٣٤٥٣) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٣٤٥٤) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٣٤٥٥)المسند (١٧/٤) وصحيح البخاري برقم (٤٩٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٥)، وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٣)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٧٥)، وتفسير الطبري: ٤٥٩/٢٤.
(٣٤٥٦) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٣٤٥٧) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٣٤٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٩):ص١٥١٣/٥.
(٣٤٥٩) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٣٤٦٠) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٣٤٦١) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٤.
(٣٤٦٢) التفسير الميسر: ٥٩٥.
(٣٤٦٣) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٦٤) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٦٦) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.

قال الحسن:" لا يخاف تبعتهم"[٣٤٦٧].
قال الحسن:" ذاك ربنا تبارك وتعالى، لا يخاف تبعة مما صنع بهم"[٣٤٦٨].
قال الحسن:" ذلك الربّ صنع ذلك بهم، ولم يخف تبعة"[٣٤٦٩].
قال قتادة:" لا يخاف أن يتبع بشيء مما صنع بهم"[٣٤٧٠].
الثاني : لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع من عقرها ، قاله الضحاك[٣٤٧١]، والسدي[٣٤٧٢].
قال الضحاك والسدي:" لم يخف الذي عقرها عقباها"[٣٤٧٣].
قال السدي:" لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع"[٣٤٧٤]. وفي لفظ:" الذي لا يخاف الذي صنع، عُقْبَى ما صنع"[٣٤٧٥].
والقول الأول أولى ؛ لدلالة السياق عليه، -والله أعلم-[٣٤٧٦].
وقرئ: «فَلا يَخافُ عُقْبَاهَا»، بالفاء[٣٤٧٧].

«آخر تفسير سورة (الشمس)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٤٦٧) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٦٨) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٦٩) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٧٠) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٧١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤-٤٦٢.
(٣٤٧٣) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٤.
(٣٤٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٤):ص٣٤٣٨/١٠.
(٣٤٧٥) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٤.
(٣٤٧٦) تفسير ابن كثير: ٤١٥/٨.
(٣٤٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦١/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الليل»

«سورة الليل»: هي السورة الثانية والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الأعلى»، وقبل «سورة الفجر» وآياتها إحدى وعشرون بلا خلاف. وكلماتها إحدى وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وعشر. فواصل آياتها على «الألف»[٣٤٧٨].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة {والليل إذا يغشى} بمَكَّة"[٣٤٧٩]. وروي عن ابن الزبير مثله[٣٤٨٠].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٣٤٨١].

قال القرطبي:" سورة «والليل» مكية. وقيل: مدنية"[٣٤٨٢].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول الجمهور، وقال المهدوي وقيل هي مدنية وقيل فيها مدني"[٣٤٨٣].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية. وقال علي بن أبي طلحة: مدنية. وقيل: فيها مدني"[٣٤٨٤].

وكذلك ذكر الأقوال في «الإتقان»[٣٤٨٥]، وأشار إلى أن ذلك لما روي من سبب نزول قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} [الليل : ٥]، إذ روي: «أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري[٣٤٨٦]، في نخلة كان يأكل أيتام من ثمرها وكانت لرجل من المنافقين فمنعهم من ثمرها فاشتراها أبو الدحداح بنخيل وجعلها لهم»[٣٤٨٧]. وسيأتي تفصيل ذلك-إن شاء الله-.

(٣٤٧٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٣/١.

(٣٤٧٩) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٤٨٠) انظر: الدر المنثور: ٥٣٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٤٨١) زاد المسير: ٤٥٣/٤.

(٣٤٨٢) تفسير القرطبي: ٧٢/٢٠.

(٣٤٨٣) المحرر الوجيز: ٤٩٠/٥.

(٣٤٨٤) البحر المحيط في التفسير: ٤٩١/١٠.

(٣٤٨٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٥٢/١، قال السيوطي:" الأشهر أنها مكية وقيل: مدنية لما ورد في سبب نزولها من قصة النخلة كما أخرجناه في أسباب النزول وقيل فيها مكي ومدني".

(٣٤٨٦)أبو الدحداح: ثابت بن الدحداح البلوي، حليف الأنصار، صحابي جليل، قتل في واقعة أحد، وقيل: مات بعدها من جرح كان به حين رجع النبيء صلى الله عليه وسلم من الحديبية، وصلى عليه النبيء صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو الذي صاح يوم أحد لما أرجف المشركون بموت النبيء صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار إلي إلي أنا ثابت بن الدحداح إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، فقاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم.

(٣٤٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٥):ص٣٤٣٩/١٠-٣٤٤٠ ، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٧٧، والدر المنثور: ٢٣٢/٨-٢٣٣. في إسناده: حفص بن عمر بن ميمون العدني.

قال الحافظ في التقريب: ضعيف [تقريب ١/ ١٨٨] ، وقال ابن حبان: "يروي عن مالك وأهل المدينة كان ممن يقلب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

القرآن

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)} [الليل : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها، وبالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضيائه، وبخلق الزوجين: الذكر والأنثى. إن عملكم لمختلف بين عامل للدنيا وعامل للآخرة.

في سبب نزول السورة، قولان:

أحدهما: عن ابن مسعود:" أن أبا بكر الصديق اشترى بلالا من أمية بن خلف، ببردة، وعشر أواق، فأعتقه، لله فأنزل الله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، إلى قوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل : ٤]، سعي أبي بكر، وأمية وأبيّ إلى قوله: {وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٩]، قال: لا إله إلا الله إلى قوله: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل : ١٠]، قال: النار"[٣٤٨٨].

الثاني: عن عكرمة عن ابن عباس: "أن رجلا كان له نخل ومنها نخلة فرعها إلى دار رجل صالح فقير ذي عيال، فإذا جاء الرجل فدخل داره وأخذ الثمر من نخلته فتسقط الثمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فنزل من نخلته فنزع الثمرة من يديه، وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل إصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «اذهب» ولقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم، فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة، فقال الرجل: يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتها أتعطيني بها ما عطيته بها نخلة في الجنة؟ قال: نعم، ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له: أخبرك أن محمدا أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة، فقلت له: قد أعطيت، ولكني يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له: أتراك إذا بعتها؟ قال: لا إلا أن أعطى بها شيئا، ولا أظنني أعطاه قال: وما مناك بها؟ قال: أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال: أشهد لي إن كنت صادقا، فأمر بأناس فدعاهم فقال: اشهدوا أني قد أعطيته من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان، ثم قال: ما تقول؟ فقال صاحب النخلة: قد رضيت ثم قال بعد: ليس بيني وبينك بيع لم تفترق، قال له: قد أقالكم الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة، فقال صاحب النخلة: قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال: تعطينيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال: هي لك على ساق وأوقف له شهودا وعد له أربعين نخلة على ساق، فتفرقا، فذهب الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسولا لله صلى الله عليه وسلم إلى الرجل صاحب الدار فقال له: «النخلة لك ولعيالك»، قال عكرمة: قال ابن عباس: فأنزل الله عز وجل: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، إلى قوله: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)} [الليل : ٥ - ١٠]، إلى آخر السورة"[٣٤٨٩]. [ضعيف]

(٣٤٨٨) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٥٣ عن عبد الله بن مسعود به، وإسناده ضعيف، فيه انقطاع بين أبي إسحاق السبيعي وابن مسعود، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٩):ص١٠/٣٤٤٠.

(٣٤٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٥):ص١٠/٣٤٣٩-٣٤٤٠ ، والواحدي في أسباب النزول ٤٧٧، وفي «الوسيط» ٤/ ٥٠٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨/٢٣٢-٢٣٣. سنده ضعيف.

قال الحافظ ابن كثير٨/٤٢٠: " وهو حديث غريب جدًا "

وإسناده واه لأجل حفص بن عمر بن ميمون، ضعفه الحافظ في «التقريب».

قال الحافظ في التقريب: ضعيف، [تقريب ١/ ١٨٨] ، وقال ابن حبان: "يروي عن مالك وأهل المدينة كان ممن يقلب الأسانيد لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد".

قلت: الجمهور على أن السورة نزلت في أبي بكر-رضي الله عنه-، ثم إن السورة مكية، وذاك أنصاري؟!- والله أعلم بالصواب-.

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، أي: "أقسم بالليل عندما يغطي بظلامه الأرض وما عليها"[٣٤٩٠].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} [الليل : ١]، وجوه:

أحدها : إذا أظلم، قاله مجاهد[٣٤٩١].

الثاني : إذا غشى الخلائق فعّمهم وملأهم، قاله قتادة[٣٤٩٢].

الثالث : إذا أقبل فغطى كل شيء، قاله سعيد بن جبير[٣٤٩٣].

قوله تعالى:{وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [الليل : ٢]، أي:" وأقسم بالنهار إذا انكشف عن ظلام الليل بضيائه"[٣٤٩٤].

وفي قوله تعالى:{وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} [الليل : ٢]، وجهان:

أحدهما : إذا أضاء، قاله مجاهد[٣٤٩٥].

الثاني : إذا ظهر، وهو مقتضى قول ابن جبير[٣٤٩٦].

عن قتادة، قوله :"{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}، قال: آيتان عظيمتان يكوّرهما الله على الخلائق"[٣٤٩٧].

قوله تعالى:{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} [الليل : ٣]، أي:" وأقسم بخلق الزوجين: الذكر والأنثى"[٣٤٩٨].

قال الحسن: "هما آدم وحواء"[٣٤٩٩] [٣٥٠٠].

وفي «ما»، قولان:

أحدهما: أنها بمعنى المصدر، تقديره: وخلق الذكر والأنثى ، وهذا مذهب قتادة[٣٥٠١].

الثاني: أنها بمعنى: «مَن»، تقديره: «ومن خلق الذكر والأنثى»، وهذا مذهب الحسن[٣٥٠٢]، ومجاهد[٣٥٠٣].

عن الحسن:" أنه كان يقرؤها: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}، يقول: والذي خلق الذكر والأنثى"[٣٥٠٤].

عن الحسن:" أنه كان يقرأها: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى}، يقول: والذي خلق الذكر والأنثى؛ قال هارون قال أبو عمرو: وأهل مكة يقولون للرعد: «سبحان ما سبَّحْتَ له»"[٣٥٠٥].

(٣٤٩٠) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤٩١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٦.

(٣٤٩٢) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٦.

(٣٤٩٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٦):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٤٩٤) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤٩٥) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٦.

(٣٤٩٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٦):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٤٩٧) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٤.

(٣٤٩٨) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]

(٣٤٩٩) نقلا عن: البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠.

(٣٥٠٠)قال أبو وحيان:" الظاهر عموم الذكر والأنثى. وقيل: من بني آدم فقط لاختصاصهم بولاية الله تعالى وطاعته". [البحر المحيط في التفسير: ٤٩٢/١٠].

(٣٥٠١) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.

(٣٥٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٧/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٥٧):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٥٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٣/٢٤.

(٣٥٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٧):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٥٠٥) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٤.

فيحتمل أن تجعل «ما» بمعنى «مَنْ»، فيكون ذلك قسما من الله جلّ ثناؤه بخالق الذّكر والأنثى، وهو ذلك الخالق، وأن تجعل «ما» مع ما بعدها بمعنى المصدر، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثى"[٣٥٠٦].

عن عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء: أنهما كانا يقرآن ذلك :«والذَّكَرِ والأنْثَى»، ويأثُرُه أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣٥٠٧].

عن قتادة: "{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنْثَى}، قال: في بعض الحروف «والذَّكَرِ والأنْثَى»"[٣٥٠٨].

عن أبي إسحاق قال: "في قراءة عبد الله: «وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى والنَّهارِ إذَا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأنْثَى»[٣٥٠٩].

عن المُغيرة، قال: سمعت إبراهيم يقول: "أتى علقمة الشام، فقعد إلى أبي الدرداء، فقال: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، فقال: كيف كان عبد الله يقرأ هذه الآية: {وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إذَا تَجَلَّى}، فقلت: «وَالذَّكَرِ والأنْثَى» قال: فما زال هؤلاء حتى كادوا يستضلُّونني، وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣٥١٠].

عن علقمة، قال: "قَدِمت الشام، فلقيت أبا الدرداء، فقال: من أين أنت؟ فقلت من أهل العراق؟ قال: من أيَّها؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: هل تقرأه قراءة ابن أمّ عبد؟ قلت: نعم، قال: اقرأ: {وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى}، قال: فقرأت: «وَاللَّيْلِ إذَا يَغْشَى والنَّهارِ إذَا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأنْثَى»، قال: فضحك، ثم قال: هكذا سمعت مِنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٣٥١١].

قوله تعالى:{إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل : ٤]، أي:" إن عملكم لمختلف بين عامل للدنيا وعامل للآخرة"[٣٥١٢].

قال عكرمة:" السعي: العمل"[٣٥١٣].

عن قتادة:"{إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}، يقول: لمختلف"[٣٥١٤].

قال قتادة:" وقع القسم -ها هنا-: {إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}"[٣٥١٥].

عن زيد بن أسلم -من طريق إبراهيم بن سويد- في هذه الآية: "{يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله} [الجمعة: ٩]، قال: النداء حين يخرج الإمام. وكان يقول السعي: العمل؛ إنّ الله يقول: {إن سعيكم لشتي}، وقال: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها} [الإسراء: ١٩]"[٣٥١٦].

قال مالك بن أنس: "وإنما السعي في كتاب الله العمل والفعل، يقول الله -تبارك وتعالى-: {وإذا تَوَلّى سَعى فِي الأرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: {وأمّا مَن جاءَكَ يَسْعى وهُوَ يَخْشى} [عبس: ٨ - ٩]، وقال: {ثم أدبر يسعى} [النازعات: ٢٢]، وقال: {إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى}. قال مالك: فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عنى: العمل والفعل"[٣٥١٧].

القرآن

(٣٥٠٦) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٤.
(٣٥٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٣٥٠٨) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٤.
(٣٥٠٩) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٣٥١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٣٥١١) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٤.
(٣٥١٢) التفسير الميسر: ٥٩٥.[بتصرف]
(٣٥١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٥٨):ص٣٤٤٠/١٠.
(٣٥١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٤-٤٦٨.
(٣٥١٥) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٤.
(٣٥١٦)أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢٠٠.
(٣٥١٧)الموطأ (ت: د. بشار عواد) ١/ ١٦٣ (٢٨٦).

{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)} [الليل : ٥-٧]

التفسير:

فأمَّا من بذل من ماله واتقى الله في ذلك، وصدَّق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء، فسنرشده ونوفقه إلى أسباب الخير والصلاح ونيسِّر له أموره.

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} [الليل : ٥]، أي:" فأمَّا من بذل من ماله واتقى الله في ذلك"[٣٥١٨].

وفي قوله تعالى:{أَعْطَى} [الليل : ٥]، وجهان:

أحدهما : أعطى حق الله عليه. قال قتادة[٣٥١٩].

الثاني: يقول: من ذكر الله. قاله الضحاك[٣٥٢٠].

وفي قوله تعالى:{وَاتَّقَى} [الليل : ٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها: اتقى ربه. قاله الضحاك[٣٥٢١].

الثاني : اتقى محارم الله التي نهى عنها، قال قتادة[٣٥٢٢].

قال قتادة:" واتقى محارمه"[٣٥٢٣].

الثالث : اتقى البخل ، قاله مجاهد[٣٥٢٤] .

قوله تعالى:{وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٦]، أي:" وصدَّق بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء"[٣٥٢٥].

وفي تفسير قوله تعالى: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٦]، أقوال:

أحدها : بتوحيد الله ، وهو قول :«لا إله إلا الله»، به قال الضحاك[٣٥٢٦]، وعطاء[٣٥٢٧].

عن أبي الزبير، قال: " قرئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل: ٦]، قال: "بـ «لا إله إلا الله»"[٣٥٢٨].

عن يحيى بن أبي أنيسة:" أنه سأل عطاء بن أبي رباح عن قول الله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل : ٨٩]، قال عطاء: من جاء بالتوحيد فله خير وقوة، {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} [النمل : ٩٠]، فقال عطاء: من جاء بالشرك؛ قال: وسمعت عطاء يقول: ألم تسمع لقوله: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)} [الليل : ٥ - ٦]، يقول: من صدق بالتوحيد، {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)} [الليل : ٨ - ٩]، كذب بالتوحيد"[٣٥٢٩].

الثاني : بموعود الله الذي وعده أن يثيبه، قاله قتادة[٣٥٣٠].

قال قتادة:" صدق المؤمن بموعد الله الحسن"[٣٥٣١].

(٣٥١٨) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣٥١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٥٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤.

(٣٥٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤.

(٣٥٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٥٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٥٢٤) انظر: النكت والعيون: ٢٨٧/٦، والبحر المحيط في التفسير: ٤٩٤/١٠.

(٣٥٢٥) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣٥٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤.

(٣٥٢٧) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.

(٣٥٢٨) مسند أبي حنيفة رواية الحصفكي، الرقم(١٥).

(٣٥٢٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.

(٣٥٣٠) انظر: تفسير: ابن أبي حاتم (١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١، وتفسير عبدالرزاق(٣٦٣١):ص٤٣٣/٣.

(٣٥٣١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٣١):ص٤٣٣/٣.

قال قتادة:" بموعود الله على نفسه"[٣٥٣٢].

وعن خصيف: قال:" بالثواب"[٣٥٣٣].

الثالث : بالجنة ، قاله مجاهد[٣٥٣٤]، والحسن[٣٥٣٥]، يدل عليه قوله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦].

قال الحسن : "الحسنى : الجنة"[٣٥٣٦].

عن أبيّ بن كعب قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «الحسنى»، قال: «الحسنى: الجنة[٣٥٣٧]»"[٣٥٣٨].

الرابع : بالصلاة والزكاة والصوم ، قاله زيد بن أسلم[٣٥٣٩].

الخامس : بما أنعم الله عليه، قاله عطاء[٣٥٤٠].

السادس : بالخَلَف من الله، لقوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ } [سبأ : ٣٩]. به قال الحسن[٣٥٤١].

قوله تعالى:{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل : ٧]، أي:" فسنرشده ونوفقه إلى أسباب الخير والصلاح ونيسِّر له أموره"[٣٥٤٢].

عن زيد بن أسلم: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى}، قال: الجنة"[٣٥٤٣].

عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : "كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه : أي بني، أراك تعتق أناسًا ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالا جُلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك ؟! فقال : أيْ أبَت، إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله : قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه :{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}"[٣٥٤٤].

عن ابن عُمَر : قال : قال عمر : "يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه ؟ أفي أمر قد فُرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال : " فيما قد فُرغَ منه، فاعمل يا ابن الخطاب، فإن كُلا مُيَسَّر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء"[٣٥٤٥].

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)} [الليل : ٨-٩]

التفسير:

وأما مَن بخل بماله واستغنى عن جزاء ربه، وكذَّب بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء.

(٣٥٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠.

(٣٥٣٣) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٣٥٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤-٤٧٣.

(٣٥٣٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٤٩٣/١٠.

(٣٥٣٦) تفسير مجاهد: ٤٧٥.

(٣٥٣٧) في تفسير ابن أبي حاتم: «الجن» وهو تصحيف، والصحيح ما ثبتناه.

(٣٥٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٣):ص٣٤٤١/١٠. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.

(٣٥٣٩) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٣٥٤٠) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٣٥٤١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٣٥٤٢) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣٥٤٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٤):ً٣٤٤١/١٠.

(٣٥٤٤) أخرجه الطبري: ٤٧١/٢٤.

(٣٥٤٥) المسند (٥٢/٢) وسنن الترمذي برقم (٢١٣٥).

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى} [الليل : ٨]، أي:" وأما مَن بخل بماله واستغنى عن جزاء ربه"[٣٥٤٦].

وفي قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ} [الليل : ٨]، وجهان:

أحدهما : بخل بماله الذي لا يبقى، قاله الحسن[٣٥٤٧].

قال الحسن:" بخل بما لم يَبقَ، واستغنى بغير غِنًى"[٣٥٤٨].

الثاني : بخل بحق الله تعالى ، قاله قتادة[٣٥٤٩].

عن قتادة:" {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ}، قال: بحق الله عليه، {وَاسْتَغْنَى}: في نفسه عن ربه"[٣٥٥٠].

قوله تعالى:{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٩]، أي:" وكذَّب بـ «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، وما ترتب عليها من الجزاء"[٣٥٥١].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى} [الليل : ٩]، أقوال:

أحدها : بتوحيد الله ، وهو قول :«لا إله إلا الله»، به قال الضحاك[٣٥٥٢]، وعطاء[٣٥٥٣].

قال عطاء:" كذب بالتوحيد"[٣٥٥٤].

الثاني : بموعود الله الذي وعده أن يثيبه، قاله قتادة[٣٥٥٥].

قال قتادة:" وكذّب بموعود الله الذي وعد، قال الله: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}"[٣٥٥٦].

قال قتادة:" وكذّب الكافر بموعود الله الحسن"[٣٥٥٧].

الثالث : بالجنة ، قاله مجاهد[٣٥٥٨]، يدل عليه قوله: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦].

عن أبيّ بن كعب قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «الحسنى»، قال: «الحسنى: الجنة[٣٥٥٩]»"[٣٥٦٠].

الرابع : بالصلاة والزكاة والصوم ، قاله زيد بن أسلم[٣٥٦١].

الخامس : بما أنعم الله عليه، قاله عطاء[٣٥٦٢].

السادس : بالخَلَف من الله، لقوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ : ٣٩]. به قال الحسن[٣٥٦٣].

القرآن

(٣٥٤٦) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣٥٤٧) أخرجه أحمد في الزهد ص ٣٤٩.

(٣٥٤٨)أخرجه أحمد في الزهد ص ٣٤٩، وانظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦.

(٣٥٤٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١.

(٣٥٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١.

(٣٥٥١) التفسير الميسر: ٥٩٥.

(٣٥٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤.

(٣٥٥٣) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.

(٣٥٥٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٢/١.

(٣٥٥٥) انظر: تفسير: الطبري: ٤٧٢/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٦٢):ص٣٤٤٠/١٠-٣٤٤١، وتفسير عبدالرزاق(٣٦٣١):ص٤٣٣/٣.

(٣٥٥٦) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٤.

(٣٥٥٧) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٤.

(٣٥٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٤-٤٧٣.

(٣٥٥٩) في تفسير ابن أبي حاتم: «الجن» وهو تصحيف، والصحيح ما ثبتناه.

(٣٥٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٦٣):ص٣٤٤١/١٠. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤١٧/٨.

(٣٥٦١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٣٥٦٢) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

(٣٥٦٣) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٦، وزاد المسير: ٤٥٤/٤.

{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١)} [الليل : ١٠-١١]

التفسير:

فسنُيَسِّر له أسباب الشقاء، ولا ينفعه ماله الذي بخل به إذا وقع في النار.

قوله تعالى:{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل : ١٠]، أي:" فسنُيَسِّر له أسباب الشقاء"(٣٥٦٤).

قال الضحاك:" للنار"(٣٥٦٥).

قوله تعالى:{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} [الليل : ١١]، أي:" ولا ينفعه ماله الذي بخل به إذا وقع في النار"(٣٥٦٦).

وفي قوله تعالى:{إِذَا تَرَدَّى} [الليل : ١١]، وجهان:

أحدهما : إذا تردّى في النار ، قاله أبو صالح(٣٥٦٧)، وقتادة(٣٥٦٨).

الثاني : إذا مات فتردى في قبره ، قاله مجاهد(٣٥٦٩).

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إذا تردّى في جهنم، لأن ذلك هو المعروف من التردّي، فأما إذا أُريد معنى الموت، فإنه يقال: رَدِيَ فلان، وقلما يقال: تردّى(٣٥٧٠).

القرآن

{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣)} [الليل : ١٢-١٣]

التفسير:

إن علينا بفضلنا وحكمتنا أن نبيِّن طريق الهدى الموصل إلى الله وجنته من طريق الضلال، وإن لنا ملك الحياة الآخرة والحياة الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} [الليل : ١٢]، أي:" إن علينا بفضلنا وحكمتنا أن نبيِّن طريق الهدى الموصل إلى الله وجنته من طريق الضلال"(٣٥٧١).

قال قتادة:" على الله البيان، بيانُ حلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته"(٣٥٧٢).

القرآن

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤)} [الليل : ١٤]

التفسير:

فحذَّرتكم -أيها الناس- وخوَّفتكم نارًا تتوهج، وهي نار جهنم.

عن مجاهد:" {نارًا تَلَظّى}، قال: توهّج"(٣٥٧٣).

عن عمرو بن دينار قال، «فاتت عبيد بن عمير ركعة من المغرب، فقام يقضيها فسمعته يقرأ: «فأنذرتكم نارا تتلظى». قال الفراء: ورأيتها في مصحف عبد الله: «تتلظى» بتاءين(٣٥٧٤).

(٣٥٦٤) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٥٦٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٥٠/٥.

(٣٥٦٦) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٥٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.

(٣٥٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.

(٣٥٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.

(٣٥٧٠) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٤.

(٣٥٧١) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٥٧٢) أخرجه الطبري: ٤٧٧/٢٤.

(٣٥٧٣)تفسير مجاهد ص ٧٣٤، وأخرجه الفريابي -كما في التغليق ٤/ ٣٧٠، وفتح الباري ٨/ ٧٠٦ - ، والطبري: ٤٧٨/٢٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣٥٧٤) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٢٧٢/٣.

عن سعيد بن أبي أيوب، يقول: "صلّى بنا رزيق بن حكيم، قال: حَسِبْتُ المغرب، فقرأ فيها بالليل إذا يغشى، فسمعتُه يقول: (نارًا تَتَلَظّى)"[٣٥٧٥].

القرآن

{لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦)} [الليل : ١٥-١٦]

التفسير:

لا يدخلها إلا مَن كان شديد الشقاء، الذي كذَّب نبي الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وأعرض عن الإيمان بالله ورسوله، وطاعتهما.

عن الحسن:" {لا يَصْلاها إلّا الأشْقى الّذِي كَذَّبَ وتَوَلّى}، قال: المُشرك"[٣٥٧٦].

عن الحسن -من طريق الحسن بن دينار- قال: "قيل له: أين أطفال المشركين؟ قال: في الجنة. فقيل له: عَمَّن؟ قال: قلتُ: عن الله - عز وجل -؛ قال الله -تبارك وتعالى-: {لا يَصْلاها إلّا الأشْقى الّذِي كَذَّبَ وتَوَلّى} وهذا لم يُكذِّب ولم يتولَّ"[٣٥٧٧].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يدخل النار إلا شقيٌّ». قيل: ومَن الشقي؟ قال: «الذي لا يعمل لله بطاعة، ولا يترك لله معصية»[٣٥٧٨].

عن أبي هريرة، قال: "لتدخلن الجنة إلا من يأبى، قالوا: يا أبا هريرة: ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: فقرأ: {الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}"[٣٥٧٩].

القرآن

{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)} [الليل : ١٧-٢١]

التفسير:

وسيُزحزَح عنها شديد التقوى، الذي يبذل ماله ابتغاء المزيد من الخير. وليس إنفاقه ذاك مكافأة لمن أسدى إليه معروفا، لكنه يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى ورضاه، ولسوف يعطيه الله في الجنة ما يرضى به.

قوله تعالى:{وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى(١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل : ١٩]، أي:" وليس إنفاقه ذاك مكافأة لمن أسدى إليه معروفا، لكنه يبتغي بذلك وجه ربه الأعلى ورضاه"[٣٥٨٠].

قال قتادة:" يقول: ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم، إنما عطيته لله"[٣٥٨١].

عن قتادة، في قوله "{وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى}، قال: نزلت في أبي بكر، أعتق ناسا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا، ستة أو سبعة، منهم بلال، وعامر بن فُهَيرة"[٣٥٨٢].

قال سعيد بن المسيّب: "بلغني: أنّ أُميّة بن خلف قال لأبي بكر حين قال له أبو بكر: أتبيعه؟ قال: نعم أبيعه بنسطاس. وكان نسطاس عبدًا لأبي بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوارٍ ومواشٍ، وكان

(٣٥٧٥)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -علوم القرآن ٣/ ٥٠ (١٠٣).

(٣٥٧٦) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٤.

(٣٥٧٧)أخرجه ابن أبي الدنيا في العيال -موسوعة ابن أبي الدنيا ٨/ ٥٦ (٢٠٧) -.

(٣٥٧٨)أخرجه أحمد ١٤/ ٢٥٢ (٨٥٩٤)، وابن ماجه ٥/ ٣٥٤ - ٣٥٥ (٤٢٩٨).

قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢٠/ ٥٤: «وفي إسناده ضعف». وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ٢٥٩ (٩٣٥١): «هذا إسناد فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف».

(٣٥٧٩) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٤.

(٣٥٨٠) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٥٨١) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٤.

(٣٥٨٢) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٤-٤٨٠.

مشركًا، وحمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون له ماله، فأبى، فأبغضه أبو بكر، فلما قال له أُميّة: أتبيعه بغلامك نسطاس؟ اغتنم أبو بكر وباعه، فقال المشركون: ما فعل أبو بكر ذلك لبلال إلا ليد كانت لبلال عنده. فأنزل الله سبحانه: {وما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِعْمَةٍ تُجْزى}"[٣٥٨٣].

«آخر تفسير سورة (الليل)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٥٨٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٢٠، وتفسير البغوي ٨/ ٤٤٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الضحى»

«سورة الضحى»: هي السورة الثالثة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفجر»، وآياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة واثنتان وسبعون. وفواصلها على «ثرا»[٣٥٨٤].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «الضحى»، بمكة"[٣٥٨٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم "[٣٥٨٦].

قال القرطبي:" سورة «الضحى» مكية باتفاق"[٣٥٨٧].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف في ذلك بين الرواة"[٣٥٨٨].

(٣٥٨٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٥/١.

(٣٥٨٥) انظر: الدر المنثور: ٥٣٩/٨، وعزاه إلى الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٥٨٦) زاد المسير: ٤٥٦/٤.

(٣٥٨٧) تفسير القرطبي: ٩١/٢٠.

(٣٥٨٨) المحرر الوجيز: ٤٩٣/٥.

القرآن

{وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)} [الضحى : ١-٣]

التفسير:

أقسم الله بوقت الضحى، والمراد به النهار كله، وبالليل إذا سكن بالخلق واشتد ظلامه، ما تركك -أيها النبي- ربك، وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك.

سبب نزول السورة:

عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندب بن سفيان -رضي الله عنه-، قال: «اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين - أو ثلاثا -»، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين - أو ثلاثة - فأنزل الله عز وجل: {والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى} [الضحى: ٢]"[٣٥٨٩]. [صحيح]

عن هشام بن عروة، عن أبيه: "عن خديجة رضي الله عنها، أنها قالت: لما أبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي جزع من ذلك جزعا شديدا فقلت: مما رأيت من جزعه لقد قلاك ربك لما يرى من جزعك، فأنزل الله: {ما ودعك ربك وما قلى} [الضحى: ٣]"[٣٥٩٠].[مرسل]

عن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه -رضي الله عنهما-، قال: «أري رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفتح على أمته من بعده، فسر بذلك» فأنزل الله عز وجل: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى : ١-٢]، إلى قوله {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى: ٥] قال: «فأعطاه ألف قصر في الجنة من لؤلؤ ترابه المسك في كل قصر منها ما ينبغي له»[٣٥٩١].

لقد اتّفق المفسّرون: على أنّ هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدّة، ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ اليهود سألوا رسول الله صلّى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف، وعن الرّوح، فقال: سأخبركم غدا، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي[٣٥٩٢].

ذكر الواحدي عن أبي صالح عن ابن عباس:" أن قريشا سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن ذي القرنين، وعن الرُّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية[٣٥٩٣].

(٣٥٨٩)صحيح. أخرجه البخاري (٤٩٥٠):ص١٧٢/٦، والبغوي في «التفسير» (٢٣٤٩)، عن أحمد بن يونس به. من حديث جندي. وأخرجه البخاري (١١٢٥) و (١١٢٤) و (٤٩٨٣)، والترمذي (٣٣٤٥)، والطبري (٣٧٥٠٤)، وابن حبان (٦٥٦٦)، والطبراني (١٧٠٩)، والبيهقي: (٣/ ١٤)، وفي «الدلائل»: (٧/ ٥٨)، والواحدي في «الوسيط»: (٤/ ٥٠٧)، وفي «أسباب النزول»: (٨٥٨)، من طرق عن سفيان عن الأسود بن قيس به. وأخرجه البخاري (٤٩٥١)، ومسلم (١٧٩٧) ح ١١٥-، والطبري (٣٧٥٠٥)، والطبراني (١٧١٠) و (١٧١١)، وأحمد (٤/ ٣١٢)، والبيهقي (٣/ ١٤)، من طريقين عن الأسود بن قيس به. وفي الباب أحاديث، وهذا الحديث أصحها إسنادا وأحسنها متنا.

(٣٥٩٠) المستدرك على الصحيحين للحاكم(٤٢١٤):ً٦٦٧/٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لإرسال فيه» قال الذهبي :«صحيح مرسل».

(٣٥٩١) أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٩٤٣):ص٥٧٣/٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي: «تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف».

وعزاه في الدر (٦/ ٣٦١) للطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه.

(٣٥٩٢) تقدم في سورة الكهف، وأنكر الحافظ في «الفتح» ٨/ ٧١٠ كون نزول الضحى، كان بسبب سؤالهم عن ذي القرنين، وقال ما معناه: الزمن بين نزول السورة، وسؤالهم إياه غير متحد، ويجوز أن يكون قريبا.

(٣٥٩٣) أسباب النزول: ٧٦/٣، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، ورواية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٣ نقلا عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١/ ٢٣٥- ٢٣٨- ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطوّلا، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في

الثاني: لقلّة النّظافة في بعض أصحابه.

حكي الواحدي عن مجاهد:" أن الملك أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه، فقال: لعلّي أبطأتُ، قال: «قد فعلتَ» ، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تتسوَّكون، ولا تقصُّون أظفاركم، ولا تُنَقُّون براجمكم[٣٥٩٤]، فنزلت الآية"[٣٥٩٥].

قال مجاهد:" لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة، ويقولون: قلي، فلما جاءه قال: أي جبرائيل لقد رثت علي حتى لقد ظن المشركون كل ظن فنزلت :{وَمَا نَتَنزلُ إلا بأَمْرِ رَبِّكَ لهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}"[٣٥٩٦].

قال الضحاك:" احتبس عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون في ذلك، واشتدّ ذلك على نبيّ الله، فأتاه جبرائيل، فقال: اشتدّ عليك احتباسنا عنك، وتكلم في ذلك المشركون، وإنما أنا عبد الله ورسوله، إذا أمرني بأمر أطعته {وَمَا نَتَنزلُ إلا بأَمْرِ رَبِّكَ}، يقول: بقول ربك"[٣٥٩٧].

قال السدي:" احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حتى حزن واشتد عليه، فشكا ذلك إلى خديجة، فقالت خديجة: لعل ربك قد ودعك أو قلاك، فنزل جبريل بهذه الآية: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[٣٥٩٨]، قال: يا جبريل، احتبست عني حتى ساء ظني، فقال جبريل: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ}"[٣٥٩٩].

الثالث: لأجل جرو كان في بيته، قاله زيد بن أسلم [٣٦٠٠].

عن حفص بن سعيد القرشي، قال: حدثتني أمي، عن أمها خولة- وكانت خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم-:" أن جروا دخل البيت، فدخل تحت السرير، فمات. فمكث نبي الله- صلى الله عليه وسلم- أياما

«الدلائل» ٢/ ٢٦٩- ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.

وأما سؤال قريش النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ١/ ٢٥٥ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢/ ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اه. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قالوا: أوتينا علما كثيرا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ إلى آخر الآية. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن» ١٤٦٠ و ١٤٦١.

(٣٥٩٤)قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في ظهور الأصابع، تبدو إذا جُمعت، وتغمض إذا بُسطت. والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجمتين راجبة..

(٣٥٩٥)ضعيف جدا. ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٦٠٧، وابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٩/٣، عن مجاهد مرسلا. وبدون إسناد!.

(٣٥٩٦)مرسل، أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨، وعزاه في الدر (٤/ ٢٧٩) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣٥٩٧) أخرجه الطبري:٢٢٣/١٨.

(٣٥٩٨)[الضحى : ٣].

(٣٥٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣١٧١):ص٢٤١٤/٧.

(٣٦٠٠) ضعيف جدا، وحكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠، هو مرسل، وله علة ثانية، وهي كونه من رواية ابنه عبد الرحمن، وهو واه.

وصح هذا السياق، لكن ليس فيه نزول سورة الضحى عقب ذلك. فقد أخرج مسلم ٢١٠٥ وأبو داود ٤١٥٧ والنسائي ٧/ ١٨٦ وأحمد ٦/ ٣٣٠ وأبو يعلى ٧٠٩٣ و ٧١١٢ من طريق الزهري عن ابن السباق عن ابن عباس عن ميمونة: «أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أصبح يوما واجما فقالت ميمونة: يا رسول الله! لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة، فلم يلقني. أم والله ما أخلفني»، فظل رسول الله صلّى الله عليه وسلم يومه ذاك على ذلك، ثم وقع في نفسه جر وكلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقاني في البارحة قال: «أجل، ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب، ولا صورة» . وأخرجه مسلم ٢١٠٤ وأحمد ٦/ ١٤٢- ١٤٣ وأبو يعلى ٤٥٠٨ من حديث عائشة بنحوه.

لا ينزل عليه الوحي. فقال: يا خولة! ما حدث في بيتي؟ جبريل- عليه السلام- لا يأتيني! قالت خولة: فقلت: لو هيأت البيت، وكنسته. فأهويت بالمكنسة تحت السرير. فإذا شيء ثقيل، فلم أزل حتى أخرجته، فإذا جرو ميت، فأخذته فألقيته خلف الجدار. فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه. وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة. فقال يا خولة، دثريني، فأنزل الله تعالى: {وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)} [الضحى : ١-٣]"[٣٦٠١].

وفي مقدار احتباس الوحي عنه-عليه الصلاة والسلام-، خمسة أقوال[٣٦٠٢]:

أحدها: خمسة عشر يوماً. رواه أبو صالح عن ابن عباس[٣٦٠٣]، وبه قال الفراء[٣٦٠٤].

ذكر الواحدي عن أبي صالح عن ابن عباس:" أن قريشا سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلّم عن ذي القرنين، وعن الرُّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية"[٣٦٠٥].

الثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة[٣٦٠٦]، ومقاتل[٣٦٠٧].

قال مقاتل:" وذلك أن جبريل- عليه السلام- لم ينزل على محمد- صلى الله عليه وسلم- أربعين يوما، ويقال ثلاثة أيام، فقال مشركو العرب من أهل مكة: لو كان من الله «لتتابع عليه الوحي، كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء، فقد ودعه الله وتركه صاحبه، فما يأتيه. فقال المسلمون: يا رسول الله، فما نزل عليك الوحي؟ قال: كيف ينزل على الوحي، وأنتم لا تنقون براجمكم[٣٦٠٨]، ولا تقلمون أظفاركم"[٣٦٠٩].

الثالث: اثنتا عشرة ليلة، قاله مجاهد[٣٦١٠]، وابن جريج[٣٦١١].

الرابع: ثلاثة أيام، حكاه مقاتل[٣٦١٢].

الخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاه الثعلبي[٣٦١٣].

(٣٦٠١) رواه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٨٢، وعزاه في الدر (٦/ ٣٦١) لابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه، وذكره الحافظ في الإصابة (٤/ ٢٩٤) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٣٨) وقال: أم حفص لم أعرفها.

(٣٦٠٢) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٣٦٠٣) انظر: أسباب النزول: ٧٦/٣، والكشف والبيان: ٢٢٢/١٠.

(٣٦٠٤) انظر: معاني القرآن: ٢٧٣/٣.

(٣٦٠٥) أسباب النزول: ٧٦/٣، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، ورواية أبي صالح هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، فالخبر من هذا الوجه ليس بشيء. وذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ١٤٣ نقلا عن المفسرين. وذكره ابن هشام في «السيرة» ١/ ٢٣٥- ٢٣٨- ٢٤٤ عن ابن إسحاق مطوّلا، وهذا معضل، فهو ضعيف. وأخرجه الطبري ٢٢٨٦١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩- ٢٧١ كلاهما عن ابن إسحاق حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فذكره بنحو ما ذكره ابن هشام، وإسناده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق وليس فيه سبب نزول هذه الآية. ولبعضه شواهد، وبعضه الآخر غريب.

وأما سؤال قريش النبيّ صلى الله عليه وسلّم فأخرجه الترمذي ٣١٤٠ وأحمد ١/ ٢٥٥ وابن حبان ٩٩ والحاكم ٢/ ٥٣١ والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩ وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب اه. عن عكرمة عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: {وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}، قالوا: أوتينا علما كثيرا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأنزلت: {قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ}، إلى آخر الآية. لفظ الترمذي. وليس في الحديث سبب نزول هذه الآية. انظر «أحكام القرآن»: ١٤٦٠ و ١٤٦١.

(٣٦٠٦) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٣٦٠٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

(٣٦٠٨) تنقية البراجم: هي تنظيف الأوساخ التي بين الأظافر وأطراف الأصابع.

(٣٦٠٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

(٣٦١٠) انظر: زاد المسير: ١٤٠/٣.

(٣٦١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠. وقال:" اثني عشر يوما".

(٣٦١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣١/٤.

قال ابن كثير:" وقد ذكر بعض السلف - منهم ابن إسحاق - أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها، ودنا إليه وتدلى منهبطًا عليه وهو بالأبطح، {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم : ١٠]. قال : قال له هذه السورة :{وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}"[٣٦١٤].

قوله تعالى:{وَالضُّحَى} [الضحى : ١]، أي:" أقسم بوقت الضحى"[٣٦١٥].

وفي وقت: «الضحى»، أقوال:

أحدها : أنه ساعة من ساعات النهار. قاله قتادة[٣٦١٦].

عن قتادة :"{وَالضُّحَى}، ساعة من ساعات النهار"[٣٦١٧].

وعن السدي:" أنه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس"[٣٦١٨].

الثاني : أنه صدر النهار، قاله قتادة[٣٦١٩].

الثالث: أنه ضوء النهار، مأخوذ من قولهم: ضحى فلان الشمس، إذا ظهر لها، قاله مجاهد[٣٦٢٠].

عن مجاهد: "{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، قال: ضوئها"[٣٦٢١].

الرابع: انه ضحى النهار. قاله الضحاك[٣٦٢٢].

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى : ٢]، أي:" وبالليل إذا سكن بالخلق واشتد ظلامه"[٣٦٢٣].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : والليل إذا أقبل، قاله سعيد بن جبير[٣٦٢٤].

قال سعيد بن جبير:" إذا أقبل فغطى كل شيء"[٣٦٢٥].

وقال الحسن:" إذا لَبِسَ الناس: إذا جاء"[٣٦٢٦].

الثاني : إذا استوى، قاله مجاهد[٣٦٢٧].

عن مجاهد: "{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}، قال: إذا استوى"[٣٦٢٨].

الثالث : إذا سكن، قاله عكرمة[٣٦٢٩]، وعطاء[٣٦٣٠]، وزيد بن أسلم[٣٦٣١]، مأخوذ من قولهم: سجى البحر إذا سكن ، وقال الراجز[٣٦٣٢]:

(٣٦١٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٢/١٠.

(٣٦١٤) تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٨.

(٣٦١٥) التفسير الميسر: ٥٩٦.[بتصرف]

(٣٦١٦) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٤.

(٣٦١٧) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٤.

(٣٦١٨) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.

(٣٦١٩) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.

(٣٦٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٤.

(٣٦٢١) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٤، وانظر: تفسير مجاهد: ٧٣٢.

(٣٦٢٢) إعراب القرآن: ١٥٣/٥.

(٣٦٢٣) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٦٢٤) انظر: ابن أبي حاتم(١٩٣٧٢):ص٣٤٤٢/١٠، والنكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.

(٣٦٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٧٢):ص٣٤٤٢/١٠.

(٣٦٢٦) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢٤.

(٣٦٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٤/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧١):ص٣٤٤٢/١٠، وتفسير مجاهد: ٧٣٥.

(٣٦٢٨) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٤.

(٣٦٢٩) انظر: النكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.

(٣٦٣٠) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٩٩):١٠٦، والنكت والعيون: ٢٩١/٦، وزاد المسير: ٤٥٧/٤.

(٣٦٣١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١٦/١.

يا حَبَّذَا القَمْرَاءُ وَاللَّيْلُ السَّاجْ ... وطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسَّاجْ

وقول الآخر[٣٦٣٣]:

فَمَا ذَنْبُنا إنْ جاشَ بَحْرُ ابن عَمِّكم ... وَبحْرُكَ ساجٍ ما يُوَارِي الدَّعامِصَا

قال الضحاك:" يعني: استقراره وسكونه"[٣٦٣٤].

قال زيد بن اسلم:" سجوه سكونه"[٣٦٣٥].

وروي عن قتادة: "{وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}، سكن بالخلق"[٣٦٣٦].

وقال مسلم بن خالد الزنجي:" إذا سكن بالخلق"[٣٦٣٧].

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معناه: والليل إذا سكن بأهله، وثبت بظلامه، كما يقال: بحر ساج: إذا كان ساكنا[٣٦٣٨].

قوله تعالى:{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى : ٣]، أي:" ما تركك -أيها النبي- ربك، وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك"[٣٦٣٩].

عن محمد بن إسحاق: "{ما ودعك ربك وما قلى} ما صرمك وتركك، {وما قلى} ما أبغضك منذ أحبّك"[٣٦٤٠].

قال الضحاك:" مكث جبريل عن محمد -صلى الله عليه وسلم-، فقال المشركون: قد ودّعه ربه وقلاه، فأنزل الله هذه الآية"[٣٦٤١].

قال قتادة:" إن جبريل عليه السلام أبطأ عليه بالوحي، فقال ناس من الناس، وهم يومئذ بمكة، ما نرى صاحبك إلا قد قلاك فودّعك، فأنزل الله ما تسمع: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}"[٣٦٤٢].

قال قتادة:" أبطأ عليه جبريل، فقال المشركون: قد قلاه ربه وودّعه، فأنزل الله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}"[٣٦٤٣].

القرآن

{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)} [الضحى : ٤-٥]

التفسير:

(٣٦٣٢)ورد البيت منسوبًا إلى الحارث في: "لسان العرب" ١٤/ ٣٧١ (سجا)، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٤٩٣، وورد أيضًا لكنه غير منسوب في: "تهذيب اللغة" ١١/ ١٤٠ (سجا)، و"تفسير الطبري" ٤٨٥/٢٤، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٠٦ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٢٩٢، و"زاد المسير" ٨/ ٢٦٨، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٩١، و"البحر المحيط" ٨/ ٤٨٥، و"أضواء البيان" ٩/ ٢٧٤.

(٣٦٣٣) البيت للأعشى في ديوانه ص: ٢٠١؛ ولسان العرب: ٧/ ٣٦ (دعمص)، ١٤/ ٣٧١ (سجا)؛ وجمهرة اللغة: ص ١١٤٨، ١١٩٦؛ وتاج العروس: ١٧/ ٥٨٢ (دعمص)، (سجا)؛ وديوان المعاني: ١/ ١٧٣.

(٣٦٣٤) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٤.

(٣٦٣٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠):ص١٦/١.

(٣٦٣٦) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٤.

(٣٦٣٧) الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١٢٩):ص٦٨. قال:" إذا سكن بالخلق".

(٣٦٣٨) تفسير الطبري: ٤٨٤/٢٤.

(٣٦٣٩) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٦٤٠)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.

(٣٦٤١) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤.

(٣٦٤٢) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤.

(٣٦٤٣) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٤.

وللدَّار الآخرة خير لك من دار الدنيا، ولسوف يعطيك ربك -أيها النبي- مِن أنواع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك.

قوله تعالى:{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى} [الضحى : ٤]، أي:" وللدَّار الآخرة خير لك من دار الدنيا"(٣٦٤٤).

قال محمد بن إسحاق:" أي: ما عندي مِن مرجعك إليَّ خير لك مما عجَّلتُ لك مِن الكرامة في الدنيا"(٣٦٤٥).

قال عكرمة:" لما نزلت: {وللْآخِرَةُ خَيْرٌ لكَ مِنَ الأُولى} قال العباس بن عبد المطلب: لا يَدع الله نبيّه فيكم إلا قليلًا لِما هو خير له"(٣٦٤٦).

عن ابن مسعود، قال:" اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فأثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت : يا رسول الله، ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما لي وللدنيا ؟! ما أنا والدنيا ؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظلّ تحت شجرة، ثم راح وتركتها"(٣٦٤٧).

قوله تعالى:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى : ٥]، أي:" ولسوف يعطيك ربك -أيها النبي- مِن أنواع الإنعام في الآخرة، فترضى بذلك"(٣٦٤٨).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى : ٥]، وجهان:

أحدهما : يعطيك من النصر في الدنيا، وما يرضيك من إظهار الدين. قاله محمد بن إسحاق(٣٦٤٩).

عن محمد بن إسحاق، قال: "{ولسوف يعطيك ربك فترضى} من الفتح في الدنيا، والثواب في الآخرة"(٣٦٥٠).

الثاني : لتعطى في الآخرة ما ترضى من الكرامة والشرف. ومن ثم فيه ثلاثة وجوه:

أحدها: أي: يعطيك في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم. قاله عليّ بن عبد الله بن عباس(٣٦٥١).

عن قتادة: "{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، وذلك يوم القيامة"(٣٦٥٢). وفي لفظ:" ذلك يوم القيامة، هي الجنة"(٣٦٥٣).

عن عليّ بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، قال: "عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمته من بعده كَفْرا كَفْرا، فسرّ بذلك، فأنزل الله: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، فأعطاه في الجنة ألف قصر، في كلّ قصر، ما ينبغي من الأزواج والخدم"(٣٦٥٤).

عن عليّ بن عبد الله بن عباس: "{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، قال: ألف قصر من لؤلؤ، ترابهنّ المسك، وفيهنّ ما يصلحهنّ"(٣٦٥٥).

الثاني: ألا يدخل أحد من أهل بيته النار. قاله زيد بن علي(٣٦٥٦).

(٣٦٤٤) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٣٦٤٥)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.
(٣٦٤٦)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
(٣٦٤٧)المسند (٣٩١/١) وسنن الترمذي برقم (٢٣٧٧) وسنن ابن ماجة برقم (٤١٠٩).
(٣٦٤٨) التفسير الميسر: ٥٩٦.
(٣٦٤٩)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.
(٣٦٥٠)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.
(٣٦٥١) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.
(٣٦٥٢) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.
(٣٦٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٧٥):ص٣٤٤٣/١٠.
(٣٦٥٤) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.
(٣٦٥٥) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢٤.

عن زيد بن علي -من طريق أبي الزناد موج بن علي الكوفي- في قوله: "{ولسوف يعطيك ربك فترضى}، قال: إنّ مِن رضا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدخل أهل بيت نبيّه الجنة"(٣٦٥٧).

عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنا أهلُ بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}"(٣٦٥٨).

الثالث: يعني بذلك الشفاعة. قاله الحسن(٣٦٥٩)، وأبو جعفر الباقر(٣٦٦٠).

عن الحسن :"أنه سئل عن قوله: {ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى}. قال: هي الشفاعة"(٣٦٦١).

وعن أبي جعفر الباقر:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}،" يعني: بذلك الشفاعة"(٣٦٦٢).

وفي قراءة عَبْد اللَّه: «ولسيعطيك ربك فترضى»، والمعنى واحد(٣٦٦٣).

القرآن

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)} [الضحى : ٦-٨]

التفسير:

ألم يَجِدْك من قبلُ يتيمًا مات أبوك وأنت حمل في بطن أمك، فآواك ورعاك؟ ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلَّمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال؟ ووجدك فقيرًا، فساق إليك رزقك، وأغنى نفسك بالقناعة والصبر؟

سبب النزول:

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سألت ربي مسألة وددت أني لم أسأله، قلت: يا رب كانت قبلي رسل، منهم من سخرت لهم الرياح، ومنهم من كان يحيي الموتى، قال: ألم أجدك يتيما فآويتك؟ ألم أجدك ضالا فهديتك؟ ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك؟ قال: قلت: بلى يا رب"(٣٦٦٤).

قوله تعالى:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى : ٦]، أي:" ألم يَجِدْك من قبلُ يتيمًا مات أبوك وأنت حمل في بطن أمك، فآواك ورعاك؟"(٣٦٦٥).

(٣٦٥٦)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/ ٤٦٠. وقال: «قال القاضي: أبو الزناد هذا ليس هو عبد الله بن ذكوان مولى رملة، هذا شيخ من أهل الكوفة من أصحاب زيد بن علي يقال له: موج، ويكنى بأبي الزناد».

(٣٦٥٧)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/ ٤٦٠. وقال: «قال القاضي: أبو الزناد هذا ليس هو عبد الله بن ذكوان مولى رملة، هذا شيخ من أهل الكوفة من أصحاب زيد بن علي يقال له: موج، ويكنى بأبي الزناد».

(٣٦٥٨) رواه ابن أبي شيبة كما في تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨، ورواه البغوي في شرح السنة (٢٤٨/١٤) من طريق ابن أبي شيبة فذكره دون الآية، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٦/١٥) بهذا الطريق ولم يذكر الآية، ولعل ذكرها وقع في كتاب التفسير، ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٤٠٨٢) عن عثمان بن أبي شيبة، عن معاوية بن هشام به، وقال البوصيري في الزوائد (٢٦٢/٣) : "هذا إسناد فيه يزيد بن أبي زياد الكوفي مختلف فيه".

(٣٦٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٦):ص٣٤٤٣/١٠.

(٣٦٦٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨.

(٣٦٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٦):ص٣٤٤٣/١٠.

(٣٦٦٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٨.

(٣٦٦٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٧٤/٣.

(٣٦٦٤) المعجم الكبير للطبراني(١٢٢٨٩):ص٤٥٥/١١. إسناده حسن: فيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط، ولكن ذكر الحافظ في ترجمته: قال البخاري في تاريخه قال علي: سماع خالد بن عبد الله من عطاء بن السائب بآخره وسماع حماد بن زيد منه صحيح وقال العقيلي: تغير حفظه وسماع حماد بن زيد منه قبل التغير.

وأخرجه البيهقي في الدلائل (٧/ ٦٢) من طريق سليمان بن حرب عن حماد به.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٢١):ص٨/ ٢٥٣-٢٥٤، وقال: "فيه عطاء بن السائب وقد اختلط".

وزاد نسبته في الدر (٥٤٤/٨) لابن أبي حاتم والحاكم وأبي نعيم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر.

(٣٦٦٥) التفسير الميسر: ٥٩٦.

روي عن علي بن موسى الرضا، يقول: سمعت أبي يقول: سئل جعفر بن محمد الصادق: لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم عن أبويه؟ فقال: لئلّا يكون عليه حق لمخلوق"[٣٦٦٦].

وروي عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه أنه قال في قوله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى}: هو من أقوال العرب: «درة يتيمة»، إذا لم يكن لها مثل، وقد جاء في الشعر:

لا ولا درّة يتيمة بحر ... تتلالأ في جونة البياع"[٣٦٦٧].

وقرأ أشهب العقيلي «فأوى»، بالقصر، أي: رحمك. تقول العرب: آويت لفلان أية ومأواة أي رحمته[٣٦٦٨].

قوله تعالى:{وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} [الضحى : ٧]، أي:" ووجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلّمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال؟"[٣٦٦٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} [الضحى : ٧]، وجهان:

أحدهما : أي: ضالاً عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهداك إليها، قاله الجمهور[٣٦٧٠]، منهم الحسن[٣٦٧١]، والضحاك[٣٦٧٢]، وشهر بن حوشب[٣٦٧٣]، والسدي[٣٦٧٤]، وابن كيسان[٣٦٧٥]. يدل عليه قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف : ٣]، وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى : ٥٢].

عن الحسن، والضحّاك، وشهر بن حوشب، وابن كيسان: "{وَوَجَدَكَ ضَالًّا} عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة غافلا عنها، فهداك إليها"[٣٦٧٦].

عن السديّ: "{وَوَجَدَكَ ضَالا}، قال: كان على أمر قومه أربعين عاما"[٣٦٧٧].

قال أهل العلم:" ضلال الأنبياء غفلة لا جهل، والمعنى: [وجدك] غافلا عن الشريعة لا تدري كيفية العبادة فهداك لها بالأمر والنهي"[٣٦٧٨].

الثاني: إنه-عليه السلام-، ضل وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبًا ناقة في الليل، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق. وهذا قول سعيد بن المسيب[٣٦٧٩].

والصواب أن يكون محمولا على الشرائع، وما أنزل الله مثل قوله سبحانه وتعالى: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى : ٥٢]، أو يكون المعنى: {وَجَدَكَ ضَالًّا} أي: غافلا عن النبوة والوحي الذي

(٣٦٦٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٥/١٠، وانظر: مسند زيد بن علي: ٥٠٣. كشف الغمّة: ٢/ ٣١٨.

(٣٦٦٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٦/١٠.

(٣٦٦٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.

(٣٦٦٩) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٦٧٠) حكاه عنهم ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤٥٨/٤.

(٣٦٧١) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤.

(٣٦٧٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤.

(٣٦٧٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.

(٣٦٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٤.

(٣٦٧٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.

(٣٦٧٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٢٦/١٠.

(٣٦٧٧) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٤.

(٣٦٧٨)تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، ابن خمير: ١١٢.

(٣٦٧٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٢٨/١٠، وزاد المسير: ٤٥٨/٤، وتفسير البغوي: ٤٥٦/٨، وعزاه ابن كثير في "التفسير" : ٤٢٦/٨ للغوي.

أنزل إليه، مثل قوله في قصة موسى - صلوات الله عليه -: {قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} [الشعراء : ٢٠]، أي: من الغافلين"[٣٦٨٠].

وقرأ الحسن : «ووجدَك ضالٌّ فهُدِي»، أي: وجَدَك الضالُّ فاهتدى بك[٣٦٨١].

قوله تعالى:{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} [الضحى : ٨]، أي:" ووجدك فقيرًا، فساق إليك رزقك، وأغنى نفسك بالقناعة والصبر؟"[٣٦٨٢].

عن قتادة: "{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى}، قال: كانت هذه منازل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى"[٣٦٨٣].

عن محمد بن إسحاق، قال: "{ألم يجدك يتيمًا فآوى ووجدك ضالًا فهدى ووجدك عائلًا فأغنى} يعرّفه ما ابتدأه به مِن كرامته في عاجل أمره، ومنُّه عليه في يُتمه وعيلته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته"[٣٦٨٤].

روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال بصوته الأعلى ثلاث مرات : «يَمُنّ ربي عليّ وهو أهلُ المَنّ»[٣٦٨٥]. وفي لفظ:" منّ عليّ ربّي وهو أهل المنّ"[٣٦٨٦].

أخرج ابن أبي حاتم من طريق موسى بن علي بن رباح، عن أبيه -رضي الله عنه- قال: "كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فتمثل مسلمة ببيت من شعر أبي طالب، فقال: لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيد قد جاء بخير كثير، فقال عبد الله: ويومئذ قد كان سيدا كريما قد جاء بخير كثير، فقال مسلمة: ألم يقل الله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨)} [الضحى : ٦ - ٨]، فقال عبد الله: أما اليتيم، فقد كان يتيما من أبويه، وأما العيلة: فكل ما كان بأيدي العرب إلى القلة"[٣٦٨٧].

القرآن

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)} [الضحى : ٩-١١]

التفسير:

فأما اليتيم فلا تُسِئْ معاملته، وأما السائل فلا تزجره، بل أطعمه، واقض حاجته، وأما بنعمة ربك التي أسبغها عليك فتحدث بها.

قوله تعالى:{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى : ٩]، أي:" فأما اليتيم فلا تُسِئْ معاملته"[٣٦٨٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى : ٩]، وجوه:

أحدها : فلا تحقر، قاله مجاهد[٣٦٨٩].

قال مجاهد:" تُغْمِصْه وتَحْقِره"[٣٦٩٠].

الثاني : فلا تظلم ، قاله مجاهد-أيضا[٣٦٩١]-، وقتادة[٣٦٩٢] .

(٣٦٨٠) تفسير السمعاني: ٢٤٥/٦.

(٣٦٨١) انظر: النكت والعيون: ٢٩٤/٦.

(٣٦٨٢) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٦٨٣) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٤.

(٣٦٨٤)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.

(٣٦٨٥) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٩٥/٦.

(٣٦٨٦) نقلا عن: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٢/٤.

(٣٦٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٧٧):ص٣٤٤٣/١٠.

(٣٦٨٨) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٦٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٧٩):ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٦٩٠) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٤.

(٣٦٩١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٠):ص٣٤٤٤/١٠.

الثالث : ما قاله قتادة :" كن لليتيم كأب رحيم"[٣٦٩٣].

عن محمد بن إسحاق، قال: {فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر} لا [تكن] جبّارًا، ولا مُتكبرًّا، ولا فاحشًا، فظًّا على الضعفاء مِن عباد الله"[٣٦٩٤].

عن أبي عمران الجوني، عن رجل، عن أبي هريرة: "أن رجلاً شكا إلى رسول الله -صلي الله عليه وسلم - قسوة قلبه، فقال له: إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم"[٣٦٩٥].

قوله تعالى:{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى : ١٠]، أي:" وأما السائل فلا تزجره، بل أطعمه، واقض حاجته"[٣٦٩٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى : ١٠]، وجهان:

أحدهما : في رده إن منعته، ورُدّه برحمة ولين، قاله قتادة[٣٦٩٧].

قال قتادة:" رد السائل برحمة ولين"[٣٦٩٨].

وفي الحديث: «إذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره[٣٦٩٩]»[٣٧٠٠].

الثاني : السائل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة ، وأجِبْهُ برفق ولين.

قال الحسن:" أما إنه ليس بالسائل الذي يأتيك، لكنه طالب العلم"[٣٧٠١].

عن عبيد بن يعيش، قال: سمعت يحيى بن آدم يقول: {وأمّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ}، قال: "إذا جاءك الطالب للعلم فلا تنهره"[٣٧٠٢].

قوله تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١]، أي:" وأما بنعمة ربك التي أسبغها عليك فتحدث بها"[٣٧٠٣].

عن أبى نضرة، قال: "كان المسلمون يرون أن من شُكْرِ النعم أن يحدّثَ بها"[٣٧٠٤].

(٣٦٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨/٢٤-٤٨٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨١):ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٦٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٢): ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٦٩٤)سيرة ابن إسحاق ص ١١٥ - ١١٦.

(٣٦٩٥) المسند(٧٥٧٦):ص٢١/١٣-٢٢، إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة. أبو عمران الجوني: هو عبد الملك بن حبيب البصري.

وأخرجه عبد بن حميد (١٤٢٦) عن أبي الوليد، والبيهقي في "الشعب" (١١٠٣٤) من طريق سليمان بن حرب، كلاهما عن حماد بن سلمة، بهذا الإسناد.

وله شاهد من حديث أبي الدرداء عن البيهقي في "الشعب" (١١٠٣٥) من طريق حماد بن سلمة، عن محمد بن واسع، عنه. وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه؛ محمد بن واسع لم يسمع من أحد من الصحابة فيما قاله علي بن المديني.

(٣٦٩٦) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٦٩٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٢): ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٦٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٢): ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٦٩٩)«فلا عليك أن تزبره» تزبره: أي تزجره وتمنعه. أفاده الصحاح.

(٣٧٠٠) نقلا عن الكشاف: ٧٦٨/٤-٧٦٩، والحديث أخرجه الدارقطني في الافراد من رواية الوليد بن الفضل عن عبد الله بن أبى حسين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به لكن قال «تزبره- بدل- وتنهره» والوليد اتهمه ابن حبان بالوضع لكن تابعه طلحة ابن عمرو عن عطاء أخرجه الثعلبي من طريق عقبة بن مجالد عن حبان بن على عن طلحة وهذا إسناد ضعيف.

وأخرجه ابن مردويه من رواية أحمد بن أبى طيبة عن حيان فقال: عن أبى هريرة- بدل ابن عباس. وله طريق أخرى. أخرجها عبد الغنى بن سعيد في إيضاح الاشكال من رواية وهب بن زمعة عن هشام بن وهب أبى البختري القاضي. وهو كذاب.

(٣٧٠١)أخرجه الثعلبي ١٠/ ٢٣٠، وتفسير البغوي ٨/ ٤٥٨.

(٣٧٠٢)أخرجه الثعلبي ١٠/ ٢٣٠.

(٣٧٠٣) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٧٠٤) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٤.

عن النعمان بن بشير، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر : "من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر. والجماعة رحمة، والفرقة عذاب"[٣٧٠٥].

وفي قوله تعالى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : النبوة، قاله مجاهد-في رواية-[٣٧٠٦]، ويكون تفسير قوله {فَحَدِّثْ}، أي: ادعُ قومك.

عن مجاهد -من طريق أبي بشر-" {وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، قال: بالنبوة التي أعطاك ربّك"[٣٧٠٧].

عن مجاهد، "{وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، قال: بالقرآن"[٣٧٠٨].

وقال محمد بن إسحاق : "ما جاءك الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدّث بها واذكرها، وادع إليها. وقال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرًا إلى من يطمئن إليه من أهله، وافترضت عليه الصلاة، فصلى"[٣٧٠٩].

الثاني : أنه القرآن، قاله مجاهد-في رواية أخرى-[٣٧١٠]، ويكون قوله: {فَحَدِّثْ}، أي: أقرئه، وبلغ ما أرسلت به[٣٧١١].

الثالث : ما أصاب من خير أو شر، قاله الحسن بن علي[٣٧١٢].

ويكون في قوله:{فَحَدِّثْ}، -على هذا- وجهان :

أحدهما : فحدّث به الثقة من إخوانك ، قاله الحسن بن علي[٣٧١٣].

عن الحسن بن علي في قوله: "{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، قال: إذا أصبت خيرا فحدث إخوانك[٣٧١٤].

عن مقسم أبي عبد الرحمن، قال: "أتيت حسين بن علي فصافحني، ثم قال: «هذا تقابل المؤمن المؤمن»، فقلت: أرأيت قوله: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١]؟، قال: «هو العمل الصالح يعمله الرجل فيحدث به إخوانه من أهل ثقاته ليستن به ويعمل مثله»[٣٧١٥]. وفي رواية:" قال: الرجل المؤمن يعمل عملا صالحا فيخبر به أهل بيته، قلت: أي الأجلين قضى موسى؟ الأول أو الآخر؟ قال: الآخر"[٣٧١٦].

الثاني : فحدِّث به نفسك ، وندب إلى ذلك ليكون ذِكرها شكراً.

روي عن عبد الله بن غالب:" أنه كان إذا أصبح يقول: رزقني الله البارحة خيرا: قرأت كذا وصليت كذا، فإذا قيل له: يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا؟ قال: يقول الله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، وأنتم تقولون: لا تحدث بنعمة الله"[٣٧١٧].

عن عمر بن عبد العزيز، قال: "إنّ ذِكر النعمة شكر"[٣٧١٨].

عن أبي نضرة المنذر بن مالك العبدي، قال: "كان المسلمون يرون أنّ مِن شُكْر النعمة أن يُحدَّث بها"[٣٧١٩].

(٣٧٠٥)زوائد المسند (٢٧٨/٤)، قال ابن كثير:٤٢٧/٨:"إسناد ضعيف".

(٣٧٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩/٢٤.

(٣٧٠٧) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢٤، وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣٧٠٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبى نصر السجزي في الإبانة.

(٣٧٠٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٨.

(٣٧١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٤):ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٧١١) انظر: الكشاف: ٧٦٩/٤.

(٣٧١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٦):ص٣٤٤٤/١٠، والنكت والعيون: ٢٩٥/٦.

(٣٧١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٦):ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٧١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٦):ص٣٤٤٤/١٠.

(٣٧١٥) تفسير مجاهد: ٧٣٥.

(٣٧١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٥):ص٢٤٤٤/١٠.

(٣٧١٧) نقلا عن: الكشاف: ٧٦٩/٤.

(٣٧١٨)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.

عن الحسن البصري، قال: أكثِروا ذِكر هذه النعمة؛ فإنّ ذِكرها شكر"[٣٧٢٠].

قال الحسن البصري: شكر النعمة ذكرها، قال الله تعالى: {وأما بنعمة ربك فحدث}"[٣٧٢١].

عن قتادة بن دعامة، قال: "مِن شُكر النعمة إفشاؤها"[٣٧٢٢].

عن أبي إسحاق السَّبيعي، قال: "يا معشر الشباب، اغتنِموا، فَلَّ ما تمُرّ بي ليلة إلا وأقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأ البقرة في ركعة، وإني لأصوم الأشهر الحُرم، وثلاثة أيام من كلّ شهر، والاثنين والخميس. ثم تلا: {وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}"[٣٧٢٣].

عن يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: "كان يُقال: تعديد النِّعم من الشكر"[٣٧٢٤].

«آخر تفسير سورة (الضحى)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٧١٩)الدر المنثور: ٥٤٥/٨، وعزاه إلى ابن جرير.

(٣٧٢٠)أخرجه البيهقي (٤٤٢١).

(٣٧٢١)تفسير البغوي ١/ ٩٥.

(٣٧٢٢)أخرجه عبد الرزاق (١٩٥٨٠)، والبيهقي (٤٥٧٢).

(٣٧٢٣)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٣١٤ - ٣١٥ (٦٦١٣).

(٣٧٢٤)أخرجه البيهقي (٤٤٥٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الشرح»

«سورة الشرح»: هي السورة الرابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الضحى»[٣٧٢٥]، آياتها ثمان. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «بكا»[٣٧٢٦].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة {ألم نشرح}، بمكة"[٣٧٢٧]. وروي عن عائشة وابن الزبير مثله[٣٧٢٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٣٧٢٩].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين لا خلاف بينهم في ذلك"[٣٧٣٠].

(٣٧٢٥) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وفيه: عن ابن عباس -رضي الله عنهما قال-: نزلت سورة {ألم نشرح} بمكة". زاد بعضهم: بعد «الضحى».

(٣٧٢٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٣٧٢٧) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٧٢٨) انظر: الدر المنثور: ٥٤٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٧٢٩) زاد المسير: ٤٦٠/٤.

(٣٧٣٠) المحرر الوجيز: ٤٩٦/٥.

القرآن

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢)} [الشرح : ١-٢]

التفسير:

ألم نوسع -أيها النبي- لك صدرك لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، وحططنا عنك بذلك حِمْلك.

قوله تعالى:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح : ١]، أي:" ألم نوسع -أيها النبي- لك صدرك لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق"(٣٧٣١).

عن إبراهيم بن طِهْمان، قال: "سألتُ سعيدًا عن قوله: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}، فحدّثني به عن قتادة، عن أنس قال: شُقّ بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه، فاستُخرج من قلبه، فغُسل في طَسْتٍ من ذهب، ثم مُلِئَ إيمانًا وحكمة، ثم أُعيد مكانه"(٣٧٣٢).

عن الحسن :" {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}، قال: مُلِئَ حِلمًا وعلمًا"(٣٧٣٣).

عن الحسن: "{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}، يعني: بالإيمان"(٣٧٣٤).

قوله تعالى:{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ} [الشرح : ٢]، أي:" وحططنا عنك بذلك حِمْلك"(٣٧٣٥).

وفي قوله تعالى:{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ} [الشرح : ٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : وغفرنا لك ذنبك، قاله مجاهد(٣٧٣٦)، وقتادة(٣٧٣٧)، وابن زيد(٣٧٣٨)، وشريح الحضرمي(٣٧٣٩).

عن مجاهد :"{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}، قال: ذنبك"(٣٧٤٠).

قال مجاهد:" {وِزْرَكَ} في الجاهلية"(٣٧٤١).

قال شريح بن عبيد الحضرمي:" وغفرنا لك ذنبك"(٣٧٤٢).

قال قتادة : "كانت للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له"(٣٧٤٣).

وروي عن الضحاك: "{وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}، يعني: الشرك الذي كان فيه"(٣٧٤٤).

عن الحسن وقتادة:" وحطّطنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية"(٣٧٤٥).

الثاني : وحططنا عنك ثقلك ، قاله السدي(٣٧٤٦).

وهي في قراءة ابن مسعود ، «وحللنا عنك وقرك»(٣٧٤٧).

(٣٧٣١) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٧٣٢)أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٦ - ٧.

(٣٧٣٣)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٦/ ٤٣٣ - ٤٣٤ (٣٢٣٤٨). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٧٣٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٣ -.

(٣٧٣٥) التفسير الميسر: ٥٩٦.

(٣٧٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٨):ص٣٤٤٥/١٠.

(٣٧٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤-٤٩٤.

(٣٧٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٤/٢٤.

(٣٧٣٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٣٨٩):ص٣٤٤٥/١٠.

(٣٧٤٠) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢٤.

(٣٧٤١)علقه البخاري ٤/ ١٨٩٢.

(٣٧٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٩):ص٣٤٤٥/١٠.

(٣٧٤٣) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢٤-٤٩٤.

(٣٧٤٤) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤.

(٣٧٤٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٣٢، وتفسير البغوي ٨/ ٤٦٣.

(٣٧٤٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩٧/٦.

(٣٧٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢٤.

القرآن

{الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)} [الشرح : ٣-٤]

التفسير:

الذي أثقل ظهرك، وجعلناك -بما أنعمنا عليك من المكارم- في منزلة رفيعة عالية؟

قوله تعالى:{الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} [الشرح : ٣]، أي:" الذي أثقل ظهرك"(٣٧٤٨).

عن مجاهد:" {الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}، قال: أثقل"(٣٧٤٩).

قال الحسن:" أثقل الحَمل"(٣٧٥٠).

قال قتادة:" كانت للنبيِّ ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له"(٣٧٥١).

قوله تعالى:{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح : ٤]، أي:" وجعلناك -بما أنعمنا عليك من المكارم- في منزلة رفيعة عالية"(٣٧٥٢).

قال مجاهد:" لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرتَ، معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله"(٣٧٥٣).

عن مجاهد:" {ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ}، يعني: بالتأذين"(٣٧٥٤).

قال الضحاك:" إذا ذُكِرتُ ذُكِرتَ معي، ولا تجوز خطبة ولا نكاح إلا بذِكرك معي"(٣٧٥٥).

عن الحسن:" {ورَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ}، قال: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي"(٣٧٥٦).

قال الحسن:" ألا ترى أنّ الله لا يُذكر في موضع إلا ذُكر معه نبيّه!"(٣٧٥٧).

عن الحسن:" {ورَفَعنا لَكَ ذِكْرَكَ}، قال: إذا ذُكر الله ذُكر رسوله"(٣٧٥٨).

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في الآية، قال: "إذا ذُكر الله ذُكر معه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا رسول الله"(٣٧٥٩).

عن قتادة، في قوله: "{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ابْدَءُوا بالعُبُودَةِ، وَثَنُّوا بالرسالة»، فقلت لمعمر، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده، فهو العبودة، ورسوله أن تقول: عبده ورسوله"(٣٧٦٠).

قال قتادة :" رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله"(٣٧٦١).

(٣٧٤٨) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٧٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٨٨):ص٣٤٤٥/١٠.

(٣٧٥٠)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٦/ ٤٣٣ - ٤٣٤ (٣٢٣٤٨). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٧٥١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٠.

(٣٧٥٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٧٥٣) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٩١):ص٣٤٤٥/١٠.

(٣٧٥٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٣٣، وتفسير البغوي ٨/ ٤٦٤.

(٣٧٥٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣٧٥٦)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٦/ ٤٣٣ - ٤٣٤ (٣٢٣٤٨) بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٧٥٧)عزاه السيوطي إلى ابن عساكر.

(٣٧٥٨)أخرجه البيهقي في سننه ٩/ ٢٨٦.

(٣٧٥٩)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن عساكر.

(٣٧٦٠) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤.

(٣٧٦١) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٣٩٢):ص٣٤٤٥/١٠

عن عدي بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألت ربي مسألة أني لم أكن سألته. قلت: أي رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما. قال: يا محمد ألم أجدك يتيما فآويت، وضالا فهديت وعائلا فأغنيت، وشرحت لك صدرك، حططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي واتخذتك خليلا؟»[٣٧٦٢].

القرآن

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح : ٥-٦]

التفسير:

فلا يَثْنِكَ أذى أعدائك عن نشر الرسالة؛ فإن مع الضيق فرجًا، إن مع الضيق فرجًا.

سبب النزول:

عن جابر بن عبد الله، قال: "بعثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن ثلاثمائة أو نزيد، علينا أبو عبيدة بن الجرّاح، ليس معنا مِن الحمولة إلا ما نركب، فزوّدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جرابين من تمر، فقال بعضنا لبعض: قد علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أين تريدون، وقد علمتم ما معكم مِن الزاد، فلو رجعتم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسألتموه أن يُزوّدكم. فرجعنا إليه، فقال: «إني قد عرفتُ الذي جئتم له، ولو كان عندي غير الذي زوّدتكم لزوّدتكموه». فانصرفنا، ونزلت: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}، فأرسل نبي الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بعضنا، فدعاه، فقال: «أبشِروا، فإنّ الله قد أوحى إليّ: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} ولن يَغلِب عُسرٌ يُسريْن»"[٣٧٦٣].

قوله تعالى:{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٥]، أي:" فلا يَثْنِكَ أذى أعدائك عن نشر الرسالة؛ فإن مع الضيق فرجًا"[٣٧٦٤].

قال مجاهد:" يتبع اليسرُ العُسَر"[٣٧٦٥]. وفي رواية:" أتْبَع العُسرَ يُسرًا"[٣٧٦٦].

عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "نزل المعونة من السماء على قدر المؤونة، ونزل الصبر على قدر المصيبة"[٣٧٦٧].

قوله تعالى:{إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح : ٦]، أي:" إن مع الضيق فرجًا"[٣٧٦٨].

قال الحسن:" كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين"[٣٧٦٩].

(٣٧٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٤):ص٣٤٤٦/١٠.

(٣٧٦٣)أخرجه ابن مردويه -كما في تخريج أحاديث الكشاف ٤/ ٢٣٦ - ، من طريق يحيى بن محمد بن هانئ، عن محمد بن إسحاق، ثني الحسن بن عطية العَوفيّ، عن أبيه، عن جابر به.

إسناده ضعيف جدًّا؛ فيه يحيى بن محمد بن هانئ، قال عنه ابن حجر في التقريب (٧٦٣٧): «ضعيف، وكان ضريرًا يتلقن». وفيه أيضًا الحسن بن عطية العَوفيّ، قال عنه ابن حجر في التقريب (١٢٥٦): «ضعيف». وفيه أيضًا أبوه عطية العَوفيّ، قال عنه الذهبي في المغني ٢/ ٤٣٦: «مُجمع على ضعفه».

(٣٧٦٤) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٧٦٥) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.

(٣٧٦٦)تفسير مجاهد ص ٧٣٦.

(٣٧٦٧) رواه الحسن بن سفيان كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٢/٨، ورواه البزار في مسنده برقم (١٥٠٦) "كشف الأستار" وابن عدي في الكامل (١١٥/٤) من طريق عبد العزيز الدراوردي عن طارق وعباد بن كثير، عن أبي الزناد به. وقال البزار : "لا نعلمه عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد". وقال ابن عدي : "وطارق بن عمار يعرف بهذا الحديث". والحديث معلول. انظر : العلل لابن أبي حاتم (١٢٦/٢، ١٣٣) والكامل لابن عدي (٢٣٨/٦، ٤٠٢، ٣٧/٢، ١١٥/٤).

(٣٧٦٨) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٧٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٦):ص٣٤٤٦/١٠.

قال الحسن:" خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول: « لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح : ٥ - ٦]»"[٣٧٧٠]. وفي لفظ: «أَبْشِرُوا أَتَاكُمُ الْيُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[٣٧٧١].

عن عائذ بن شريح، قال: "سمعت أنس بن مالك يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم- جالسا وحياله حجر فقال: «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه، فأنزل الله عز وجل: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)} [الشرح : ٥ - ٦]"[٣٧٧٢].

قال ابن مسعود : " لو دخل العسر في جُحْر، لجاء اليسر حتى يدخل عليه، لأن الله يقول: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}"[٣٧٧٣].

وفي قراءة عبد الله :{إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} ،مرة واحدة ليست بمكررة"[٣٧٧٤].

القرآن

{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)} [الشرح : ٧-٨]

التفسير:

فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فَجِدَّ في العبادة، وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده.

قوله تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} [الشرح : ٧]، أي:" فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فَجِدَّ في العبادة"[٣٧٧٥].

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} [الشرح : ٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : فإذا فَرغت من صلاتك، فانصب إلى ربك في الدعاء، وسله حاجاتك، قاله مجاهد[٣٧٧٦]، وقتادة[٣٧٧٧]، والضحاك[٣٧٧٨].

قال مجاهد:" إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك إلى ربك"[٣٧٧٩].

عن قتادة:"{فَإِذَا فَرَغْتَ}، من صلاتك، {فَانْصَبْ}، في الدعاء"[٣٧٨٠].

قال قتادة:" أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه"[٣٧٨١].

(٣٧٧٠)رواه الحاكم في "المستدرك"(٣٩٥٠):ص٥٧٥/٢: كتاب التفسير: باب سورة ألم نشرح، وقال عنه: إسناده مرسل، ووافقه الذهبي.

وقال ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن الحسن به مرسلاً، ومن طريقه أخرجه الحاكم، والبيهقي في الشعب، ورواه الطبري من طريق أبي ثور، عن معمر. وله طريق أخرى أخرجها ابن مردويه من رواية عطية عن جابر موصولاً، وإسناده ضعيف. الكافي الشاف: ٤/ ١٨٦.

وانظر: "شعب الإيمان" ٧/ ٢٠٦ ح ١٠٠١٣، كما ورد في "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٣٨٠، و"تفسير الطبري" ٤٩٥/٢٤، و"بحر العلوم" ٣/ ٤٩٠، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١١٤ ب، و"فتح الباري" ٨/ ٧١٢، و"أحكام القرآن" للجصاص ٣/ ٤٧٣، و"معالم التنزيل" ٤/ ٥٠٢، و"الكشاف" ٤/ ٢٢٣، و"تفسير القرطبي" ٢٠/ ١٠٧، و"لباب التأويل" ٤/ ٣٨٩، و"تفسير ابن كثير " ٤/ ٥٦١ - ٥٦٢، و"الدر المنثور" ٨/ ٥٥١.

(٣٧٧١) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٤.

(٣٧٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٥):ص٣٤٤٦/١٠.

(٣٧٧٣) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٤.

(٣٧٧٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٧٥/٣.

(٣٧٧٥) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٧٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤.

(٣٧٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤.

(٣٧٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤.

(٣٧٧٩) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.

(٣٧٨٠) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.

(٣٧٨١) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.

قال الضحاك:" يقول: من الصلاة المكتوبة قبل أن تسلّم، فانصَب"[٣٧٨٢].
قال عامر الشعبي: "إذا فرغتَ من التشَهُّد فادعُ لدنياك وآخرتك"[٣٧٨٣].
عن الضحاك قال: "كان ابن مسعود يقول: أيما رجل أحدث في آخر صلاته فقد تمت صلاته، وذلك قوله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}، قال: فراغك من الركوع والسجود، {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}، قال: في المسألة وأنت جالس"[٣٧٨٤].
الثاني : فإذا فرغت من جهادك عدوك فانصب لعبادة ربك، قاله الحسن[٣٧٨٥]، وزيد بن اسلم[٣٧٨٦].
قال الحسن: "إذا فرغت من غزوك وجهادك، فتعبد لله تعالى"[٣٧٨٧].
قال الحسن:" أمره إذا فرغ من غزوه، أن يجتهد في الدعاء والعبادة"[٣٧٨٨].
قال زيد بن اسلم:" فإذا فرغت من الجهاد، جهاد العرب، وانقطع جهادهم، فانصب لعبادة الله {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}"[٣٧٨٩].
الثالث : فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك ، قاله مجاهد[٣٧٩٠].
قال مجاهد:" إذا فرغت من أمر دنياك فانصب، فصلّ"[٣٧٩١].
قال مجاهد:" إذا فرغت من أسباب نفسك، فصلّ"[٣٧٩٢].
قال مجاهد:" إذا فرغت من أمر الدنيا، وقمت إلى الصلاة، فاجعل رغبتك ونيتك له"[٣٧٩٣].
وهذه المعاني كلها محتملة، والوجه حمل اللفظ عليها كلها فيكون جميعها مرادا، وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فإن المراد به جميع المكلفين[٣٧٩٤]، والمعنى: إذا فرغت من شغلك بما يجوز أن تشتغل به من أمور الدنيا أو الآخرة فانصب، أي: انتصب لله تعالى واشتغل بذكره ودعائه والصلاة له، ولا تشتغل باللهو وما يؤثم"[٣٧٩٥].
قوله تعالى:{وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح : ٨]، أي:" وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده"[٣٧٩٦].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} [الشرح : ٨]، وجهان:
أحدهما : فارغب إليه في دعائك.
قال عطاء:" تضرع إليه راهبا من النار راغبا في الجنة"[٣٧٩٧].
الثاني : في إخلاص نيتك، قاله مجاهد[٣٧٩٨].
عن مجاهد: "{وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}، قال: إذا قمت إلى الصلاة"[٣٧٩٩].

(٣٧٨٢) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤.
(٣٧٨٣)تفسير البغوي ٨/ ٤٦٦.
(٣٧٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٣٩٨):ص٣٤٤٦/١٠.
(٣٧٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٤-٤٩٧.
(٣٧٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٧٨٧) عزاه إليه النحاس في "الناسخ والمنسوخ": ٧٧٢.
(٣٧٨٨) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٤-٤٩٧.
(٣٧٨٩) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٧٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٧٩١) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٧٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٠٠):ص٣٤٤٦/١٠.
(٣٧٩٣) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٧٩٤) أحكام القرآن: ٦٣٩/٣.
(٣٧٩٥) الناسخ والمنسوخ: ٧٧٢.
(٣٧٩٦) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٣٧٩٧) عزاه إليه البغوي في "التفسير": ٤٦٧/٨.
(٣٧٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤-٤٩٨.

قال مجاهد:" اجعل نيتك ورغبتك إلى الله"[٣٨٠٠].
قال مجاهد:" اجعل رغبتك ونيتك إلى ربك"[٣٨٠١].
والمعنى: " وإلى ربك يا محمد فاجعل رغبتك، دون من سواه من خلقه، إذ كان هؤلاء المشركون من قومك قد جعلوا رغبتهم في حاجاتهم إلى الآلهة والأنداد[٣٨٠٢].
عن أبي حصين، قال: مر شريح برجلين يصطرعان، فقال: «ليس بهذا أمر الفارغ، إنما قال الله تبارك وتعالى: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)} [الشرح : ٧ - ٨]»، -قال الفراء-:فكأنه في قول شريح: إذا فرغ الفارغ من الصلاة أو غيرها"[٣٨٠٣].
وعن الشعبي: "أنه رأى رجلا يشيل حجرا، فقال: ليس بهذا أمر الفارغ"[٣٨٠٤].
قال عبد الله بن مسعود «إني لأمقت الرجل أراه فارغا ليس في شيء من عمل دنيا ولا آخرة»[٣٨٠٥].
«آخر تفسير سورة (الشرح)، والحمد لله وحده»
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٧٩٩) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٨٠٠) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٨٠١) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٨٠٢) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٤.
(٣٨٠٣) أخرجه الفراء في "معاني القرآن: ٢٧٦/٣.
(٣٨٠٤) نقلا عن: الكشاف: ٧٧٢/٤.
(٣٨٠٥) الزهد لوكيع(٣٦٩):ص٦٥٢، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٤٥٦٢):ص١٠٨/٧، والزهد لهناد بن السري: ٣٥٧/٢، والزهد لأبي داود(١٧٤):ص١٧١، كلهم من طريق المسيب بن رافع.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التين»

«سورة التين»: هي السورة الخامسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة البروج»، وآياتها ثمان. وكلماتها أربع وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون. وفواصل آياتها «من»[٣٨٠٦].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله الجمهور[٣٨٠٧]، منهم الحسن[٣٨٠٨]، وعكرمة[٣٨٠٩]، وعطاء[٣٨١٠]، وجابر[٣٨١١]. وهو المشهور من كلام ابن عباس[٣٨١٢].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في قول الجمهور"[٣٨١٣].

عن ابن عباس، قال: " أنزلت سورة التين {والتين} بمكة"[٣٨١٤].

الثاني: أنها مدنيّة، حكاه الماورديّ عن ابن عباس[٣٨١٥]، وقتادة[٣٨١٦].

(٣٨٠٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٦/١.

(٣٨٠٧) انظر: البحر المحيط: ٥٠٢/١٠، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(٣٨٠٨) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(٣٨٠٩) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(٣٨١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤.

(٣٨١١) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦.

(٣٨١٢) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٨١٣) البحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(٣٨١٤) انظر: الدر المنثور: ٥٥٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٨١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

(٣٨١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٠٠/٦، وزاد المسير: ٤٦٣/٤، والبحر المحيط: ٥٠٢/١٠.

القرآن

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)} [التين : ١-٦]

التفسير:

أقسم الله بالتين والزيتون، وهما من الثمار المشهورة، وأقسم بجبل «طور سيناء» الذي كلَّم الله عليه موسى تكليمًا، وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف وهي «مكة» مهبط الوحي. لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة، ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل، لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا منقوص.

قوله تعالى:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، أي: أقسم" بالتين والزيتون"[٣٨١٧].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} [التين : ١]، على أقوال:

أحدها : أنهما التين والزيتون المأكولان، قاله الحسن[٣٨١٨]، وعكرمة[٣٨١٩]، ومجاهد[٣٨٢٠]، وإبراهيم[٣٨٢١].

عن مجاهد:"{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}، قال: الفاكهة التي تأكل الناس"[٣٨٢٢].

قال مجاهد، وإبراهيم:" التين الذي يؤكل، والزيتون: الذي يعصر"[٣٨٢٣].

قال مجاهد:" هو تينكم وزيتونكم"[٣٨٢٤].

قال عكرمة:" تينكم وزيتونكم"[٣٨٢٥].

قال عكرمة:" التين: هو التين، والزيتون: الذي تأكلون"[٣٨٢٦].

قال الحسن:" تينكم هذا الذي يؤكل، وزيتونكم هذا الذي يُعْصر"[٣٨٢٧].

قال الحسن:" التين تينكم، والزيتون زيتونكم هذا"[٣٨٢٨].

الثاني : أن التين: دمشق ، والزيتون: بيت المقدس ، قاله كعب الأحبار[٣٨٢٩].

وقال قتادة:" ذُكر لنا أن التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الذي عليه بيت المقدس"[٣٨٣٠].

الرابع : الجبل الذي عليه التين ، والجبل الذي عليه الزيتون ، قاله ابن قتيبة[٣٨٣١]، وهما جبلان بالشام يقال لأحدهما طور: زيتا ، وللآخر طور: تيناً، وهو تفسير الربيع[٣٨٣٢].

وقال عكرمة:" هما جبلان"[٣٨٣٣].

الخامس: أن التين مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون مسجد ايليا ، قاله محمد بن كعب[٣٨٣٤].

(٣٨١٧) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٣٨١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٣٨١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٣٨٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١/٢٤-٥٠٢.
(٣٨٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٣٨٢٢) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٣٨٢٣) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٣٨٢٤) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٣٨٢٥) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٣٨٢٦) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٣٨٢٧) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢٤.
(٣٨٢٨) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٣٨٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٣٨٣٠) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤.
(٣٨٣١) انظر: غريب القرآن: ٥٣٢.
(٣٨٣٢) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٣٨٣٣) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢٤-٥٠٣.

والصواب: قول من قال: التين: هو التين الذي يُؤكل، والزيتون: هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب، ولا يُعرف جبل يسمى تينا، ولا جبل يقال له زيتون، إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، فيكون ذلك مذهبا، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوّز خلافه، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون[٣٨٣٥].

قوله تعالى:{وَطُورِ سِينِينَ} [التين : ٢]، أي:" ، وأقسم بجبل «طور سيناء» الذي كلّم الله عليه موسى تكليمًا"[٣٨٣٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَطُورِ سِينِينَ} [التين : ٢] أقوال:

أحدها : أنه الجبل. قاله مجاهد[٣٨٣٧]، وعكرمة[٣٨٣٨].

عن مجاهد: "{وَطُورِ سِينِينَ}: جبل"[٣٨٣٩]. وفي لفظ:" الجبل"[٣٨٤٠].

قال عكرمة:" طُور: جبل"[٣٨٤١].

عن عكرمة: "{وَطُورِ سِينِينَ}، قال: سواء علي نبات السهل والجبل"[٣٨٤٢].

عن عمرو بن ميمون، قال: "صليت خلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه المغرب، فقرأ في أوّل ركعة: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ}، قال: هو جبل"[٣٨٤٣].

الثاني : أنه جبل بالشام ، قاله قتادة[٣٨٤٤].

الثالث : أنه الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، قاله كعب الأحبار[٣٨٤٥].

عن كعب:" {وَطُورِ سِينِينَ}، قال: جبل موسى صلى الله عليه وسلم-"[٣٨٤٦].

عن قتادة، عن قزعة، قال: قلت لابن عمر: "إني أريد أن آتي بيت المقدس {وَطُورِ سِينِينَ}، فقال: لا تأت طور سينين، ما تريدون أن تدعوا أثر نبيّ إلا وطئتموه. قال قتادة {وَطُورِ سِينِينَ}: مسجد موسى صلى الله عليه وسلم"[٣٨٤٧].

وفي قوله: «سينين»، أربعة وجوه :

أحدها : أنه الحسن -بلغة الحبشة-، ونطقت به العرب، قاله الحسن[٣٨٤٨]، وعكرمة[٣٨٤٩].

قال عكرمة:" وهي لغة الحبشة، يقولون للشيء الحسن: سِينا سِينا"[٣٨٥٠].

(٣٨٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٩٤٠٤:ص٣٤٤٧/١٠).
(٣٨٣٥) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(٣٨٣٦) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٣٨٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٣٩) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٤٠) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٤١) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٤٢) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٤٣) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.
(٣٨٤٥) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٣٨٤٦) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(٣٨٤٧) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢٤.
(٣٨٤٨) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.
(٣٨٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٤.
(٣٨٥٠) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.

قال عكرمة: "الطور: الجبل، والسينين: الحسن، كما ينبت في السهل، كذلك ينبت في الجبل"[٣٨٥١].

الثاني : أنه المبارك ، قاله مجاهد[٣٨٥٢]، وقتادة[٣٨٥٣].

قال قتادة:" جبل مبارك بالشام"[٣٨٥٤].

قال قتادة:" جبل بالشام، مُبارك حسن"[٣٨٥٥].

الثالث : أنه اسم للشجر الذي حوله ، قاله عطية[٣٨٥٦].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: طور سينين: جبل معروف، لأن الطور هو الجبل ذو النبات، فإضافته إلى سينين تعريف له، ولو كان نعتا للطور، كما قال من قال معناه حسن أو مبارك، لكان الطور منّونا، وذلك أن الشيء لا يُضاف إلى نعته، لغير علة تدعو إلى ذلك[٣٨٥٧].

قوله تعالى:{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين : ٣]، أي:" وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف وهي «مكة» مهبط الوحي"[٣٨٥٨].

عن مجاهد، وقتادة، وعكرمة، وإبراهيم: "{وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ}، قال: مكة"[٣٨٥٩].

عن كعب، والحسن، وعكرمة: "{وَهَذَا الْبَلَدِ الأمِينِ}، قال: البلد الحرام"[٣٨٦٠].

قوله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤]، أي:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة"[٣٨٦١].

قال قتادة:" وقع القسم -ها هنا-: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}"[٣٨٦٢].

عن عطاء:{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ}: "الوليد بن المغيرة"[٣٨٦٣].

وفي قوله تعالى: {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤]، أقوال:

أحدها : في أحسن صورة ، قاله أبو العالية[٣٨٦٤]، وقتادة[٣٨٦٥]، وإبراهيم[٣٨٦٦].

الثاني: في أحسن خَلْقٍ. قاله مجاهد[٣٨٦٧]، وإبراهيم-أيضا-[٣٨٦٨].

الثالث : في شباب وقوة ، قاله عكرمة-أيضا-[٣٨٦٩].

عن عكرمة:"{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}، قال: الشاب القويّ الجَلْد"[٣٨٧٠].

(٣٨٥١) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢٤.

(٣٨٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.

(٣٨٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.

(٣٨٥٤) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤.

(٣٨٥٥) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤.

(٣٨٥٦) انظر: النكت والعيون: ٣٠١/٦.

(٣٨٥٧) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٤.

(٣٨٥٨) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٨٥٩) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤/ ٥٠٦.

(٣٨٦٠) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٤-٥٠٦.

(٣٨٦١) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٨٦٢) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٤.

(٣٨٦٣) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦، وزاد المسير: ٤٦٤/٤.

(٣٨٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.

(٣٨٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.

(٣٨٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.

(٣٨٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.

(٣٨٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٤.

(٣٨٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٤.

(٣٨٧٠) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٤.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن معنى ذلك: لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها؛ لأن قوله: {أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}، إنما هو نعت لمحذوف، وهو في تقويم أحسن تقويم، فكأنه قيل: لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم[٣٨٧١]، فإنه ليس لله تعالى خلق هو أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا، مريدا، متكلما، سميعا، بصيرا، مدبرا، حكيما، وهذه صفات الرب، وعنها عبر بعض العلماء، ووقع البيان بقوله: «إن الله خلق آدم على صورته»[٣٨٧٢]، يعني: على صفاته التي قدمنا ذكرها، وفي رواية "على صورة الرحمن"[٣٨٧٣][٣٨٧٤]، فهذا يدلك على أن الإنسان أحسن خلق الله باطنا و هو أحسن خلق الله ظاهرا جمال هيئة، وبديع تركيب: الرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدان وما بطشتاه، والرجلان وما احتملتاه؛ ولذلك قالت الفلاسفة: إنه العالم الأصغر؛ إذ كل ما في المخلوقات أجمع فيه هذا على الجملة وكيف على التفصيل، بتناسب المحاسن، فهو أحسن من الشمس والقمر بالعينين جميعا. وقد بينا القول في ذلك في كتاب المشكلين، وبهذه الصفات الجليلة التي ركب عليها الإنسان استولى على جماعة الكفران، وغلب على طائفة الطغيان، حتى قال: أنا ربكم الأعلى، وحين علم الله هذا من عبده، وقضاؤه صادر من عنده، رده أسفل سافلين وهي: الآية الرابعة بأن جعله مملوءا قذرا، مشحونا نجاسة، وأخرجها على ظاهره إخراجا منكرا على وجه الاختيار تارة، وعلى وجه الغلبة أخرى، حتى إذا شاهد ذلك من أمره رجع إلى قدره[٣٨٧٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، أي:" ثم رددناه إلى النار إن لم يطع الله، ويتبع الرسل"[٣٨٧٦].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : ثم رددناه إلى أرذل العمر. قاله عكرمة[٣٨٧٧]، وإبراهيم[٣٨٧٨].

عن عكرمة: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)، قال: الشيخ الهَرِم، لم يضرّه كبرُه إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل"[٣٨٧٩].

قال عكرمة:" ردّوا إلى أرذل العمر"[٣٨٨٠].

قال قتادة:" رددناه إلى الهرَم"[٣٨٨١].

وقال الضحاك: إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة"[٣٨٨٢].

الثاني : ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة، وذلك إن لم يطع الله ويتبع الرسل. قاله الحسن[٣٨٨٣]، ومجاهد[٣٨٨٤]، وأبو العالية[٣٨٨٥]، ويكون «أسفل السافلين»: محمولاً على الدرك الأسفل من النار.

(٣٨٧١) تفسير الطبري: ٥٠٨/٢٤.

(٣٨٧٢) صحيح البخاري الاستئذان (٦٢٢٧)، صحيح مسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤١)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٣١٥).

(٣٨٧٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٧).

(٣٨٧٤) أحكام القرآن: ٤١٥/٤.

(٣٨٧٥) أحكام القرآن: ٤١٥/٤-٤١٦، ونقله القرطبي في "تفسيره": ١١٤/٢٠.

(٣٨٧٦) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٨٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.

(٣٨٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.

(٣٨٧٩) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٤.

(٣٨٨٠) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٤.

(٣٨٨١) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٤.

(٣٨٨٢) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٠٢/٦، وزاد المسير: ٤٦٥/٤.

(٣٨٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.

(٣٨٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.

(٣٨٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢٤.

عن الحسن:" {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، قال: في النار"[٣٨٨٦].
قال الحسن: جهنم مأواه"[٣٨٨٧].
عن مجاهد: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، قال: النار"[٣٨٨٨]. وفي لفظ:" إلى النار"[٣٨٨٩].
عن أبي العالية: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، قال: في شرّ صورة في صورة خنزير"[٣٨٩٠].
وأشبه الأقوال بتفسير الآية، قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلى عمر الخَرْفَى، الذين ذهبت عقولهم من الهرَم والكِبر، فهو في أسفل من سفل في إدبار العمر وذهاب العقل، وإنما قلنا: هذا القول أولى بالصواب في ذلك؛ لأن الله تعالى ذكره، أخبر عن خلقه ابن آدم، وتصريفه في الأحوال، احتجاجا بذلك على مُنكري قُدرته على البعث بعد الموت، ألا ترى أنه يقول: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ}، يعني: بعد هذه الحُجَج. ومحال أن يحتجّ على قوم كانوا مُنكرين معنى من المعاني بما كانوا له مُنكرين. وإنما الحجة على كلّ قوم بما لا يقدرون على دفعه، مما يعاينونه ويحسُّونه، أو يقرّون به، وإن لم يكونوا له مُحسين. وإذْ كان ذلك كذلك، وكان القوم للنار- التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة- مُنكرين، وكانوا لأهل الهرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلد شاهدين، علم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين، من تصريفه خلقه، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجلد، إلى الهرَم والضعف وفناء العمر، وحدوث الخَرَف[٣٨٩١].
قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦]، أي:" لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة لهم أجر عظيم غير مقطوع ولا منقوص"[٣٨٩٢].
وللمفسرين في معنى الاستثناء في هذه الآية، قولان:
أحدهما: إلا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى الخَرَف، وأرْذل العُمُر وإن عُمِّروا طويلاً، وهذا على القول الأول[٣٨٩٣].
عن عكرمة، قال: "من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر، ثم قرأ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قال: لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيئا"[٣٨٩٤]." ولا ينزل تلك المنزلة أحد قرأ القرآن وذلك قوله: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا}، الآية. قال: هم أصحاب القرآن"[٣٨٩٥].
قال عكرمة:" يوفيه الله أجره أو عمله، ولا يؤاخذه إذا رُدّ إلى أرذل العمر"[٣٨٩٦].
قال عكرمة:" الشيخ الهرم لم يضرّه كبره إن ختم الله له بأحسن ما كان يعمل"[٣٨٩٧].
قال قتادة:" من أدركه الهرم، وكان يعمل صالحا، كان له مثل أجره إذا كان يعمل"[٣٨٩٨].
قال إبراهيم:" فإذا بلغ المؤمن إلى أرذل العمر، كُتِبَ له كأحسن ما كان يعمل في شبابه وصحته، فهو قوله: {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}"[٣٨٩٩].

(٣٨٨٦) أخرجه الطبري: ٢٤//٥٠٩-٥١٠.
(٣٨٨٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٩.
(٣٨٨٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٩.
(٣٨٨٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٩.
(٣٨٩٠) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٠٩.
(٣٨٩١) تفسير الطبري: ٢٤/٥١٠.
(٣٨٩٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.
(٣٨٩٣) أقصد قول من فسّر {أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، بأرذل العمر.
(٣٨٩٤) أخرجه الطبري: ٢٤/٥١٠-٥١١.
(٣٨٩٥) أخرجه الطبري: ٢٤/٣٤٤٨.
(٣٨٩٦) أخرجه الطبري ٢٤/٥١٢.
(٣٨٩٧) أخرجه الطبري ٢٤/٥١٢.
(٣٨٩٨) أخرجه الطبري ٢٤/٥١٢.
(٣٨٩٩) أخرجه الطبري ٢٤/٥١١-٥١٢.

الثاني: إلا الذين آمنوا، فإنهم لا يُرَدُّون إلى النار. وهذا على القول الثاني[٣٩٠٠].

عن مجاهد :"{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا من آمن"[٣٩٠١].

عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: "{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}: في النار {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قال الحسن: هي كقوله: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}"[٣٩٠٢].

والصواب قول من قال: معناه: ثم رددناه إلى أرذل العمر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم، فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم، كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم، في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل، وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وصفنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}، إلى أرذل العمر[٣٩٠٣].

وفي قوله تعالى:{فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦]، وجوه:

أحدها : معناه: لهم أجر غير منقوص، قاله السدي[٣٩٠٤]، ومنه قول زهير بن أبي سلمى[٣٩٠٥]:

فضل الجياد على الخيل البطاء فلا ... يعطي بذلك ممنونا ولا ترقا

وقول الآخر [٣٩٠٦]:

أَعْطَوْا هُنَيْدَة يَحْدُوها ثَمَانِيَة ... ما فِي عَطائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَف

يعني: أنه ليس فيه نقص، ولا خطأ؟

الثاني : غير محسوب ، قاله مجاهد[٣٩٠٧]، وإبراهيم[٣٩٠٨].

الثالث : ليس فيه منّ[٣٩٠٩]. أي: لا يمتن به عليهم أحد - سوى الله - منة تكدر النعمة عليهم. قاله الحسن[٣٩١٠].

وقال الحسن:" غير ممنون عليهم مِن أذًى"[٣٩١١].

وقال عكرمة:" ولا يمن به عليهم"[٣٩١٢].

الرابع : أجر بغير عمل ، قاله الضحاك[٣٩١٣].

(٣٩٠٠) أقصد قول من فسّر {أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين : ٥]، بالنار.

(٣٩٠١) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٣٩٠٢) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٣٩٠٣) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٣٩٠٤) انظر: النكت والعيون: ٢٣٩/٦.

(٣٩٠٥) ديوانه: ٤٢.

أراد أن الممدوح فضل الناس فضل الجياد على البطاء من الخيل. الجياد: الواحد جواد، الذي يجود بما عنده من الجري. الممنون: المقطوع. الترق: الذي يبطئ بعد الجري والذي يعطي ثم يكف.

(٣٩٠٦)لجرير في ديوانه ص١٧٤؛ ولسان العرب ٣/ ٤٣٧ (هند)، ٤/ ٤١ (بحر)، ٩/ ١٤٩ (سرف)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٨٣؛ وجمهرة اللغة ص٦٨٧؛ ومقاييس اللغة ٣/ ١٥٣، ٦/ ٦٩، والمخصّص ٣/ ٣٥؛ وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٩٨؛ ومجمل اللغة ٣/ ١٣٥؛ وتاج العروس ٩/ ٣٤٨ (هند)، ٢٣/ ٤٢٨ (سرف).

(٣٩٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٣/٢٤.

(٣٩٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٤/٢٤.

(٣٩٠٩)قال ابن كثير:" وقال بعضهم :{غَيْرُ مَمْنُونٍ} عليهم، وهذا القول الآخر عن بعضهم قد أنكره غير واحد ؛ فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائما سرمدًا، والحمد لله وحده أبدا ؛ ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النَّفَس :{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [يونس : ١٠]". [تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٨].

(٣٩١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦.

(٣٩١١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٦ -.

(٣٩١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤١٢):ص٣٤٤٩/١٠.

(٣٩١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦، وتفسير البغوي ٨/ ٤٧٣.

وحكي:" أن من بلغ الهرم كتب له أجر ما عجز عنه من العمل الصالح"[٣٩١٤].

القرآن

{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧)} [التين : ٧]

التفسير:

أيُّ شيء يحملك -أيها الإنسان- على أن تكذِّب بالبعث والجزاء مع وضوح الأدلة على قدرة الله تعالى على ذلك؟

عن عكرمة:" {فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّين}، قال: الحساب"[٣٩١٥].

عن قتادة:{يَوْمِ الدِّين}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"[٣٩١٦].

قال مجاهد{يَوْمِ الدِّين}: "يوم الحساب"[٣٩١٧].

واختلف في تفسير الآية الكريمة، على قولين:

أحدهما: معناه: فما يكذّبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين. وهذا قول مجاهد[٣٩١٨].

عن منصور قال : "قلت لمجاهد :{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّين} عنى به النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَعَاذ الله! عنى به الإنسان"[٣٩١٩].

قيل لمجاهد -من طريق سفيان-: "{فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّين} و {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين} [الماعون: ١] عُني به النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم -؟ قال: معاذ الله! إنما عُني بهما الإنسان"[٣٩٢٠].

الثاني : إنما عني بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقيل له: استيقن مع ما جاءك من الله من البيان، أن الله أحكم الحاكمين. وهذا قول قتادة[٣٩٢١].

عن قتادة، قوله: "{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّين}، أي: استيقن بعد ما جاءك من الله البيان"[٣٩٢٢].

القرآن

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)} [التين : ٨]

التفسير:

أليس الله الذي جعل هذا اليوم للفصل بين الناس بأحكم الحاكمين في كل ما خلق؟ بلى. فهل يُترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا يُنهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ لا يصحُّ ذلك ولا يكون.

عن معمر، قال: "كان قتادة إذا تلا: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}، قال: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، أحسبه كان يرفع ذلك؛ وإذا قرأ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}؟ قال: بلى، وإذا تلا: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}، قال: آمنت بالله، وبما أنزل"[٣٩٢٣].

(٣٩١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٦.

(٣٩١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/٢٤.

(٣٩١٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(٣٩١٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

(٣٩١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٤/١٤، رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٥/٨.

(٣٩١٩) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٥/٨.

(٣٩٢٠) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٤، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٤٥٧ - . وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد.

(٣٩٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥١٥/٢٤.

(٣٩٢٢) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٤.

(٣٩٢٣) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٤.

قال قتادة:" ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين»"[٣٩٢٤].

عن سعيد بن جُبير، قال: "كان ابن عباس إذا قرأ: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}، قال: سبحانك اللهمّ، وبلى"[٣٩٢٥].

عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قرأ: «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا» فقال: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات: ٥٠] ، فليقل: آمنا بالله، ومن قرأ: «وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ»، فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠]، فليقل: بلى"[٣٩٢٦].

«آخر تفسير سورة (التين)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٩٢٤) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٤.

(٣٩٢٥) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٤.

(٣٩٢٦) المسند(٧٣٩١):ص٣٥٣/١٢، إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة.

وأخرجه الحميدي (٩٩٥) ، وأبو داود (٨٨٧) ، والترمذي (٣٣٤٧) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٤٣٦) ، والبيهقي ٣١٠/٢-٣١١، والبغوي (٦٢٣) من طريق سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد. ورواية الترمذي مقتصرة على ما يتعلق بـ (والتين والزيتون) ، وقال: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي، عن أبي هريرة، ولا يسمى.

وأخرج الحاكم ٥١٠/٢ من طريق يزيد بن عياض، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) ، قال: "بلى"، وإذا قرأ: (أليس الله بأحكم الحاكمين) ، قال: "بلى". ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قال الشيخ أحمد شاكر: أبو اليسع هذا الذي سماه يزيد بن عياض في روايته عن إسماعيل بن أمية عند الحاكم: رجل مجهول قال الذهبي في "الميزان" ٣٨٨/٣، وتبعه الحافظ في "لسان الميزان" ٤٥٤/٦: " لا يدرى من هو! والسند بذلك مضطرب"، فمن عجب بعد ذلك أن يوافق الذهبي على تصحيح الحاكم إياه دون تعقيب!

وفي الباب عن موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) ، قال: سبحانك فبلى. فسألوه عن ذلك، قال: سمعته من رسول الله عنه. أخرجه أبو داود (٨٨٤) ، ومن طريقه البغوي في "شرح السنة" (٦٢٤) عن محمد بن المثنى، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن موسى بن أبي عائشة. وموسى هذا ثقة إلا أنه لم يرو عن أحد من
الصحابة، وروايته إنما هي عن التابعين.

وفيه أيضا عن قتادة، قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها (يعني قوله تعالى: (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى)) ، قال: "سبحانك وبلى". وهذا مرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «العلق»

«سورة العلق»: هي السورة السادسة والتسعون بحسب الرسم القرآني، وهى أول ما نزل من القرآن الكريم، وآياتها ثمان عشرة في الشامي، وتسع عشرة في العراقي، وعشرون في الحجازي. وكلماتها اثنتان وتسعون. وحروفها مائتان وثمانون والمختلف فيها آيتان: {عَلَقٍ} [العلق : ٢]، {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤][٣٩٢٧].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " أول ما نزل من القرآن بمكة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[٣٩٢٨].

عن ابن عباس قال: أول سورة نزلت على محمد: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[٣٩٢٩].

عن ابن عباس قال: "أول شيء أنزل من القرآن خمس آيات: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى قوله: {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"[٣٩٣٠].

عن الزهري وعمرو بن دينار:" أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"[٣٩٣١].

عمرو بن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذا أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"[٣٩٣٢].

عن عائشة، قالت: "أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[٣٩٣٣].

عن عائشة، قالت: كان أول ما نزل عليه بعد: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} {ن والقلم} و {يا أيها المدثر} {والضحى}"[٣٩٣٤].

عن أبي موسى الأشعري قال: كانت {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} أول سورة أنزلت على محمد"[٣٩٣٥].

عن مجاهد قال: أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، ثم {ن والقلم}"[٣٩٣٦].

عن عبيد بن عمير قال: أول ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} ثم «ن»"[٣٩٣٧].

عن ابن شهاب:" حدثني محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع بعض علمائهم يقول: "كان أول ما أنزل الله على نبيه {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} إلى: {مَا لَمْ يَعْلَمْ}، فقالوا: هذا صدرها الذي أنزل يوم حراء ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك ما شاء الله"[٣٩٣٨].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع. وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى، نزل صدرها في غار حراء حسبما ثبت في صحيح البخاري وغيره، وروي من طريق جابر بن عبد الله أن أول ما نزل: {يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}

(٣٩٢٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٢٩/١.

(٣٩٢٨) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه من طرق.

(٣٩٢٩) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٩٣٠) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٣٩٣١) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣٩٣٢) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى الحاكم.

(٣٩٣٣) انظر: الدر المنثور: ٥٦١/٨، وعزاه إلى ابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وصححه.

(٣٩٣٤) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن الأنباري في المصاحف.

(٣٩٣٥) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن الضريس وابن الأنباري في المصاحف والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.

(٣٩٣٦) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣٩٣٧) انظر: الدر المنثور: ٥٦٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٣٩٣٨) انظر: الدر المنثور: ٥٦٠/٨، وعزاه إلى البيهقي في الدلائل.

[المدثر: ١]، وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل: «أول ما نزل فاتحة الكتاب»، والقول الأول أصح، والترتيب في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم يقتضي ذلك"[٣٩٣٩].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم. وهي أول ما نزل من القرآن. وقيل: إنما أنزل عليه في أول الوحي خمس آيات منها، ثم نزل باقيها في أبي جهل"[٣٩٤٠].

قال الماوردي: "وإذا كانت هذه أول سورة نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قول الأكثرين فقد روي في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث ، أوفاها ما رواه آدم ابن أبي أناس عن أبي شيبة شعيب بن زريق عن عطاء الخراساني قال : بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول ، فكان أول ما نزل فيما بلغنا : «اقرأ باسم ربك»، ثم «ن والقلم ، المزمل ، المدثر ، تبّت ، إذا الشمس كورت ، سبّح اسم ربك ، الليل ، الفجر ، الضحى ، ألم نشرح ، العصر ، العاديات ، الكوثر ، ألهاكم ، أرأيت ، الكافرون ، الفيل ، الفلق ، الإخلاص ، النجم ، عبس ، القدر ، والشمس ، البروج ، التين ، لإيلاف ، القارعة ، القيامة ، الهُمزة ، المرسلات ، ق ، البلد ، الطارق ، القمر ، ص ، الأعراف ، قل أوحى ، يس ، الفرقان ، الملائكة ، مريم ، طه ، الواقعة ، الشعراء ، النمل ، القصص ، بنو إسرائيل ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، الأنعام ، الصافات ، لقمان ، سبأ ، الزمر ، المؤمن ، حم السجدة ، عسق ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، الذاريات ، الغاشية ، الكهف ، النحل ، نوح ، إبراهيم ، الأنبياء ، قد أفلح ، السجدة ، الطور ، الملك ، الحاقة ، سأل سائل ، النبأ ، النازعات ، الانفطار ، الانشقاق ، الروم ، العنكبوت ، المطففين». فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

وكان فيما نزل بالمدينة: «البقرة» ، ثم «الأنفال ، آل عمران ، الأحزاب ، الممتحنة ، النساء ، الزلزلة ، الحديد ، سورة محمد ، الرعد ، الرحمن ، هل أتى ، الطلاق ، لم يكن ، الحشر ، النصر ، النور ، الحج ، المنافقون ، المجادلة ، الحجرات ، التحريم ، الجمعة ، الصف ، الفتح ، المائدة ، براءة». فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة .

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره ، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافاً كثيراً ، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته"[٣٩٤١].

(٣٩٣٩) المحرر الوجيز: ٥/٥-١.

(٣٩٤٠) زاد المسير: ٤٦٦/٤.

(٣٩٤١) النكت والعيون: ٣١٠/٦-٣١١.

القرآن

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق : ١-٥]

التفسير:

اقرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك من القرآن مُفْتَتِحًا باسم ربك المتفرد بالخلق، الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر. اقرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود، الذي علَّم خلقه الكتابة بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم.

قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١]، أي:" اقرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك من القرآن مُفْتَتِحًا باسم ربك المتفرد بالخلق"(٣٩٤٢).

قال مجاهد:" أوّل ما نزل من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}، وزاد ابن مهدي: و{ن وَالْقَلَمِ}"(٣٩٤٣).

قال مجاهد:" إن أوّل سورة أُنزلت: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، ثم{ن وَالْقَلَمِ}"(٣٩٤٤).

قال أبو رجاء العُطارديّ: "كنا في المسجد الجامع، ومقرئنا أبو موسى الأشعري، كأني أنظر إليه بين بُردين أبيضين؛ قال أبو رجاء: عنه أخذت هذه السورة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، وكانت أوّل سورة نزلت على محمد"(٣٩٤٥).

عن عطاء بن يسار، قال: أوّل سورة نزلت من القرآن: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}"(٣٩٤٦).

عن عمرو بن دينار، قال: سمعت عبيد بن عمير، يقول: " أول سورة أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} [العلق: ١]"(٣٩٤٧).

عن ابن شهاب، قال: أخبرني محمد بن عباد بن جعفر، عن بعض علمائهم، أن أول ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١] إلى قوله {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥] . قالوا: هذا صدرها الذي أنزل عليه يوم حراء، ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك"(٣٩٤٨).

عن الزهري، في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: ١] قال: فتر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فترة وقال: كان أول شيء أنزل عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق: ١-٢] حتى بلغ: {مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥]، فلما فتر عنه الوحي حزن حزنا, حتى جعل يغدو مرارا إلى رءوس شواهق الجبال ليتبين خلفها, وكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول: «إنك لنبي حقا, فيسكن لذلك جأشه, وترجع إليه نفسه»(٣٩٤٩).

عن عمرو بن دينار، والزهري، أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان بحراء إذ أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١] إلى قوله: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥]"(٣٩٥٠).

عن عروة، عن عائشة أنها قالت :" كان أوّل ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة؛ كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنَّث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله فيتزوّد لمثلها، حتى فجأه الحق، فأتاه، فقال: يا محمد

(٣٩٤٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٤٣) تفسير الطبري: ٥٢١/٢٤-٥٢٢، وفضائل القرآن للقاسم بن سلم: ٣٦٤.

(٣٩٤٤) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢٤.

(٣٩٤٥) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٤.

(٣٩٤٦) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢٤.

(٣٩٤٧) تفسير عبدالرزاق(٣٦٦٠):ص٤٤٤/٣، وتفسير الطبري: ٥٢٢/٢٤.

(٣٩٤٨) فضئل القرآن للقاسم بن سلام: ٣٦٤.

(٣٩٤٩) تفسير عبدالرزاق(٣٣٧٦):ص٣٦٠/٣.

(٣٩٥٠) تفسير عبدالرزاق(٣٦٥٩):ص٤٤٤/٣.

أنت رسول الله، قال رسول الله: "فَجَثَوْتُ لِرُكْبَتَيَّ وأنا قائِمٌ، ثُمَّ رَجَعْتُ تَرْجُفُ بَوَادِرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، حتى ذَهَبَ عنِّي الرَّوْعُ، ثُمَّ أتانِي فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، أنا جِبْرِيُل وأنْتَ رَسُولُ اللهِ، قال: فَلَقَدْ هَمَمْت أنْ أطْرَحَ نَفسِي مِنْ حالِقٍ مِنْ جَبَلٍ، فَتَمَثَّل إلَيَّ حِينَ هَمَمْتُ بذلكَ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، أنا جِبْرِيلُ، وأنْتَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قالَ: اقْرأ، قُلْتُ: ما أقْرأ؟ قال: فأخَذَنِي فَغطَّنِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ، حتى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ قالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، فَقَرأتُ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: لَقَدْ أشْفَقْتُ عَلى نَفْسِي، فأخْبَرْتُها خَبرِي، فَقالَتْ: أبْشِرْ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ الله أبدًا، وَوَاللهِ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتُؤَدِّي الأمانَةَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ عَلى نَوَائِبِ الحَقّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِي إلى وَرَقَةَ بن نَوْفَل بن أسَدٍ، قالَتْ: اسْمَعْ مِن ابْن أخِيكَ، فَسألَنِي، فأخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقالَ: هَذا النَّامُوسُ الَّذِي أُنزلَ عَلى مُوسَى صَلى اللهُ عَلَيهِ وسلَّمَ، لَيْتَنِي فِيها جَذَعٌ، لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قُلْتُ: أوَ مُخْرِجيَّ هُمْ؟ قال: نَعَمْ، إنَّهُ لَمْ يَجِئ رَجُلٌ قَطُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، إلا عُودِيَ، وَلَئِنْ أدْرَكَنِي يَوْمُك أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ كانَ أوَّل ما نزلَ عَليَّ مِنَ القُرْآن بَعْدَ: {اقرأ}: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ}، و{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ}، {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}"[٣٩٥١].

قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} [العلق : ٢]، أي:" الذي خلق كل إنسان من قطعة دم غليظ أحمر"[٣٩٥٢].

قال عكرمة:" العلقة: الدم"[٣٩٥٣].

قوله تعالى:{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٣]، أي:" قرأ -أيها النبي- ما أُنزل إليك، وإن ربك لكثير الإحسان واسع الجود، الذي علَّم خلقه الكتابة بالقلم"[٣٩٥٤].

عن قتادة: "{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، قرأ حتى بلغ: {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}، قال: القلم: نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم، ولم يصلح عيش"[٣٩٥٥].

قوله تعالى:{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق : ٥]، أي:" علَّم الإنسان ما لم يكن يعلم، ونقله من ظلمة الجهل إلى نور العلم"[٣٩٥٦].

عن قتادة: "{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، قال: الخط"[٣٩٥٧].

عن الزُّهريّ، وعمرو بن دينار: أنّ النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - كان بحراء، إذ أتاه ملَك بنَمَط من ديباج، فيه مكتوب: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} إلى: {ما لَمْ يَعْلَمْ}"[٣٩٥٨].

عن علي-رضي الله عنه-، أنه قال:" يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم ووافق عمله علمه وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالستهم تلك إلى الله"[٣٩٥٩].

القرآن

(٣٩٥١) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٤، وانظر: المسند (٢٣٢/٦) وصحيح البخاري برقم (٣، ٤، ٤٩٥٣، ٦٩٨٢، ٤٩٥٥، ٣٣٩٢) وصحيح مسلم برقم (١٦٠).

(٣٩٥٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٥٣)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣٩٥٤) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٥٥) تفسير الطبري: ٥١٩/٢٤.

(٣٩٥٦) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤١٦):ص٣٤٥٠/١٠.

(٣٩٥٨)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣٩٥٩)أخرجه الخطيب فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع (٨٩/١، رقم ٣١) ، وابن عساكر (٥٠٩/٤٢).

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨)} [العلق : ٦-٨]

التفسير:

حقًا أن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى، فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله، فيجازي كلَّ إنسان بعمله.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق : ٦-٧]، أي:" حقًا أن الإنسان ليتجاوز حدود الله إذا أبطره الغنى"(٣٩٦٠).

قال الحسن: "{كَلَّا} معناها: حقًا"(٣٩٦١).

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"(٣٩٦٢).

عن السدي: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى}، قال: " ليرتفع من منزلة إلى منزلة"(٣٩٦٣).

عن عون، قال : قال عبد الله : "منهومان لا يشبعان: صاحب علم وصاحب دنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، ثم قرأ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر : ٢٨]، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق : ٦-٧] والله أعلم "(٣٩٦٤).

ورُوي مرفوعًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "منهومان لا يشبعان : طالب علم، وطالب دنيا"(٣٩٦٥).

قوله تعالى:{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} [العلق : ٦]، أي:" فليعلم كل طاغية أن المصير إلى الله، فيجازي كلَّ إنسان بعمله"(٣٩٦٦).

عن الضحاك :{إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}، قال: " المنتهى"(٣٩٦٧).

القرآن

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢)} [العلق : ٩-١٢]

التفسير:

أرأيت أعجب مِن طغيان هذا الرجل وهو أبو جهل، الذي ينهى عبدًا لنا إذا صلَّى لربه وهو محمد صلى الله عليه وسلم؟ أرأيت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟ أو إن كان آمرًا غيره بالتقوى أينهاه عن ذلك؟

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: "كان رسول صلى الله عليه وسلم يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهاه أن يصلي، فأنزل الله: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى} إلى قوله: {كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ}"(٣٩٦٨).

(٣٩٦٠) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٦١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٤٧ -.

(٣٩٦٢) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.

(٣٩٦٣) النكت والعيون: ٣٠٦/٦.

(٣٩٦٤) رواه ابن أبي حاتم(١٩٤١٧):ص٣٤٥٠/١٠، وكما في "تفسير ابن كثير": ٤٣٧/٨-٤٣٨.

(٣٩٦٥)رواه الحاكم في المستدرك (٩٢/١) من طريق قتادة، عن أنس به مرفوعا، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٣/١٠) من طريق زيد بن وهب، عن ابن مسعود به مرفوعا، وفي إسناده ضعيف.

(٣٩٦٦) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٦٧) النكت والعيون: ٣٠٦/٦.

(٣٩٦٨) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.

عن أبي هريرة -من طريق أبي حازم- قال: "قال أبو جهل: هل يُعفِّر محمد وجهه إلا بين أظهركم؟ قالوا: نعم. فقال: واللاتِ والعُزّى، لئِن رأيتُه يُصلّي كذلك لأطأنّ على رقبته، ولأعفِّرنّ وجهه في التراب. فأتى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُصلّي ليطأ على رقبته، قال: فما فجئهم منه إلا وهو يَنكِص على عَقِبيه، ويتّقي بيديه، فقيل له: ما لك؟ قال: إنّ بيني وبينه خندقًا مِن نار، وهَوْلًا، وأجنحة. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا». قال: وأنزل الله: {كَلَّا إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغى أنْ رَآهُ اسْتَغْنى} إلى آخر السورة"(٣٩٦٩).

عن قتادة، في قوله: {أرَأيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْدًا إذا صَلّى}، قال: "نزلت في عدوّ الله أبي جهل، وذلك أنه قال: لئن رأيتُ محمدًا يُصلّي لأطأنّ على عنقه. فأنزل الله: {أرَأيْتَ الَّذِي يَنْهى عَبْدًا إذا صَلّى أرَأيْتَ إنْ كانَ عَلى الهُدى أوْ أمَرَ بِالتَّقْوى}، قال: محمدًا"(٣٩٧٠).

عن الربيع بن أنس، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُصلّي، فلما سجد جاءه أبو جهل، فوطئ عنقه؛ فأنزل الله فيه: {أرأيت الذي ينهي عبدًا إذا صلى} أبو جهل، {أرأيت إن كان على الهدى} محمدًا، {أرأيت إن كذب وتولى} أبو جهل، {كلا لئن لم يتنه} أبو جهل، {سندع الزبانية} قال: هم تسعة عشر؛ خزنة النار. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «واللهِ، لئن عاد لتأخذنّه الزَّبانية». فانتهى، فلم يَعُد"(٣٩٧١).

قوله تعالى:{أرَأيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إذَا صَلَّى} [العلق : ٩-١٠]، أي:" أرأيت أعجب مِن طغيان هذا الرجل وهو أبو جهل، الذي ينهى عبدًا لنا إذا صلّى لربه وهو محمد صلى الله عليه وسلم؟"(٣٩٧٢).

عن الربيع ، قال: "{أرأيت الذي ينهي عبدًا إذا صلى} أبو جهل"(٣٩٧٣).

عن مجاهد: "{أرَأيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إذَا صَلَّى}، قال: أبو جهل، يَنْهي محمدا صلى الله عليه وسلم إذا صلى"(٣٩٧٤).

عن قتادة:" قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي، لأطأنّ على عنقه؛ قال: وكان يقال: لكل أمة فرعون، وفرعون هذه الأمة أبو جهل"(٣٩٧٥).

قوله تعالى:{أرَأيْتَ إنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى} [العلق : ١١]، أي:" أرأيت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى فكيف ينهاه؟"(٣٩٧٦).

عن الربيع بن أنس، قال: "{أرأيت إن كان على الهدى} محمدًا"(٣٩٧٧). وروي عن قتادة نحوه(٣٩٧٨).

قوله تعالى:{أوْ أمَرَ بِالتَّقْوَى} [العلق : ١٢]، أي:" أو إن كان آمرًا غيره بالتقوى أينهاه عن ذلك؟"(٣٩٧٩).

عن قتادة، قوله: {أرَأيْتَ إنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أوْ أمَرَ بِالتَّقْوَى}، قال محمد: كان على الهدى، وأمر بالتقوى"(٣٩٨٠).

(٣٩٦٩)أخرجه مسلم ٤/ ٢١٥٤ (٢٧٩٧)، والطبري ٢٤/ ٥٢٣، والثعلبي ١٠/ ٢٤٦.

(٣٩٧٠)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٤، وابن جرير ٢٤/ ٥٢٣، وبنحوه من طريق سعيد. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٩٧١)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.

(٣٩٧٢) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٧٣)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.

(٣٩٧٤) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.

(٣٩٧٥) أخرجه الطبري: ٥٢٣/٢٤.

(٣٩٧٦) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٧٧)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.

(٣٩٧٨) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٤. وسوف يأتي في تفسير الآية التالية.

(٣٩٧٩) التفسير الميسر: ٥٩٧.

(٣٩٨٠) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٤.

القرآن

{أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)} [العلق : ١٣-١٩]

التفسير:

أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بما يُدعى إليه، وأعرض عنه، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يفعل؟ ليس الأمر كما يزعم أبو جهل، لئن لم يرجع هذا عن شقاقه وأذاه لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه أخذًا عنيفًا، ويُطرح في النار، ناصيته ناصية كاذبة في مقالها، خاطئة في أفعالها، فكأن الكذب والخطأ باديان منها. فليُحْضِر هذا الطاغية أهل ناديه الذين يستنصر بهم، سندعو ملائكة العذاب. ليس الأمر على ما يظن أبو جهل، إنه لن ينالك -أيها الرسول- بسوء، فلا تطعه فيما دعاك إليه مِن تَرْك الصلاة، واسجد لربك واقترب منه بالتحبب إليه بطاعته.

قوله تعالى:{أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى(١٣) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [العلق : ١٣]، أي:" أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بما يُدعى إليه، وأعرض عنه، ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يفعل؟"[٣٩٨١].

عن قتادة: "{أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، يعني: أبا جهل"[٣٩٨٢]. وروي عن الربيع بن أنس مثله[٣٩٨٣].

قوله تعالى:{كَلَّا} [العلق : ١٥]، أي:" ليس الأمر كما يزعم أبو جهل"[٣٩٨٤].

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٣٩٨٥].

قوله تعالى:{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [العلق : ١٥]، أي:" لئن لم يرجع هذا عن شقاقه وأذاه لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه أخذًا عنيفًا، ويُطرح في النار"[٣٩٨٦].

عن الربيع بن أنس:" {كلا لئن لم يتنه} أبو جهل"[٣٩٨٧].

عن عكرمة:" {لَنَسْفَعًا}، قال: لنأخذنّ"[٣٩٨٨].

قال الحسن: "السفع: الأخذ"[٣٩٨٩].

قوله تعالى:{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} [العلق : ١٧-١٨]، أي:" فليُحْضِر هذا الطاغية أهل ناديه الذين يستنصر بهم، سندعو ملائكة العذاب"[٣٩٩٠].

قال مجاهد: يعني: " عشيرته، يعني: أبا جهل"[٣٩٩١].

قال قتادة:" قومه حيه"[٣٩٩٢].

عن مجاهد، وقتادة، والضحاك: "{سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}، قال: الملائكة"[٣٩٩٣].

قال قتادة:" الزَّبَانِيَةُ -في كلام العرب- : الشُّرَطُ"[٣٩٩٤].

(٣٩٨١) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٣٩٨٢) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٤.

(٣٩٨٣)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.

(٣٩٨٤) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٣٩٨٥) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.

(٣٩٨٦) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٣٩٨٧)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.

(٣٩٨٨)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣٩٨٩) التفسير البسيط للواحدي: ١٧٨/٢٤.

(٣٩٩٠) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٣٩٩١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩.

(٣٩٩٢) تفسير عبدالرزاق(٣٦٥٧):ص٤٤٣/٣.

(٣٩٩٣) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.

(٣٩٩٤) تفسير عبدالرزاق(٣٦٥٨):ص٤٤٤/٣.

عن الربيع بن أنس، قال: "{سندع الزبانية}، قال: هم تسعة عشر خزنة النار. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «واللهِ، لَئِن عاد لتأخذنّه الزبانية». فانتهى، فلم يَعُد"[٣٩٩٥].

قال عبد الله بن أبي الهذيل: "«الزبانية»: أرجلهم في الأرض، ورءوسهم في السماء"[٣٩٩٦].

عن قتادة:" قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ لأَخَذَتْهُ الزَّبانِيَةُ المَلائِكَةُ عِيانًا»"[٣٩٩٧].

عن أبي هريرة، قال: "قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل نعم، قال: فقال: واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك، لأطأنّ على رقبته، لأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عَقبيه، ويتقي بيديه؛ قال: فقيل له: مالك؟ قال: فقال: إن بيني وبينه خَنْدقا من نار، وهَوْلا وأجنحة؛ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ دَنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ المَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا" قال: وأنزل الله، لا أدري في حديث أبي هريرة أم لا {كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، يعني: أبا جهل، {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}، يدعو قومه {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ} الملائكة، {كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}"[٣٩٩٨].

وفي قراءة عبد الله: «فليدع إلي ناديه فسأدعو الزبانية»[٣٩٩٩].

قوله تعالى:{كَلَّا} [العلق : ١٩]، أي:" ليس الأمر على ما يظن أبو جهل"[٤٠٠٠].

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٤٠٠١].

قوله تعالى:{لَا تُطِعْهُ} [العلق : ١٩]، أي:" إنه لن ينالك -أيها الرسول- بسوء، فلا تطعه فيما دعاك إليه مِن تَرْك الصلاة"[٤٠٠٢].

قوله تعالى:{وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق : ١٩]، أي:" واسجد لربك واقترب منه بالتحبب إليه بطاعته"[٤٠٠٣].

وروي عن زيد بن أسلم، قال: "{وَاسْجُدْ}: أنت يا محمد. {وَاقْتَرِبَ}: أنت يا أبا جهل، يتوعده"[٤٠٠٤].

عن مجاهد:" قال: "أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد، ألا تسمعونه يقول: {واسْجُدْ واقْتَرِبْ}؟!"[٤٠٠٥].

عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"[٤٠٠٦].

(٣٩٩٥)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ٢١٣.
(٣٩٩٦) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(٣٩٩٧) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.
(٣٩٩٨) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٤.
(٣٩٩٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٠/٣.
(٤٠٠٠) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٤٠٠١) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.
(٤٠٠٢) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٤٠٠٣) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٤٠٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٣):ص٣٤٥٥١/١٠.
(٤٠٠٥)أخرجه الشافعي في مسنده ١/ ٢٧٨، وفي كتاب الأم ٢/ ٢٦٤، وعبد الرزاق ٢/ ٣٨٥. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر. وزاد الشافعي في آخره: يعني افعل، واقرب.
(٤٠٠٦)صحيح مسلم برقم (٤٨٢).

عن قتادة: "{كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}، ذكر لنا أنها نزلت في أبي جهل، قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأنّ عنقه، فأنزل الله: {كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه الذي قال أبو جهل، قال: «لو فعل لاختطفته الزبانية»"[٤٠٠٧].

«آخر تفسير سورة (العلق)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٠٠٧) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القدر»

«سورة القدر»: هي السورة السابعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة عبس»، آياتها ست في عد الشام، وخمس عند الباقين؛ وكلماتها ثلاثون. وحروفها مائة واثنتا عشرة. المختلف فيها آية: {الْقَدْرِ} [القدر : ٣] الثالث. فواصل آياتها على «الراء»[٤٠٠٨].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة، قالته عائشة[٤٠٠٩]، ورواه نوفل ابن أبي عقرب عن ابن عباس[٤٠١٠]، ورواه شيبان عن قتادة[٤٠١١]. وحكاه الماوردي عن الأكثرين[٤٠١٢].

قال ابن عباس:" نزلت سورة {إنا أنزلناه في ليلة القدر} بمكة"[٤٠١٣]. وروي عن عائشة مثله[٤٠١٤].

الثاني: أنها مدنية. قاله ابن عباس[٤٠١٥]، والضحاك[٤٠١٦]، وحكاه الثعلبي[٤٠١٧]، وأبو حيان عن الأكثرين[٤٠١٨].

قال علي بن الحسين بن واقد: "هي أوّل سورة نزلت بالمدينة"[٤٠١٩].

قال أبو حيان:" هذه السورة مدنية في قول الأكثر. وحكى الماوردي عكسه. وذكر الواحدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة"[٤٠٢٠].

(٤٠٠٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣١/١.

(٤٠٠٩) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٠١٠) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.

(٤٠١١) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠، والمحرر الوجيز: ٥٠٤/٥.

(٤٠١٢) النكت والعيون: ٣١١/٦.

(٤٠١٣) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٠١٤) الدر المنثور: ٥٦٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٠١٥) انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٤/٥.

(٤٠١٦) انظر: النكت والعيون: ٣١١/٦، وزاد المسير: ٤٦٩/٤.

(٤٠١٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.

(٤٠١٨) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

(٤٠١٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٤٧/١٠.

(٤٠٢٠) البحر المحيط في التفسير: ٥١٣/١٠.

القرآن

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)} [القدر : ١]

التفسير:

إنا أنزلنا القرآن في ليلة الشرف والفضل، وهي إحدى ليالي شهر رمضان.

عن مجاهد: "{إِنَّا أَنزلنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر}: ليلة الحكم""[٤٠٢١].

قال سعيد بن جبير:" يؤذن للحجاج في ليلة القدر، فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يُزاد فيهم، ولا ينقص منهم"[٤٠٢٢].

وقال الحسن:" فيها يقضي الله كلّ أجل وعمل ورزق، إلى مثلها"[٤٠٢٣].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"[٤٠٢٤].

وللعلماء في كيفية نزول القرآن قولان:

أحدهما - وهو رأي الجمهور- أن القرآن نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في ثلاث وعشرين سنة.

قال سعيد بن جبير:" أنزل القرآن جملة واحدة، ثم أنزل ربنا في ليلة القدر: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}"[٤٠٢٥].

قال سعيد بن جبير:" نزل القرآن جملة من السماء العليا، إلى السماء الدنيا، ليلة القدر، ثم نزل مفصلا"[٤٠٢٦].

قال الشعبي:" بلغنا أن القرآن نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا"[٤٠٢٧].

وأصحاب هذا الرأي يذهبون إلى أن للقرآن تنزلات ثلاثا[٤٠٢٨].

الثاني: -وهو رأى الشعبي- انه ابتدأ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأزمان على النبي -صلى الله عليه وسلم-[٤٠٢٩].

(٤٠٢١)أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٥١٥، والطبري: ٥٣٢/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٢٧)ص: ٣٤٥٢/١٠.

(٤٠٢٢) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.

(٤٠٢٣) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤-٥٣٣.

(٤٠٢٤)صحيح مسلم" ٤/ ٢٠٤٤، ح ١٦: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٤٠٢٥) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.

(٤٠٢٦) التفسير من سنن سعيد بن منصور(٧٩):ص٢٩٣/٢.

(٤٠٢٧) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤.

(٤٠٢٨)اتنزل الاول الى اللوح المحفوظ قال تعالى: بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ.

والنزل الثاني من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا. ودليله قوله سبحانه:

{إنا أنزلناه في ليلة القدر}.

والتنزل الثالث: من سماء الدنيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منجما فى ثلاث وعشرين سنة، ودليله قوله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء : ١٠٦].

(٤٠٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣١/٢٤، والبرهان: ١/ ٢٢٨، والإتقان: ١/ ٤٠، والفرقان في علوم القرآن للزرقاني: ١/ ٣٩.

والشعبي يجمع في هذا الرأي بين قوله تعالى: إِنَّا أَنزلنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، حيث يكون تأويلها عنده «انه ابتداء نزول القرآن في ليلة القدر» ، وبين قوله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} [الإسراء : ١٠٦]، فالقرآن قد ابتدأ نزوله في ليلة القدر، ثم استمر نزوله نجوما بعد ذلك- متدرجا مع الوقائع والأحداث.

والحق أن رأى الجمهور، وان أسانيده متعددة وصحيحة، ولكن هذا الرأي يذهب إلى إن للقرآن تنزلات ثلاثا، وهذه التنزلات من عالم الغيب الذي لا يؤخذ فيه إلا بما تواتر يقينا في الكتاب والسنة. أما صحة الأسانيد في هذا القول فهي لا تكفى وحدها لوجود اعتقاده، كيف إذن وقد نطق بخلافه؟.

عن الشعبي:" {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، قال: نزل أول القرآن في ليلة القدر"[٤٠٣٠].

وقد ساق السيوطي في الإتقان هذه الآراء، ونقل عن ابن حجر أن الأول هو الصحيح المعتمد، كما ذكر هذه الآراء الزركشي في البرهان ثم قال: «والقول الأول أشهر وأصح، واليه ذهب الأكثرون، ويؤيده ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال: « " نزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة وقال عز وجل: {ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا} [الفرقان: ٣٣] قال: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} [الإسراء: ١٠٦]»[٤٠٣١].

والصواب من القول أن نؤمن بأن الله انزل القرآن على رسوله -صلى الله عليه وسلم- في مدة رسالته، وان الله شرف ليلة القدر بنزول القرآن فيها على نحو ما، ثم نفوض العلم بحقيقة المراد إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد اختلف العلماء في تعيين «ليلة القدر»، على أقوال :

أحدها: أنّها ممكنة في جميع السنة. قاله عكرمة[٤٠٣٢].

الثاني: أنها مختصة برمضان، ممكنةٌ في جميع لياليه. وهو قول سعيد بن جبير[٤٠٣٣]، والحسن البصري[٤٠٣٤]، وهو قول أبي حنيفة[٤٠٣٥].

وروي ربيعة بن كلثوم، قال: "قال رجل للحسن وأنا أسمع: رأيت ليلة القدر في كلّ رمضان هي؟ قال: نعم، والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كلّ رمضان، وإنها لليلة القدر، {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان : ٤]، فيها يقضي الله كلّ أجل وعمل ورزق، إلى مثلها"[٤٠٣٦].

الثالث: أنها أول ليلة من رمضان. وهو قول أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر[٤٠٣٧].

الرابع : أنها ليلة سبع عشرة.

عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: «ليلة القدر ليلة سبع عشرة ليلة جمعة»[٤٠٣٨].

الخامس : أنها ليلة ثماني عشرة. قاله الحسن[٤٠٣٩]، ومالك بن أنس[٤٠٤٠].

إن كتاب الله قد صرح بتدرج الوحى ونزوله مفرقة. كما صرح بإنزاله في ليلة القدر. ويمكن أن نحمل الإنزال هنا على ابتداء النزول، فنجمع بين المعنيين.

وكثيرا ما احتفلنا بليلة القدر، ورويت للجمهور الآراء المتعددة في نزول القرآن بيد أن رأي الشعبي يظل أيسرها وأبقاها تعلقا في أذهان الجمهور.

إن هذا الرأي يعتمد على القرآن بالدرجة الأولى، ولا يصنع اكثر من أن يوفق بين ما ظاهره التعارض من آياته.

(٤٠٣٠) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢٤.

(٤٠٣١) المستدرك على الصحيحين(٣٣٩٠):ص٣٩٩/٢، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ، ووافقه الذهبي.

وانظر: البرهان: ١/ ٢٢٨. وانظر السيوطي في الإتقان: ١/ ٤٠. فقد ساق جملة من الأحاديث الصحيحة في تأييد الرأي الأول، وهي أحاديث صحيحة موقوفة على ابن عباس، غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لما هو مقرر من أن قول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه، ولم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات - حكمه حكم المرفوع.

ونزول القرآن إلى بيت العزة من أنباء الغيب التي لا تعرف إلا من المعصوم صلى الله عليه وسلم.

وابن عباس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات.

(٤٠٣٢) انظر: فتح الباري :٣٠٩/٤

(٤٠٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٤.

(٤٠٣٤)رواه ابن أبي شيبة في مصنفه(٨٦٨١) :ص٢٥١/٢، وانظر: زاد المسير: ٤٧٠/٤.

(٤٠٣٥)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.

(٤٠٣٦) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢٤-٥٣٣.

(٤٠٣٧)انظر: فتح الباري :٣١٠/٤.

(٤٠٣٨) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٩):ص٢/ ٢٥١.

(٤٠٣٩) انظر: زاد المسير: ٤٧٠/٤.

(٤٠٤٠) انظر: زاد المسير: ٤٧٠/٤.

السادس : أنها ليلة ثلاث وعشرين. وهو قول ابن المسيّب[٤٠٤١]، ومكحول[٤٠٤٢].

عن محمد بن راشد، عن مكحول أنه: "«كان يراها ليلة ثلاث وعشرين» فحدثه الحسن بن الحر، عن عبدة بن أبي لبابة أنه قال: «ليلة سبع وعشرين، وأنه قد جرب ذلك بأشياء، وبالنجوم» فلم يلتفت مكحول إلى ذلك"[٤٠٤٣].

السابع : أنها في العشر الأواخر.

عن أبي قلابة، قال: «ليلة القدر تجول في ليالي العشر كلها»[٤٠٤٤].

الثامن: أنها في وتر العشر الأخير من رمضان. قاله الجمهور[٤٠٤٥].

التاسع: أنها ليلة سبع وعشرين. إليه ذهب زر بن حبيش[٤٠٤٦].

عن قنان بن عبد الله النهمي، قال: سألت زرا عن ليلة القدر، فقال: «كان عمر، وحذيفة، وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشكون أنها ليلة سبع وعشرين تبقى ثلاث». قال زر: «فواصلها»[٤٠٤٧].

عن زر بن حبيش: «إذا كانت ليلة سبع وعشرين، فاغسلوا ومن استطاع منكم أن يؤخر فطره إلى السحر فليفعل، وليفطر على ضياح من لبن»[٤٠٤٨].

عن زر بن حبيش: "قلت لأبيّ إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن إنما أراد أن لا يتكل الناس، ولقد علم أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف أبي لا يستثني أنها لليلة سبع وعشرين، فقلنا له: يا أبا المنذر بأي شيء علمته؟ قال: بالآية أو بالعلامة التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «أخبرنا أن الشمس تطلع صبيحة ذلك اليوم ولا شعاع لها»[٤٠٤٩].

عن الحسن، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليلة القدر بلجة سمحة، تطلع شمسها ليس لها شعاع»[٤٠٥٠].

ولعل أرجح الأقوال فيها أنها في العشر الأواخر من رمضان؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إني أُريت ليلة القدر ثم أنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر»[٤٠٥١].

وعليه : فلا يمكن لأحدٍ أن يجزم بليلة بعينها أنها ليلة القدر، ولاسيما إذا علمنا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يخبر أمته بها ثم أخبرهم أن الله تعالى رفع العلم بها ، كما روي عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَرَجَ يُخْبِرُ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَتَلاحَى رَجُلانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : «إِنِّي خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَإِنَّهُ تَلاحَى فُلانٌ وَفُلانٌ فَرُفِعَتْ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ ، الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ وَالتِّسْعِ وَالْخَمْسِ»[٤٠٥٢].

(٤٠٤١)عبد الرزاق :٢٤٩/٤.

(٤٠٤٢) مصنف عبدالرزاق(٧٦٩٣):ص٢٥١/٤.

(٤٠٤٣) مصنف عبدالرزاق(٧٦٩٣):ص٢٥١/٤.

(٤٠٤٤) مصنف ابن أبي شيبة(٩٥٣٥):ص٣٢٦/٢، و تفسير عبدالرزاق(٣٦٦٣):ص٤٤٥/٣.

(٤٠٤٥) انظر: زاد المسير: ٤٧٠/٤، وحكاه عن الجمهور.

(٤٠٤٦) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٧):ص٢/ ٢٥١، و(٩٥٣٦):ص٣٢٦/٢.

(٤٠٤٧) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٦٧):ص٢٥٠/٢.

(٤٠٤٨) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٧):ص٢/ ٢٥١.

(٤٠٤٩) مسند الحميدي(٣٧٩):ص٣٦٧/١

(٤٠٥٠) مصنف ابن أبي شيبة(٨٦٧٨):ص٢/ ٢٥١.

(٤٠٥١)رواه البخاري (٦٢/٢-٦٣) كتاب فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر رقم (٢٠١٦) ومسلم (٨٢٤/٢) كتاب الصيام باب فضل ليلة الوتر رقم (١١٦٧).

(٤٠٥٢)رواه البخاري (٤٩)

«تَلاحَى»، أي: تنازع وتخاصم .

وقد نُقل إجماع الصحابة على هذا؛ فقد روى عبد الرزاق في مصنّفه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا أنها في العشر الأواخر..." [٤٠٥٣].

ويستحب تحرّيها في الأوتار من العشر الأواخر، كليلة الحادي والعشرين، والثالث والعشرين، والخامس والعشرين، والسابع والعشرين، والتاسع والعشرين:

لقوله صلى الله عليه وسلم: «فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر»[٤٠٥٤].

وقولِه صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة: «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»[٤٠٥٥].

وقولِه: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى[٤٠٥٦].

وقولِه: «هي في العشر الأواخر، في تسع يمضين أو في سبع يبقين»[٤٠٥٧].

وروي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ"[٤٠٥٨].

قال ابن بطال: "وإنّما يصح معناه وتُوافِق ليلة القدر وتراً من الليالي على ما ذُكِر في الحديث: إذا كان الشهر ناقصاً، فأما إن كان كاملاً فإنها لا تكون إلا في شفع، فتكون التاسعة الباقية: ثنتين وعشرين، والخامسة الباقية: ليلة ست وعشرين، والسابعة الباقية: ليلة أربع وعشرين على ما ذكره البخاري عن ابن عباس، فلا تصادف واحدة منهن وتراً، وهذا يدل على انتقال ليلة القدر كل سنة في العشر الأواخر من وتر إلى شفع، ومن شفع إلى وتر، لأنّ النبي عليه السلام لم يأمر أمته بالتماسها في شهر كامل دون ناقص، بل أطلق طلبها في جميع شهور رمضان التي قد رتبها الله مرّة على التمام، ومرةً على النقصان، فثبت انتقالها في العشر الأواخر وكلّها على ما قاله أبو قلابة"[٤٠٥٩].

والليلة السابعة والعشرون هي أحرى الليالي بليلة القدر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»[٤٠٦٠]. ولحلف أبيّ بن كعب رضي الله عنه على ذلك.

(٤٠٥٣)رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٤٦/٤) والمروزي في مختصر قيام رمضان (ص١٢٣-١٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٨/٧): "رواه البزار ورجاله ثقات".
ثم قال ابن عباس: فقلت لعمر: «إني لأعلم، أو إني لأظن أي ليلة هي؟»، قال عمر: وأي ليلة هي؟ فقلت: " سابعة تمضي، أو سابعة تبقى من العشر الأواخر، فقال عمر: ومن أين علمت ذلك؟ فقال: «خلق الله سبع سماوات، وسبع أرضين، وسبعة أيام، وإن الدهر يدور في سبع، وخلق الله الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجد على سبع، والطواف بالبيت سبع، ورمي الجمار سبع، لأشياء ذكرها»، فقال عمر: لقد فطنت لأمر ما فطنا له، وكان قتادة يزيد على ابن عباس في قوله: يأكل من سبع قال: " هو قول الله: {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا ..} [عبس : ٢٧ -٣١]، الآية".

(٤٠٥٤)رواه البخاري (٦٢/٢-٦٣) كتاب فضل ليلة القدر باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر رقم (٢٠١٦)، ومسلم (٨٢٤/٢) كتاب الصيام باب فضل ليلة الوتر رقم (١١٦٧).

(٤٠٥٥) رواه البخاري (٦٣/٢) كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر رقم (٢٠١٧).

(٤٠٥٦)رواه البخاري (٦٤/٢)كتاب فضل ليلة القدر باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر رقم (٢٠٢١).

(٤٠٥٧) صحيح البخاري(٢٠٢٢).

(٤٠٥٨)رواه البخاري (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤) .

(٤٠٥٩)شرح صحيح البخاري لابن بطال :١٥٦/٣.

(٤٠٦٠)رواه البخاري (٦٤/٢) كتاب فضل ليلة القدر باب رفع ليلة القدر رقم (٢٠٢٣)، ومسلم (٢/٨٢٧)وهذا لفظه كتاب الصيام باب: فضل ليلة القدر رقم (١١٦٧).

قال الحافظ ابن حجر: "وأرجاها أوتار العشر، وأرجى أوتار العشر عند الشافعية ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين على ما في حديث أبي سعيد وعبد الله بن أنيس، وأرجاها عند الجمهور ليلة سبع وعشرين"[٤٠٦١].

قال السمعاني:" وأصح الأقاويل وأشهرها أنها ليلة السابع والعشرين، ومن قام العشر أدركها قطعا وحقيقة"[٤٠٦٢].

لذا لا ينبغي للمسلم أن يتعاهد ليلة بعينها على أنها ليلة القدر، لما في ذلك من الجزم بما لا يمكن الجزم به؛ ولما في ذلك من تفويت الخير على نفسه، فقد تكون ليلة الحادي العشرين، أو الثالث والعشرين، وقد تكون ليلة التاسع والعشرين، فإذا قام ليلة السابع والعشرين وحدها فيكون قد ضاع عليه خير كثير، ولم يصب تلك الليلة المباركة، فعلى المسلم أن يبذل جهده في الطاعة والعبادة في رمضان كله ، وفي العشر الأواخر أكثر، وهذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فالحكمة من إخفائها هي تنشيط المسلم لبذل الجهد في العبادة والدعاء والذكر في العشر الأخير كلها ، وهي الحكمة ذاتها في عدم تحديد ساعة الإجابة يوم الجمعة ، وعدم تحديد الأسماء التسعة والتسعين لله تعالى والتي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم : "مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"[٤٠٦٣].

القرآن

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)} [القدر : ٢]

التفسير:

وما أدراك -أيها النبي- ما ليلة القدر والشرف؟

عن مجاهد: " {وما أدْراكَ ما لَيْلَةُ القدر} قال: ليلة الحُكم"[٤٠٦٤].

القرآن

{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ٣]

التفسير:

ليلة القدر ليلة مباركة، العمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة قدر.

اختلف في تفسير الآية الكريمة، على أقوال:

أحدها : ليلة القدر خير من عمر ألف شهر، قاله الربيع[٤٠٦٥].

الثاني : أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في غيرها ألف شهر، قاله مجاهد[٤٠٦٦].

قال مجاهد:" عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر"[٤٠٦٧].

عن عمرو بن قيس الملائي: "{خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، قال: عملٌ فيها خير من عمل ألف شهر"[٤٠٦٨].

الثالث : أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قاله قتادة[٤٠٦٩].

(٤٠٦١)فتح الباري :٤/٤١٣.

(٤٠٦٢) تفسير السمعاني: ٦/٢٦١.

(٤٠٦٣)رواه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

(٤٠٦٤)أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢/ ٥١٥، والطبري: ٢٤/٥٣٢، وابن أبي حاتم(١٩٤٢٧)ص: ١٠/٣٤٥٢.

(٤٠٦٥) انظر: النكت والعيون: ٦/٣١٣.

(٤٠٦٦) انطر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٣٣.

(٤٠٦٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٣٣.

(٤٠٦٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٣٣.

(٤٠٦٩) انطر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٣٣، وتفسير عبدالرزاق(٣٦٦٢)ً٣/٤٤٥.

الرابع : أنه كان رجل في بني إسرائيل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدوّ حتى يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأخبر الله تعالى أن قيام ليلة القدر خير من عمل ذلك الرجل ألف شهر ، ذكره مجاهد[٤٠٧٠]، وعلي بن عروة[٤٠٧١].

وفي رواية عن مجاهد: "أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال: فعجب المسلمون من ذلك قال: فأنزل الله عز وجل: إنا أنزلناه في ليلة القدر. {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ٢ - ٣] التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر"[٤٠٧٢].

عن علي بن عروة قال: "ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما، لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال: فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل فقال: يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين، فقد أنزل الله خيرا من ذلك. فقرأ عليه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ١ - ٣]، هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك. فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه"[٤٠٧٣].

الخامس : -ما روي عن يوسف بن سعد-، قال: "قام رجل إلى الحسن بن علي، بعد ما بايع معاوية، فقال: سودت وجوه المؤمنين، أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبني رحمك الله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} يا محمد، يعني: نهرا في الجنة، ونزلت: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)} [القدر : ١ - ٣] يملكها بعدك بنو أمية يا محمد. قال القاسم: فعددناها[مُلْكَ بني أمية[٤٠٧٤]] فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص"[٤٠٧٥].

(٤٠٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣/٢٤.
(٤٠٧١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٢٦):ص٣٤٥٢/١٠.
(٤٠٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٤):ص٣٤٥٢/١٠.
(٤٠٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٦):ص٣٤٥٢/١٠.
(٤٠٧٤) رواية الطبري: ٥٣٣/٢٤-٥٣٤.
(٤٠٧٥) سنن الترمذي(٣٣٥٠):ص٣٠١/٥، من طريق أبي داود الطيالسي، حدثنا القاسم بن الفضل الحدّاني، عن يوسف بن سعد.
ورواه من طريق الطيالسي الطبراني في " الكبير " (٢٧٥٤)، والحاكم ٣/ ١٧٠ - ١٧١، والبيهقي في " الدلائل " ٦/ ٥٠٩ - ٥١٠ كلهم من حديث القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد، ويقال: يوسف بن مازن الراسبي.
وصححه الحاكم في الرواية الأولى، وقال الذهبي: والقاسم وثقوه، رواه عنه أبو داود والتبوذكي، وما أدري آفته من أين.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل، وهو ثقة، وثقه يحيى القطان وابن مهدي، قال: وشيخه يوسف بن سعد، ويقال: يوسف بن مازن رجل مجهول، ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلاَّ من هذا الوجه.
وتعقبه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٨/ ٤٦٢ - ٤٦٣، فقال: وقول الترمذي: إن يوسف هذا مجهول فيه نظر، فإنه قد روى عنه جماعة، منهم حماد بن سلمة، وخالد الحذاء، ويونس بن عبيد، وقال فيه يحيى بن معين: هو مشهور، وفي روايته عن ابن معين: هو ثقة، ورواه الطبري: ٥٣٣/٢٤-٥٣٤، من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن كذا قال، وهذا يقتضي اضطراباً في هذا الحديث والله أعلم.
ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً، قال شيخنا الحافظ الحجة أبو الحجاج المزي: هو حديث منكر.
قلت: وقول القاسم بن الفضل الحداني: إنه حسب مدة بني أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص، ليس بصحيح؛ فإن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- استقل بالملك حين سلَّم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية، وسمي ذلك العام عام الجماعة، ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها، لم تخرج عنهم إلاَّ مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريباً من تسع سنين، لكن لم تَزُل يدُهُم عن الإمرة بالكلية، بل عن

وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عملٌ في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر. ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم : «رباطُ ليلة في سبيل الله خَيْر من ألف ليلة فيما سواه من المنازل»[٤٠٧٦]، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة، ونية صالحة : «أنه يُكتَبُ له عمل سنة، أجر صيامها وقيامها»[٤٠٧٧]، إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك[٤٠٧٨]. وأما الأقوال الأخر، فدعاوى لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل"[٤٠٧٩].

القرآن

{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤)} [القدر : ٤]

التفسير:

يكثر نزول الملائكة وجبريل عليه السلام فيها، بإذن ربهم من كل أمر قضاه في تلك السنة.

قال ابن كثير:" أي : يكثر تَنزلُ الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحِلَق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له"[٤٠٨٠].

اختلف في تفسير الآية، على قولين:

أحدهما : تنزل الملائكة وجبريل معهم، وهو الروح في ليلة القدر بإذن ربهم، من كلّ أمر قضاه الله في تلك السنة، من رزق وأجل وغير ذلك. وهذا قول قتادة[٤٠٨١].

عن قتادة، في قوله: "{مِنْ كُلِّ أَمْرٍ}، قال: يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها"[٤٠٨٢].

بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة، وذلك أزيد من ألف شهر، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير، وعلى هذا فتقارب ما قاله للصحة في الحساب، والله أعلم.

ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم بني أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم زمانهم، فإن ليلة القدر شريفة جداً، والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة، بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلاّ كما قال القائل:

ألَم تَرَ أنّ السيف ينقُصُ قَدْرُه... إذا قِيل إنّ السيف أمضَى مِن العَصَا

وقال آخر :

إذا أنتَ فَضَّلتَ امرأ ذا بَرَاعَة... عَلى نَاقص كَانَ المديحُ منَ النَّقص

ثم الذي يفهم من ولاية الألف الشهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية، والسورة مكية، فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها؟! والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارته، -والله أعلم-.

[وانظر : البداية والنهاية (٢٤٣/٦، ٢٤٤) فقد توسع أيضا في الكلام على هذا الحديث]

(٤٠٧٦)المسند (٦٢/١) من حديث عثمان، رضي الله عنه.

(٤٠٧٧) عن أوس بن أوس الثقفي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى، ولم يركب فدنا من الإمام، فاستمع، ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

المسند(١٦١٧٣):ص٢٦/٩٣-٩٤، إسناده صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة ٩٣/٢- ومن طريقه ابن ماجه (١٠٨٧) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١٥٧٣) ، والطبراني في "الكبير" (٥٨٥) - وأبو داود (٣٤٥) - ومن طريقه البيهقي في "السنن" ٢٢٩/٣، وفي "فضائل الأوقات" (٢٧٠) ، والبغوي في "شرح السنة" (١٠٦٥) - وابن حبان (٢٧٨١) ، والحاكم ٢٨٢/١ من طرق عن عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد.

وأخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" (٩٧٤) من طريق محمد بن مصعب، عن الأوزاعي، به.

(٤٠٧٨) تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٨.

(٤٠٧٩) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٤.

(٤٠٨٠) تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٨.

(٤٠٨١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٤.

(٤٠٨٢) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٤.

الثاني: تنزل الملائكة وجبريل معهم، وهو الروح في ليلة القدر، لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه. روي عن أنس مرفوعا"[٤٠٨٣]، وهو معنى قراءة عكرمة[٤٠٨٤].

حكى أبو عبيد أنه روي عن ابن عباس وعكرمة: "أنهما قرءا «من كلّ امرى»، قال إسماعيل بن إسحاق: لم يذكر أبو عبيد إسناده، ولعلّه ضعيف"[٤٠٨٥].

[٤٠٨٦].

عن كعب، قال: "إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة، علوها في الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، يعبدون الله عز وجل على أغصانها، في كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها، فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك إلا قد أعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين، فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك، إما ساجد وإما قائم، يدعو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة، أو بيت نار أو وثن، أو بعض أماكنكم التي تطرحون فيها الخبث، أو بيت فيه سكران، أو بيت فيه مسكر، أو بيت فيه وثن منصوب، أو بيت فيه جرس معلق، أو مبولة، أو مكان فيه كساحة البيت، فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين إلا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فإن ذلك من مصافحة جبريل"[٤٠٨٧].

والصواب في ذلك: هو القول الأوّل، على ما فسّره قتادة[٤٠٨٨].

وفي «الروح» -ها هنا- قولان :

أحدهما : أن المراد به –هاهنا-: جبريل -عليه السلام -، فيكون من باب عطف الخاص على العام. قاله سعيد بن جبير[٤٠٨٩]، وهو قول الأكثرين[٤٠٩٠].

يدل عليه رواية قتادة، عن أنس، أن رسول الله -عليه السلام- قال: «إذا كان لَيْلَةُ الْقَدْرِ نزل جبرئيل في كبكبة من الملائكة يصلّون ويسلّمون على كلّ عبد قائم أو قاعد يذكر الله سبحانه»[٤٠٩١].

عن شهر بن حوشب الأشعري: "أن نفرًا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أخبرنا عن الروح. فقال: "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل؟ وهو الذي يأتيني؟ " قالوا: نعم"[٤٠٩٢].

الثاني : أن الروح: طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر، قاله كعب[٤٠٩٣].

القرآن

(٤٠٨٣)ضعيف جدا. أخرجه البيهقي في «الزهد» ٣٧١٧ من حديث أنس بأتم منه، وفيه صرح بن حوشب وهو متروك متهم.

(٤٠٨٤) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٦/٥.

(٤٠٨٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٦/٥. وعقبه: "إسناده ضعيف بغير «لعلّ»: رواها الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد لا يعرّج عليه، وهو مخالف للمصحف الذي تقوم به الحجّة".

(٤٠٨٦) إعراب القرآن: ١٦٦/٥.

(٤٠٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٨):ص٣٤٥١/١٠-٣٤٥٢.

(٤٠٨٨) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٤.

(٤٠٨٩) انظر: النكت والعيون: ٣١٣/٦.

(٤٠٩٠) حكاه عنهم الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠، وتبعه ابن الجوزي في : زاد المسير: ٤٧٣/٤.

(٤٠٩١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠، وزاد المسير: ٤٧٣/٤.

(٤٠٩٢)أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٨٩): ص٢/ ٣٢٠، من طريق سلمة عن ابن إسحاق به.

(٤٠٩٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠، وزاد المسير: ٤٧٣/٤.

{سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)} [القدر : ٥]

التفسير:

هي أمن كلها، لا شرَّ فيها إلى مطلع الفجر.

اختلف في تفسير الآية، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شر، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان ، قاله مجاهد[٤٠٩٤].

قال مجاهد:" سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى"[٤٠٩٥].

عن مجاهد: "{سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}، قال: من كلّ أمر سلام"[٤٠٩٦].

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: "{مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ}، قال: لا يحدث فيها أمر"[٤٠٩٧].

قال الضّحاك: "لا يقدر الله سبحانه في تلك الليلة إلّا السلامة، فأمّا في الليالي الأخر فيقضي الله تعالى فيهنّ البلاء والسلامة"[٤٠٩٨].

الثاني : أن ليلة القدر هي سلام وخير وبركة، قاله قتادة[٤٠٩٩].

عن قتادة: "{سَلَامٌ هِيَ}، قال: خير {حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}"[٤١٠٠].

الثالث : أن الملائكة تسلم على المؤمنين في ليلة القدر إلى مطلع الفجر، قاله الشعبي[٤١٠١]، ومنصور بن زاذان[٤١٠٢].

أخرج سعيد بن منصور بسنده عن الشعبي في قوله تعالى :{مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} قال : "تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد، حتى يطلع الفجر"[٤١٠٣].

قال الشعبي ومنصور بن زاذان: "هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، يمرون على كلّ مؤمن ويقولون: السلام عليك يا مؤمن"[٤١٠٤].

روي عن علي -رضي الله عنه- قال: "أنا حرضت عمر رضي الله عنه على القيام في شهر رمضان أخبرته أن فوق السماء السابعة حظيرة يقال لها حظيرة القدس يسكنها قوم يقال لهم الروح، فإذا كان ليلة القدر استأذنوا ربهم في النزول إلى الدنيا، فلا يمرون بأحد يصلي أو على الطريق إلا أصابته منهم بركة، فقال له عمر: يا أبا الحسن فتحرض الناس على الصلاة حتى تصيبهم البركة، فأمر الناس بالقيام"[٤١٠٥].

قرأ الكسائي «مطلع»، بكسر اللام، والآخرون بفتحها، وهو الاختيار، بمعنى الطلوع، على المصدر[٤١٠٦].

«آخر تفسير سورة (القدر)، والحمد لله وحده»

(٤٠٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٤.

(٤٠٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٢٩):ص٣٤٥٣/١٠.

(٤٠٩٦) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٤.

(٤٠٩٧) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٤.

(٤٠٩٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.

(٤٠٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/٢٤.

(٤١٠٠) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٤.

(٤١٠١) انظر: رواه سعيد بن منصور، كما في تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٨، وانظر: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.

(٤١٠٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.

(٤١٠٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٤٤/٨.

(٤١٠٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٥٨/١٠.

(٤١٠٥) فضائل الأوقات للبيهقي(١١٠):ص٢٥٣. قال ابن كثير:٤٤٤/٨: أثر غريب".

(٤١٠٦) انظر: حجة القراءات: ٧٦٨، وتفسير البغوي: ٤٩٢/٨.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «البيّنة»

«سورة البيّنة»: هي السورة الثامنة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الطلاق» وقبل «سورة الحشر»، فتكون نزلت قبل غزوة بني النضير، وكانت غزوة النضير سنة أربع في ربيع الأول فنزول هذه السورة آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع[٤١٠٧]، آياتها في عد البصرى: سبع، وعند الباقين: ثمان. وكلماتها أربع وسبعون. وحروفها ثلاثمائة وتسع وتسعون. المختلف فيها آية: {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [البينة : ٥]. فواصل آياتها على «الهاء»[٤١٠٨].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف أهل العلم في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة، قالته عائشة[٤١٠٩]، وأبو صالح عن ابن عباس[٤١١٠]، واختاره يحيى بن سلام[٤١١١].

عن عائشة قالت: نزلت سورة {لم يكن} بمكة" [٤١١٢].

الثاني: أنها مدنيّة. قاله ابن الزبير وعطاء بن يسار[٤١١٣]. والجمهور[٤١١٤].

عن ابن عباس قال: نزلت سورة {لم يكن} بالمدينة" [٤١١٥].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جمهور المفسرين، وقال ابن الزبير وعطاء بن يسار إنها مدنية والأول أشهر"[٤١١٦].

قال ابن عاشور:" أي وأبي من أهل المدينة. وجزم البغوي وابن كثير بأنها مدنية، وهو الأظهر لكثرة ما فيها من تخطئة أهل الكتاب ولحديث أبي حبة البدري، وقد عدها جابر بن زيد في عداد السور المدنية"[٤١١٧].

قال ابن عطية: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما دفع إلى مناقضة أهل الكتاب بالمدينة

(٤١٠٧) انظر: المحرر الوجيز: ٤٦٨/٣٠.

(٤١٠٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٣/١.

(٤١٠٩) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤١١٠) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.

(٤١١١) انظر: زاد المسير: ٤٧٥/٤.

(٤١١٢) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤١١٣) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.

(٤١١٤) انظر: المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥، وزاد المسير: ٤٧٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠/

(٤١١٥) انظر: الدر المنثور: ٥٨٥/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤١١٦) المحرر الوجيز: ٥٠٧/٥.

(٤١١٧) التحرير والتنوير: ٤٦٨/٣٠.

القرآن

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١)} [البيّنة : ١]

التفسير:

لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وُعِدوا بها في الكتب السابقة.

قوله تعالى:{مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البيّنة : ١]، أي:" تاركين كفرهم حتى تأتيهم العلامة التي وُعِدوا بها في الكتب السابقة"(٤١١٨).

وفي قوله تعالى:{مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البيّنة : ١]، وجهان من التفسير(٤١١٩):

أحدهما: لم يكن الكفار منتهين عما هم عليه حتى يجيئهم الرسول، فيبيّن لهم ضلالتهم. وهذا قول مجاهد(٤١٢٠)، وقتادة(٤١٢١)، وعطاء(٤١٢٢)، والربيع(٤١٢٣).

عن مجاهد: "{مُنْفَكِّينَ}، قال: لم يكونوا ليَنتهوا حتى يتبين لهم الحق"(٤١٢٤).

قال عطاء :" منفكين: بارحين(٤١٢٥).

عن قتادة :{مُنْفَكِّينَ}، قال: منتهين عما هم فيه"(٤١٢٦).

عن قتادة:" {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}: أي: هذا القرآن"(٤١٢٧).

قال الربيع:" لم يزالوا مقيمين على الشرك والريبة حتى تأتيهم البينة ، يعنى: الرسل"(٤١٢٨).

الثاني : لم يكن الكفار متفرّقين إلا من بعد أن جاءهم الرسول، لأنهم فارقوا ما عندهم من صفة النبي صلّى الله عليه وسلّم فكفروا بعد البيان، فأقر بعضهم، وأنكر البعض. قاله ابن كيسان(٤١٢٩).

قال ابن كيسان:" معناه: لم يكن هؤلاء الكفار تاركين صفة محمد -عليه السلام- حتى بعث، فلمّا بعث تفرّقوا فيه"(٤١٣٠).

والصواب أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد، حتى تأتيهم البيِّنة، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه، رسول من الله. وقوله:{مُنْفَكِّينَ} في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر، ولذلك صَلُح بغير خبر، ولو كان بمعنى ما زال، احتاج إلى خبر يكون تماما له، واستؤنف قوله {رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ} هي نكرة على البيِّنة، وهي معرفة، كما قيل: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ}، فقال: حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله، ببعثة الله إياه إليهم، ثم ترجم عن البيِّنة، فقال: تلك البينة(٤١٣١).

(٤١١٨) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤١١٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨١/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ١٦٨/٥، وتفسير الطبري: ٥٤٠/٢٤، والنكت والعيون: ٣١٥/٦، وزاد المسير: ٤٧٥/٤.

(٤١٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٤.

(٤١٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٤.

(٤١٢٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٨/٥. قال النحاس:" وبرح وزال في منهاج واحد".

(٤١٢٣) انظر: النكت والعيون: ٣١٥/٦.

(٤١٢٤) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٤.

(٤١٢٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٨/٥. قال النحاس:" وبرح وزال في منهاج واحد".

(٤١٢٦) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٤.

(٤١٢٧)أخرجه الطبري: ٢٤/ ٥٣٩. وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤١٢٨) انظر: النكت والعيون: ٣١٥/٦.

(٤١٢٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٦٠/١٠.

(٤١٣٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦٠/١٠.

(٤١٣١) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٤.

وفي قراءة أبيّ بن كعب : «ما كان الذي كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين»، وفي قراءة ابن مسعود : «لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين»[٤١٣٢].

عن أبي الأسود قال: "رأيت مصحف عبد الله بن مسعود: «لَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ذَاتُ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ وَإِنَّ الدِّينَ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ غَيْرَ الْمُشْرِكَةِ لَمْ يَكُونُوا مُفْتَرِقِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ». وقال أبو الأسود: وقال عروة بن الزبير: إن الناس اختلفوا في قراءة: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتاب}، فدخل عمر بن الخطاب على حفصة بأديم، فقال: إذا دخل عليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأليه يعلمك: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتاب}، وقولي له يكتبها لك في هذا الأديم؛ ففعلت فكتبها لها، فهي قراءة العامة"[٤١٣٣].

القرآن

{رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢)} [البيّنة : ٢]

التفسير:

وهي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، يتلو قرآنًا في صحف مطهرة.

قال قتادة:" يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويثني عليه بأحسن الثناء"[٤١٣٤].

قال أهل العلم:" أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله: {يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}، الآية، فكان القرآن مكتوباً في الصحف لكن كانت مفرقة فجمعها أبو بكر في مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار"[٤١٣٥].

القرآن

{فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)} [البيّنة : ٣]

التفسير:

في تلك الصحف أخبار صادقة وأوامر عادلة، تهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

قال السدي:" يعني: فروض الله العادلة"[٤١٣٦].

قال العلماء: "من أول السورة إلى قوله: {فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}، حكمها في من آمن من أهل الكتاب والمشركين، {وَما تَفَرَّقَ} حكمه في من لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجج عليها"[٤١٣٧].

القرآن

{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)} [البيّنة : ٤]

التفسير:

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى في كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا حقًا؛ لما يجدونه من نعته في كتابهم، إلا مِن بعد ما تبينوا أنه النبي الذي وُعِدوا به في التوراة والإنجيل، فكانوا مجتمعين على صحة نبوته، فلما بُعِث تفرقوا: فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته بغياً وحسداً.

عن أبي العالية:"{ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}: القرآن"[٤١٣٨].

(٤١٣٢) انظر: النكت والعيون: ٣١٦/٦.

(٤١٣٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٤٣):ص٦٢/٣.

(٤١٣٤) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٤.

(٤١٣٥) انظر: فتح الباري: ١٣/٩.

(٤١٣٦) النكت والعيون: ٣١٦/٦.

(٤١٣٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦١/١٠.

(٤١٣٨) النكت والعيون: ٣١٦/٦.

القرآن

{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)} [البيّنة : ٥]

التفسير:

وما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه، مائلين عن الشرك إلى الإيمان، ويقيموا الصلاة، ويُؤَدُّوا الزكاة، وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام.

قوله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البيّنة : ٥]، أي:" وما أمروا في سائر الشرائع إلا ليعبدوا الله وحده قاصدين بعبادتهم وجهه"(٤١٣٩).

قال أبو العالية:" أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"(٤١٤٠).

قوله تعالى:{حُنَفَاءَ} [البيّنة : ٥]، أي:" مائلين عن الشرك إلى الإيمان"(٤١٤١).

وفي قوله تعالى:{حُنَفَاءَ} [البيّنة : ٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: مسلمين لله، وهو قول الضحاك(٤١٤٢)، قال ذو الرمة(٤١٤٣):

إذا حَوَّل الظلُّ العشِيَّ رأيتَه ... حنيفًا وفي قَرن الضحَى يَتَنَصَّر

وقال الراعي(٤١٤٤):

أخليفة الرحمن إنا مَعْشرٌ ... حُنفاءُ نسجُدُ بُكرةً وأصيلاً

الثاني : مخلصين لله، وهو قول خصيف(٤١٤٥).

الثالث : مستقيمين لله، قاله محمد بن كعب(٤١٤٦).

الرابع : يعني: متبعين. قاله مجاهد(٤١٤٧).

الخامس: أنهم المؤمنون بالرسل كلهم ، قاله أبو قلابة(٤١٤٨).

السادس : أن الحنيفية: الختان، وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات والمناسك. قاله قتادة(٤١٤٩).

السابع : حجاجاً إلى الله، وهو قول الضحاك(٤١٥٠). وعبد الله بن القاسم(٤١٥١).

(٤١٣٩) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤١٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢١):ص٢١٤٦/٧.

(٤١٤١) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤١٤٢) انظر: النكت والعيون:٢٣/٤.

(٤١٤٣)ديوانه ٢٢٩- والاضداد للانبارى ١٣١ والاقتضاب ٣٩٣ والقرطبي ٢/ ١٤٠ واللسان (حول).

(٤١٤٤)جمهرة أشعار العرب: ١٧٥، وغيرها، من ملحمته المشهورة، قالها لعبد الملك بن مروان، وكان بعض عماله على الصدقات، قد أوقع ببني نمير قوم الراعي، لأن قيسًا كانت زبيرية الهوى، فقال:

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إِنَّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأَصِيلاَ

عَرَبٌ، نَرَى لِلهِ في أَمْوالِنا ... حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلاَ

إِنَّ السُّعاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أَمْرَتَهُمْ ... وأَتَوْا دَواهِيَ، لو عَلِمْتَ، وغُولا

ثم يقول له: أَخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بالأَصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُولاً

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا..... ... .

جَاءوا بِصَكَّهِمُ، وَأَحْدَبَ أَسْأَرَتْ ... مِنْهُ السِّياطُ يَرَاعَةً إِجْفِيلا

وهي من جيد الشعر.

(٤١٤٥) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٦.

(٤١٤٦) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٦.

(٤١٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩١٨):ص٢٤٩١/٨.

(٤١٤٨) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٦.

(٤١٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٤.

وقال عطية العوفي : "إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد الحنيف كان معناه المسلم "[٤١٥٢].

وقال سعيد بن جبير : "لا تسمي العرب الحنيف إلا لمن حج واختتن"[٤١٥٣]

قوله تعالى:{وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} [البيّنة : ٥]، أي:" وأُمروا بأن يؤدوا الصلاة على الوجه الأكمل، في أوقاتها بشروطها وخشوعها وآدابها، ويعطوا الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس"[٤١٥٤].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[٤١٥٥].

قال الحسن: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[٤١٥٦]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[٤١٥٧].

عن قتادة: "{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، فهما فريضتان واجبتان، لا رخصة لأحد فيهما، فأدّوهما إلى الله تعالى ذكره"[٤١٥٨].

قال أهل العلم:" فدلّت هذه الآية على أن الدين العبادات، لقوله: {ذلك دينُ القَيِّمَةِ} بعد ذكر العبادة والصلاة والزكاة"[٤١٥٩].

قوله تعالى:{وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البيّنة : ٥]، أي:" وذلك هو دين الاستقامة، وهو الإسلام"[٤١٦٠].

عن السُّدِّيّ: "{وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ} المِلّة المستقيمة"[٤١٦١].

قال قتادة:" هو الدين الذي بعث الله به رسوله، وشرع لنفسه، ورضي به"[٤١٦٢].

عن أبي وائل شقيق بن سلمة -من طريق المُغيرة- قال: "قوم يسألوني عن السُّنّة؟ فقرأ: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتابِ} حتى بلغ {وما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ}، قرأها وهو يُعرِّض بالمُرجئة"[٤١٦٣].

عن عطاء بن أبي رباح، أنه قيل له: "إنّ قومًا قالوا: إنّ الصلاة والزكاة ليسا من الدين. فقال: أليس يقول الله: {وما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ}؟ فالصلاة والزكاة من الدين"[٤١٦٤].

عن عقيل، قال: "قلت للزهري: تزعمون أن الصلاة والزكاة ليس من الإيمان؟ فقرأ: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)} [البيّنة : ٥]، ترى هذا من الإيمان أم لا؟"[٤١٦٥].

(٤١٥٠) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٩/٥.
(٤١٥١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩١٧):ص٢٤٩١/٨.
(٤١٥٢) نقلا عن: النكت والعيون: ٣١٧/٦.
(٤١٥٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٣١٧/٦.
(٤١٥٤) صفوة التفاسير: ٥٦١/٣.
(٤١٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(٤١٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.
(٤١٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.
(٤١٥٨) أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٣.
(٤١٥٩)العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: ٢٨٧/٩.
(٤١٦٠) التفسير الميسر: ٥٩٨.
(٤١٦١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٢ -.
(٤١٦٢) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢٤.
(٤١٦٣)أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ١/ ٨٨، والحاكم (ت: مصطفى عطا) ٢/ ٥٧٩ - ٥٨٠ (٣٩٦٤/ ١١٠١). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وفيه: كان أبو وائل إذا سئل عن شيء من الإيمان قرأ: {لَمْ يَكُنِ} الآية.
(٤١٦٤)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤١٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٠):ص٣٤٥٤/١٠.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)} [البيّنة : ٦]

التفسير:

إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين عقابهم نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم أشد الخليقة شرا.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [البيّنة : ٦]، أي:" إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين، عقابهم نار جهنم، ماكثين فيها أبداً لا يخرجون منها ولا يموتون"(٤١٦٦).

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٤١٦٧).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البيّنة : ٦]، أي:" أولئك هم أشد الخليقة شرا"(٤١٦٨).

قرأ نافع وابن عامر والأعرج: «البريئة» بالهمز من: «برأ»، وقرأ الباقون والجمهور: «البريّة» بشد الياء بغير همز على التسهيل، والقياس الهمز إلا أن هذا مما ترك همزه كالنبي والذرية، وقرأ بعض النحويين: «البرية» مأخوذ من «البراء» وهو التراب(٤١٦٩)"(٤١٧٠).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)} [البيّنة : ٧]

التفسير:

إن الذين صَدَّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات، أولئك هم خير الخلق.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البيّنة : ٧]، أي:" إن الذين صَدَّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات"(٤١٧١).

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"(٤١٧٢).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البيّنة : ٧]، أي:" أولئك هم خير الخلق"(٤١٧٣).

عن محمد بن عليّ: "{أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنْتَ يا عَلي وَشِيعَتُكَ"(٤١٧٤).

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في قوله:" {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية}، قال: ... هذا للخلائق كلّهم، قال الله تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما} الآية [غافر: ٧]، فهؤلاء من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم ذكر الجن، فقال: إنهم قالوا: {وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وأنا ومنا المسلمون} [الجن: ١٣ - ١٤]، فهؤلاء من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم جمع

(٤١٦٦) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤١٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٤١٦٨) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤١٦٩)قال ابن عطية:" وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأ وغلطا وهو اشتقاق غير مرضي ". [المحرر الوجيز: ٥٠٨/٥].

(٤١٧٠) انظر: السبعة في القراءات: ٦٩٣، والمحرر الوجيز: ٥٠٨/٥.

(٤١٧١) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤١٧٢)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.

(٤١٧٣) التفسير الميسر: ٥٩٨.

(٤١٧٤) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٤.

الخلائق كلهم، وقال: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية} هؤلاء من الملائكة والإنس والجن، ليس خاصة ببني آدم"[٤١٧٥].

عن أبي هريرة قال: "أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك، واقرءوا إن شئتم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)} [البيّنة : ٧]"[٤١٧٦].

عن أنس، قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذاك إبراهيم»[٤١٧٧].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أخبركم بخير البرية ؟" قالوا : بلى يا رسول الله. قال : "رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هَيْعَة استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية ؟ " قالوا : بلى يا رسول الله. قال : "رجل في ثُلَّة من غنمه، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بشر البرية ؟ ". قالوا : بلى. قال : "الذي يَسأل بالله، ولا يُعطي به"[٤١٧٨].

القرآن

{جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)} [البيّنة : ٨]

التفسير:

جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها الأنهار، خالدين فيها أبدًا، رضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه.

قوله تعالى:{جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [البيّنة : ٨]، أي:" جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها الأنهار"[٤١٧٩].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٤١٨٠].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٤١٨١].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٤١٨٢].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٤١٨٣].

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن[٤١٨٤].

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"[٤١٨٥].

(٤١٧٥)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٤١٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٢):ص٣٤٥٤/١٠.

(٤١٧٧) سنن أبي داود(٤٦٧٢):٢١٨/٤.

(٤١٧٨)المسند (٣٩٦/٢) وقال الهيثمي في المجمع (٢٧٩/٥) : "أبو معشر - نجيح - ضعيف، وأبو معشر (كذا فيه، والصواب : أبو وهب) مولى أبي هريرة لم أعرفه".

(٤١٧٩) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٤١٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(٤١٨١) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٤١٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.

(٤١٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(٤١٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

(٤١٨٥) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك[٤١٨٦].

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء[٤١٨٧].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [البيّنة : ٨]، أي:" ما كثين فيها أبداً، لا يموتون ولا يخرجون منها، وهم في نعيم دائم لا ينقطع"[٤١٨٨].

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٤١٨٩].

قوله تعالى:{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [البيّنة : ٨]، أي:" ضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات"[٤١٩٠].

قال الحسن: "ارضَ عن الله يرضَ الله عنك، وأعطِ الله الحقّ من نفسك، أما سمعتَ ما قال -تبارك وتعالى-: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}؟"[٤١٩١].

عن السُّدِّيّ: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}: إذا كنتَ لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟!"[٤١٩٢].

قال جعفر الصادق: "{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بما كان سبق لهم مِن العناية والتوفيق، {ورَضُوا عَنْهُ} بما مَنَّ عليهم بمتابعتهم لرسوله، وقَبولهم ما جاءهم به"[٤١٩٣].

«آخر تفسير سورة (البيّنة)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤١٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.
(٤١٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.
(٤١٨٨) صفوة التفاسير: ٥٦١/٣.
(٤١٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(٤١٩٠) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(٤١٩١)أخرجه ابن أبي الدنيا في الرضا عن الله ١/ ٤٥٣ (٩٠).
(٤١٩٢)تفسير البغوي ٦/ ٤٩٧.
(٤١٩٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الزلزلة»

«سورة الزلزلة»: هي السورة التاسعة والتسعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة النساء»، وقبل «سورة الحديد». آياتها ثمان في عد الكوفة، وتسع في عد الباقين. وكلماتها خمس وثلاثون. وحروفها مائة وتسع عشرة. المختلف فيها آية: {أَشْتَاتًا } [الزلزلة : ٦]، فواصل آياتها «هما»، على الميم آية: {أَعْمَالَهُمْ} [الزلزلة : ٦][٤١٩٤].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكّيّة. قاله ابن عباس[٤١٩٥]، وابن مسعود[٤١٩٦]، ومجاهد[٤١٩٧]، وعطاء[٤١٩٨]، وجابر[٤١٩٩].

الثاني: أنها مدنيّة. قاله ابن عباس[٤٢٠٠]، وقتادة[٤٢٠١]، ومقاتل[٤٢٠٢]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٤٢٠٣].

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة {إذا زلزلت} بالمدينة" [٤٢٠٤].

عن قتادة قال:" نزلت بالمدينة {إذا زلزلت}" [٤٢٠٥].

قال ابن عاشور:" والأصح أنها مكية واقتصر عليه البغوي وابن كثير ومحمد بن الحسن النيسابوري في تفاسيرهم"[٤٢٠٦].

(٤١٩٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٥/١.

(٤١٩٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤١٩٦) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٤١٩٧) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤١٩٨) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤١٩٩) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

قال ابن عاشور:٤٨٩/٣٠:" وذكر القرطبي عن جابر أنها مكية ولعله يعني: جابر بن عبد الله الصحابي لأن المعروف عن جابر بن زيد أنها مدنية فإنها معدودة في نزول السور المدنية فيما روي عن جابر بن زيد".

(٤٢٠٠) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، وزاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٤٢٠١) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨، والمحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤٢٠٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥١٠/٥، وزاد المسير: ٤٧٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢١/١٠.

(٤٢٠٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.

(٤٢٠٤) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٢٠٥) انظر: الدر المنثور: ٥٩٠/٨ وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٢٠٦) التحرير والتنوير: ٤٨٩/٣٠.

القرآن

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣)} [الزلزلة : ١-٣]

التفسير:

إذا رُجَّت الأرض رجًّا شديدًا، وأخرجت ما في بطنها من موتى وكنوز، وتساءل الإنسان فزعًا: ما الذي حدث لها؟

قوله تعالى:{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا} [الزلزلة : ١]، أي:" إذا رُجَّت الأرض رجًّا شديدًا"(٤٢٠٧).

عن سعيد بن جبير، قال: {زُلْزِلَتِ الأَرْضُ} على عهد عبد الله، فقال لها عبد الله: مالك، أما إنها لو تكلَّمت قامت الساعة"(٤٢٠٨).

وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو حيوة والجحدريّ: «زلزالها» بفتح الزاي(٤٢٠٩).

قوله تعالى:{وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} [الزلزلة : ٢]، أي:" وأخرجت ما في بطنها من موتى وكنوز"(٤٢١٠).

وفي قوله تعالى:{وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا} [الزلزلة : ٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : لفظت ما فيها من الكنوز والموتى، قاله عطية(٤٢١١).

عن عطية :" {وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}، قال: ما فيها من الكنوز والموتى"(٤٢١٢).

عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تَقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قَتَلْتُ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قَطَعتُ رحمي، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطِعت يدي، ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئا"(٤٢١٣).

الثاني : أخرجت ما فيها من الموتى، قاله مجاهد(٤٢١٤).

عن مجاهد: "{وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}، أخرجت من في القبور"(٤٢١٥).

و«الأثقال» : الموتى الذين في بطنها. كما قال مجاهد، وهذه إشارة إلى البعث، أما التفسير بأنها أخرجت موتاها وكنوزها، فإنه ليست القيامة موطنا لإخراج الكنوز، وإنما تخرج كنوزها وقت الدجال-والله أعلم-(٤٢١٦).

القرآن

{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥)} [الزلزلة : ٤-٥]

التفسير:

يوم القيامة تخبر الأرض بما عُمل عليها من خير أو شر، وبأن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تخبر بما عُمل عليها.

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا} [الزلزلة : ٥]، أي:" يوم القيامة تخبر الأرض بما عُمل عليها من خير أو شر"(٤٢١٧).

(٤٢٠٧) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(٤٢٠٨) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٤.
(٤٢٠٩) انظر: زاد المسير: ٤٧٧/٤.
(٤٢١٠) التفسير الميسر: ٥٩٩.
(٤٢١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٣٥):ص٣٤٥٥/١٠.
(٤٢١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٥):ص٣٤٥٥/١٠.
(٤٢١٣)صحيح مسلم برقم (١٠١٣).
(٤٢١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(٤٢١٥) تفسير مجاهد: ٧٤٢، وأخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.
(٤٢١٦) المحرر الوجيز: ٥١٠/٥.

قال مجاهد:" تخبر الناس بما عملوا عليها"[٤٢١٨].

عن أبي هريرة، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يومئذ تحدث أخبارها}، قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، قال: فهذه أخبارها"[٤٢١٩].

عن الحارث بن يزيد - سمع ربيعة الجُرَشي - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "تحفظوا من الأرض، فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًا، إلا وهي مُخبرة"[٤٢٢٠].

عن سعيد بن جبير:" يقرأ في المغرب مرة: «يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَهَا»، ومرة: {تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}"[٤٢٢١].

قوله تعالى:{بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا} [الزلزلة : ٥]، أي:" ، وبأن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تخبر بما عُمل عليها"[٤٢٢٢].

عن مجاهد: "{بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا}، قال: أمرها"[٤٢٢٣].

قال مجاهد:" أمرها، فألقَت ما فيها وتخلَّت"[٤٢٢٤].

وقال القُرَظي : "أمرها أن تنشق عنهم"[٤٢٢٥].

القرآن

{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦)} [الزلزلة : ٦]

التفسير:

يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافًا متفرقين؛ ليريهم الله ما عملوا من السيئات والحسنات، ويجازيهم عليها.

(٤٢١٧) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٤٢١٨) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(٤٢١٩)يشبه الحسن، أخرجه الترمذي ٢٤٢٩ و ٣٣٥٣ والنسائي في «التفسير» ٧١٣ وأحمد ٢/ ٣٧٤ وابن حبان ٧٣٦٠ من طرق عن ابن المبارك عن يحيى بن أبي سليمان به. إسناده لين، رجاله ثقات سوى يحيى بن أبي سليمان. قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث ليس بالقوي يكب حدثه، ووثقه ابن حبان والحاكم، وقال ابن عدي: هو ممن تكتب أحاديثه وإن كان بعضها غير محفوظ. وذكر له ابن عدي أحاديث فيها غرابة، وليس هذا منها، وقد روى عنه غير واحد من الثقات كشعبة وابن أبي ذئب وغيرهما، فالرجل غير متفق على ضعفه كما ترى، - وقال الحافظ في «التقريب» : لين الحديث، ولحديثه شواهد بمعناه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٣٢: من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب به. وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٤/ ٥٤٢ من طريق شعبة عن يحيى به. وصححه الحاكم، وقال الذهبي: يحيى هذا منكر الحديث قاله البخاري. قلت: أخذ الذهبي رحمه الله بالأشد، فقد تفرد البخاري بجرحه، في حين خالفه أبو حاتم فلينه، وابن حبان والحاكم فوثقاه. وله شاهد من حديث أنس، أخرجه البيهقي في «الشعب» ٧٢٩٦ لكنه من طريق رشدين بن سعد عن يحيى بن أبي سليمان، ورشدين واه، وهذا من أوهامه كونه عن أنس، والمحفوظ عن سليمان عن سعيد عن أبي هريرة. فهذا شاهد لا يفرح به. وله شاهد من حديث ربيعة الجرشي، أخرجه الطبراني ٤٥٩٦، وفيه ابن لهيعة ضعيف، وربيعة مختلف في صحبته، والجمهور على أن له صحبة. ويشهد لأصل معناه حديث مسلم ١٠١٣ والترمذي ٢٢٠٨ وابن حبان ٦٦٩٧ من حديث أبي هريرة- وقد ورد في تعليق ابن كثير رحمه الله السابق، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «تقيء الأرض ...» الحديث.

(٤٢٢٠)المعجم الكبير (٦٥/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٢٤١/١) : "وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف".

(٤٢٢١) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(٤٢٢٢) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٤٢٢٣) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(٤٢٢٤) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢٤.

(٤٢٢٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٦١/٨.

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا} [الزلزلة : ٦]، أي:" يومئذ يرجع الناس عن موقف الحساب أصنافًا متفرقين"(٤٢٢٦).

عن السدى: "{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا}، قال: فرقا"(٤٢٢٧).

القرآن

{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧-٨]

التفسير:

فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيرًا، ير ثوابه في الآخرة، ومن يعمل وزن نملة صغيرة شرًا، ير عقابه في الآخرة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن العرب كانوا لا يتصدقون بالشيء القليل، وكانوا لا يرون بالذنب الصغير بأسا، فزهدهم الله- عز وجل- في الذنب الحقير، ورغبهم في الصدقة القليلة، فقال: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨] في كتابه- والذرة أصغر النمل وهي النملة الصغيرة، وأيضا {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} قدر نملة {شَرًّا يَرَهُ} يوم القيامة في كتابه، نزلت في رجلين بالمدينة، كان أحدهما إذا أتاه السائل يستقل أن يعطيه الكسرة أو التمرة، ويقول ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وقد قال الله- عز وجل-: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ} [الإنسان : ٨]، فيقول: ليس هذا مما يحب، فيستقل ذلك ويرى أنه لا يؤجر عليه، فيرد المسكين صفرا، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشباه ذلك، ويقول ليس على من فعل هذا شيء إنما وعد الله النار أهل الكبائر. فأنزل الله- عز وجل- يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه لله فإنه يوشك أن «يكثر ويحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثر فالذنب الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال الرواسي، ولجميع محاسنه التي عملها في دار الدنيا أصغر في عينه من حسنة واحدة"(٤٢٢٨).

عن سعيد بن جبير:" في قول الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)} [الزلزلة : ٧ - ٨]، وذلك لما نزلت هذه الآية :{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان : ٨]، كان المسلمون يرون أنهم لا يُؤجَرون على الشيء القليل الذي أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجَوْزة ونحو ذلك، فيردونه ويقولون : ما هذا بشيء. إنما نُؤجَر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يَرَون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك، يقولون : إنما وعد الله النار على الكبائر. فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فنزلت :{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعني : وزن أصغر النمل {خَيْرًا يَرَهُ} يعني : في كتابه، ويَسُرُّه ذلك. قال : يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة. وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضًا، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة، دخل الجنة"(٤٢٢٩).

قوله تعالى:{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة : ٧]، أي:" فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيرًا، ير ثوابه في الآخرة"(٤٢٣٠).

(٤٢٢٦) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٤٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٣٦):ص٣٤٥٥/١٠.

(٤٢٢٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٤-٧٩٢.

(٤٢٢٩) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٤٦٤/٨، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٠):ص٣٤٥٦/١٠، [مختصرا]

(٤٢٣٠) التفسير الميسر: ٥٩٩.

عن سعيد بن جُبَير -من طريق عطاء- في قوله: "{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ} يعني: وزن أصغر النمل، {خَيْرًا يَرَهُ} يعني: في كتابه، ويسُرُّه ذلك"[٤٢٣١].

قال يزيد بن هارون: "وزعموا أن هذه الدودة الحمراء ليس لها وزن"[٤٢٣٢].

عن إبراهيم التيمي، قال: "أدركت سبعين من أصحاب عبد الله، أصغرهم الحارث بن سويد، فسمعته يقرأ: {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا}، حتى بلغ إلى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، قال: إن هذا إحصاء شديد"[٤٢٣٣].

عن عكرمة :" في الآية {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا}، قال: هو الكافر، يُعطى كتابه يوم القيامة، فينظر فيه، فيرى فيه كلّ حسنة عملها في الدنيا، فتُردّ عليه حسناته، وذلك قول الله: {وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنثُورًا} [الفرقان: ٢٣]، فأُبلس، واسودّ وجهه، وأمّا المؤمن فإنه يُعطى كتابه بيمنيه يوم القيامة، فيرى فيها كلّ سيئة عملها في دار الدنيا، ثم يُغفَر له، وذلك قول الله: {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان: ٧٠]، فابيضّ وجهه، واشتد سروره"[٤٢٣٤].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، في الآية، قال: "مَن يعمل مِثقال ذرّة مِن خير مِن كافر يرى ثوابها في الدنيا، في نفسه وأهله وماله وولده، حتى يَخرج من الدنيا وليس عنده خير"[٤٢٣٥].

قال محمد بن كعب: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}، قال: "أما المؤمن فيرى حسناته في الآخرة، وأما الكافر فيرى حسناته في الدنيا"[٤٢٣٦]. وروي عن طاووس[٤٢٣٧]، نحوه.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة : ٨]، أي:" ومن يعمل وزن نملة صغيرة شرًا، ير عقابه في الآخرة"[٤٢٣٨].

عن محمد بن كعب :"{ومَن يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} مِن مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده، حتى يَخرج من الدنيا وليس عليه شيء"[٤٢٣٩].

عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أَحْسَنَ مِنْ مُحْسِنٍ، مُؤْمِنٍ أَوْ كَافِرٍ إلا وَقَعَ ثَوَابُهُ عَلى الله فِي عاجِلِ دُنْيَاهُ، أَوْ آجِلِ آخِرَتِهِ"[٤٢٤٠].

قال مالك: "بلغني أن مسكينا استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب. فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها. فجعل ينظر إليها ويعجب. فقالت عائشة: أتعجب؟ كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟"[٤٢٤١].

قال الربيع بن صبيح: "مرّ رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة، فلمّا بلغ آخرها قال: «حسبي قد أتممت الموعظة» فقال الحسن: «لقد فقه الرجل»[٤٢٤٢].

(٤٢٣١)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٤٨٤ - ٤٨٥ -.

(٤٢٣٢) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٤.

(٤٢٣٣) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢٤.

(٤٢٣٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٢٣٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨، والطبري: ٥٥٢/٢٤، من طريق عمرو بن قتادة وعمرو بن دينار أيضًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٢٣٦) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤.

(٤٢٣٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢١/٦.

(٤٢٣٨) التفسير الميسر: ٥٩٩.

(٤٢٣٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٨، والطبري: ٥٥٢/٢٤، من طريق عمرو بن قتادة وعمرو بن دينار أيضًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٢٤٠) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٤.

(٤٢٤١) موطأ مالك(٣٦٥٦):ص١٤٥٣/٥، وأخرجه أبو مصعب الزهري، ٢١٠٦ في الجامع؛ والحدثاني، ٨٠٥ في الجامع، كلهم عن مالك به.

(٤٢٤٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦٧/١٠.

وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا[٤٢٤٣].

«آخر تفسير سورة (الزلزلة)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٢٤٣) تفسير السعدي: ٩٣٢. قال السعدي:" وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا} {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا}".

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «العاديات»

«سورة العاديات»: هي السورة المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة العصر»، وقبل «سورة الكوثر»، آياتها إحدى عشرة. وكلماتها أربعون. وحروفها مائة وستون. فواصل آياتها على «دار» [٤٢٤٤].

- **مكان نزول السورة:**

اختلف في موضع نزول هذه السورة، على قولين:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود[٤٢٤٥]، وعطاء[٤٢٤٦]، وعكرمة[٤٢٤٧]، وجابر[٤٢٤٨].

عن ابن عباس، قال: "نزلت والعاديات بمكة"[٤٢٤٩].

الثاني: مدنيّة، قاله ابن عباس[٤٢٥٠]، وأنس[٤٢٥١]، ومالك[٤٢٥٢]، وقتادة[٤٢٥٣]، ومقاتل[٤٢٥٤].

قال ابن عطية:" هي مكية في قول جماعة من أهل العلم، وقال المهدوي عن أنس بن مالك: وهي مدنية"[٤٢٥٥].

(٤٢٤٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٧/١.

(٤٢٤٥) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٤٦) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٤٧) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٤٨) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٤٩) الدر المنثور: ٥٩٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٢٥٠) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٥١) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٥٢) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٥٣) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٥٣/٢٠.

(٤٢٥٤) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٠/٤.

(٤٢٥٥) المحرر الوجيز: ٥١٢/٥.

القرآن

{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١)} [العاديات : ١]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالخيل الجاريات في سبيله نحو العدوِّ، حين يظهر صوتها من سرعة عَدْوِها. ولا يجوز للمخلوق أن يقسم إلا بالله، فإن القسم بغير الله شرك.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا، فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر، فنزلت: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، ضبحت بأرجلها"(٤٢٥٦).

عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرًا لا يأتيه منها خبر، فنزلت :{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} ضبحت بأرجلها، {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا} قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارًا، {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا} صبَّحت القوم بغارة، {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} أثارت بحوافرها التراب، {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} قال : صبحت القوم جميعا"(٤٢٥٧).

عن إبراهيم : قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت"(٤٢٥٨).

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى حنين من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري أحد النقباء، فغابت فلم يأت النبي- صلى الله عليه وسلم- خبرها، فأخبره الله- عز وجل- عنها فقال: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، يعني: الخيل، وقيل: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعث سرية إلى أرض تهامة، وأبطأ عليه الحبر فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلا من الأنصار أو من المهاجرين تناجوا يأمره، فكان الرجل يظن أنه قد مات، أو قتل أخوه، أو أبوه، أو عمه، وكان يجد من ذلك أمرا عظيما، فجاءه جبريل- عليه السلام- يوم الجمعة عند وقت الضحى، فقال: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات : ١]، يقول: غدت الخيل إلى الغزوة حتى أصبحت فعلت أنفاسها بأفواهها، فكان لها ضباح كضباح الثعلب"(٤٢٥٩).

في «العاديات»، قولان :

أحدهما : أنها الخيل في الجهاد، قاله الحسن(٤٢٦٠)، وسالم(٤٢٦١)، وقتادة(٤٢٦٢)، ومجاهد(٤٢٦٣)، والضحاك(٤٢٦٤)، وعكرمة(٤٢٦٥)، وأبو العالية(٤٢٦٦)، والربيع بن أنس(٤٢٦٧)، وعطاء(٤٢٦٨)، ومنه قول الشاعر(٤٢٦٩):

(٤٢٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤١):ص٣٤٥٧/١٠.

(٤٢٥٧)مسند البزار برقم (٢٢٩١) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٤٢/٧) : "فيه حفص بن جميع وهو ضعيف".

(٤٢٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٣):ص٣٤٥٧/١٠.

(٤٢٥٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٤.

(٤٢٦٠) انظر: النكت والعيون: ٣٢٣/٦.

(٤٢٦١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(٤٢٦٢)انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(٤٢٦٣)انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(٤٢٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(٤٢٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٤.

(٤٢٦٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٨، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.

(٤٢٦٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٨، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.

(٤٢٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(٤٢٦٩) الشعر منسوب لناجية بن عمير بن يعمر بن دارم، وهو سائق بدن رسول الله. انظر البيت مع القصة: في سيرة ابن هشام: ٣١١/٢، والبداية والنهاية: ٤/ ١٨٩، ودلائل النبوة للبيهقي: ١١٢/٤-١١٣.

وَطَعْنَةٍ ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَهْ ... طَعَنْتُهَا تَحْتَ صُدُورِ الْعَادِيَهْ

يعني: الخيل.

عن عكرمة، والضحاك، وعطاء: "{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، قال: الخيل"[٤٢٧٠].

قال قتادة:" هي الخيل، عدت حتى ضبحت"[٤٢٧١]. وفي لفظ:" هي الخيل تعدو حتى تضبح"[٤٢٧٢].

قال مجاهد:" الخيل تضبح"[٤٢٧٣].

عن سعيد بن جبير، قال: "سمعت سالما يقرأ: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}، قال: هي الخيل عَدَتْ ضبحًا"[٤٢٧٤].

عن عكرمة:" {والعادِياتِ ضَبْحًا}، قال: الخيل، ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يضبح؟ وما ضبح بعيرٌ قط"[٤٢٧٥].

الثاني : أنها الإبل في الحج ، قاله إبراهيم[٤٢٧٦]، وعبيد بن عمير[٤٢٧٧]، والسدي[٤٢٧٨]، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب[٤٢٧٩]:

فَلاَ والعَادِيَاتِ غَداةَ جَمْعٍ ... بأيْدِيهَا إذا سَطعَ الغُبَارُ

يعني: الإبل ، وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو ، وهو تباعد الرجل في سرعة المشي.

عن إبراهيم النَّخْعي -من طريق منصور- {والعادِياتِ ضَبْحًا}، قال: الإبل"[٤٢٨٠].

عن السدي:" أنها الإبل في الحج، تعدو مِن عرفة إلى المُزدلفة، ومن المُزدلفة إلى مِنى"[٤٢٨١].

وعن محمد بن كعب القُرَظيّ، "{والعادِياتِ ضَبْحًا}، قال: الدّفعة من عرفة"[٤٢٨٢].

(٤٢٧٠) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٥٧، ٥٥٨.

(٤٢٧١) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٥٨.

(٤٢٧٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٥٨.

(٤٢٧٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٥٨.

(٤٢٧٤) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٥٨.

(٤٢٧٥) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٥٧، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٤٢٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٥٩.

(٤٢٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٥٩، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٤):ص٣٤٥٧/١٠-٣٤٥٨.

(٤٢٧٨)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.

(٤٢٧٩) انظر: سيرة ابن إسحاق: ١٥٦-١٥٧، ضمن أبيات قالتها في خبر «صحيفة المقاطعة»:

عن ابن إسحق قال: "فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي بعث به، وقامت بنو هاشم، وبنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا، ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم، وبنو المطلب، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم معهم، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم، فكتبوا صحيفة في ذلك، وكتب في الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً، فخرج أبو لهب عدو الله يظاهر عليهم قريش، وقال: قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش، فأنزل الله عز وجل: «تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ» إلى آخرها.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: وقالت صفية بنت عبد المطلب:

ألا من مبلغ عني قريشاً ... ففيم الأمر فينا والإمار

لنا الأمر المقدم قد علمتم ... ولم توقد لنا بالغدر نار

مجازيل العطا إذا وهبنا ... وأيسار إذا ابتغى اليسار

وكل مناقب الخيرات فينا ... وبعض الأمر منقصة وعار

فلا والعاديات غداه جمع ... بايديها إذا سطع الغبار

لنصطبرن لأمر الله حتى ... يبين ربنا أين القرار".

(٤٢٨٠) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٥٩.

(٤٢٨١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٦٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٠٥.

(٤٢٨٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وأولى القولين بالصواب: قول من قال: عني بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبح، وإنما تضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحا[٤٢٨٣].

عن عطاء، قال: "سمعت ابن عباس يصف الضبح: أحْ أحْ"[٤٢٨٤].

قال عطاء:" ليس شيء من الدوابّ يضبح غير الكلب والفرس"[٤٢٨٥].

القرآن

{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢)} [العاديات : ٢]

التفسير:

فالخيل اللاتي تنقدح النار من صلابة حوافرها؛ من شدَّة عَدْوها.

وفي تفسير الآية، أقوال:

أحدها : أنها الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع ، قاله قتادة[٤٢٨٦]، والضحاك[٤٢٨٧]، وعكرمة[٤٢٨٨]، وعطاء[٤٢٨٩].

عن قتادة: "{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: هي الخيل"[٤٢٩٠].

عن عطاء: "{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: أورت النار بحوافرها"[٤٢٩١].

قال الضحاك:" توري الحجارة بحوافرها"[٤٢٩٢].

قال أبو رجاء: "سئل عكرمة، عن قوله: {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: أورت وقدحت"[٤٢٩٣].

الثاني : أنها نيران الحجيج بمزدلفة ، قاله محمد بن كعب[٤٢٩٤].

الثالث :أنها الخيل تشعل الحرب بينهم وبين عدوهم ، قاله قتادة[٤٢٩٥].

عن قتادة: "{فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: هجن الحرب بينهم وبين عدوهم"[٤٢٩٦].

الرابع : أنه مكر الرجال في الحروب، قاله مجاهد[٤٢٩٧]، وزيد بن أسلم[٤٢٩٨]، وعطية العوفي[٤٢٩٩].

قال زيد بن أسلم: "هي مكر الرجل"[٤٣٠٠].

قوال سعيد بن جُبَير:" يعني: رجال الحرب"[٤٣٠١].

(٤٢٨٣) تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٤.

(٤٢٨٤) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٨٥) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢٤.

(٤٢٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٩٠) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٩١) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٩٢) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٩٣) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٩٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وانظر: النكت والعيون: ٣٢٤/٦، وتفسير البغوي: ٥٠٨/٨. بلفظ:" هي النيران تجتمع".و في بعض المصادر:" النيران تُجمع".

(٤٢٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٩٦) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٤.

(٤٢٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢٤-٥٦١.

(٤٢٩٨) انظر: تفسير البغوي: ٥٠٨/٨.

(٤٢٩٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٣٠٠)تفسير الثعلبي: ١٠/ ٢٧٠، وتفسير البغوي: ٨/ ٥٠٨. وجاء عقبه: "والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر لصاحبه، قال: أما -واللهِ- لأقدحنّ لك ثم لأورينّ لك".

عن عطية بن سعد العَوفيّ، "{فالمُوريات قَدْحًا}، قال: المكر"[٤٣٠٢].
الخامس : أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل وأوضح بها الحق، وفضح بها الباطل ، قاله عكرمة[٤٣٠٣].
عن عكرمة قال: يقال في هذه الآية: {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}، قال: هي الألسنة"[٤٣٠٤].
عن عكرمة: "هي ألسنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلّم به"[٤٣٠٥].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحا; فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان - مثلا - يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر - مثلا -، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها: إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحا، فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر[٤٣٠٦].

القرآن
{فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)} [العاديات : ٣]
التفسير:
فالخيل التي تغير بركبانها على الأعداء عند الصبح.
وفي تفسير الآية، قولان:
أحدهما : أنها الخيل تغير على العدو صبحاً، أي: علانية ، تشبيهاً بظهور الصبح، قاله الحسن[٤٣٠٧]، وقتادة[٤٣٠٨]، وعكرمة[٤٣٠٩]، وعطية العوفي[٤٣١٠]، وحكاه الثعلبي وابن الجوزي والبغوي عن اكثر المفسرين[٤٣١١].
قال عكرمة:" أغارت على العدو صبحا"[٤٣١٢].
قال قتادة:" أغارت حين أصبحوا"[٤٣١٣].
قال الحسن:" هي الخيل تُغير على العدوّ إذا أصبحتْ"[٤٣١٤].
قال قتادة:" أغار القوم بعد ما أصبحوا على عدوهم"[٤٣١٥].
عن مجاهد، وقتادة: "{فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا}، قال: هي الخيل"[٤٣١٦].
الثاني : أنها الإبل حين تعدو صبحاً من مزدلفة إلى منى، به قال محمد بن كعب القرظي[٤٣١٧].

(٤٣٠١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٧٠.
(٤٣٠٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٣٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٦٠-٥٦١.
(٤٣٠٤) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٦١.
(٤٣٠٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/٢٧٠.
(٤٣٠٦) تفسير الطبري: ٢٤/٥٦١.
(٤٣٠٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٤ -.
(٤٣٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٦٢.
(٤٣٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٦٢.
(٤٣١٠)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٣١١) انظر: الكشف والبيان: ١٠/٢٧٠، وزاد المسير: ٤/٤٨١، وتفسير البغوي: ٨/٥٠٨.
(٤٣١٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٦٢.
(٤٣١٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٦٢.
(٤٣١٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٤ -.
(٤٣١٥) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٦٢.
(٤٣١٦) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٦٢.
(٤٣١٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، {فالمُغِيراتِ صُبْحًا}، قال: الدّفعة مِن جمْع"[٤٣١٨]. وفي رواية:" هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى»[٤٣١٩].

والصواب: أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالمغيرات صبحا، ولم يخصص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكل مغيرة صبحا، فداخلة فيما أقسم به ; وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأباها، ويقول: إنما هو قسم أقسم الله به[٤٣٢٠].

القرآن

{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤)} [العاديات : ٤]

التفسير:

فهيَّجْنَ بهذا العَدْو غبارًا.

وفي «النقع»، قولان:

أحدهما: أنه الغبار الذي يسطع من حوافر الخيل. ، قاله مجاهد[٤٣٢١]، وقتادة[٤٣٢٢]، وعكرمة[٤٣٢٣]، ومنه قول الشاعر[٤٣٢٤]:

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومنه قول الآخر[٤٣٢٥]:

عَدِمْتُ بُنَيَّتِي إنْ لَمْ تَرَوْها ... تُثير النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيْ كَداءِ

قال عكرمة:" أثارت التراب بحوافرها"[٤٣٢٦].

قال قتادة:" أثرن بحوافرها نقع التراب"[٤٣٢٧]. وفي لفظ:" أثرن به غبارا"[٤٣٢٨].

قال عكرمة:" هي أثارت الغبار، يعني: الخيل"[٤٣٢٩].

عن مجاهد: "{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا}، قال: الخيل"[٤٣٣٠].

قال مجاهد:" رفعنا به غبارا"[٤٣٣١].

(٤٣١٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٣١٩) تفسير البغوي: ٥٠٨/٨. وعقبه:" "والسنة أن لا تدفع بركبانها يوم النحر حتى تصبح".

(٤٣٢٠) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢٤-٥٦٣.

(٤٣٢١) انظر: صحيح البخاري: ١٧٦/٦، وتفسير الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(٤٣٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(٤٣٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(٤٣٢٤)البيت لبشّار في ديوانه: ٣١٨/١، والأغاني ١٩٦/٣، وديوان المعاني ٦٧/٢، والحماسة البصرية ٨/١، وطبقات ابن المعتز ٢٦، وأخبار أبي تمام ١٨، والوساطة ٣١٣، وعيون الأخبار ١٩٠/٢، والإيضاح ص ٢١٣، تحقيق د. هنداوي، والمصباح ص ١٠٦، والشعر والشعراء ص ٧٥٩، ودلائل الإعجاز ص ٩٦، تحقيق د. محمود شاكر، والتبيان ص ١٩٨، والمفتاح ص ٣٣٧، ويروى «رءوسهم» بدلا من «رءوسنا». مثار النقع: الغبار الذي أثاره المتحاربون. تهاوى: أصلها تتهاوى خفف بحذف إحدى التاءين: تتساقط

(٤٣٢٥) البيت لعبدالله بن رواحة، كما في : النكت والعيون: ٣٢٥/٦، وتفسير القرطبي: ١٥٨/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٢٧/١٠، والدر المصون: ٨٦/١١. ولم أقف عليه.

والبيت ورد لحسان بن ثابت في "ديوانه" ص ٨، ط. دار صادر، برواية:

عَدِمْنَا خيلنا إن لم تَرَوهَا ... تُثير النقع موعدها كداء

كداء -بفتح الكاف ومد الدال-: جبل بمكة. والهاء في تروها: راجعة إلى الخيل المفهومة من السياق.

(٤٣٢٦) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(٤٣٢٧) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(٤٣٢٨) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(٤٣٢٩) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

(٤٣٣٠) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.

عن عطاء، قال: "النقع: الغبار"[٤٣٣٢].
الثاني : أن النقع: ما بين مزدلفة إلى منى ، قاله محمد بن كعب[٤٣٣٣].

لقرآن
{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥)} [العاديات : ٥]
التفسير:
فتوسَّطن بركبانهن جموع الأعداء.
وفي تفسير الآية، قولان:
أحدهما : أنها مزدلفة تسمى جمعاً، لاجتماع الحاج لها وإثارة النقع في الدفع إلى منى، قاله مكحول[٤٣٣٤].
الثاني : فوسطن بركبانهن جمع العدو، قاله الحسن[٤٣٣٥]، وقتادة[٤٣٣٦]، والضحاك[٤٣٣٧]، وعكرمة[٤٣٣٨]، وعطاء[٤٣٣٩].
عن الضحاك:"{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}، قال: الجمع: الكتيبة"[٤٣٤٠].
عكرمة :"{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}، قال: جمع الكفار"[٤٣٤١]. وفي لفظ:" جمع القوم"[٤٣٤٢].
قال عطاء:" جمع العدو"[٤٣٤٣].
قال قتادة:" فوسطن جمع القوم"[٤٣٤٤].
قال قتادة:" فوسطن بالقوم جمع العدو"[٤٣٤٥].
قال مجاهد:" جمع هؤلاء وهؤلاء"[٤٣٤٦].

القرآن
{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)} [العاديات : ٦-٨]
التفسير:
إن الإنسان لِنعم ربه لَجحود، وإنه بجحوده ذلك لمقر. وإنه لحب المال لشديد.
قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات : ٦]، أي:" إن الإنسان لِنعم ربه لَجحود"[٤٣٤٧].
وفي قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات : ٦]، وجوه من التفسير:

(٤٣٣١) صحيح البخاري: ١٧٦/٦.
(٤٣٣٢) أخرجه الطبري: ٥٦٣/٢٤.
(٤٣٣٣) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٤٣٣٤) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٤٣٣٥) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٤٣٣٦) انظر: النكت والعيون: ٣٢٥/٦.
(٤٣٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤.
(٤٣٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٤٠) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤.
(٤٣٤١) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٤٢) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٤٣) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٤٤) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٤٥) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٤٦) أخرجه الطبري: ٥٦٤/٢٤.
(٤٣٤٧) التفسير الميسر: ٦٠٠.

أحدها : لكفور جحود لنعم الله تعالى. قاله مجاهد[٤٣٤٨]، والربيع[٤٣٤٩]، والأرض الكنود: التي لا تنبت شيئا، قال الأعشى[٤٣٥٠]:

أحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إنَّها ... كُنُدٌ لوَصْلِ الزَّائِرِ المُعْتادِ

عن الحسن، ومجاهد، وقتادة:"{لَكَنُودٌ}، قال: لكفور"[٤٣٥١].

عن الربيع، قال: "الكنود: الكفور"[٤٣٥٢].

عن سماك، أنه قال: "إنما سميت كندة: أنها قطعت أباها، {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}، قال: لكفور"[٤٣٥٣].

وقال الضحاك : "نزلت في الوليد بن المغيرة"[٤٣٥٤].

الثاني : أنه اللوام لربه ، يذكر المصائب وينسى النعم ، قاله الحسن[٤٣٥٥]، وهو قريب من المعنى الأول.

قال الحسن:" هو الكفور الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه"[٤٣٥٦].

قال الحسن:" لوام لربه يعد المصائب"[٤٣٥٧].

قال الحسن:" لوام لربه، يعد المصائب، وينسى النعم"[٤٣٥٨].

الثالث : أن الكنود الذي لا يعطي في النائبة مع قومه. قاله عطاء [٤٣٥٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} [العاديات : ٧]، أي:" وإنه بجحوده ذلك لمقر"[٤٣٦٠].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} [العاديات : ٧]، وجوه من التفسير:

أحدهما : أن الله تعالى على كفر الإنسان لشهيد، قاله مجاهد[٤٣٦١]، وقتادة[٤٣٦٢].

عن مجاهد: {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}، قال: الله عز وجل"[٤٣٦٣].

قال قتادة:" إن الله على ذلك لشهيد"[٤٣٦٤].

قال قتادة:" في بعض القراءات: «إن الله على ذلك لشهيد»[٤٣٦٥].

الثاني : أن الإنسان شاهد على نفسه بما يصنع، قاله محمد بن كعب[٤٣٦٦]، وابن كيسان[٤٣٦٧].

عن محمد بن كعب:" {وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}، قال: الإنسان شاهد على نفسه"[٤٣٦٨].

(٤٣٤٨)انظر: تفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤.

(٤٣٤٩)انظر: تفسير الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(٤٣٥٠) ورد البيت في: "ديوانه":ص ٥٠ ط. دار صادر، ومجاز القرآن لأبي عبيدة٣٠٧/٢، وتفسير الطبري: ٥٦٥/٢٤، وتفسير القرطبي: ١٦١/٢٠، وهو بلا نسبة في المخصص: ١٦/ ١٦٣.

(٤٣٥١) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤، ٥٦٦.

(٤٣٥٢) أخرجه الطبري: ٥٦٥/٢٤.

(٤٣٥٣) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(٤٣٥٤) نقلا عن : النكت والعيون: ٣٢٦/٦. قال الماوردي:" وعلى هذا وقع القسم بجميع ماتقدم من السورة".

(٤٣٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(٤٣٥٦) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(٤٣٥٧) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢٤.

(٤٣٥٨) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٤.

(٤٣٥٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧١/١٠.

(٤٣٦٠) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٣٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٧):ص٣٤٥٨/١٠.

(٤٣٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢٤.

(٤٣٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٧):ص٣٤٥٨/١٠.

(٤٣٦٤) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٤.

(٤٣٦٥) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢٤.

(٤٣٦٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٤٨):ص٣٤٥٨/١٠.

(٤٣٦٧) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٧٢/١٠.

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات : ٨]، أي:" وإنه لحب المال لشديد"(٤٣٦٩).

عن قتادة: {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}، قال: هذا في مقاديم الكلام، قال: يقول: إن الله لشهيد أن الإنسان لحب الخير لشديد"(٤٣٧٠).

قال قتادة:" حب الخير، هو المال"(٤٣٧١).

قال مجاهد:" «الخير» -في القرآن كله-: المال، {لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: ٨]: الخير: المال، {إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي} [ص: ٣٢]: المال، {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور: ٣٣]: المال، و{إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ} [البقرة : ١٨٠]: المالُ"(٤٣٧٢).

قال الضحاك:" ألا ترى أنه يقول: قال شعيب لقومه: {إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ} [هود: ٨٤]، يعني: الغني"(٤٣٧٣).

عن الحسن:"{لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} : لحريص بخيل؛ من محبة المال، يمنع حق الله منه"(٤٣٧٤).

القرآن

{أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩)} [العاديات : ٩]

التفسير:

أفلا يعلم الإنسان ما ينتظره إذا أخرج الله الأموات من القبور للحساب والجزاء؟

عن محمد بن كعب:" {أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ}، قال: حين يبعثون"(٤٣٧٥).

في قراءة ابن مسعود : «إذا بحث ما في القبور»(٤٣٧٦).

القرآن

{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)} [العاديات : ١٠]

التفسير:

واستُخرج ما استتر في الصدور من خير أو شر.

قال محمد بن كعب:" أخرج ما في الصدور"(٤٣٧٧). وروي عن أبي صالح مثله(٤٣٧٨).

عن محمد بن كعب:" {وحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ}، قال: الأعمال حُصِّل ما فيها"(٤٣٧٩).

القرآن

{إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)} [العاديات : ١١]

التفسير:

إن ربهم بهم وبأعمالهم يومئذ لخبير، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(٤٣٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٨):ص٣٤٥٨/١٠.

(٤٣٦٩) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٣٧٠) أخرجه الطبر]: ٥٦٨/٢٤.

(٤٣٧١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٨١):ص٤٥٢/٣، وتفسير الطبري(٢٦٦٨):ص٣٩٣/٣.

(٤٣٧٢) أخرجه الطبري(٢٦٦٧):ص٣٩٣/٣.

(٤٣٧٣) انظر: تفسير الطبري(٢٦٧٢):ص٣٩٤/٣.

(٤٣٧٤) انظر: النكت والعيون: ٣٢٦/٦.

(٤٣٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٤٨):ص٣٤٥٨/١٠.

(٤٣٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢٤.

(٤٣٧٧) الدر المنثور: ٦٠٤/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤٣٧٨) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤٣٧٩)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"[٤٣٨٠].

في قراءة عبد الله: «بأنه يومئذ بهم خبير»[٤٣٨١].

حكي:" أن الحجاج بن يوسف قرأ على المنبر هذه السورة يحض الناس على الغزو فجرى على لسانه: «أن ربهم»، بفتح الألف، ثم استدركها من جهة العربية، فقال: «خبير»، وأسقط اللام"[٤٣٨٢].

«آخر تفسير سورة (العاديات)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٣٨٠) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

(٤٣٨١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٦/٣.

(٤٣٨٢) تفسير الثعلبي: ٢٧٣/١٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القارعة»

«سورة القارعة»: هي السورة الحادية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفص، نزلت بعد «سورة قريش» وقبل «سورة القيامة»، آياتها إحدى عشرة في عد الكوفة، وعشرة في الحجاز، وثمان فى البصرة، والشام. وكلماتها ست وثلاثون. وحروفها مائة وخمسون فواصل آياتها «شثه»[٤٣٨٣].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت سورة «القارعة»، بمكة"[٤٣٨٤].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[٤٣٨٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٤٣٨٦].

(٤٣٨٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٣٩/١.

(٤٣٨٤) الدر المنثور: ٦٠٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٣٨٥) المحرر الوجيز: ٥١٦/٥.

(٤٣٨٦) زاد المسير: ٤٨٣/٤.

القرآن

{الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)} [القارعة : ١ - ٣]

التفسير:

الساعة التي تقرع قلوب الناس بأهوالها. أيُّ شيء هذه القارعة؟ وأيُّ شيء أعلمك بها؟

عن قتادة:"{القارِعَةُ ما القارِعَةُ}، قال: هي الساعة"(٤٣٨٧).

عن قتادة، قوله: "{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}، أي: بالساعة"(٤٣٨٨).

القرآن

{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)} [القارعة : ٤]

التفسير:

في ذلك اليوم يكون الناس في كثرتهم وتفرقهم وحركتهم كالفراش المنتشر، وهو الذي يتساقط في النار.

عن قتادة: "{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}، هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار"(٤٣٨٩).

قال الحسن، في قوله: "{كالفَراشِ المَبْثُوثِ}: المبسوط"(٤٣٩٠).

القرآن

{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥)} [القارعة : ٥]

التفسير:

وتكون الجبال كالصوف متعدد الألوان الذي يُنْفَش باليد، فيصير هباء ويزول.

عن قتادة: "{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}، قال: الصوف المنفوش"(٤٣٩١).

قال قتادة:" هو الصوف. وذُكر أن الجبال تسير على الأرض وهي في صورة الجبال كالهباء"(٤٣٩٢).

عن مجاهد وقتادة: "{كَالْعِهْنِ}، قال: كالصوف"(٤٣٩٣).

وفي قراءة عبد الله: «كالصوف المنفوش»(٤٣٩٤).

القرآن

{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧)} [القارعة : ٦-٧]

التفسير:

فأما من رجحت موازين حسناته، فهو في حياة مرضية في الجنة.

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [القارعة : ٦]، أي:" فأما من رجحت موازين حسناته"(٤٣٩٥).

وفي تفسير قوله تعالى: {فَأمّا مَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ} [القارعة :٦]، وجهان:

أحدهما: معناه: فمن كثرت حسناته. قاله مجاهد(٤٣٩٦).

(٤٣٨٧) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٤.

(٤٣٨٨) أخرجه الطبري: ٥٧٠/٢٣.

(٤٣٨٩) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٤٣٩٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٥٦ -.

(٤٣٩١) أخرجه الطبري: ٥٧٤/٢٤.

(٤٣٩٢) أخرجه الطبري: ٥٧٤/٢٤.

(٤٣٩٣) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.

(٤٣٩٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٨٦/٣.

(٤٣٩٥) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٣٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٤):ص٣١١/١٢.

عن مجاهد: "{فمن ثقلت موازينه}، قال: حسناته"[٤٣٩٧].

عن مجاهد:" {فَأَمّا مَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ}، يقول: ليس ميزان، إنما هو مَثَلٌ ضُرب"[٤٣٩٨].

الثاني: معناه: فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته. وهذا قول عمرو بن دينار[٤٣٩٩].

والصواب هو القول الثاني: من أن ذلك هو«الميزان» المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: {فمن ثقلت موازينه}، موازين عمله الصالح {فأولئك هم المفلحون}، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:«ما وُضِع في الميزان شيء أثقل من حسن الخُلق»[٤٤٠٠]، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت.

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه، وجْهَته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟

قيل له في قوله:وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها: وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه في أمّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} [سورة الجاثية: ٢٨-٢٩] الآية. فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم"[٤٤٠١].

قوله تعالى:{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} [القارعة : ٧]، أي:" فهو في حياة مرضية في الجنة"[٤٤٠٢].

قال قتادة:" يعني: في الجنة"[٤٤٠٣].

قال مجاهد: "يرضى بها"[٤٤٠٤].

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)} [القارعة : ٨-٩]

التفسير:

وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته، فمأواه جهنم.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} [القارعة : ٨]، أي:" وأما من خفت موازين حسناته، ورجحت موازين سيئاته"[٤٤٠٥].

(٤٣٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٤):ص٣١١/١٢.

(٤٣٩٨)أخرجه ابن جرير ٢٤/ ٥٩٥. وللازدزادة حول هذه المسألةيمكن الرجوع إلى قوله تعالى: {والوزن يومئذ الحق ... } [الأعراف: ٨ - ٩].

(٤٣٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٥):ص٣١١/١٢.

(٤٤٠٠) رواه الترمذي رقم (٢٠٠٣) و (٢٠٠٤) في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود رقم (٤٧٩٩) في الأدب، باب حسن الخلق، وإسناده حسن، وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك، وقد ذكر الرواية الثانية المنذري في " الترغيب والترهيب " ٣ / ٢٥٦ من رواية البزار باسناد جيد.

(٤٤٠١) تفسير الطبري:٣١٢/١٢-٣١٣.

(٤٤٠٢) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٤٠٣) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٤٤٠٤) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١٧٥/٥.

(٤٤٠٥) التفسير الميسر: ٦٠٠.

عن عبيد بن عمير، في قوله تعالى: {وأما من خفت موازينه} [القارعة: ٨] قال: «يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب يوم القيامة ، فيوضع الميزان فما يزن عند الله جناح بعوضة»[٤٤٠٦].

قوله تعالى:{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة : ٩]، أي:" فمأواه جهنم"[٤٤٠٧].

قال قتادة:" وهي النار هي مأواهم"[٤٤٠٨].

وروى المبرد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل: "لا أم لك، فقال: يا رسول الله، أتدعوني إلى الهدى وتقول: لا أم لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أردت لا نار لك، قال الله تعالى: {فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ}"[٤٤٠٩].

وفي قوله تعالى: {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة : ٩]، ثلاثة وجوه:

أحدها: معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه في نار جهنم، وعَبَّر عنه بـ«أمه»، يعني: دماغه. روي نحو هذا المعنى عن قتادة[٤٤١٠]، وعكرمة[٤٤١١]، وأبي صالح[٤٤١٢]، وابن خالد الوالبي[٤٤١٣].

قال عكرمة:" أم رأسه هاوية في جهنم"[٤٤١٤].

عن أبي صالح: "{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ}، قال: يهوون في النار على رءوسهم"[٤٤١٥].

قال قتادة:" يهوي في النار على رأسه"[٤٤١٦].

الثاني: أنها كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قالوا: هَوَتْ أُمُّه، قاله قتادة-أيضا-[٤٤١٧].

قال قتادة:" مصيره إلى النار، هي «الهاوية»: هي كلمة عربية، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد، قال: هوت أمه"[٤٤١٨].

قرأ ابن مسعود، وطلحة بن مصرّف، والجحدري «فإمه»، بكسر الهمزة[٤٤١٩].

عن وهْب بن مُنَبِّه -من طريق مهاجر- قال: "مَرَّ عيسى - عليه السلام - بقريةٍ قد مات أهلها؛ إنسُها وجِنّها وهوامها وأنعامها وطيورها، فقام ينظر إليها ساعة، ثم أقبل على أصحابه، فقال: مات هؤلاء بعذاب الله، ولو ماتوا بغير ذلك ماتوا مُتفرِّقين. ثم ناداهم: يا أهل القرية، فأجابه مجيب: لبَّيك، يا روح الله. قال: ما كان جنايتكم؟ قالوا: عبادة الطاغوت، وحُبّ الدنيا. قال: وما كانت عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل معاصي الله. قال: فما كان حُبّكم الدنيا؟ قال: كحُبّ الصبي لأُمّه، كُنّا إذا أقبلتْ فَرِحنا، وإذا أدبرتْ حزِنّا، مع أمل بعيد، وإدبار عن طاعة الله، وإقبال في سخط الله. قال: وكيف كان شأنكم؟ قال: بِتنا ليلة في عافية، وأصبحنا في الهاوية. فقال عيسى: وما الهاوية؟ قال: سِجِّين. قال: وما سِجِّين؟ قال: جمرة مِن نار، مثل أطباق الدنيا كلّها، دُفنتْ أرواحنا فيها. قال: فما بال أصحابك لا يتكلّمون؟ قال: لا يستطيعون أن يتكلّموا؛ مُلجمون بلجام من نار. قال: فكيف كلّمتني أنتَ من بينهم؟ قال: إني كنتُ فيهم، ولم أكن على حالهم، فلما جاء البلاء عمّني معهم، فأنا مُعلّق بشعرة في الهاوية، لا أدري أُكردس في النار أم أنجو! فقال عيسى: بحقّ أقول

(٤٤٠٦) أخرجه عبدالرزاق(٣٦٨٦):ص٤٥٥/٣.

(٤٤٠٧) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٤٠٨) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٤٤٠٩) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٥١٧/٥.

(٤٤١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢٤.

(٤٤١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٠):ص٣٤٥٨/١٠، والنكت والعيون: ٣٢٩/٦، وزاد المسير: ٤٨٤/٤.

(٤٤١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٤٤١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٠):ص٣٤٥٨/١٠.

(٤٤١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٠):ص٣٤٥٨/١٠.

(٤٤١٥) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٤٤١٦) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٤.

(٤٤١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٤٤١٨) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٤.

(٤٤١٩) انظر: زاد المسير: ٤٨٣/٤.

لكم: لأكل خُبز الشعير، وشُرْب ماء القَراح، والنوم على المزابل مع الكلاب، كثير مع عافية الدنيا والآخرة"[٤٤٢٠].

القرآن

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)} [القارعة : ١٠ - ١١]

التفسير:

وما أدراك -أيها الرسول- ما هذه الهاوية؟ إنها نار قد حَمِيت من الوقود عليها.

تفسير الحسن: أي: "أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك ما الهاوية"[٤٤٢١].

عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم»، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها"[٤٤٢٢].

«آخر تفسير سورة (القارعة)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٤٢٠)أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ٦١.

(٤٤٢١) تفسير ابن أبي زمنين: ٧٨/٥. ذكر نحوه في قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلْ} [المرسلات : ١٤]، قال: تفسي الحسن: " أي: أنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتك". ثم كرر عبارة" أي: أنك لم تكن تدري". في تفسير عبارة" وما أدراك" في جميع القرآن. فهو يحكي هذا التفسير عن الحسن. -والله أعلم-.

(٤٤٢٢) صحيح البخاري(٣٢٦٥):ص١٢١/٤، و أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في شدة حر نار جهنم رقم ٢٨٤٣. (لكافية) في تعذيب أهل النار. (فضلت عليهن) أي على نيران الدنيا وفي رواية (عليها) ولعلها أرجح لأن المفضل عليه مفرد والمعنى أنها زادتها في العدد والكمية].

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التكاثر»

«سورة التكاثر»: هي السورة الثانية بعد المائة بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الكوثر» وقبل «سورة الماعون»[٤٤٢٣]، وآياتها ثمان. وكلماتها ثمانية وعشرون. وحروفها مائة وعشرون. فواصل آياتها «نمر»[٤٤٢٤].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: " نزلت بمكة سورة {ألهاكم التكاثر}"[٤٤٢٥].

قال ابن عطية:" هي مكية لا أعلم فيها خلافا"[٤٤٢٦].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٤٤٢٧].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين. وقال البخاري: مدنية"[٤٤٢٨].

قال السيوطي:" الأشهر أنها مكية، ويدل لكونها مدنية - وهو المختار -:

ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن بريدة: «أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار تفاخروا»...الحديث[٤٤٢٩].

وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: «كنا نرى هذا من القرآن - يعني «لو كان لابن آدم واد من ذهب»،- حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}»[٤٤٣٠][٤٤٣١].

وأخرج الترمذي عن علي قال: «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت»[٤٤٣٢].

قال السيوطي:" وعذاب القبر لم يذكر إلا بالمدينة كما في الصحيح في قصة اليهودية"[٤٤٣٣].

قال ابن عاشور:" والذي يظهر من معاني السورة وغلظة وعيدها أنها مكية، وأن المخاطب بها فريق من المشركين، لأن ما ذكر فيها لا يليق بالمسلمين"[٤٤٣٤].

(٤٤٢٣) بناء على أنها مكية.

(٤٤٢٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٠/١.

(٤٤٢٥) الدر المنثور: ٦٠٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٤٢٦) المحرر الوجيز: ٥١٨/٥.

(٤٤٢٧) زاد المسير: ٤٨٥/٤.

(٤٤٢٨) البحر المحيط في التفسير: ٥٣٥/١٠.

(٤٤٢٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.

(٤٤٣٠) صحيح البخاري(ألهاكم التكاثر):ص٩٣/٨. قال المحقق:" أي هذه السورة التي بمعنى الحديث فحين المقايسة بينهما أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس بقرآن. وقيل كان قرآنا فنسخ بنزول السورة اكتفاء بما هو في معناه".

(٤٤٣١) قال ابن عاشور: "يريد المستدل بهذا أن أبيّا أنصاري، وأن ظاهر قوله: حتى نزلت: {ألهاكم التكاثر}، أنها نزلت بعد أن كانوا يعدون: «لو أن لابن آدم واديا من ذهب إلخ من القرآن» وليس في كلام أبيّ دليل ناهض إذ يجوز أن يريد بضمير «كنا» المسلمين، أي: كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر وبين لهم النبيء صلى الله عليه وسلم أن ما كانوا يقولونه ليس بقرآن". [التحرير والتنوير: ٥١٧/٣٠]

(٤٤٣٢) وابن أبي حاتم(١٩٤٥٤):ص٣٤٥٩/١٠.

(٤٤٣٣) الإتقان: ٥٤/١-٥٥.

(٤٤٣٤) المحرر الوجيز: ٥١٨/٣٠.

القرآن
{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١)} [التكاثر : ١]
التفسير:
شغلكم عن طاعة الله التفاخر بكثرة الأموال والأولاد.
في سبب نزول السورة، قولان:
أحدهما: أنّ اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلّالا، فنزلت هذه فيهم، قاله قتادة[٤٤٣٥]. [ضعيف][٤٤٣٦].
عن قتادة، في قوله: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، قال: نزلت في اليهود"[٤٤٣٧].
عن قتادة :" {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، قال: قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا"[٤٤٣٨].
عن قتادة: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}، قال: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدّ من بني فلان، وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم"[٤٤٣٩].
الثاني: أنها: "نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ١ - ٢]، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل"[٤٤٤٠]. قاله ابن بريدة[٤٤٤١]. وذكر نحوه ابن السائب[٤٤٤٢]، ومقاتل[٤٤٤٣]، والفراء[٤٤٤٤].
حكي الواحدي عن الكلبي، ومقاتل: "أنّ حيّين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم كان بينهما لحاء، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيّدا، وأعزّ نفرا. وقال أولئك مثل هذا، فتعادّوا السّادة والأشراف أيّهم أكثر، فكثّرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعدّوا موتاهم، فكثّرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عددا في الجاهلية، فنزلت هذه فيهم"[٤٤٤٥].
وفي تفسير {التَّكَاثُرُ} [التكاثر: ١]، ثلاثة أقوال:
أحدها : التكاثر بالمال والأولاد ، قاله الحسن[٤٤٤٦]، وعطاء الخراساني[٤٤٤٧].

(٤٤٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٦)، (١٩٤٥٧):ص٣٤٦٠/١٠.
ضعيف. أخرجه الطبري ٣٧٨٦٩، ٣٧٨٧٠.
(٤٤٣٦) وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٤٩٠، والخبر ضعيف لإرساله، وذكر اليهود يبطل الخبر، لأن ابن الجوزي وغيره نقلوا الإجماع على أن السورة مكية، وأخبار يهود مدنية. انظر: زاد المسير: ٤٨٥/٤.
(٤٤٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٧):ص٣٤٦٠/١٠.
(٤٤٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٦):ص٣٤٦٠/١٠.
(٤٤٣٩) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٤.
(٤٤٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.
(٤٤٤١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص٣٤٥٩/١٠.
(٤٤٤٢) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٩٠، وزاد المسير: ٤٨٥/٤، وابن السائب هو الكلبي، فهو ممن يضع الحديث، وخبره لا شيء.
(٤٤٤٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٤، وأسباب النزول للواحدي: ٤٩٠.
(٤٤٤٤) انظر: معاني القرآن: ٢٨٧/٣.
(٤٤٤٥)أسباب النزول للواحدي: ٤٩٠.
(٤٤٤٦) انظر: النكت والعيون: ٣٣٠/٦.
(٤٤٤٧) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٥):ص١-٧.

ويدل عليه ما رواه مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن أبيه:" أنه انتهى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}، قال: «ابن آدم، ليس لك من مال إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت»"(٤٤٤٨).

عن أُبيّ بن كعب، قال: "كنا نرى أن هذا الحديث من القرآن: «لو أن لابن آدم واديين من مال، لتمنى واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ثم يتوب الله على من تاب»، حتى نزلت هذه السورة: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} إلى آخرها"(٤٤٤٩).

وروي عن يعقوب بن مجاهد في قول رسول الله: "لو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثاني، فقال: نسخت بـ {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ١ - ٢]"(٤٤٥٠).

الثاني : التفاخر بالعشائر والقبائل ، قاله قتادة(٤٤٥١).

عن قتادة: "{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا"(٤٤٥٢).

قال قتادة:" كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدّ من بني فلان، وهم كلّ يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم"(٤٤٥٣).

الثالث : التشاغل بالمعاش والتجارة ، قاله الضحاك(٤٤٥٤).

القرآن

{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ٢]

التفسير:

واستمر اشتغالكم بذلك إلى أن صرتم إلى المقابر، ودُفنتم فيها.

وفي تفسير الآية الكريمة، وجهان:

أحدهما : حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زوّاراً ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار. وهو معنى قول عمر بن عبدالعزيز(٤٤٥٥).

عن ميمون بن مهران قال: "كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)} [التكاثر : ١ - ٢]، فلبث هنيهة، فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله"(٤٤٥٦).

عن عليّ، قال: نزلت: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}، في عذاب القبر"(٤٤٥٧).

الثاني : حتى عدَدتُم مَن في المقابر: من مَوتاكم. قاله ابن بريدة(٤٤٥٨)، وقتادة(٤٤٥٩).

(٤٤٤٨) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٧٩-٥٨٠. قال الطبري:" وقوله صلى الله عليه وسلم بعقب قراءته {ألهاكم}: ليس لك من مالك إلا كذا وكذا، ينبئ أن معنى ذلك عنده: ألهاكم التكاثر: المال".

(٤٤٤٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٨٠.

(٤٤٥٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٨٢):ص٨٤/٣.

(٤٤٥١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٧٩.

(٤٤٥٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٧٩.

(٤٤٥٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٧٩.

(٤٤٥٤) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٣٠.

(٤٤٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٥):ص١٠/٣٤٥٩.

(٤٤٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٥٥):ص١٠/٣٤٥٩.

(٤٤٥٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٥٨٠.

(٤٤٥٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٥٣):ص١٠/٣٤٥٩.

قال ابن بريدة:" نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين

عن قتادة : "أن حيّين من قريش ، بني عبد مناف وبني سهم ، كان بينهما ملاحاة فتعادّوا بالسادة والأشراف أيهم أكثر ، فقال بنو عبد مناف : نحن أكثر سيّداً وعزاً وعزيزاً وأعظم نفراً ، وقال بنو سهم مثل ذلك ، فكثرهم بنو عبد مناف ، فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعُدّوا الأحياء والأموات ، فعدّوهم فكثرتهم بنو سهم ، فأنزل الله تعالى{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} -يعني بالعدد- {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} – أي: حتى ذكرتم الأموات في المقابر-"[٤٤٦٠].

القرآن

{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣)} [التكاثر : ٣]

التفسير:

ما هكذا ينبغي أن يُلْهيكم التكاثر بالأموال، سوف تتبيَّنون أن الدار الآخرة خير لكم.

قوله تعالى:{كَلَّا} [التكاثر : ٣]، أي:" ما هكذا ينبغي أن يُلْهيكم التكاثر بالأموال"[٤٤٦١].

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٤٤٦٢].

قوله تعالى:{سَوْفَ تَعْلَمُونَ} [التكاثر : ٣]، أي:" سوف تتبيَّنون أن الدار الآخرة خير لكم"[٤٤٦٣].

عن الحسن: "{فسوف يعلمون}، قال: وعيد"[٤٤٦٤].

القرآن

{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)} [التكاثر : ٣ - ٤]

التفسير:

ثم احذروا سوف تعلمون سوء عاقبة انشغالكم عنها.

قوله تعالى:{كَلَّا} [التكاثر : ٣]، أي:" ما هكذا ينبغي أن يُلْهيكم التكاثر بالأموال"[٤٤٦٥].

قال عمر مولى غُفْرة: "إذا سمعت الله يقول: «كلا»، فإنما يقول: كذبت"[٤٤٦٦].

عن الضحاك: "{كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قال: الكفار، {ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قال: المؤمنون. وكذلك كان يقرأها-أي: الأولى بالتاء والثانية بالياء-"[٤٤٦٧].

عن الحسن: "{فسوف يعلمون}، قال: وعيد"[٤٤٦٨].

القرآن

{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)} [التكاثر : ٥-٨]

التفسير:

تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل".

(٤٤٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢٤.

(٤٤٦٠) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٣١/٦.

(٤٤٦١) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٤٦٢) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.

(٤٤٦٣) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٤٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٧):ص٣٠٨٢/٩.

(٤٤٦٥) التفسير الميسر: ٦٠٠.

(٤٤٦٦) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٤.

(٤٤٦٧) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٤.

(٤٤٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٧):ص٣٠٨٢/٩.

ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، لو تعلمون حق العلم لانزجرتم، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك. لتبصرُنَّ الجحيم، ثم لتبصرُنَّها دون ريب، ثم لتسألُنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعيم.

قوله تعالى:{ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٥]، أي:" ما هكذا ينبغي أن يلهيكم التكاثر بالأموال، لو تعلمون حق العلم لانزجرتم، ولبادرتم إلى إنقاذ أنفسكم من الهلاك"(٤٤٦٩).

وفي تفسير قوله تعالى:{لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٥]، وجهان:

أحدهما : ما تعلمونه يقيناً بعد الموت من البعث والجزاء. قاله قتادة(٤٤٧٠).

قال قتادة:" كنا نحدَّث أن علم اليقين: أن يعلم أنَّ الله باعثه بعد الموت"(٤٤٧١).

الثاني: أن «علم اليقين»: الموت، والمعنى: لو تعلمون علم الموت الذي هو يقيني لا يعتريه شك. قاله قتادة- أيضا-(٤٤٧٢).

عن قتادة:" {عِلْمَ الْيَقِينِ}، قال: كنا نتحدث أنه الموت"(٤٤٧٣).

قوله تعالى:{لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ} [التكاثر : ٦]، أي:" لتبصرُنَّ الجحيم"(٤٤٧٤).

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"(٤٤٧٥).

قوله تعالى:{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} [التكاثر : ٧]، أي:" ثم لتبصرُنَّها دون ريب"(٤٤٧٦).

عن السدي: {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}، قال: " الحق اليقين"(٤٤٧٧).

قوله تعالى:{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} [التكاثر : ٨]، أي:" ثم لتسألُنَّ يوم القيامة عن كل أنواع النعيم"(٤٤٧٨).

واختلف أهل التفسير في ذلك «النعيم»، على أقوال:

أحدها : الأمن والصحة، به قال مجاهد(٤٤٧٩)، والشعبي(٤٤٨٠).

قال الشعبي:" النعيم المسئول عنه يوم القيامة: الأمن والصحة"(٤٤٨١).

الثاني : أنه ملاذ المأكول والمشروب، قاله سعيد بن جبير(٤٤٨٢)، وأبو معمر عبد الله بن سخبرة(٤٤٨٣).

عن بكير بن عتيق، قال: "رأيت سعيد بن جُبَير أُتيَ بشربة عسل، فشربها، وقال: هذا النعيم الذي تُسألون عنه"(٤٤٨٤).

عن بكير بن عتيق العامري، قال: "أُتِيَ سعيد بن جُبير بشَربة عسل، فقال: أما إن هذا النعيم الذي نسأل عنه يوم القيامة: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}"(٤٤٨٥).

(٤٤٦٩) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٤٤٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢٤.
(٤٤٧١) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٤.
(٤٤٧٢) تفسير عبدالرزاق(٣٦٨٨):ص٤٥٦/٣.
(٤٤٧٣) تفسير عبدالرزاق(٣٦٨٨):ص٤٥٦/٣.
(٤٤٧٤) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٤٤٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.
(٤٤٧٦) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٤٤٧٧) انظر: النكت والعيون: ٣٣٢/٦.
(٤٤٧٨) التفسير الميسر: ٦٠٠.
(٤٤٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٤.
(٤٤٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٢/٢٤.
(٤٤٨١) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٤.
(٤٤٨٢) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.
(٤٤٨٣) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤.
(٤٤٨٤) أخرجه الطبري: ٥٨٣/٢٤.
(٤٤٨٥) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤-٥٨٦.

عن مجاهد، قال: قال أبو معمر عبد الله بن سخبرة: "ما أصبح أحد بالكوفة إلا ناعماً، إن أهونهم عيشا الذي يأكل خبز البرّ، ويشرب ماء الفرات، ويستظلّ من الظلّ، وذلك من النعيم"(٤٤٨٦).

عن عكرمة قال: لما أنزلت هذه الآية {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم"(٤٤٨٧).

روي عن مغيرة، عن إبراهيم قال: "من أكل فسمّى الله وفرغ فحمد الله لم يسئل عن نعيم ذلك الطعام"(٤٤٨٨).

وقال عروة بن محمد: "كنّا مع وهب بن منبه فرأينا رجلا أصمّ أعمى مقعدا مجذوما مصابا، فقلنا: هل بقي على هذا شيء من النعيم؟ قال: نعم، أعظمه بشبعه ما يأكل ويشرب، ويسهل عليه إذا خرج لذلك"(٤٤٨٩).

قال بكر عن عبد الله المزني: "يا لها من نعمة يأكل لدّة ويخرج سرجا! "(٤٤٩٠).

الثالث : أنه صحة الأبدان، والأسماع، والأبصار.

قال الحسن:" السمع والبصر، وصحة البدن"(٤٤٩١).

وروي سعد بن طريف، عن أبي جعفر، قال: "العافية"(٤٤٩٢).

الرابع : أنه الغداء والعشاء ، قاله الحسن-أيضا-(٤٤٩٣).

الخامس : أنه الصحة والفراغ. قاله عكرمة(٤٤٩٤).

وقال سعيد بن جبير:" الصحة والفراغ والمال"(٤٤٩٥).

ومعنى هذا : "أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون"(٤٤٩٦).

السادس : أنه كل شيء من لذة الدنيا، قاله مجاهد(٤٤٩٧)، وقتادة(٤٤٩٨).

قال قتادة:" إن الله عزّ وجل سائل كلّ عبد عما استودعه من نِعَمه وحقه"(٤٤٩٩).

قال قتادة:" إن الله تعالى ذكره سائل كلّ ذي نعمة فيما أنعم عليه"(٤٥٠٠).

عن مجاهد، في قول الله: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، قال: عن كل شيء من لذّة الدنيا"(٤٥٠١).

السابع : أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد -صلى الله عليه وسلم-. قاله محمد بن كعب(٤٥٠٢).

(٤٤٨٦) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٤.

(٤٤٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٥):ص٣٤٦١/١٠-٣٤٦٢.

(٤٤٨٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٢/١٠.

(٤٤٨٩) رواه الثعلبي في " الكشف والبيان": ٢٨٢/١٠.

(٤٤٩٠) رواه الثعلبي في " الكشف والبيان": ٢٨٢/١٠.

(٤٤٩١) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٤.

(٤٤٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٣/٢٤.

(٤٤٩٣) انظر: النكت والعيون: ٣٣٢/٦، وزاد المسير: ٤٨٦/٤، وتفسير ابن كثير: ٤٧٧/٨.

(٤٤٩٤) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠، وزاد المسير: ٤٨٦/٤.

(٤٤٩٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٢/٦.

(٤٤٩٦) تفسير ابن كثير: ٤٧٨/٨.

(٤٤٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٤.

(٤٤٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٤.

(٤٤٩٩) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٤.

(٤٥٠٠) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٤.

(٤٥٠١) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٤.

(٤٥٠٢) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٢/٦، وزاد المسير: ٤٨٦/٤.

ودليل هذا التفسير قوله سبحانه {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا} [النحل : ٨٣][٤٥٠٣].

وقال أبو العالية: "الإسلام والستر"[٤٥٠٤].

الثامن: أنه تخفيف الشرائع وتيسير القرآن، قاله الحسن -أيضاً-[٤٥٠٥].

التاسع: أنه شبع البطون وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. قاله مكحول الشامي[٤٥٠٦]، ورواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} يعني : "شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم"[٤٥٠٧].

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله أخبر أنه سائل هؤلاء القوم عن النعيم، ولم يخصص في خبره أنه سائلهم عن نوع من النعيم دون نوع، بل عمّ بالخبر في ذلك عن الجميع، فهو سائلهم كما قال عن جميع النعيم، لا عن بعض دون بعض[٤٥٠٨]، والصحيح أنه عام في كل نعيم، وعام في جميع الخلق، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم، ولم يوحِّده. والمؤمن يسأل عن شكرها[٤٥٠٩].

وقال الحسن: "لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار"[٤٥١٠].

عن معمر، وكان الحسن، وقتادة، يقولان: "ثلاث لا يسأل عنهن ابن آدم، وما خلاهن فيه المسألة والحساب، إلا ما شاء الله: «كسوة يواري بها سوأته، وكسرة يشد بها صلبه، وبيت يكنه من الحر، والبرد»[٤٥١١].

«آخر تفسير سورة (التكاثر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٥٠٣) الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠.
(٤٥٠٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٨٢/١٠.
(٤٥٠٥) انظر: النكت والعيون: ٣٣٢/٦.
(٤٥٠٦) انظر: تفسير القرطبي: ١٧٦/٢٠.
(٤٥٠٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٨.
(٤٥٠٨) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢٤.
(٤٥٠٩) زاد المسير: ٤٨٦/٤.
(٤٥١٠) نقلا عن: تفسير ابن فورك: ٢٦٨/٣.
(٤٥١١) تفسير عبدالرزاق(٣٦٩٠): ٤٥٦/٣، وتفسير الطبري: ٥٨٦/٢٤،

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «العصر»

«سورة العصر»: هي السورة الثالثة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشرح»، وقبل «سورة العاديات». آياتها ثلاث. وكلماتها أربع عشرة. وحروفها ثمان وستون المختلف فيها آيتان: {وَالْعَصْرِ} [العصر : ١]، {بِالْحَقِّ } [العصر : ٣][٤٥١٢].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن عباس[٤٥١٣]، وابن الزّبير[٤٥١٤]، وحكاه ابن الجوزي وأبو حيان عن الجمهور[٤٥١٥].

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة {والعصر}، بمكة"[٤٥١٦].

الثاني: مدنيّة، قاله مجاهد[٤٥١٧]، وقتادة[٤٥١٨]، ومقاتل[٤٥١٩].

قال ابن عطية:" هي مكية"[٤٥٢٠].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور وإطلاق جمهور المفسرين"[٤٥٢١].

(٤٥١٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٢/١.

(٤٥١٣) انظر: الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه ، وانظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٤٥١٤) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٤٥١٥) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٤٥١٦) الدر المنثور: ٦٢١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٥١٧) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٤٥١٨) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٤٥١٩) انظر: زاد المسير: ٤٨٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٣٨/١٠.

(٤٥٢٠) المحرر الوجيز: ٥٢٠/٥.

(٤٥٢١) التحرير والتنوير: ٥٢٧/٣٠.

القرآن

{وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١-٢]

التفسير:

أقسم الله بالدهر؛ لما فيه من عجائب قدرة الله الدالة على عظمته، على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان. ولا يجوز للعبد أن يقسم إلا بالله، فإن القسم بغير الله شرك.

قوله تعالى:{وَالْعَصْرِ} [العصر : ١]، أي:" أُقسمُ بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب، والعبر والعظات"[٤٥٢٢].

عن محمد بن كعب:" {وَالْعَصْرِ}، قال: قسم أقسم الله به ربنا تبارك وتعالى"[٤٥٢٣].

اختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {وَالْعَصْرِ} [العصر : ١]، على أقوال :

أحدها : أنه العشيّ، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها، قاله الحسن[٤٥٢٤]، وقتادة[٤٥٢٥]. وقاله مالك عن زيد بن أسلم[٤٥٢٦]، ومنه قول الشاعر[٤٥٢٧] :

تَرَوّحْ بنا يا عمرُو قد قصر العَصْرُ ... وفي الرَّوْحةِ الأُولى الغنيمةُ والأجْرُ

الثاني : انه ساعة من ساعات النهار. قاله قتادة[٤٥٢٨].

وحكي الثعلبي عن قتادة:" آخر ساعة من ساعات النهار"[٤٥٢٩].

وقال أبي بن كعب: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن العصر فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار»[٤٥٣٠].

الثالث : أن «العصر»: هو الدَّهر، قاله زيد بن أسلم[٤٥٣١].

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر {وَالْعَصْرِ} اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه[٤٥٣٢].

قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]، أي:" على أن بني آدم لفي هلكة ونقصان"[٤٥٣٣].

عن مجاهد: " {لَفِي خُسْرٍ}، يعني: " لفي ضلال"[٤٥٣٤].

عن محمد بن كعب:" {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، قال: الناس كلهم"[٤٥٣٥].

عن كعب: "{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، قال: يعني: آدم وبنيه"[٤٥٣٦].

روى ابن عون، عن إبراهيم، قال: "أراد أن الإنسان إذا عمّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع إلّا المؤمنين فإنّهم يكتب لهم أجورهم والمحاسن التي كانوا يعملونها في حال شبابهم وقوّتهم

(٤٥٢٢) صفوة التفاسير: ٥٧٤/٣.

(٤٥٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٨):ص٣٤٦٢/١٠.

(٤٥٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٢٨٣/١٠.

(٤٥٢٥) انظر: النكت والعيون: ٣٣٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٧/٤.

(٤٥٢٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٨.

(٤٥٢٧)بلا نسبة في لسان العرب ٤/ ٥٧٦ (عصر)؛ وتاج العروس ١٣/ ٦٠ (عصر)؛ وكتاب العين ١/ ٢٩٣.

(٤٥٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٦٧):ص٣٤٦٢/١٠.

(٤٥٢٩) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٣/١٠.

(٤٥٣٠) نقلا عن: البحر المحيط في التفسير: ٥٢٠/٥.

(٤٥٣١) انظر: النكت والعيون: ٣٣٣/٦، وزاد المسير: ٤٨٧/٤.

(٤٥٣٢) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢٤.

(٤٥٣٣) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٤٥٣٤) تفسير مجاهد: ٧٤٧.

(٤٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٨):ص٣٤٦٢/١٠.

(٤٥٣٦) تفسير مجاهد: ٧٤٧.

وصحّتهم، وهي مثل قوله سبحانه {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [التين : ٤ - ٦] الآية"[٤٥٣٧].

قال قتادة:" ففي بعض القراءات: «وإنه فيه إلى آخر الدهر»"[٤٥٣٨].

عن عمرو ذي مرّ، قال: "سمعت عليا رضى الله عنه يقرأ هذا الحرف :«وَالْعَصْرِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ، إِنَ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ، وإنه فيه إلى آخر الدهر»"[٤٥٣٩].

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} [العصر : ٣]

التفسير:

إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملا صالحًا، وأوصى بعضهم بعضًا بالاستمساك بالحق، والعمل بطاعة الله، والصبر على ذلك.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [العصر : ٣]، أي:" إلا الذين آمنوا بالله وعملوا عملا صالحًا"[٤٥٤٠].

عن مجاهد: "{إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، ثم استثنى فقال: إلا من آمن"[٤٥٤١].

عن السُّدِّيّ، في قوله: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٤٥٤٢].

قوله تعالى:{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} [العصر : ٣]، أي:" وأوصى بعضهم بعضًا بالاستمساك بالحق"[٤٥٤٣].

عن الحسن، وقتادة: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}، قالا: "الحق: كتاب الله"[٤٥٤٤].

قال كعب:" الحق هو الله عز وجل، والإيمان به"[٤٥٤٥].

قوله تعالى:{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر : ٣]، أي:" والعمل بطاعة الله، والصبر على ذلك"[٤٥٤٦].

عن الحسن، وقتادة: "{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}، قالا: "الصبر: طاعة الله"[٤٥٤٧].

قال كعب:" على فرائض الله وحكمه"[٤٥٤٨].

عن محمد بن كعب:" ثم استثنى فقال: {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا}، ثم لم يدعهم وذلك حتى قال: {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، ثم لم يدعهم وذاك حتى قال: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقّ}، ثم لم يدعهم وذاك حتى قال: {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} يشترط عليهم"[٤٥٤٩].

(٤٥٣٧) تفسير الثعلبي: ٢٨٣/١٠-٢٨٤، وتفسير البغوي ٨/ ٥٢٢ ــ ٥٢٦.

(٤٥٣٨) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٤-٥٩٠.

(٤٥٣٩) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٤.

(٤٥٤٠) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٤٥٤١) تفسير مجاهد: ٧٤٧، وتفسير الطبري: ٥٩٠/٢٤.

(٤٥٤٢)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.

(٤٥٤٣) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٤٥٤٤) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٤.

(٤٥٤٥) تفسير مجاهد: ٧٤٧.

(٤٥٤٦) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٤٥٤٧) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢٤-٥٩١.

(٤٥٤٨) تفسير مجاهد: ٧٤٧.

(٤٥٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٦٨):ص٣٤٦٢/١٠.

عن إبراهيم النَّخْعي، قال: "قراءتنا: (والعَصْرِ * إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ * وإنَّهُ لَفِيهِ إلى ءاخِرِ الدَّهْرِ * إلّا الَّذِينَ ءامَنُواْ وعَمِلُواْ الصّالِحاتِ). قال: هي مثل التي في «التين والزيتون» [٤ - ٦]: {لَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ إلّا الَّذِينَ ءامَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ}"[٤٥٥٠].

عن علي بن رفاعة، عن أبيه رفاعة، قال: "حججت فوافيت علي بن عبد الله بن عباس يخطب على منبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ: {وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)} [العصر : ١ - ٢]: أبو جهل ابن هشام {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}: أبو بكر الصديق. {وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ}: عمر بن الخطّاب. {وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ}: عثمان بن عفّان. {وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ}: علي بن أبي طالب"[٤٥٥١].

«آخر تفسير سورة (العصر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٥٥٠)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٥٥١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٤/١٠. وانظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ١٨٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الهمزة»

«سورة الهمزة»: هي السورة الرابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القيامة»، وقبل «سورة المرسلات»، آياتها تسع إجماعا. وكلماتها ثلاث وثلاثون. وحروفها مائة وثلاثون. فواصل آياتها على «الهاء»[٤٥٥٢].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: "أنزلت {ويل لكل همزة} بمكة"[٤٥٥٣].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[٤٥٥٤].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٤٥٥٥].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية"[٤٥٥٦].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٤٥٥٧].

وقال هبة الله:" نزلت بمكة في شأن الأخنس بن شريق، وقيل نزلت بالمدينة"[٤٥٥٨].

(٤٥٥٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٣/١.

(٤٥٥٣) الدر المنثور: ٦٢٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٥٥٤) المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

(٤٥٥٥) زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٤٥٥٦) البحر المحيط في التفسير: ٥٤٠/١٠.

(٤٥٥٧) التحرير والتنوير: ٥٣٥/٣٠.

(٤٥٥٨) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٤.

القرآن

{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١)} [الهمزة : ١]

التفسير:

شر وهلاك لكل مغتاب للناس، طعان فيهم.

اختلف أهل التفسير في معنى: «الويل»، على أقوال :

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[٤٥٥٩]، وشقيق[٤٥٦٠].

الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[٤٥٦١].

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[٤٥٦٢]:

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل

الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[٤٥٦٣].

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٤٥٦٤].

الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [٤٥٦٥].

نستنتج مما سبق بأن «الْوَيْلُ»: هو الْهَلَاكُ والحزن والعذاب والهوان في اللغة، وقيل: هو وادٍ في جهنم من عصارة أهل النار، والله أعلم [٤٥٦٦].

واختلف في تفسير قوله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} [الهمزة : ١]، على أقوال:

أحدها: أن الهُمَزَة: المُغْتَاب، واللُّمَزَة: العيَّاب، قاله مجاهد[٤٥٦٧]، وقتادة[٤٥٦٨]، ومنه قول زياد الأعجم[٤٥٦٩]:

(٤٥٥٩)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢/٢٦٧-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١/١٥٣.

(٤٥٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢/٢٦٨.

(٤٥٦١) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

(٤٥٦٢) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

(٤٥٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص١/٢٥٣، والطبري(١٣٩٦):ص٢/٢٧١-٢٧٢.

(٤٥٦٤) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص٢/١٥.

(٤٥٦٥) انظر: النكت والعيون: ٦/٢٢٦.

٤٥٦٦ جاء في فتح القدير للشوكاني (١/ ١٢٣): وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَصْلُ فِي الْوَيْلِ وَيْ: أَيْ حُزْنٌ، كَمَا تَقُولُ: وَيْ لِفُلَانٍ: أَيْ حُزْنٌ لَهُ، فَوَصَلَتْهُ الْعَرَبُ بِاللَّامِ، قَالَ الْخَلِيلُ: وَلَمْ نَسْمَعْ عَلَى بِنَائِهِ إِلَّا وَيْحَ، وَوَيْسَ، وَوَيْهَ، وَوَيْكَ، وَوَيْبَ، وَكُلُّهُ مُتَقَارِبٌ فِي الْمَعْنَى، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهَا قَوْمٌ وَهِيَ مَصَادِرُ لَمْ يَنْطِقِ الْعَرَبُ بِأَفْعَالِهَا، وَجَازَ الِابْتِدَاءُ به وإن كان نكرة لأن فِيهِ مَعْنَى الدُّعَاءِ.انتهى. وقال أبو السعود في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/ ١٢٠): ومعنى الويل شدةُ الشر قاله الخليل. وقال الأصمعيُّ: الويلُ التفجُّع ، والويحُ الترحُّم. وقال سيبويه: ويلٌ لمن وقع في الهَلَكة، وويحٌ زجرٌ لمن أشرف على الهلاك. وقيل الويلُ الحزن، وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى أو بينه وبينها فرق؟ وقيل: ويل في الدعاء عليه، وويح وما بعده في الترحم عليه. وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: الويلُ العذاب الأليم. وعن سفيان الثوري أنه صديدُ أهل جهنم. ورَوى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضيَ الله تعالى عنه عنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم أنه قال: الويلُ وادٍ في جهنمَ يهوي فيه الكافرُ أربعينَ خريفاً قبل أنْ يبلُغ قَعْرَه.(قال الألباني: ضعيف، التعليق الرغيب (٤ / ٢٢٩)، ضعيف الجامع الصغير (٦١٤٨). وقال سعيد ابن المسيب: إنه وادٍ في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حرِّه. وقال ابن بريدة: جبلُ قيحٍ ودمٍ وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي أنه باب من أبواب جهنم. انتهى.

(٤٥٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٩٦.

(٤٥٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٩٦.

(٤٥٦٩)ديوانه ص ٧٨؛ وبهجة المجالس ١/ ٤٠٤، وبلا نسبة في لسان العرب ٥/ ٤٢٦ (همز)؛ وجمهرة اللغة ص ٧٢٧؛ ومقاييس اللغة ٦/ ٦٦؛ ومجمل اللغة ٤/ ٤٨٨؛ وديوان الأدب ١/ ٢٥٦؛ وأساس البلاغة ص ٤١٤ (لمز)؛ وإصلاح المنطق ص ٤٢٨؛ وتاج العروس ١٥/ ٣٨٩ (همز)؛ وكتاب العين ٤/ ١٧.

إذا لقيتُك عن شحط تُكاشرُني ... وإن تَغَيَّبْتُ كنت الهامِزَ اللُّمزَهْ

قال قتادة:" أما الهمزة: فأكل لحوم الناس، وأما اللمزة: فالطعان عليهم"(٤٥٧٠).

قال مجاهد:" الهمزة: يأكل لحوم الناس، واللمزة: الطعان"(٤٥٧١).

وقال مجاهد-في رواية-:"الهمزة: الطعان، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس"(٤٥٧٢).

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}، قال: أحدهما الذي يأكل لحوم الناس، والآخر الطعان"(٤٥٧٣).

الثاني: أن الهُمَزَة: الذي يهمز في وجهه إذا أقبل. واللُّمَزَة: يلْمِزُه إذا أدبر عنه، قاله الحسن(٤٥٧٤)، وأبو العالية(٤٥٧٥)، وعطاء بن أبي رباح(٤٥٧٦)، والربيع بن أنس(٤٥٧٧)، ومنه قول حسان(٤٥٧٨):

همزتك فاختَضَعْتَ بذُلَّ نفْسٍ ... بقافيةٍ تأجج كالشُّواظِ

قال الربيع بن أنس : الهُمَزة، يهمزه في وجه، واللمزة من خلفه"(٤٥٧٩).

الثالث: أن الهُمَزَة: الطعَّان في الناس، واللُّمَزَة: الطعَّان في أنساب الناس، قاله مجاهد(٤٥٨٠).

الرابع : أن الهمز: باليد والعين، واللمز: باللسان، وقال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ}، [التوبة: ٥٨]. وهذا قول مجاهد(٤٥٨١).

قال مجاهد: "الهمزة باليد، واللمزة باللسان"(٤٥٨٢).

وحكي ابن الجوزي عن قتادة:"أن الهُمَزَة: بالعين، واللُّمَزَة: باللسان"(٤٥٨٣).

الخامس : أن الهُمَزَة: الذي يعيب جهراً بيد أو لسان، واللُّمَزَة : الذي يعيبهم سراً بعين أو حاجب، قاله عبد الملك بن هشام(٤٥٨٤). قال رؤبة(٤٥٨٥):

(٤٥٧٠) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(٤٥٧١) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(٤٥٧٢) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٧٢):ص٣٤٦٣/١٠.

(٤٥٧٣) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٤. قال الطبري:" وهذا يدلّ على أن الذي حدث بهذا الحديث قد كان أشكل عليه تأويل الكلمتين، فلذلك اختلف نقل الرواة عنه فيما رووا على ما ذكرت".

(٤٥٧٤) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/٥، ولفظه: "الهمز بالحضور واللمز بالمغيب". وانظر: زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٤٥٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٤.

(٤٥٧٦) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٥/١٠، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٤٥٧٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.

(٤٥٧٨)انظر: "ديوان حسان" ١/ ١٩٣، وروايته:

مُجَلَّلة تُغَمّكمْ سناراً ... مضرمةً تأجج كالشواظ

وفي "سيرة ابن هشام" ١/ ٣٨٢، وفي بعض الرويات: «هجرتك»، بدل «همزتك».

(٤٥٧٩) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.

(٤٥٨٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٨٥/١٠، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٤٥٨١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/٢٤.

(٤٥٨٢) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٤.

(٤٥٨٣) زاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٤٥٨٤) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.

(٤٥٨٥)ديوانه: ٦٤، من رجزه في أبان بن الوليد البجلي، ثم ذكر فيها نفسه، فقال:

فَإن ترَيْنِي الْيَوْمَ أُمَّ حَمْزِ ... قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وجَمْزِي

مِنْ بَعْدِ تَقْمَاص الشَّبَابِ الأبْزِ ... فِي ظِلِّ عَصْرَيْ باطِلِي وَلَمْزِي

فَكُلُّ بَدْءِ صَالِحٍ أوْ نِقْزِ ... لاقٍ حِمَامَ الأجَلِ المُجْتَزِّ

"أم حمز"، يعني "أم حمزة". و "العنق" ضرب من العدو، و "الجمز" فوق العنق، ودون الحضر، وهو العدو الشديد. يعني ما تقارب من جريه لما كبر، "تقماص الشباب"، من "القمص"، "قمص الفرس"، إذا نفر واستن، وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معًا، ويعجن برجليه. و "التقماص" مصدر لم تذكره كتب اللغة. و "الأبز": الشديد الوثب، المتطلق في عدوه، يقال: "ظبي أبوز، وأباز"، ولم يذكروا في الصفات "الأبز"، وهو هنا صفة بالمصدر. و "البدء": السيد الشاب المقدم المستجاد الرأي. و

قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي ... فِي ظِلِّ عَصْرَيْ بَاطِلِي وَلَمْزِي

وحكي الثعلبي عن ابن كيسان: أن" الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير برأسه، ويومض بعينه، ويرمز بحاجبه، وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس"[٤٥٨٦].

وقرأ ابن مسعود والأعمش والحسن: «ويل الهمزة اللمزة» ، وهذا البناء الذي هو «فعلة»، يقتضي المبالغة في معناه[٤٥٨٧].

واختلفوا فيمن نزلت فيه، على أقوال :

أحدها : في جميل بن عامر الجمحي، قاله مجاهد[٤٥٨٨].

الثاني : في الأخنس بن شريق الثقفي، به قال السّدّيّ[٤٥٨٩].

الثالث: أنها مرسلة على العموم من غير تخصيص، وهذا مروي عن مجاهد[٤٥٩٠]، وحكاه الماوردي عن الأكثرين[٤٥٩١].

عن مجاهد:" {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}، قال: ليست بخاصة لأحد"[٤٥٩٢].

والصحيح أن الآية تعم كل من كان متصفا بذلك، ولا ينافيه نزولها على سبب خاص، فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٤٥٩٣]، فيجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه، فإنّ ذلك أزجر له وأنكى فيه[٤٥٩٤].

القرآن

{الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢)} [الهمزة : ٢]

التفسير:

الذي كان همُّه جمع المال وتعداده.

عن السدي: {جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ}، قال: أحصاه"[٤٥٩٥].

وقال محمد بن كعب في قوله :{جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ}:" ألهاه ماله بالنهار، هذا إلى هذا، فإذا كان الليل، نام كأنه جيفة"[٤٥٩٦].

وقال الضحاك: "أعد ماله لمن يرثه"[٤٥٩٧].

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي والحسن وأبو جعفر: «جمّع»، بشدة الميم، والباقون بالتخفيف، وقرأ الحسن: «وعدده» بتخفيف الدالين، فقيل المعنى جمع مالا وعددا من عشرة، وقيل أراد عددا مشددا فحل التضعيف[٤٥٩٨]، قال ابن عطية:" وهذا قلق"[٤٥٩٩].

"النقز" (بكسرالنون) : الخسيس الرذال من الناس.

(٤٥٨٦) الكشف والبيان: ٢٨٦/١٠.

(٤٥٨٧) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

(٤٥٨٨) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.

(٤٥٨٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٧١)ً٣٤٦٣/١٠، والنكت والعيون: ٣٣٦/٦، وزاد المسير: ٤٨٨/٤.

(٤٥٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/٢٤-٥٩٨.

(٤٥٩١) انظر: النكت والعيون: ٣٣٦/٦.

(٤٥٩٢) أخرجه الطبري: ٥٩٧/٢٤-٥٩٨.

(٤٥٩٣) فتح القدير: ٦٠٣/٥.

(٤٥٩٤) الكشاف: ٧٩٥/٤.

(٤٥٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٣):ص٣٤٦٣/١٠.

(٤٥٩٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.

(٤٥٩٧) فتح القدير: ٦٠٣/٥.

(٤٥٩٨) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢١/٥.

القرآن
{يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)} [الهمزة : ٣]
التفسير:
يظن أنه ضَمِنَ لنفسه بهذا المال الذي جمعه، الخلود في الدنيا والإفلات من الحساب.
عن عكرمة: {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}، قال: يزيد في عمره"[٤٦٠٠].
عن الحسن: "أنه عاد موسرا، فقال: ما تقول في ألوف لم أفتد بها من لئيم، ولا تفضلت على كريم؟ قال: ولكن لماذا؟ قال: لنبوة الزمان، وجفوة السلطان، ونوائب الدهر، ومخافة الفقر. قال: إذن تدعه لمن لا يحمدك، وترد على من لا يعذرك"[٤٦٠١].

القرآن
{كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤)} [الهمزة : ٤]
التفسير:
ليس الأمر كما ظن، ليُطرحنَّ في النار التي تهشم كل ما يُلْقى فيها.
قوله تعالى:{كَلَّا} [الهمزة : ٤]، أي:" ليس الأمر كما ظن"[٤٦٠٢].
عن عمر ابن عبد الله مولى غفرة: "إذا سمعت الله سبحانه يقول: {كَلَّا}، فإنما يقول: كذبت"[٤٦٠٣].
قوله تعالى:{لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ} [الهمزة : ٤]، أي:" ليُطرحنَّ في النار التي تهشم كل ما يُلْقى فيها"[٤٦٠٤].
عن السدي: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ}، قال: ليلقين"[٤٦٠٥].
وفي تفسير «الحطمة» -هاهنا-، قولان:
أحدهما : أنه اسم درك من أدراك جهنم ، وهو الدرك الرابع ، قاله الضحاك[٤٦٠٦].
قال محمد بن كعب:" تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده ابتدى خلقه"[٤٦٠٧].
الثاني : أنه اسم من أسماء أبواب جهنم.
قال الأعمش:" أسماء أبواب جهنم: الحطمة، والهاوية، ولظى، وسقر، والجحيم والسعير، وجهنم، والنار هي جماع"[٤٦٠٨].
وقال عكرمة:" لها سبعة أطباق"[٤٦٠٩].
وقرأ أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وابن أبي عبلة، وابن محيصن: «لَيُنْبَذَانِّ فِي الحُطَمَة» بألف ممدودة، وبكسر النون، وتشديدها، أي: هو وماله[٤٦١٠].

(٤٥٩٩) المحرر الوجيز: ٥/٥٢١.
(٤٦٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٤):ص٣٤٦٣/١٠.
(٤٦٠١) نقلا عن: الكشاف: ٤/٧٩٥-٧٩٦.
(٤٦٠٢) التفسير الميسر: ٦٠١.
(٤٦٠٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/٢٨٦-٢٨٧.
(٤٦٠٤) التفسير الميسر: ٦٠١.
(٤٦٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٥):ص٣٤٦٣/١٠.
(٤٦٠٦) انظر: النكت والعيون: ٦/٣٣٦.
(٤٦٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٦):ص٣٤٦٤/١٠.
(٤٦٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٩٣):ص٢٢٦٥/٧.
(٤٦٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٣٩١):ص٢٢٦٥/٧.
(٤٦١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٥٩٨، وزاد المسير: ٤/٤٨٩.

القرآن
{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)} [الهمزة : ٥]
التفسير:
وما أدراك -أيها الرسول- ما حقيقة النار؟

تفسير الحسن: أي: "أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك [ما الحطمة]"(٤٦١١).
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «المؤمن كيّس فطن حذر وقاف ثبت، لا يعجل، عالم ورع، والمنافق همزة لمزة حطمة، لا يقف عند شبهة ولا عند محرم، كحاطب الليل لا يبالي من أين كسب ولا فيما أنفق»(٤٦١٢).

القرآن
{نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧)} [الهمزة : ٦-٧]
التفسير:
إنها نار الله المشتعلة الشديدة اللهب، التي من شدة حرها تنفُذ من الأجسام إلى القلوب.
قوله تعالى:{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ} [الهمزة : ٧]، أي:" التي من شدة حرها تنفُذ من الأجسام إلى القلوب"(٤٦١٣).
عن محمد بن كعب: {الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ}، قال:" تأكل كلّ شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، فإذا بلغتْ فؤاده ابتُدئ خَلْقُه"(٤٦١٤).
عن محمد بن المُنكَدِر، في قوله: "{الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ}، قال: تأكله النار حتى تبلغ فؤادَه وهو حيٌّ"(٤٦١٥).
قال ثابت البناني:" تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء، ثم يقول : لقد بلغ منهم العذاب، ثم يبكي"(٤٦١٦).
وفي رواية:" تأكله إلى فؤاده وهو حيٌّ، لقد تبلغ فيهم العذاب. ثم بكى وأبكى مَن حوله"(٤٦١٧).
قال ابن عطية:" «الفؤاد»: القلب، ويحتمل أن يكون المعنى: أنها لا يتجاوزها أحد حتى تأخذه بواجب عقيدة قلبه ونيته فكأنها متطلعة على القلوب باطلاع الله تعالى إياها"(٤٦١٨).

القرآن
{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)} [الهمزة : ٨-٩]
التفسير:
إنها عليهم مطبَقة في سلاسل وأغلال مطوَّلة؛ لئلا يخرجوا منها.

(٤٦١١) تفسير ابن أبي زمنين: ٧٨/٥. ذكر نحوه في قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٤]، قال: تفسي الحسن: " أي: أنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتك". ثم كرر عبارة" أي: أنك لم تكن تدري". في تفسير عبارة" وما أدراك" في جميع القرآن. فهو يحكي هذا التفسير عن الحسن. -والله أعلم-.
(٤٦١٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٨٧/١٠، وانظر: كنز العمال: ١/ ١٦٢.
(٤٦١٣) التفسير الميسر: ٦١٠.
(٤٦١٤)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٨ - ، وابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٩ (١٤٠) -. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(٤٦١٥)أخرجه ابن عساكر ٥٦/ ٥٠.
(٤٦١٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٤٨١/٨.
(٤٦١٧)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٢٣.
(٤٦١٨) المحرر الوجيز: ٥٢٢/٥.

قوله تعالى:{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} [الهمزة : ٨]، أي:" إنها عليهم مطبَقة"[٤٦١٩].

وفي قوله تعالى: «مؤصدة»، أقوال:

أحدها : مطبقة، قاله سعيد بن جبير[٤٦٢٠]، والحسن[٤٦٢١]، وقتادة[٤٦٢٢]، والضحاك[٤٦٢٣]، وعطية[٤٦٢٤]، وأبو صالح[٤٦٢٥].

قال أبو صالح:" مُطْبَقَة ليس لها أبواب"[٤٦٢٦].

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم :{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} قال : "مطبقة"[٤٦٢٧].

عن سعيد بن جبير، قال: "في النار رجل في شعب من شعابها ينادي مقدار ألف عام: يا حنان يا حنان، فيقول رب العزة لجبريل: أخرج عبدي من النار، فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يا ربّ {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ}، فيقول: يا حبريل فكها، وأخرج عبدي من النار، فيفكها، ويخرج مثل الخيال، فيطرح على ساحل الجنة حتي يُنبت الله له شعرا ولحما ودما"[٤٦٢٨].

الثاني : مغلقة -بلغة قريش-، يقولون: آصد الباب إذا أغلقه، قاله مجاهد[٤٦٢٩]، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات [٤٦٣٠]:

إن في القَصْر لو دَخَلْنا غَزالاً ... مُصْفقاً مُوصَداً عليه الحجابُ

الثالث : مسدودة الجوانب لا ينفتح منها جانب ، قاله سعيد بن المسيب[٤٦٣١].

قوله تعالى:{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة : ٩]، أي:" في سلاسل وأغلال مطوَّلة؛ لئلا يخرجوا منها"[٤٦٣٢].

وفي قوله تعالى:{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} [الهمزة : ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنهم معذبون فيها بعُمد محددة، وهي جمع: عمود. قاله قتادة[٤٦٣٣].

عن قتادة: "{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}، قال: عمود يعذبون به في النار"[٤٦٣٤].

قال قتادة:" كُنَّا نحدَّث أنها عمد يعذّبون بها في النار"[٤٦٣٥].

الثاني : أن العُمد الممدة. حكاه السدي[٤٦٣٦].

قال السدي: "من قرأها: «فِي عُمُد»: فهو عمد من نار، ومن قرأها: «فِي عَمَد»: فهو حبل ممدود"[٤٦٣٧].

(٤٦١٩) التفسير الميسر: ٦١٠.
(٤٦٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٤٦٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٤٦٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٤٦٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٤٦٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٤٦٢٥)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٣ (١٠٧) -.
(٤٦٢٦)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٣ (١٠٧) -.
(٤٦٢٧) رواه ابن مردويه كما في "تفسير ابن كثير": ٤٨٢/٨.
(٤٦٢٨) أخرجه الطبري: ٥٩٩/٢٤.
(٤٦٢٩) انظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦.
(٤٦٣٠) ديوانه: ٨٤، وانظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٥/٢٠.
(٤٦٣١) انظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦.
(٤٦٣٢) التفسير الميسر: ٦١٠.
(٤٦٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(٤٦٣٤) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(٤٦٣٥) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٤.
(٤٦٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٠):ص٣٤٦٤/١٠.
(٤٦٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٠):ص٣٤٦٤/١٠.

الثالث : أنها قيود طوال في أرجلهم ، قاله أبو صالح[٤٦٣٨].

عن أبي صالح: "{فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}، قال: القيود الطوال"[٤٦٣٩].

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: معناه: أنهم يعذّبون بعمد في النار، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها، ولا وضع لنا عليها دليل، فندرك به صفة ذلك، فلا قول فيه، غير الذي قلنا يصحّ عندنا، والله أعلم[٤٦٤٠].

عن أبي جعفر القارئ: "أنه بكى مرة حين قرئت هذه السورة عليه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون فذلك أبكاني"[٤٦٤١].

«آخر تفسير سورة (الهمزة)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٦٣٨) انظر: النكت والعيون: ٣٣٧/٦.

(٤٦٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٧٩):ص٣٤٦٤/١٠.

(٤٦٤٠) تفسير الطبري: ٦٠٠/٢٤-٦٠١.

(٤٦٤١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٨١/٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الفيل»

«سورة الفيل»: هي السورة االخامسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الكافرين»، وقبل «سورة الفلق» وقيل: قبل سورة: «القريش»[٤٦٤٢]، آياتها خمس إجماعا. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها ثلاث وتسعون. فواصل آياتها على «اللام»[٤٦٤٣].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " أنزل {ألم تر كيف فعل ربك} بمكة"[٤٦٤٤].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع الرواة"[٤٦٤٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٤٦٤٦].

(٤٦٤٢) وذلك لقول الأخفش: إن قوله تعالى: {لإيلاف قريش} [قريش: ١] متعلق بقوله: {فجعلهم كعصف مأكول} [الفيل: ٥]، ولأن أبيّ بن كعب جعلها وسورة قريش سورة واحدة في مصحفه ولم يفصل بينهما بالبسملة، ولخبر عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب روى أن عمر بن الخطاب قرأ مرة في المغرب في الركعة الثانية سورة الفيل وسورة قريش، أي: ولم يكن الصحابة يقرأون في الركعة من صلاة الفرض سورتين لأن السنة قراءة الفاتحة وسورة فدل أنهما عنده سورة واحدة.

قال ابن عاشور:" ويجوز أن تكون سورة قريش نزلت بعد سورة الفلق وألحقت بسورة الفيل فلا يتم الاحتجاج بما في مصحف أبي بن كعب ولا بما رواه عمرو بن ميمون". [التحرير والتنوير: ٥٤٣/٣٠].

عن عمرو بن ميمون الأودي، قال: " صلى بنا عمر بن الخطاب صلاة المغرب فقرأ في الركعة الأولى بـ {التِّين وَالزَّيْتُون} [التين : ١] ، وفى الركعة الأخرى: {أَلَمْ تَر} [الفيل : ١]، و{لِإِيلَافِ قُرَيْش} [قريش : ١] جميعا". [أخرجه عبد الرزاق، وابن الأنباري في المصاحف، [كنز العمال ٢٢١١٦]

(٤٦٤٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٤/١.

(٤٦٤٤) الدر المنثور: ٦٢٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٦٤٥) المحرر الوجيز: ٥٢٣/٥.

(٤٦٤٦) زاد المسير: ٤٩٠/٤.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)} [الفيل : ١]

التفسير:

ألم تعلم -أيها الرسول- كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟

عن السُّدِّيّ: "{أَلَمْ تَرَ}، يعني: ألم تُخبَر"(٤٦٤٧).

عن الضحاك:" كانت الفيلة ثمانية"(٤٦٤٨).

قال سعيد بن جبير:" أقبل أبو يكسوم صاحب الحبشة ومعه الفيل، فلما انتهى إلى الحرم بَرك الفيل، فأبى أن يدخل الحرم، فإذا وُجِّه راجعًا أسرع راجعًا، وإذا أُريد على الحرم أبى، فأُرسل عليهم طيرٌ صغارٌ بيضٌ، في أفواهها حجارة أمثال الحِمَّص، لا تقع على أحد إلا هلك"(٤٦٤٩).

قال الحسن البصري: "{كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ} هذا خبر أخبر الله به النبي - صلى الله عليه وسلم -، وذلك أنّ العرب أهل الحَرم هدموا كنيسة للحبشة وهم نصارى، فقال أبْرَهَة بن الصباح: لَنهدمنّ كعبة العرب كما هدموا كنيستنا. وكان أبْرَهَة من أهل اليمن، ملّكته الحبشة عليهم، فبعث بالفيل وبالجنود، فجاء حتى إذا انتهى إلى الحَرم ألقى بجِرانه، فسقط، فوجّهوه نحو منازلهم فذهب يسعى، فإذا وُجِّه نحو الحرم ألقى بجِرانه(٤٦٥٠) ولم يتحرّك، وإذا وُجِّه نحو منازلهم ذهب يسعى"(٤٦٥١).

عن قتادة، في قوله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ}، قال: "أقبل أبْرَهَة الأشرم بالحبشة ومَن تبعه مِن غُزاة أهل اليمن إلى بيت الله؛ ليهدموه من أجل بِيعةٍ لهم أصابها العرب بأرض اليمن، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصِّفاح بَرك، فكانوا إذا وجّهوه إلى بيت الله ألقى بجِرانه إلى الأرض، فإذا وجّهوه قِبل بلادهم انطلق وله هرولة، حتى إذا كانوا بنخلة اليمانية بعث الله عليهم طيرًا أبابيل بيضًا، وهي الكثيرة، مع كلّ طائر منها ثلاثة أحجار؛ حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها، حتى جعلهم الله كعصف مأكول، فنجا أبو يكسوم، فجعل كلمّا قدم أرضًا تساقط بعض لحمه حتى أتى قومه فأخبرهم الخبر، ثم هلك"(٤٦٥٢).

عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس، قال: "كان من حديث أصحاب الفيل أنّ أبْرَهَة الأشرم الحبشي كان ملِك اليمن، وأنّ ابن ابنته أكسوم بن الصباح الحميري خرج حاجًّا، فلما انصرف من مكة نزل في كنيسة بنجران، فغدا عليها ناس من أهل مكة، فأخذوا ما فيها من الحلي، وأخذوا متاع أكسوم، فانصرف إلى جدّه مُغضبًا، فبعث رجلًا مِن أصحابه -يُقال له: شهر بن معقود- على عشرين ألفًا من خولان والأشعريين، فساروا حتى نزلوا بأرض خثعم، فتنحّتْ خثعم عن طريقهم، فلما دنا مِن الطائف خرج إليه ناس من بني خثعم، ونصر، وثقيف، فقالوا: ما حاجتك إلى طائفنا، وإنما هي قرية صغيرة؟! ولكنا ندلّك على بيت بمكة يُعبد، وحِرْز من لجأ إليه، مَن مَلكه تمّ له مُلك العرب، فعليك به، ودَعْنا منك. فأتاه، حتى إذا بلغ المُغَمِّس وجد إبلًا لعبد المُطَّلِب مائة ناقة مُقلّدة، فأنهبها بين أصحابه، فلما بلغ ذلك عبد المُطَّلِب جاءه، وكان جميلًا، وكان له صديق من أهل اليمن يقال له: ذو عمرو، فسأله أن يَرُدّ عليه إبله، فقال: إني لا أطيق ذلك، ولكن إن شئتَ أدخلتُك على الملِك. فقال عبد المُطَّلِب: فافعل. فأدخَله عليه، فقال له: إنّ لي إليك حاجة. قال: قضيتُ كلّ حاجة تطلبها. قال: أنا في بلد حرام، وفي سبيل بين أرض العرب وأرض العجم، وكانت مائة ناقة لي مُقلّدة ترعى بهذا الوادي بين مكة وتِهامة عليها نمير أهلها، ونخرج إلى تجارتنا، ونتحمل من عدوّنا، عدا

(٤٦٤٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٦٣ -.

(٤٦٤٨)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٦، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٠.

(٤٦٤٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٨٣.

(٤٦٥٠)الجِران: باطن العنق، وألقى بجِرانه: برك واستراح ومدَّ عنقه على الأرض. النهاية (جرن).

(٤٦٥١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٦٣ -.

(٤٦٥٢)أخرجه الطبري: ٢٤/ ٦١٥. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

عليها جيشُك فأخذوها، وليس مثلك يظلم مَن جاوره. فالتفتَ إلى ذي عمرو، ثم ضرب بإحدى يديه على الأخرى عجبًا، فقال: لو سألني كلّ شيء أحرزه أعطيته إياه، أمّا إبلك فقد رددنا إليك ومثلها معها، فما يمنعك أن تكلّمني في بيتكم هذا وبلدكم هذ؟ فقال له عبد المُطَّلِب: أمّا بيتنا هذا وبلدنا هذا فإنّ لهما ربًّا، إن شاء أن يمنعهما منعهما، ولكني إنما أكلّمك في مالي. فأمر عند ذلك بالرحيل، وقال: لتُهدمنّ الكعبة، ولتُنهبنّ مكة. فانصرف عبد المُطَّلِب وهو يقول:

لا هُمّ إنّ المرء يمـ ... ــنع رحْله فامنع حِلالك
لا يغلبنّ صليبُهم ... ومِحالهم عدْوًا مِحالك
فإذا فعلتَ فربما تحمِى ... فأمرٌ ما بدا لك
فإذا فعلتَ فإنه أمر ... تُتمُ به فعالك
وغدوا غدًا بجموعهم ... والفيل كي يَسبُوا عِيالك
فإذا تركتَهم وكعـ ... ــبتنا فواحُزنًا هنالك

فلما توجه شهرٌ وأصحابه بالفيل، وقد أجمعوا ما أجمعوا، طفق كلما وجّهوه أناخ وبَرك، فإذا صرفوه عنها مِن حيث أتى أسرع السير، فلم يزل كذلك حتى غشيهم الليل، وخرجتْ عليهم طيرٌ من البحر لها خراطيم كأنها البَلسُ، شبيهة بالوطواط، حُمر وسود، فلما رأوها أشفقوا منها، وسُقط في أيديهم، فرمتْهم بحجارة مُدحرَجة كالبنادق، تقع على رأس الرجل فتخرج من جوفه، فلما أصبحوا مِن الغد أصبح عبد المُطَّلِب ومَن معه على جبالهم، فلم يروا أحدًا غشيهم، فبعث ابنه على فرس له سريع ينظر ما لقوا، فإذا هم مُشدَّخين جميعًا، فرجع يدفع فرسه كاشفًا عن فَخِذه، فلما رأى ذلك أبوه قال: إنّ ابني أفرس العرب، وما كشف عن فَخذه إلا بشيرًا أو نذيرًا. فلما دنا من ناديهم قالوا: ما وراءك؟ قال: هلكوا جميعًا، فخرج عبد المُطَّلِب وأصحابه، فأخذوا أموالهم، وقال عبد المُطَّلِب:

أنت منعتَ الجيش والأفيالا ... وقد رَعوا بمكة الأجبالا
وقد خشينا منهم القتالا ... وكل أمر منهم مِعضالا
شكرًا وحمدًا لك ذا الجلالا

فانصرف شهرٌ هاربًا وحده، فأول منزل نزله سقطتْ يده اليُمنى، ثم نزل منزلًا آخر فسقطتْ رجله اليُسرى، ثم نزل منزلًا آخر فسقطتْ يده اليُسرى، ثم نزل منزلًا آخر فسقطتْ رجله اليُمنى، فأتى منزله وقومه وهو جسد لا أعضاء له، فأخبرهم الخبر، ثم فاضتْ نفسُه وهم ينظرون"[٤٦٥٣].

عن عطاء بن يسار، قال: "حدّثني مَن كلّم قائد الفيل وسائسه قال لهما أخبراني خبر الفيل. قالا: أقبَلنا به وهو فيل الملِك النّجاشي الأكبر، لم يَسر به قطّ إلى جمْع إلا هزمهم، فلما دنونا من الحَرم جعلنا كلما نوجّهه إلى الحرم يربض، فتارة نضربه فينهبط، وتارة نضربه حتى نملّ ثم نتركه، فلما انتهى إلى المُغَمِّس ربض فلم يقم، فطلع العذاب. فقلنا: نجا غيركما؟ قالا: نعم، ليس كلّهم أصابه العذاب، وولّى أبْرَهَة ومَن تبعه يريد بلاده، كلما دخلوا أرضًا وقع منه عضو، حتى انتهى إلى بلاد خثعم وليس عليه غير رأسه فمات"[٤٦٥٤].

واختلف في مولده -عليه السلام- من عام الفيل، على ثلاثة أقوال :

أحدها: أن مولده-عليه السلام- بعد عشر سنوات من عام الفيل.

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبْزى، قال: "كان بين الفيل وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشر سنين"[٤٦٥٥].

الثاني: أن مولده-عليه السلام- بعد ثلاث وعشرين سنة منه.

(٤٦٥٣)أخرجه أبو نعيم في الدلائل (٨٦). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤٦٥٤)عزاه السيوطي إلى أبي نعيم.

(٤٦٥٥)أخرجه البيهقي في الدلائل ١/ ٧٩. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

عن عبيد بن عمير:" كان قبل مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - بثلاث وعشرين سنة"[٤٦٥٦].
الثالث : أنه عام الفيل[٤٦٥٧]، وقد ثبت ولادة النبي-صلى الله عليه وسلم- في عام يوم الفيل عن غير واحد من الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين-.
قال ابن وهب، عن مالك: "ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل"[٤٦٥٨].
عن قيس بن مخرمة[٤٦٥٩]، قال: " ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، فنحن لدان، ولدنا مولدا واحدا"[٤٦٦٠]. وفي رواية، قال: "وُلدتُ أنا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل"[٤٦٦١].
عن أبي الحويرث، قال: "سمعت عبد الملك بن مروان، يقول لقباث بن أشيم الليثي: يا قباث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فقال: «رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني، وأنا أسن منه، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل، وتنبأ على رأس أربعين من الفيل»[٤٦٦٢].
عن محمد بن جُبَير بن مُطعم، قال: وُلِد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل، وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة، وبُني البيت على رأس خمس وعشرين سنة من الفيل، وتنبّأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على رأس أربعين من الفيل"[٤٦٦٣].
عن يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخْنَس، قال: "إنّ أول ما رؤيت الحصبة والجُدَرِيّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤي بها مُرار الشجر: الحرمل والحنظل والعُشر ذلك العام"[٤٦٦٤].

القرآن
{أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)} [الفيل : ٢ - ٤]
التفسير:

(٤٦٥٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٦.
(٤٦٥٧) انظر: النكت والعيون: ٣٣٨/٦.
(٤٦٥٨) أحكام القرآن: ٤٤٩/٤.
(٤٦٥٩)قال السندي: قيس بن مخرمة: قرشي مطلبي، أبو محمد، ويقال: أبو السائب، قيل: حجازي، له صحبة، ذكر أنه كان في المؤلفة، وكان ممن حسن إسلامه.
(٤٦٦٠) المسند(١٧٨٩١):ص٤٢٢/٢٩. حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف من أجل المطلب بن عبد الله، فلم يرو عنه غير ابن إسحاق، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقد توبع.
وهو في "سيرة ابن هشام" ١٦٧/١.
وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ١٤٥/٧، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٢٩٦/١، والترمذي (٣٦١٩) ، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" ٤٧٨/١، والطحاوي في "شرح المشكل" (٥٩٦٨) و (٥٩٦٩) ، وابن قانع في "معجم الصحابة" ٣٤٩/٢، والطبراني في "الكبير" ١٨/ (٨٧٢) و (٨٧٣) ، والحاكم ٦٠٣/٢، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (٨٥) ، والبيهقي في "الدلائل" ٧٦/١ و٧٧ من طرق عن ابن إسحاق، به. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.
وأخرجه ابن سعد في "الطبقات" ١٠١/١ عن حكيم بن محمد- وهو ابن قيس بن مخرمة-، عن أبيه، عن قيس بن مخرمة. وإسناده حسن، حكيم بن محمد صدوق حسن الحديث، وأبوه ثقة من رجال مسلم.
وقد ثبتت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل عن غير واحد من الصحابة وغيرهم، انظر ابن سعد ١٠٠/١ -١٠١، والبيهقي ١ /٧٥ – ٧٩.
(٤٦٦١)أخرجه ابن إسحاق (٢٩)، وأبو نعيم في الدلائل (٨٥)، والبيهقي ١/ ٧٦ - ٧٧.
(٤٦٦٢) المعجم الكبير للطبراني(٧٥):ص٣٧/١٩. وأخرجه البيهقي في "في دلائل النبوة": ١٣١/٢: بلفظ " رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- أكبر مني وأنا أسن منه، ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عام الفيل، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا أعقله وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على رأس أربعين من الفيل".
(٤٦٦٣)أخرجه البيهقي ١/ ٧٨.
(٤٦٦٤) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.

ألم يجعل ما دبَّروه من شر في إبطال وتضييع؟ وبعث عليهم طيرًا في جماعات متتابعة، تقذفهم بحجارة من طين متحجِّر.

قوله تعالى:{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} [الفيل : ٣]، أي:" وبعث عليهم طيرًا في جماعات متتابعة"(٤٦٦٥).

قال عطاء بن أبي رباح : "جاءت الطير عشية فباتت، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم"(٤٦٦٦).

وقال عطية العوفي : "سألت عنها أبا سعيد الخدري : فقال : حمام مكة منها"(٤٦٦٧).

وفي قوله تعالى:{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} [الفيل : ٣]، قولان:

أحدهما: أنها العنقاء المغرب(٤٦٦٨) التي تضرب بها الأمثال ، ، قاله عكرمة(٤٦٦٩)، ومجاهد(٤٦٧٠).

عن عكرمة، ومجاهد:" {طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قالا: عنقاء المُغْرِب"(٤٦٧١).

الثاني : طير نشأت من البحر، كأنها الخطاطيف.

عن عبيد بن عمير الليثي، قال: "لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث الله عليهم طيرا نشأت من البحر كأنها الخطا طيف، بكف كل طير منها ثلاثة أحجار مجزئة، في منقاره حجر وحجران في رجليه، ثم جاءت حتى صفت علي رؤسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، إن وقع على رأسه خرج من دبره، وإن وقع على شيء من بدنه خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحا شديدا فضربت أرجلها فزادها شده فأهلكوا جميعا"(٤٦٧٢).

وقال عبيد بن عمير:" طيراً أقبلت من قبل البحر كأنها رجال الهند"(٤٦٧٣).

قال الربيع بن أنس:"لها أنياب كأنياب السباع"(٤٦٧٤).

واختلف في معنى: «أبابيل»، على أقوال :

أحدها : أنها الكثيرة ، قاله الحسن(٤٦٧٥)، وقتادة(٤٦٧٦)، وطاووس(٤٦٧٧).

قال قتادة:" الأبابيل: الكثيرة"(٤٦٧٨).

عن عبيد بن عمير، في قوله: "{طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قال: الكثيرة"(٤٦٧٩).

الثاني : المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً ، قاله مجاهد(٤٦٨٠)، والضحاك(٤٦٨١)، وعبيد بن عمير(٤٦٨٢).

(٤٦٦٥) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٤٦٦٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤١/٦، وانظر: تفسير القرطبي: ١٩١/٢٠.

(٤٦٦٧) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤١/٦،وانظر: الكشاف: ١٩١/٢٠، وتفسير القرطبي: ١٩١/٢٠.

(٤٦٦٨) عنقاء المغرب: طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، لم يره أحد، النهاية«عنق».

(٤٦٦٩) انظر: تفسير مجاهد:٧٥٠، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وانظر: والنكت والعيون: ٣٤٢/٦، وتفسير القرطبي:١٩٧/٢٠.

(٤٦٧٠)تفسير مجاهد ص ٧٤٩، وأخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٤٦٧١)تفسير مجاهد ص ٧٤٩، وأخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٤٦٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٣):ص٣٤٦٦/١٠.

(٤٦٧٣) أخرجه ابن إسحاق في "السير والمغازي": ٦٥.

(٤٦٧٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٧.

(٤٦٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.

(٤٦٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.

(٤٦٧٧) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٦، وزاد المسير: ٤٩٢/٤.

(٤٦٧٨) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.

(٤٦٧٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٦٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.

(٤٦٨١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.

قال الضحاك:" متتابعة. بعضها على أثر بعض"[٤٦٨٣].
وقال مجاهد:" هي شتى متتابعة مجتمعة"[٤٦٨٤].
عن عُبيد بن عُمير -من طريق عبد الرحمن بن سابط- في قوله: "{طَيْرًا أَبابِيلَ}، قال: هي طير خرجتْ من قِبل البحر، كأنها رجال الهند؛ معها حجارة أمثال الإبل البوارك، وأصغرها مثل رؤوس الرجال، لا تريد أحدًا منهم إلا أصابته، ولا أصابته إلا أهلكته، والأبابيل: المتتابعة"[٤٦٨٥].
الثالث : أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا ، قاله أبو صالح[٤٦٨٦]، وسعيد بن عبدالرحمن بن أبزى[٤٦٨٧]، ومنه قول الشاعر [٤٦٨٨]:
إن سلولاً عداك الموت عارفة ... لولا سلول مشينا أبابيلا
أي: متفرقين.
ومنه قول الآخر[٤٦٨٩]:
وأبابيل من خيول عليها ... كأسود الأداء تحت العوالي .
عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى: "{طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قال: متفرّقة"[٤٦٩٠]. وفي رواية:" أقاطيع كالإبل المؤبّلة"[٤٦٩١].
قال إسحاق بن عبد الله بن الحارث : "هي الأقاطيع، كالإبل المؤَبَّلة"[٤٦٩٢].
عن أبي صالح: "{طَيْرًا أَبَابِيلَ}، قال: جمعا بعد جمع"[٤٦٩٣].
عن عكرمة: {طَيْرًا أَبابِيلَ}، قال: " زُمَرًا زُمَرًا"[٤٦٩٤].
وروي عن ابن سابط، وأبي سلمة، قال:" الأبابيل: الزُّمَر"[٤٦٩٥].
واختلفوا في ألوانِها، على ثلاثة أقوال:
أحدها: أنها كانت خضراء، قاله عكرمة[٤٦٩٦]، وسعيد بن جبير[٤٦٩٧].
قال سعيد بن جبير:" طير خُضْر، لها مناقير صُفْر، تختلف عليهم"[٤٦٩٨].
أخرج الطبري بسنده عن عكرمة، قال:" كانت طيرا خرجت خضرا، خرجت من البحر، لها رءوس كرءوس السباع"[٤٦٩٩].

(٤٦٨٢)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ -.
(٤٦٨٣) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٤٦٨٤) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٤٦٨٥)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ -.
(٤٦٨٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٣/٥.
(٤٦٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٤٦٨٨) بلا نسبة في : النكت والعيون: ٣٤٣/٦.
(٤٦٨٩) بلا نسبة في : النكت والعيون: ٣٤٣/٦.
(٤٦٩٠) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٤٦٩١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٩٧.
(٤٦٩٢) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٤٦٩٣) رواه النحاس في إعراب القرآن: ١٨٣/٥.
(٤٦٩٤)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٧٤٩ -.
(٤٦٩٥) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٤.
(٤٦٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٤):ص٣٤٦٦/١٠.
(٤٦٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٤، وزاد المسير: ٤٩١/٤.
(٤٦٩٨) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٤.
(٤٦٩٩) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٤.

وفي رواية ابن أبي حاتم عن عكرمة، قال:" طيور خضر جاءت من قبل البحر كان وجوهها وجوه السباع، لم تر قبل ذلك ولا بعده، فاثرت جلودهم مثل الجدري، فإنه أول ما رؤي الجدري"[٤٧٠٠].

الثاني: سوداء، قاله عبيد بن عمير[٤٧٠١].

قال عبيد بن عمير:" هي طير سود بحرية، في مناقرها وأظفارها الحجارة"[٤٧٠٢]. وفي لفظ:" خرجتْ عليهم طيرٌ سُودٌ بَحْرِيَّةٌ، في مناقيرها وأظافيرها الحجارة"[٤٧٠٣].

الثالث: بيضاء، قاله قتادة[٤٧٠٤]، وعكرمة[٤٧٠٥].

قال قتادة:" هي طير بيض، خرجت من قِبَل البحر، مع كلّ طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، ولا يصيب شيئا إلا هشَمه"[٤٧٠٦].

قال قتادة:" كانت مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر في منقاره، فجعلت ترميهم بها"[٤٧٠٧].

عن عمرو بن الحارث بن يعقوب:" أن أباه أخبره أنه بلغه، أن الطير التي رمت بالحجارة، كأنت تحملها بأفواهها، ثم إذا ألقتها نَفِط لها الجلد"[٤٧٠٨].

قوله تعالى:{تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} [الفيل : ٤]، أي:" تقذفهم بحجارة من طين متحجِّر"[٤٧٠٩].

وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: «يرميهم»، أي: الله تعالى، أو الطير[٤٧١٠].

وفي معنى: «السجيل»، أقوال:

أحدها : أن «السجيل»: كلمة فارسية، وهي: «سنك وكيل[٤٧١١]»، أولها حجر ، وآخرها : طين، قاله مجاهد[٤٧١٢]، وسعيد بن جبير[٤٧١٣]، وقتادة[٤٧١٤]، وعكرمة[٤٧١٥]، وجابر بن سابط[٤٧١٦]، ووهب[٤٧١٧].

عن عكرمة: "{حِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ}، قال: سنك وكل"[٤٧١٨].

عن جابر بن سابط، قال: "هي بالأعجمية: سنك وكل"[٤٧١٩].

قال قتادة:" هي من طين"[٤٧٢٠].

(٤٧٠٠) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٤):ص٣٤٦٦/١٠.

(٤٧٠١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٧/٢٤، وزاد المسير: ٤٩١/٤.

(٤٧٠٢) أخرجه الطبري: ٦٠٧/٢٤.

(٤٧٠٣)أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٨٤، والطبري: ٦٠٧/٢٤، وابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٩٥ (٢٤٣) -. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٧٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٤٧٠٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٨٤):ص٣٤٦٦/١٠.

(٤٧٠٦) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٤٧٠٧) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧٠٨) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٤٧٠٩) التفسير الميسر: ٦٠١.

(٤٧١٠) .انظر: الكشاف: ٧٩٩/٤

(٤٧١١) وفي بعض الروايات: «سنك وكل». كما أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤، عن ابن عباس-رضي الله عنهما-

(٤٧١٢) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٤)-(١٨٤٢٧):ص٤٣٣/١٥.

(٤٧١٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٢٨):ص٤٣٣/١٥.

(٤٧١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٤٧١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧١٧) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣١):ص٤٣٣/١٥.

(٤٧١٨) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧١٩) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧٢٠) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.

قال عكرمة:" كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجُدَريّ، قال: كان أوّل يوم رُؤى فيه الجدريّ; قال: لم ير قبل ذلك اليوم، ولا بعده"[٤٧٢١].

قال سعيد بن جبير:" هي طير لها مناقير، تختلف بالحجارة، فإذا أصابتْ أحدَهم نطِف جلده، وكان ذلك أول ما رأى الناس الجُدَريّ"[٤٧٢٢].

الثاني : فارسية ونبطية: «سج»، «إيل». قاله سعيد بن جبير[٤٧٢٣].

الثالث: أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء، ذكره ابن عيسى[٤٧٢٤].

الرابع : أن «السجيل»: هو الشديد، قاله أبو عبيدة[٤٧٢٥]، ومنه قول ابن مقبل[٤٧٢٦]:

وَرَجْلَةٌ يَضْرِبُونَ البَيْضَ عَنْ عُرُض ... ضَرْبًا تَوَاصَى بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّيلا

إلا أن «النون» قلبت «لاماً».

الخامس : أن «السجيل»: اسم سماء الدنيا، فنسبت الحجارة إليها لنزولها منها، وهي التي أنزل الله جلّ وعزّ على قوم لوط. قاله سعيد بن أبي هلال[٤٧٢٧].

عن سعيد بن أبي هلال:" أنه بلغه أن الطير التي رمت بالحجارة، أنها طير تخرج من البحر، وأن «سجيل»: السماء الدنيا"[٤٧٢٨].

السادس: أنه اسم بحر من الهواء ، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه. قاله عكرمة[٤٧٢٩].

والصواب من القول في ذلك ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} [سورة الذاريات: ٣٣، ٣٤]"[٤٧٣٠].

عن موسى بن أبي عائشة، قال: "كانت الحجارة التي رُمُوا بها أكبر من العدسة، وأصغر من الحِمَّصَة"[٤٧٣١]. وروي عن عمران مثله[٤٧٣٢].

وعن أبي الكنود:" قال: دون الحِمَّصة وفوق العدسة"[٤٧٣٣].

عن عُبيد بن عُمير الليثي، قال: "لما أراد الله أن يُهلك أصحاب الفيل بعث الله عليهم طيرًا نشأت مِن البحر كأنها الخطاطيف، بُلْقٌ، كلّ طير منها معه ثلاثة أحجر مُجزّعة؛ في منقاره حجر، وحجران في رجليه، ثم جاءت حتى صفَّتْ على رؤوسهم، ثم صاحتْ، وألقَتْ ما في أرجلها ومناقيرها، فما مِن حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر، إن وقع على رأسه خرج مِن دُبره، وإن وقع على شيء من جسده خرج من جانب آخر، وبعث الله ريحًا شديدة، فضربتْ أرجلها، فزادها شدة، فأهلكوا جميعًا"[٤٧٣٤].

(٤٧٢١) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧٢٢)عزاه السيوطي إلى الفريابي.

(٤٧٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٨٤٣٥):ص٤٣٦/١٥.

(٤٧٢٤) انظر: النكت والعيون:٤٩٢/٢.

(٤٧٢٥) انظر: مجاز القرآن:٢٩٦/١، و٣١٢/٢.

(٤٧٢٦)انظر: جمهرة الأشعار: ١٦٠- ١٦٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٢٩٦، و٣١٢/٢، ومنتهى الطلب: ٤٤، والمعاني الكبير: ٩٩١، واللسان (سجن) ، وغيرها.

(٤٧٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٤٧٢٨) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٤.

(٤٧٢٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٣/٦.

(٤٧٣٠) تفسير الطبري:٤٣٥/١٥.

(٤٧٣١) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧٣٢) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧٣٣) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢٤.

(٤٧٣٤)أخرجه ابن أبي شيبة ١٤/ ٢٨٤، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٥٠٨ - ٥٠٩، والبداية والنهاية ٣/ ١٥١ - ، وأبو نعيم في الدلائل ١/ ١٥٠، والبيهقي في الدلائل ١/ ١٢٣ - ١٢٤. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن

قال أبو صالح : "رأيت في دار أم هانىء نحو قفيز من الحجارة التي رمي بها أصحاب الفيل مخططة بحمرة كأنها الجزع"[٤٧٣٥].

القرآن

{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)} [الفيل : ٥]

التفسير:

فجعلهم به محطمين كأوراق الزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

عن عائشة-رضي الله عنها-،قالت: "لقد رأيت قائد الفيل، وسائسه أعميين مقعدين، يستطعمان بمكة"[٤٧٣٦].

وفي معنى: «العصف»، ثلاثة أقوال :

أحدها : تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الريح ، قاله ضحاك[٤٧٣٧]، وقتادة[٤٧٣٨].

عن قتادة: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: هو التبن"[٤٧٣٩].

قال قتادة:" عصفه تبنه"[٤٧٤٠].

قال الضحاك:" العصف: التّبن"[٤٧٤١].

وقال مجاهد:" العصف: الورق من كل شيء. قال: يقال للزرع إذا قُطع: عصافة، وكلّ ورق فهو عصافة"[٤٧٤٢].

الثاني : أن العصف: هو الحب من البرّ والشعير بعينه. قاله الضحاك[٤٧٤٣].

قال الحسن: "كنا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير إذا قصّب وكان يسمّى العصف"[٤٧٤٤].

قال سعيد بن جبير: "هو الشعير النابت الذي يؤكل ورقه"[٤٧٤٥].

وعن مجاهد، قوله: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: ورق الحنطة"[٤٧٤٦].

الثالث : أنه حب المأكول منه، قاله الضحاك-أيضا-[٤٧٤٧].

عن الضحاك: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}- قال:" كزرع مأكول"[٤٧٤٨].

قال الضحاك:" هو الهبور –بالنبطية-، وفي رواية: المقهور"[٤٧٤٩].

عن عطاء بن سائب، عن سعيد بن جبير، قال: " العصف: هو الهبور "[٤٧٥٠].

المنذر.

(٤٧٣٥) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٤٣/٦.

(٤٧٣٦) أخرجه ابن إسحاق في "السير والمغازي": ٦٥.

(٤٧٣٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.

(٤٧٣٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.

(٤٧٣٩) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.

(٤٧٤٠) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.

(٤٧٤١) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣، ١٩.

(٤٧٤٢) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.

(٤٧٤٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩/٢٣.

(٤٧٤٤) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٨/١٠.

(٤٧٤٥) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٨/١٠.

(٤٧٤٦) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.

(٤٧٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٤.

(٤٧٤٨) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤.

(٤٧٤٩) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٤-٦١٦.

وحكي ابن كثير: ٤٨٨/٨عن سعيد بن جبير:" يعني: التبن الذي تسميه العامة : هبور".

وفي معنى: «مأكول»، ثلاثة أقوال:
أحدها: أن يكون أراد به أنه أُخذ ما فيه من الحب فأكل، وبقي هو لا حب فيه. عزاه الأزهري إلى الحسن[٤٧٥١].
قال الحسن:" كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه"[٤٧٥٢]. قال الأزهري:" أراد: أنه جعل أصحاب الفيل كورق أخذ ما كان فيه من الحب وبقي هو لا حب فيه"[٤٧٥٣].
قال عكرمة: "كالجبل إذا أكل فصار أجوف"[٤٧٥٤].
الثاني: أن «المأكول» -هاهنا-: الذي وقع فيه الأكال. فالمعنى: جعلهم كَوَرَق الزَّرْع الذي جَفَّ وأُكل، أي: وقع فيه الأكال.
روي عن حبيب بن أبي ثابت: "{كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}، قال: كطعام مطعوم"[٤٧٥٥].
«آخر تفسير سورة (الفيل)، والحمد لله وحده»
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٧٥٠) تفسير مجاهد: ٧٥١.
(٤٧٥١) انظر: "تهذيب اللغة": ص٢٦/٢، مادة: «عصف».
(٤٧٥٢) عزاه إليه الأزهري في "تهذيب اللغة": ص٢٦/٢، مادة: «عصف».
(٤٧٥٣) تهذيب اللغة:ص٢٦/٢، مادة«عصف».
(٤٧٥٤) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٩٨/١٠.
(٤٧٥٥) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «قريش»

«سورة القريش»: هي السورة السادسة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التين»، وقبل «سورة القارعة»، آياتها خمس في عد الحجاز، وأربع في عد الباقين. وكلماتها تسع عشرة. وحروفها ثلاث وسبعون. المختلف فيها آية: {مِنْ جُوعٍ} [قريش : ٤]، فواصل آياتها: «شفت»[٤٧٥٦].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله ابن عباس[٤٧٥٧]، وحكاه ابن الجوزي والماوردي والقرطبي عن الجمهور[٤٧٥٨].

عن ابن عباس قال: " نزلت {لإيلاف قريش} بمكة"[٤٧٥٩].

الثاني: مدنيّة، قاله الضّحّاك[٤٧٦٠]، وابن السّائب[٤٧٦١].

قال الماوردي:" مكية في قول الأكثرين"[٤٧٦٢].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف"[٤٧٦٣].

قال ابن عاشور:" السورة مكية عند جماهير العلماء"[٤٧٦٤].

(٤٧٥٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٥/١.

(٤٧٥٧) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٧٥٨) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، و زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠

(٤٧٥٩) الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٧٦٠) انظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٦، و زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠

(٤٧٦١) انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤، وتفسير القرطبي: ٢٠٠/٢٠.

(٤٧٦٢) النكت والعيون: ٣٤٥/٦.

(٤٧٦٣) المحرر الوجيز: ٥٢٥/٥.

(٤٧٦٤) المحرر الوجيز: ٥٥٣/٣٠.

القرآن

{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)} [قريش : ١-٢]

التفسير:

اعْجَبوا لإلف قريش، وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتيهم في الشتاء إلى «اليمن»، وفي الصيف إلى «الشام»، وتيسير ذلك; لجلب ما يحتاجون إليه.

قوله تعالى:{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} [قريش : ١]، أي:" اعْجَبوا لإلف قريش، وأمنهم، واستقامة مصالحهم"(٤٧٦٥).

اختلف أهل العلم في هذه «اللام» التي في قوله تعالى: {لِإِيلَافِ} [قريش : ١]، على أقوال(٤٧٦٦):

أحدها: أنها متعلقة بقوله: {فَلْيَعْبُدُوا}، أي: ليعبدوا الله، لأجل نعمته عليهم بالإيلاف. وهو معنى قول قراءة عكرمة(٤٧٦٧).

عن عكرمة، -من طريق أبي مكين- أنه كان يقرأ: «لِيَأْلَفَ قُرَيْشٌ إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ والصَّيْفِ»(٤٧٦٨).

وقال أبو صالح:" علم الله حُبّ قريش الشام، فأُمِروا أن يألفوا عبادة ربّ هذا البيت كإيلافهم رحلة الشتاء والصيف"(٤٧٦٩). وفي رواية: "كانوا تجارا، فعلم الله حبهم للشام"(٤٧٧٠).

وقال أبو مالك:" {لِإِيلافِ قُرَيْشٍ}، قال: كانوا يتَّجِرون في الشتاء والصيف، فآلفَهُم ذلك"(٤٧٧١).

الثاني: أنها متعلّقة بسورة «الفيل»، والمعنى: جعلتُ أصحابَ الفيل كعَصْفٍ مأكول، لإلفة قريش، أي: أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش. وما قد ألفوا من رحلة الشتاء، والصيف، وهذا قول مجاهد(٤٧٧٢)، وبه قال الجمهور(٤٧٧٣)، وفسَّروا: «لإيلاف»: «نِعمتي على قريش»(٤٧٧٤)، ولا يظهر صريحا من نصوصِهم أنهم يرون تعلّق «اللام»، بالسورة التي قبلها، -والله أعلم-.

عن مجاهد: "{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ}، قال: نعمتي على قريش"(٤٧٧٥).

عن عمر بن عبد العزيز، قال: ... لما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - كان فيما أنزل عليه يُعرّف قومه ما صنَع إليهم، وما نصرهم من الفيل وأهله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} إلى آخر السورة. ثم قال: ولم فعلتُ ذلك -يا محمد- بقومك، وهم يومئذ أهل عبادة أوثان؟! فقال: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} إلى آخر السورة، أي: لتراحمهم وتواصلهم ..."(٤٧٧٦).

(٤٧٦٥) التفسير الميسر: ٦٠٢.

(٤٧٦٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٣/٣، ومعاني القرآن للأخفش: ٥٨٥/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٦٥/٥، وإعراب القرآن للنحاس: ١٨٤/٥، وتفسير الطبري: ٦٢٠/٢٤-٦٢١.

(٤٧٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٣/٢٤.

(٤٧٦٨) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.

(٤٧٦٩) الدر المنثور: ٦٣٧/٨، وعزاه إلى الفريابي، وابن المنذر وابن جرير.

(٤٧٧٠) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

(٤٧٧١)الدر المنثور: ٦٣٧/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٤٧٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٤٧٧٣) حكاه ابن الجوزي عن الجمهور، انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤.

وعزاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٠/١٠، وابن الجوزي في "زد المسير": ٤٩٣/٤، للفراء .

والصحيح أن الفراء حكاه عن بعضهم، حيث قال في معاني القرآن: ٢٩٣/٣:" قال بعضهم: كانت موصلة بألم تر كيف فعل ربك، وذلك أنه ذكر أهل مكة عظيم النعمة عليهم فيما صنع بالحبشة، ثم قال: «لإيلاف قريش» أيضا، كأنه قال: ذلك إلى نعمته عليهم في رحلة الشتاء والصيف، فتقول: نعمة إلى نعمة ونعمة لنعمة سواء في المعنى".

(٤٧٧٤) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٤٧٧٥) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٤.

(٤٧٧٦)عزاه السيوطي إلى الزُّبير بن بكار في الموفقيات.

الثالث : أنها لام التعجّب، كأنّ المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، الذي أطعَمهم من جوعٍ وآمنَهم من خوف. ويحتجّ له "بأن العرب تقول: «لله أبوك»، فيكون في «اللام» معنى: التعجب"[٤٧٧٧]. وهذا مذهب الأعمش[٤٧٧٨].

عن سعيد بن المسيّب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ الله فضّل قريشًا بسبع خصال: أني منهم، وأنّ الله أنزل فيهم سورة كاملة من كتابه لم يذكر فيها أحدًا غيرهم، وأنهم عبدوا الله عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم، وأنّ الله نصرهم يوم الفيل وأنّ الخلافة والسِّقاية والسِّدانة فيهم»[٤٧٧٩].

قرأ ابن عامر: «لإلاف» بغير ياء بعد الهمزة، وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز. وروى حمّاد بن أحمد عن الشموني بهمزتين مخففتين، الأولى: مكسورة، والثانية: ساكنة على وزن «لفعلان». وقرأ الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة[٤٧٨٠].

قوله تعالى:{إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ} [قريش : ٢]، أي:" وانتظام رحلتيهم في الشتاء إلى «اليمن» ، وفي الصيف إلى «الشام»، وتيسير ذلك; لجلب ما يحتاجون إليه"[٤٧٨١].

عن مجاهد، في قوله: ":{إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}، قال: إيلافهم ذلك، فلا يشقّ عليهم رحلة شتاء ولا صيف"[٤٧٨٢].

قال الضحاك:" كانوا ألفوا الارتحال في القيظ والشتاء"[٤٧٨٣].

عن قتادة: "{لإِيلافِ قُرَيْشٍ}، قال: عادة قريش، عادتهم رحلة الشتاء والصيف"[٤٧٨٤].

قال قتادة: "كان أهل مكة يتعاورون البيت شتَّاء وصيفًا، تجّارًا آمنين، لا يخافون شيئًا؛ لحَرمهم، وكانت العرب لا يقدرون على ذلك ولا يستطيعونه من الخوف، فذكّرهم الله ما كانوا فيه من الأمن، حتى إن كان الرجل منهم ليصاب في الحي من أحياء العرب، فيقال: حِرمِيّ. قال: ذُكر لنا: أنّ نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَن أذلّ قريشًا أذلّه الله». وقال: «ارقبوني وقريشًا، فإن ينصرني الله عليهم فالناس لهم تَبع». فلما فُتحتْ مكةُ أسرع الناس في الإسلام، فبلغنا أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «الناس تَبع لقريش في الخير والشر، كُفّارهم تَبعٌ لكُفّارهم، ومؤمنوهم تَبعٌ لمؤمنيهم»"[٤٧٨٥].

واختلف في رحلتي الشتاء والصيف، على قولين :

أحدهما : أن كلتا الرحلتين إلى فلسطين، لكن رحلة الشتاء في البحر، طلباً للدفء، ورحلة الصيف على بصرى وأذرعات ، طلباً للهواء، قاله عكرمة[٤٧٨٦].

قال عكرمة:" كانت قريش تتجر، شتاء وصيفا، فتأخذ في الشتاء على طريق البحر وأيلة إلى فلسطين يلتمسون الدفاء، وأما الصيف فيأخذون قبل بصرى وأذرعات، يلتمسون البرد فذلك قوله: {إيلافهم}"[٤٧٨٧].

قال عكرمة:" كانت قريش قد ألفوا بصرى واليمن يختلفون إلى هذه في الشتاء، وإلى هذه في الصيف، {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، فأمرهم أن يقيموا بمكة"[٤٧٨٨].

(٤٧٧٧) إعراب القرآن للنحاس: ١٨٤/٥.
(٤٧٧٨) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٤٩٣/٤. وعزاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٠/١٠، للأخفش والرازي.
(٤٧٧٩)أخرجه الخطيب في تاريخه ٧/ ١٩٥ مرسلًا.
(٤٧٨٠) انظر: زاد المسير: ٤٩٣/٤.
(٤٧٨١) التفسير الميسر: ٦٠٢.
(٤٧٨٢) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٤.
(٤٧٨٣) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.
(٤٧٨٤) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.
(٤٧٨٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٤٧٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٢/٢٤.
(٤٧٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩١):ص٣٤٦٧/١٠.
(٤٧٨٨) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

الثاني : أن رحلة الشتاء إلى اليمن، لأنها بلاد حامية ، ورحلة الصيف إلى الشام، لأنها بلاد باردة ، قاله أبو صالح[٤٧٨٩].

قال أبو صالح:" كانت الشام منها أرض باردة ومنها أرض حارّة، وكانوا يرحلون في الشتاء إلى الحارّة، وفي الصيف إلى الباردة، وكانت لهم رحلتان كلّ عام للتجارة: إحداهما في الشتاء إلى اليمن؛ لأنها أدفأ، والأخرى في الصيف إلى الشام، وكان الحَرم واديًا جدبًا لا زرع فيه ولا ضرع، ولا ماء ولا شجر، وإنّما كانت قريش تعيش بها بتجارتهم ورحلتهم، وكانوا لا يُتعرّض لهم بسوء، وكانوا يقولون: قريش سكان حرم الله، وولاة بيته. فلولا الرحلتان لم يكن لأحد بمكّة مقام، ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرّف، فشقّ عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام، وأخصبت تَبالة وجُرش والجَنَد من بلاد اليمن، فحملوا الطعام إلى مكّة، وأهل الساحل في البحر على السفن، وأهل البر على الإبل والحُمُر، فألقى أهل الساحل بجدّة، وأهل البرّ بالمحصّب، وأخصبت الشام، فحملوا الطعام إلى مكّة، فحمل أهل الشام إلى الأبطح، وحمل أهل اليمن إلى جدّة، فامتاروا من قريب، وكفاهم الله مؤونة الرحلتين، وأمرهم بعبادة ربّ البيت"[٤٧٩٠].

عن عمر بن عبد العزيز، قال: "كانت قريش في الجاهلية تَعْتَفِد، وكان اعتفادها أنّ أهل البيت منهم كانوا إذا سافتْ -يعني: هلكتْ- أموالهم خرجوا إلى بَراز من الأرض، فضربوا على أنفسهم الأخبية، ثم تناوبوا فيها حتى يموتوا، من قبل أن يُعلم بخَلّتهم، حتى نشأ هاشم بن عبد مناف، فلما وبَل وعظم قدره في قومه قال: يا معشر قريش، إنّ العِزّ مع كثرة العدد، وقد أصبحتم أكثر العرب أموالًا، وأعزّهم نفرًا، وإنّ هذا الاعتفاد قد أتى على كثير منكم، وقد رأيتُ رأيًا. قالوا: رأيك رشدٌ، فمُرنا نأتمر. قال: رأيتُ أنْ أخلط فقراءكم بأغنيائكم، فأعمد إلى رجل غني فأضم إليه فقيرًا، عياله بعدد عياله، فيكون يوازره في الرحلتين؛ رحلة الصيف إلى الشام، ورحلة الشتاء إلى اليمن، فما كان في مال الغني من فضل عاش الفقير وعياله في ظِلّه، وكان ذلك قطعًا للاعتفاد. قالوا: نِعم ما رأيتَ. فألف بين الناس، فلما كان من أمر الفيل وأصحابه ما كان، وأنزل الله ما أنزل، وكان ذلك مفتاح النبوة، وأول عِزّ قريش حتى هابهم الناس كلّهم، وقالوا: أهل الله، والله معهم. وكان مولد النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - في ذلك العام، فلما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - كان فيما أنزل عليه يعرّف قومه ما صنع إليهم، وما نصرهم من الفيل وأهله: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} إلى آخر السورة. ثم قال: ولِمَ فعلتُ ذلك -يا محمد- بقومك، وهم يومئذ أهل عبادة أوثان؟! فقال: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ} إلى آخر السورة. أي: لتراحمهم وتواصلهم، وإن كان الذي آمنهم منه من الخوف؛ خوفَ الفيل وأصحابه، وإطعامَهم إياهم من الجوع؛ من جوع الاعتفاد"[٤٧٩١].

قال الفراء ومن قرأ: «إلفهم» فقد يكون من: يؤلفون، وأجود من ذلك أن يكون من يألفون رحلة الشتاء ورحلة الصيف، و«الإيلاف» من: يؤلفون، أي: أنهم يهيئون ويجهزون"[٤٧٩٢].

القرآن

{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣)} [قريش : ٣]

التفسير:

فليشكروا، وليعبدوا رب هذا البيت الذي يعتزون به -وهو الكعبة-، وبسببه نالوا الشرف والرفعة، وليوحدوه ويخلصوا له العبادة.

قال عكرمة:" كانت قريشٌ قد ألفوا بصرى واليمن، يختلفون إلى هذه في الشتاء وإلى هذه في الصيف، {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ} فأمرهم أن يقيموا بمكة"[٤٧٩٣].

(٤٧٨٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٢.

(٤٧٩٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٢.

(٤٧٩١)عزاه السيوطي إلى الزُّبير بن بكار في الموفقيات.

(٤٧٩٢) معاني القرآن: ٢٩٤/٣.

(٤٧٩٣) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٤.

عن إبراهيم:" أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، صلى المغرب بمكة، فقرأ: {لإيلافِ قُرَيْشٍ}، فلما انتهى إلى قوله: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}، أشار بيده إلى البيت"[٤٧٩٤].

عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "{لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ} [قريش: ٢]« ويحكم يا قريش، اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع، وآمنكم من خوف»"[٤٧٩٥].

القرآن

{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)} [قريش : ٤]

التفسير:

الذي أطعمهم من جوع شديد، وآمنهم من فزع وخوف عظيم.

قوله تعالى:{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]، أي:" وآمنهم من فزع وخوف عظيم"[٤٧٩٦].

وفي قوله تعالى:{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش : ٤]، وجوه:

احدها : آمنهم من خوفهم من الجذام، قاله الضحاك[٤٧٩٧]، والسدي[٤٧٩٨]،والربيع بن أنس[٤٧٩٩]، وشريك[٤٨٠٠].

الثاني : من خوف الحبشة مع الفيل، قاله الأعمش[٤٨٠١].

الثالث : آمنهم من كل غزو في حرمهم. قاله مجاهد[٤٨٠٢].

قال قتادة:" كانوا يقولون: نحن من حرم الله، فلا يعرض لهم أحد في الجاهلية، يأمنون بذلك، وكان غيرهم من قبائل العرب إذا خرج أغير عليه"[٤٨٠٣]. وفي لفظ:" عليهم"[٤٨٠٤].

(٤٧٩٤) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٤.

(٤٧٩٥) مسند احمد(٢٧٦٠٧):ص٥٨١/٤٥، إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وعبيد الله بن أبي زياد القداح -وإن كان ضعيفا كذلك- توبع. وبقية رجاله ثقات. عيسى بن يونس: هو ابن أبي إسحاق السبيعي.

وأخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٨٦):ص٣٤٦٧/١٠، بإسناده عن أسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن كثير: هكذا رأيته عن أسامة بن زيد، وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية، فلعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية، والله أعلم.[تفسير ابن كثير:٤٩٢/٨].

وأخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٣١٨، وحفص الدوري في "قراءات النبي" (١٣٣) ، وابن أبي حاتم -فيما ذكر ابن كثير-، والطبراني في "الكبير" ٢٤/ (٤٤٧) من طريق قبيصة بن عقبة، والطبري في "تفسيره" ٦١٩/٢٤، من طريق مهران بن أبي عمر الرازي، كلاهما عن سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر، عن أسماء بنت يزيد، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: " إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ".

وأخرجه الحاكم ٢٥٦/٢ من طريق عبد الحميد بن بهرام، عن شهر، عن أسماء، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: «لإيلاف قريش إيلافهم، رحلة الشتاء والصيف» . وقال: هذا حديث غريب عال في هذا الباب، والشيخان لا يحتجان بشهر بن حوشب.

وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٤٣/٧، وقال: رواه أحمد والطبراني باختصار، وفيه عبيد الله بن أبي زياد القداح وشهر بن حوشب، وقد وثقا، وفيهما ضعف، وبقية رجال أحمد ثقات.

قال السندي: قوله: "ويحكم يا قريش" بفتح واو وسكون ياء: كلمة ترحم.

(٤٧٩٦) التفسير الميسر: ٦٠٢.

(٤٧٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٤.

(٤٧٩٨) انظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦.

(٤٧٩٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٣.

(٤٨٠٠) تفسير البغوي ٨/ ٥٤٨.

(٤٨٠١)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وانظر: النكت والعيون: ٣٤٠/٦.

(٤٨٠٢)أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٤٨٨):ص٣٤٦٧/١٠.

(٤٨٠٣) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.

قال قتادة:" كان أهل مكة تجارا يتعاورون ذلك شتاء وصيفا، آمنين في العرب، وكانت العرب يغير بعضها على بعض، لا يقدرون على ذلك، ولا يستطيعونه من الخوف، حتى إن كان الرجل منهم ليُصاب في حيّ من أحياء العرب، وإذا قيل حِرْمِيٌّ خُليَ عنه وعن ماله، تعظيما لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن"[٤٨٠٥].

«آخر تفسير سورة (قريش)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٨٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٠):ص٣٤٦٧/١٠.

(٤٨٠٥) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الماعون»

«سورة الماعون»: هي السورة السابعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة التكاثر»، وقبل «سورة الكافرون»، آياتها سبع في عد العراقي، وست عند الباقين. وكلماتها خمس وعشرون، وحروفها مائة وخمس وعشرون . المختلف فيها آية: {يُرَاءُونَ} [الماعون : ٦]، فواصل آياتها على «النون»[٤٨٠٦].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قاله ابن عباس-في رواية-[٤٨٠٧]، وابن الزبير[٤٨٠٨]، وعطاء[٤٨٠٩]، وجابر[٤٨١٠].

عن ابن عباس قال: " أنزلت {أرأيت الذي يكذب} بمكة"[٤٨١١]. وروي عن ابن الزبير مثله[٤٨١٢].

الثاني: أنها مدنيّة، روي عن ابن عباس-أيضا-[٤٨١٣]، وبه قال قتادة[٤٨١٤]. وبه قال الثعلبي[٤٨١٥].

وقال هبة الله المفسّر: "نزلت نصفين أو نصفان نصفها بمكة ونصفها بالمدينة فالذي أنزل منها بمكة: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} [الماعون : ١]، نزلت في العاص بن وائل السهمي {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)} [الماعون : ٢ - ٣]، إلى ههنا، ونزل باقيها في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤][٤٨١٦]، إلى أخرها: نزلت بالمدينة"[٤٨١٧].

قال ابن عطية:" هي مكية بلا خلاف علمته، وقال الثعلبي: هي مدنية"[٤٨١٨].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الأكثر"[٤٨١٩].

(٤٨٠٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٦/١.

(٤٨٠٧) انظر: الدر المنثور: ٦٤١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه. وانظر: تفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(٤٨٠٨) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٨٠٩) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(٤٨١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(٤٨١١) الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٨١٢) انظر: الدر المنثور: ٦٣٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٨١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.

(٤٨١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢١٠/٢٠.

(٤٨١٥) عزاه إليه ابن عطية، انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

(٤٨١٦) قال ابن عاشور:" قيل: نزل ثلاث أولها بمكة إلى قوله: { الْمِسْكِينِ} [الماعون: ٣]/ وبقيتها نزلت بالمدينة، أي بناء على أن قوله: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون : ٤]، إلى آخر السورة أريد به المنافقون وهو مروي عن ابن عباس وقاله هبة الله الضرير، وهو الأظهر". [التحرير والتنوير: ٥٦٣/٣٠].

(٤٨١٧) الناسخ والمنسوخ: ٢٠٥.

(٤٨١٨) المحرر الوجيز: ٥٢٧/٥.

(٤٨١٩) المحرر الوجيز: ٥٦٣/٣٠.

القرآن

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١)} [الماعون : ١]

التفسير:

أرأيت حال ذلك الذي يكذِّب بالبعث والجزاء؟

سبب النزول:

عن الحسن قوله: "{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين}، قال: الكافر"(٤٨٢٠).

عن مجاهد، وعكرمة:" {يُكَذِّبُ بِالدِّين}، قالا: "بالحساب"(٤٨٢١).

وفي قراءة عبد الله: «أرأيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ الدِّينَ»(٤٨٢٢).

وقرئ: «أرأيتك الذي»(٤٨٢٣)، بزيادة حرف الخطاب، كقوله {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} [الإسراء : ٦٢]، والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو؟(٤٨٢٤).

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، على قولين:

أحدهما : في الوليد بن المغيرة ، قاله السدي(٤٨٢٥).

الثاني : في عمرو بن عائذ ، قاله الضحاك(٤٨٢٦).

القرآن

{فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)} [الماعون : ٢]

التفسير:

فذلك الذي يدفع اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير بعنف وشدة عن حقه؛ لقساوة قلبه.

قال مجاهد:" يدفع اليتيم فلا يُطعمه"(٤٨٢٧).

قال الضحاك :"يقهره"(٤٨٢٨).

قال قتادة:" أي يقهره ويظلمه"(٤٨٢٩).

عن الحسن :"{يَدُعُّ اليَتِيمَ}، قال: يظلمه"(٤٨٣٠).

عن محمد بن كعب :" {يَدُعُّ اليَتِيمَ}، قال: يدفعه"(٤٨٣١).

وقرئ« فَذَلِكَ الَّذِي يَدَعُ الْيَتِيمَ»، أي: فذلك الذي لا يعبأ باليتيم ويتركه مهملاً، ويجفو(٤٨٣٢).

القرآن

{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)} [الماعون : ٤-٥]

(٤٨٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٣):ص٣٤٦٨/١٠.

(٤٨٢١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٠/٦.

(٤٨٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٩/٢٤.

(٤٨٢٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩٤/٣، والكشاف: ٨٠٤/٤.

(٤٨٢٤) انظر: الكشاف: ٨٠٤/٤.

(٤٨٢٥) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٤، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٩، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٥٦/٢٤، والنكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.

(٤٨٢٦) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٠٤، وتفسير البغوي ٨/ ٥٤٩، والنكت والعيون: ٣٥٠/٦، وزاد المسير: ٤٩٥/٤.

(٤٨٢٧) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.

(٤٨٢٨) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.

(٤٨٢٩) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.

(٤٨٣٠)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤٨٣١)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٤٣٣ (٢٥٢٥).

(٤٨٣٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٦٧/٥، والكشاف: ٨٠٤/٤.

التفسير:
فعذاب شديد للمصلين الذين هم عن صلاتهم لاهون، لا يقيمونها على وجهها، ولا يؤدونها في وقتها.
عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٤٨٣٣].

وفي قوله تعالى:{الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون : ٥]، وجوه من التفسير:
احدها: أنهم يؤخِّرونها عن وقتها، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها. وهذا قول ابن أبزى[٤٨٣٤]، ومسروق[٤٨٣٥]، وأبي الضحى[٤٨٣٦]، ومسلم بن صبيح[٤٨٣٧]،مصعب بن سعد بن أبي وقاص[٤٨٣٨]، ورواه سعد مرفوعا[٤٨٣٩]. وحكاه الواحدي عن الأكثرين[٤٨٤٠].

عن سعد بن أبي وقاص قال:" سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»"[٤٨٤١].

قال مسروق:" الترك لوقتها"[٤٨٤٢]. وفي لفظ:" تضييع ميقاتها"[٤٨٤٣].

قال أبو الضحى:" ترك المكتوبة لوقتها"[٤٨٤٤].

قال مسلم بن صبيح:" الذين يضيعونها عن وقتها"[٤٨٤٥].

قال ابن أبزى:" الذين يؤخِّرون الصلاة المكتوبة، حتى تخرج من الوقت أو عن وقتها"[٤٨٤٦].

عن مصعب بن سعد، قال: "قلت لأبي، أرأيت قول الله عزّ وجلّ: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}: أهي تركها؟ قال: لا، ولكن تأخيرها عن وقتها"[٤٨٤٧].

عن مصعب بن سعد، قال: "قلت لسعد: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}: أهو ما يحدّث به أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا ولكن السهو أن يؤخِّرها عن وقتها"[٤٨٤٨].

قال مصعب بن سعد:" السهو: الترك عن الوقت"[٤٨٤٩].

الثاني: أنهم يتركونها فلا يصلونها. قاله مجاهد[٤٨٥٠].

عن مجاهد: "{عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: الترك لها"[٤٨٥١].

(٤٨٣٣) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.
(٤٨٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٣٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٦):ص٣٤٦٨/١٠.
قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٤٣ رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عكرمة بن إبراهيم، وهو ضعيف جدًا، ولهذا الحديث طرق، وقد ذكر ابن كثير أن الموقوف أصح إسناداً من المرفوع، ثم قال: وقد ضعف البيهقي رفعه، وصحح وقفه، وكذلك الحاكم.
(٤٨٤٠) انظر: التفسير البسيط: ٣٥٨/٢٤-٣٥٩.
(٤٨٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٦):ص٣٤٦٨/١٠.
(٤٨٤٢) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٤٣) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٤٤) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٤٥) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٤٦) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٤٧) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤.
(٤٨٤٨) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٤-٦٣١.
(٤٨٤٩) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢٤.
(٤٨٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

الثالث : أن معنى «ساهون»، أي: لاهون. قاله مجاهد-أيضا-[٤٨٥٢].
عن مجاهد: "{عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: لاهون"[٤٨٥٣].
وقال مجاهد:" يتهاونون"[٤٨٥٤].
وقرأ ابن مسعود: «لاهون»[٤٨٥٥].
الرابع : غافلون. قاله قتادة[٤٨٥٦].
عن قتادة:" {عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: غافلون"[٤٨٥٧].
قال قتادة:" عنها، لا يبالي صلى أم لم يصلّ"[٤٨٥٨].
الخامس : هو الذي يلتفت يمنة ويسرة وهواناً بصلاته، قاله أبو العالية[٤٨٥٩].
قال أبو العالية:" هو الذي يصلي ويقول هكذا وهكذا، يعني: يلتفت عن يمينه وعن يساره"[٤٨٦٠].
ونقل ابن الجوزي عن أبي العالية أنه قال: "هو الذي لا يدري عن كم انصرف، عن شفع، أو عن وتر"[٤٨٦١].
وردَّ هذا بعض العلماء فقال: هذا ليس بشيء، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سها في صلاته[٤٨٦٢]، ولأنه قال عزّ وجلّ: عَنْ صَلاتِهِمْ ولم يقل: في صلاتهم، ولأن ذاك لا يكاد يدخل تحت طوق ابن آدم[٤٨٦٣].
السادس : لا يصلّيها سراً ويصليها علانية رياء للمؤمنين ، قاله الحسن[٤٨٦٤].
وحكي ابن كثير عن الحسن: "إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله وفي لفظ : صدقة ماله"[٤٨٦٥].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب بقوله: {ساهُونَ}: لاهون يتغافلون عنها، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها، تضييعها أحيانا، وتضييع وقتها أخرى، وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال: عُنِيَ بذلك ترك

(٤٨٥١) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(٤٨٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(٤٨٥٣) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(٤٨٥٤) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(٤٨٥٥) انظر: الكشاف: ٨٠٥/٤.
(٤٨٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(٤٨٥٧) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(٤٨٥٨) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٤.
(٤٨٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤٩٩):ص٣٤٦٨/١٠.
(٤٨٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٤٩٩):ص٣٤٦٨/١٠.
(٤٨٦١) زاد المسير: ٤٩٦/٤.
(٤٨٦٢) ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها، ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين.
عن أبي هريرة، قال: "بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركعتين، فقام رجل من بني سليم، فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة، أم نسيت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم تقصر الصلاة، ولم أنسه "، قال: يا رسول الله، إنما صليت ركعتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحق ما يقول ذو اليدين؟ "، قالوا: نعم، قال: فقام، فصلى بهم ركعتين آخريين، قال يحيى: حدثني ضمضم بن جوس، أنه سمع أبا هريرة يقول: ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدتين".
أخرجه أحمد (٢٦٣/١٥، رقم ٩٤٤٤) ، والطبرانى (٢٣٣/٤، رقم ٤٢٢٤)، النسائي في "الكبرى" (٥٦٢).
(٤٨٦٣) زاد المسير: ٤٩٦/٤.
(٤٨٦٤) انظر: النكت والعيون: ٣٥٢/٦.
(٤٨٦٥) تفسير ابن كثير: ٤٩٦/٨.

وقتها، وقول من قال: عُنِيَ به تركها لما ذكرتُ من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت"[٤٨٦٦]. ثم استشهد على صحة قوله:

- عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم، عن {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}، قال: هم الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها"[٤٨٦٧].
- عن أبي برزة الأسلميّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} : الله أكبر هذه خير لكم من أن لو أعطي كلّ رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته، وإن تركها لم يخف ربه"[٤٨٦٨].
- وروي عمر بن سليمان يحدّث عن عطاء بن دينار أنه قال: "الحمد لله الذي قال: {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}[ولم يقل : في صلاتهم ساهون][٤٨٦٩]"[٤٨٧٠].

ثم قال الطبري:" وكلا المعنيين اللذين ذكرت في الخبرين اللذين روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محتمل عن معنى السهو عن الصلاة"[٤٨٧١].

القرآن

{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦)} [الماعون : ٦]

التفسير:

الذين هم يتظاهرون بأعمال الخير مراءاة للناس.

قال مجاهد:" هم المنافقون"[٤٨٧٢]. وروي عن زيد بن أسلم مثله[٤٨٧٣].

عن الضحاك:"{الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ}، يعني: المنافقين"[٤٨٧٤].

قال الحسن:" هو المنافق... فإن صلّى راءى، وإن فاتته لم يأسَ عليها"[٤٨٧٥].

وعن أبي صالح، عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله، الرجل يعمل العمل يَسُرُّه، فإذا اطُّلعَ عليه أعجبه. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "له أجران : أجر السر وأجر العلانية"[٤٨٧٦].

القرآن

{وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)} [الماعون : ٧]

التفسير:

(٤٨٦٦) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤.

(٤٨٦٧) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٤٨٦٨) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤. قال ابن كثير:٤٩٥/٨ :" فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف، وشيخه مبهم لم يُسَم".

(٤٨٦٩) زيادة في تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٨.

قال الزمخشري: في الكشاف(٨٠٥/٤):" فإن قلت: أيّ فرق بين قوله: {عَنْ صَلاتِهِمْ}، وبين قولك «فِي صَلاتِهِمْ»؟ قلت: معنى «عَنْ»: أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين. ومعنى «فِي»: أنّ السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس، وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره، ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم".

(٤٨٧٠) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٤٨٧١) تفسير الطبري: ٦٣٢/٢٤-٦٣٣.

(٤٨٧٢) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٤٨٧٣) القران الكريم من الجامع لابن وهب(١١٦):ص٥٣/١.

(٤٨٧٤) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٤.

(٤٨٧٥) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٧٦)مسند الطيالسي برقم (٢٤٣٠)، وسنن الترمذي برقم (٢٣٨٥)، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٢٦).

ويمنعون إعارة ما لا تضر إعارته من الآنية وغيرها، فلا هم أحسنوا عبادة ربهم، ولا هم أحسنوا إلى خلقه.

وفي تفسير قوله تعالى: {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)} [الماعون : ٧]، أقوال:

أحدها : أن «الماعون»: الزكاة ، قاله علي[٤٨٧٧]، وابن عمر[٤٨٧٨]، والحسن[٤٨٧٩]، وسعيد بن جبير[٤٨٨٠]، ومجاهد[٤٨٨١]، وعكرمة[٤٨٨٢]، وقتادة[٤٨٨٣]، والضحاك[٤٨٨٤]، وزيد بن أسلم[٤٨٨٥]، وابنه عبدالرحمن [٤٨٨٦]، ومحمد بن الحنفية[٤٨٨٧]، قال الراعي [٤٨٨٨]:

أخليفة الرحمن إنا مَعْشَرٌ ... حُنَفاءُ نسجُد بكرةً وأصيلاً

عَرَبٌ نرى لله في أمْوالِنا ... حقَّ الزكاة مُنزّلا تنزيلاً

قَوْمٌ على الإسلام لمّا يَمْنعوا ... ماعونَهم ويضَيِّعوا التهْليلا

قال عكرمة:" رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والإبرة"[٤٨٨٩].

عن قتادة: "{المَاعُونَ}: الزكاة المفروضة"[٤٨٩٠].

قال زيد بن أسلم:" الماعون: الزكاة. قال: ولو خفيت لهم الصلاة كما خفيت لهم الزكاة لم يصلوا"[٤٨٩١].

قال الحسن:" منعوا صدقات أموالهم، فعاب الله عليهم"[٤٨٩٢].

قال الحسن:" هو المنافق الذي يمنع زكاة ماله، فإن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها"[٤٨٩٣].

الثاني : أن «الماعون»: المعروف ، قاله محمد بن كعب[٤٨٩٤].

وفي الحديث:«كل معروف صدقة»[٤٨٩٥].

(٤٨٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٤.

(٤٨٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٦/٢٤.

(٤٨٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٨١) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٤.

(٤٨٨٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٥):ص٣٤٦٩/١٠.

(٤٨٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٨٥) القران الكريم من الجامع لابن وهب(١١٦):ص٥٣/١.

(٤٨٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٨٨)جمهرة أشعار العرب: ١٧٥، وغيرها، من ملحمته المشهورة، قالها لعبد الملك بن مروان، وكان بعض عماله على الصدقات، قد أوقع ببني نمير قوم الراعي، لأن قيسًا كانت زبيرية الهوى، فقال:

أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إنَّا مَعْشَرٌ ... حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأصيلاً

عَرَبٌ، نَرَى لِلهِ فِي أمْوالِنا ... حَقَّ الزَّكاةِ مُنَزَّلاً تنزيلاً

إنَّ السُّعاةَ عَصَوْكَ يَوْمَ أمْرَتَهُمْ ... وأتَوْا دَواهِيَ، لو عَلِمْتَ، وغُولا

ثم يقول له: أخَذُوا العَرِيفَ فَقَطَّعُوا حَيْزُومَهُ ... بالأصْبَحِيَّةِ قائمًا مَغْلُولاً

حَتَّى إذَا لَمْ يَتْرُكُوا..... ... .

جَاءوا بِصَكِّهِمُ، وَأَحْدَبَ أسْأرَتْ ... مِنْهُ السِّياطُ يَرَاعَةً إجْفِيلا

وهي من جيد الشعر.

(٤٨٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٥):ص٣٤٦٩/١٠.

(٤٨٩٠) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٩١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٣٧):ص١٦١/٢.

(٤٨٩٢) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٩٣) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٤.

(٤٨٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٦):ص٣٤٦٩/١٠.

الثالث : أنه المال -بلسان قريش-، قاله سعيد بن المسيب[٤٨٩٦]، والزهري[٤٨٩٧].
الرابع : أنه ما يتعاوره الناس بينهم، مثل الدلو والقدر والفأس ، قاله أبو مالك[٤٨٩٨]، وسعيد بن جبير[٤٨٩٩]. وقد روي مأثورا[٤٩٠٠].

عن دلهم بن دهثم العجلي: حدثنا مائذ بن ربيعة النميري:" أنهم وفدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله ما تعهد إلينا؟ قال : «لا تمنعون»، وقال: يا رسول الله وما الماعون؟ قال «في الحجر وفي الحديدة وفي الماء»، قالوا فأي الحديدة؟ قال «قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتهون به»، قالوا وما الحجر؟ قال: «قدوركم الحجارة»[٤٩٠١].

عن علي بن فلان النميري : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "المسلم أخو المسلم. إذا لقيه حَيَّاه بالسلام، ويرد عليه ما هو خير منه، لا يمنع الماعون". قلت : يا رسول الله، ما الماعون ؟ قال : "الحَجَر، والحديد، وأشباه ذلك"[٤٩٠٢].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنهم يمنعونه الناس، خبرًا عاما، من غير أن يخص من ذلك شيئا أن يقال: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاونونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق؛ لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض[٤٩٠٣].

«آخر تفسير سورة (الماعون)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٨٩٥)حديث حذيفة: أخرجه أحمد (٣٩٧/٥، رقم ٢٣٤١٨) ، ومسلم (٦٩٧/٢، رقم ١٠٠٥) ، وأبو داود (٢٨٧/٤، رقم ٤٩٤٧) ، وابن حبان (١٧٢/٨، رقم ٣٣٧٨) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٢٢٠/٥، رقم ٢٥٤٢٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٠٥/٣، رقم ٣٣٣٠) .
حديث ابن مسعود: أخرجه أيضا: الشاشى (٣٤٨/١، رقم ٣٣٠) ، والقضاعى (٨٧/١، رقم ٨٩) .
حديث أبى مسعود: أخرجه الطبرانى (٢٣٠/١٧، رقم ٦٣٩) ، قال الهيثمى (١٣٦/٣) : رجاله رجال الصحيح.
حديث جابر: أخرجه أحمد (٣٦٠/٣، رقم ١٤٩٢٠) . وأخرجه أيضا: البخارى (٢٢٤١/٥، رقم ٥٦٧٥) ، وعبد بن حميد (ص ٣٢٧، رقم ١٠٨٣) ، وابن حبان (١٧٢/٨، رقم ٣٣٧٩) .
حديث عبد الله بن يزيد: أخرجه أيضا: أحمد (٣٠٧/٤، رقم ١٨٧٦٣) . قال الهيثمى (١٣٦/٣) : رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، ورجال أحمد ثقات.
حديث عدى بن ثابت عن أبيه عن جده: أخرجه الطبرانى (٣٨٧/٢٢، رقم ٩٦٤).
(٤٨٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٤.
(٤٨٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٤.
(٤٨٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٤.
(٤٨٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٤.
(٤٩٠٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٣):ص٣٤٦٩/١٠.
(٤٩٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٣):ص٣٤٦٩/١٠. قال ابن كثير:٤٩٧/٨" غريب جدا، ورفعه منكر، وفي إسناده من لا يعرف ".
(٤٩٠٢)أسد الغابة :٦٢٤/٣، ذكره ابنُ الأثير في الصحابة ترجمة "علي النميري".
(٤٩٠٣) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الكوثر»

«سورة الكوثر»: هي السورة الثامنة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر»[٤٩٠٤]، آياتها ثلاث بالإجماع. وكلماتها عشر. وحروفها ثنتان وأربعون. فواصل آياتها على «الراء»[٤٩٠٥].

عن ابن شبرمة قال: "ليس في القرآن سورة أقل من ثلاث آيات"[٤٩٠٦].

قال ابن عاشور:" عدد آيها ثلاث بالاتفاق. وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف، وأما في عدد الآيات فسورة «العصر» وسورة «النصر» مثلها، ولكن كلماتهما أكثر"[٤٩٠٧].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قله ابن عباس[٤٩٠٨]، وعائشة[٤٩٠٩]، وابن الزبير[٤٩١٠]، وهو المشهور[٤٩١١].

قال أبو حيان:" هذه السورة مكية في المشهور، وقول الجمهور[٤٩١٢].

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة {إنا أعطيناك الكوثر} بمكة"[٤٩١٣]. وروي عن ابن الزبير[٤٩١٤]، وعائشة[٤٩١٥] مثل ذلك.

الثاني: أنها مدنيّة، وهو قول الحسن[٤٩١٦]، وعكرمة[٤٩١٧]، وقتادة[٤٩١٨].

قال ابن عطية:" هي مكية"[٤٩١٩].

قال ابن عاشور:" تعارضت الأقوال والآثار في أنها مكية أو مدنية تعارضا شديدا، فهي مكية عند الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين، ونقل الخفاجي عن كتاب «النشر» قال:« أجمع من نعرفه على أنها مكية»[٤٩٢٠]. قال الخفاجي: «وفيه نظر مع وجود الاختلاف فيها»[٤٩٢١].

وعن الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمة: هي مدنية، ويشهد لهم ما في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك: «بينا رسول الله ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه وقال: أنزلت علي آنفا سورة فقرأ

(٤٩٠٤)على القول بأنها مكية عدوها الخامسة عشرة في عداد نزول السور، نزلت بعد «سورة العاديات»، وقبل «سورة التكاثر». وعلى القول بأنها مدنية فقد قيل: إنها نزلت في «الحديبية». [التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠]

(٤٩٠٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٧/١.

(٤٩٠٦) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى البيهقي.

(٤٩٠٧) التحرير والتنوير: ٥٧٢/٣٠.

(٤٩٠٨) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٩٠٩) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٩١٠) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٩١١) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٤٩١٢) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٤٩١٣) الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٩١٤) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٩١٥) انظر: الدر المنثور: ٦٤٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٩١٦) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٤٩١٧) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٤٩١٨) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٥٥/١٠.

(٤٩١٩) انظر: المحرر الوجيز: ٥٢٨/٥.

(٤٩٢٠) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِير البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسِير البَيضَاوي: ٤٠٢/٨.

(٤٩٢١) .

بسم الله الرحمن الرحيم: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر : ١ - ٣]، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»[٤٩٢٢]، الحديث.

وأنس أسلم في صدر الهجرة فإذا كان لفظ «آنفا» في كلام النبي -صلى الله عليه وسلم- مستعملا في ظاهر، معناه: وهو الزمن القريب، فالسورة نزلت منذ وقت قريب من حصول تلك الرؤيا. ومقتضى ما يروى في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣]، أن تكون السورة مكية، ومقتضى ظاهر تفسير قوله تعالى: وانحر من أن {انْحَرْ} في الحج أو يوم الأضحى تكون السورة مدنية، ويبعث على أن قوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} ليس ردا على كلام العاصي بن وائل.

والأظهر أن هذه السورة مدنية "[٤٩٢٣].

(٤٩٢٢) صحيح مسلم(٤٠٠):ص١/٣٠٠.

(٤٩٢٣) المحرر الوجيز: ٣٠/٥٦٣-٥٦٤.

القرآن

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} [الكوثر : ١]

التفسير:

إنا أعطيناك -أيها النبي- الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة الذي حافتاه خيام اللؤلؤ المجوَّف، وطينه المسك.

سبب النزول:

قال ابن عباس: "نزلت في العاص بن وائل، وذلك: أنه رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يخرج من المسجد، وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم، وتحدثنا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس. فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة"(٤٩٢٤).

وقال عطاء، عن ابن عباس: "كان العاص بن وائل يمر بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويقول: إني لأشنؤك، وإنك لأبتر من الرجال. فأنزل الله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ} [الكوثر : ٣]، يعني: العاص، {هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]، من خير الدنيا والآخرة"(٤٩٢٥).

عن يزيد بن رومان، قال : "كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره. فأنزل الله هذه السورة"(٤٩٢٦).

قال سهل بن عبدالله:" لما مات القاسم بمكة وإبراهيم بالمدينة قالت قريش: أصبح محمد صلّى الله عليه وسلّم أبتر، فغاظه ذلك، فنزلت: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، نعزيه ونعوضه الكوثر، وهو الحوض، تسقي من شئت بإذني، وتمنع من شئت بإذني"(٤٩٢٧).

واختلف أهل التفسير في معنى {الْكَوْثَر}، على أقوال:

أحدها : أن الكوثر: النبوة ، قاله عكرمة(٤٩٢٨).

قال عكرمة:" هو النبوّة، والخير الذي أعطاه الله إياه"(٤٩٢٩).

وعن عكرمة :"{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: الخير الكثير، والقرآن والحكمة"(٤٩٣٠).

وقال عكرمة:" الخير الذي أعطاه الله النبوّة والإسلام"(٤٩٣١).

(٤٩٢٤) أسباب النزول للواحدي: ٤٩٤، بدون إسناد. وورد بنحوه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره في الدر المنثور: ٦٥٢/٨، بنحوه وعزاه إلى ابن سعد وابن عساكر، وهذا إسناد ساقط.

ورواية الدر:" عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة ثما مات عبد الله فقال العاصي بن وائل السهمي: قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله {إن شانئك هو الأبتر}".

وكون الآية نزلت في العاص بدون هذه القصة، أخرجه الطبري من مرسل سعيد بن جبير:(تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤)، من مرسل مجاهد: (تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤-٦٥٧)، ومن مرسل قتادة: (تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤). وهو الراجح.

(٤٩٢٥)أسباب النزول للواحدي: ٤٩٥، الدر المنثور" ٨/ ٦٥٢ وعزاه إلى ابن عساكر من طريق ميمون بن مهران بمعناه، وبمعناه أيضًا عن جعفر بن محمد عن أبيه: ٨/ ٦٥٣، وعزاه إلى الزبير بن بكار، وابن عساكر، وأخرجه الطبري: (٦٥٦/٢٤)، بنحوه من طريق العوفي، والعوفي ضعيف.

الحديث أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٢/ ٧٠.

(٤٩٢٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.

(٤٩٢٧) تفسير التستري: ٢٠٧.

(٤٩٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٤.

(٤٩٢٩) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.

(٤٩٣٠) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.

(٤٩٣١) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.

قال عكرمة:" الكوثر: ما أعطاه الله من النبوة والخير والقرآن"[٤٩٣٢].

عن بدر بن عثمان، سمع عكرمة يقول في «الكوثر»: قال: "ما أُعطي النبّي من الخير والنبوّة والقرآن"[٤٩٣٣].

الثاني : القرآن ، قاله الحسن[٤٩٣٤].

الثالث : الإسلام ، حكاه المغيرة[٤٩٣٥].

الرابع : أنه نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم-. قاله مجاهد[٤٩٣٦]، وأبو العالية[٤٩٣٧]، ورواه ابن عمر[٤٩٣٨]، وأنس مرفوعاً[٤٩٣٩].

عن أبي العالية : {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: نهر في الجنة"[٤٩٤٠].

عن مجاهد"الكَوْثر: نهر في الجنة، ترابه مسك أذفر، وماؤه الخمر"[٤٩٤١].

عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا، قال: "لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر، عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فذهب يَشَمّ ترابه، فإذا هو مسك، فقال: "يا جبريل ما هذا النهر؟ " قال: هو الكوثر الذي خبأ لك ربُّك"[٤٩٤٢].

فالذي عليه الأكثرون أنه نهر في الجنة يجري على الدر، والياقوت، طيبه مسك أذفر[٤٩٤٣]، حافتاه قباب الدُّرِّ المجوّف، ماؤها أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل[٤٩٤٤].

(٤٩٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٠٩):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٣٣) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.

(٤٩٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٠):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٣٥) انظر: النكت والعيون: ٣٥٤/٦.

(٤٩٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٦/٢٤.

(٤٩٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٦/٢٤.

(٤٩٣٨) الحديث الذي رواه ابن عمر قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت؛ تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، أبيض من الثلج".
أخرجه الإمام أحمد في "المسند" ٢/ ١١٢، والترمذي في "سننه" ٥/ ٤٥٠: ح: ٣٣٦١، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الأرناؤوط في تخريج "جامع الأصول" ٢/ ٤٣٩: ح: ٨٨٩: وإسناده صحيح.
وانظر: الحديث في : تفسير الطبري: ٦٥/٢٤-٦٥١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٠٧):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٣٩) الحديث أخرجه مسلم من طريق "أنس في صحيحه" ١/ ٣٠٠: ح: ٥٣ - ٥٤: كتاب الصلاة، باب: ١٤: ونص الحديث كما عنده عن أنس قال بينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله! قال: "أنزلت عليّ آنفًا سورة "فقرأ: "بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر"، ثم قال: "أتدرون ما الكوثر؟ " فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّ وَجَلَّ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك". وحديث ورد عن أنس بن مالك يقول: أغفى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-إغفاءة بنحو حديث ابن مُسْهِر غير أنه قال: "نهر وعدنيه ربي عَزَّ وَجَلَّ في الجنة عليه حوض"، ولم يذكر آنيته عدد النجوم.
كما أخرجه الإمام أحمد في المسند" ٣/ ١٠٢: من طريق أنس.
وأبو داوود في "السنن" ١/ ٢٠١: كتاب الصلاة: باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم من طريق أنس بنحو الرواية الثانية، ج ٢/ ٥٨٨: كتاب السنة: بنحو من الرواية الأولى لأنس.
والنسائي في: "السنن" ٢/ ٤٧١: ح: ٩٠٣: كتاب الإنتاج باب ٢١ بنحوه من طريق أنس بن مالك.
وأخرجه: الطبري في "التفسير": ٦٤٩/٢٤

(٤٩٤٠) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.

(٤٩٤١) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤.

(٤٩٤٢) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢٤-٦٤٧.

(٤٩٤٣)أذفر: الذفر -بالتحريك- والذَّفَرَة جميعًا: شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن، ويفرق بينهما ما يضاف إليه ويوصف به، ومنه صفة الجنة وترابها مسك أذفر. انظر: "لسان العرب" ٤/ ٣٠٦ (ذفر).

الخامس : أنه حوض النبي - صلى الله عليه وسلم- الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة قاله عطاء[٤٩٤٥].

عن عطاء: "{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: حوض في الجنة أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤٩٤٦].

عن مطر، قال: سألت عطاء ونحن نطوف بالبيت عن قوله: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: حوض أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤٩٤٧].

السادس : أنه الخير الكثير، قاله سعيد بن جبير[٤٩٤٨]، ومجاهد[٤٩٤٩]، وقتادة[٤٩٥٠]، وعكرمة[٤٩٥١].

عن أبي بشر، قال: سألت سعيد بن جبير، عن الكوثر، فقال: "هو الخير الكثير الذي آتاه الله، فقلت لسعيد: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة، فقال: هو الخير الذي أعطاه الله إياه"[٤٩٥٢].

عن هلال، قال: "سألت سعيد بن جُبير: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: أكثر الله له من الخير، قلت: نهر في الجنة؟ قال: نهر وغيره"[٤٩٥٣].

عن عطاء بن السائب، قال: قال محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جُبير في الكوثر؟ قال: قلت: قال: قال ابن عباس: هو الخير الكثير، فقال: صدق والله"[٤٩٥٤].

عن سعيد بن جبير: "{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال: الخير الكثير"[٤٩٥٥].

عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة:" الكوثر: الخير الكثير"[٤٩٥٦].

قال مجاهد:" الكوثر: قال: الخير كله"[٤٩٥٧].

قال مجاهد:" خير الدنيا والآخرة"[٤٩٥٨].

وهذا التفسير يعم النهر وغيره ؛ لأن الكوثر من الكثرة، وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر[٤٩٥٩].

السابع : أن «الكوثر»: كلمة من الكتب الأولى ومعناها: الإيثار، قاله ابن كيسان[٤٩٦٠].

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وصفه الله بالكثرة، لعِظَم قدره، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك، لتتابع الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك كذلك"[٤٩٦١]. ثم استشهد الطبري بالأخبار الآتية:

- عن أنس قال: "لما عُرج بنبيّ الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، أو كما قال، عرض له نهر حافتاه الياقوت المجوف، أو قال: المجوب، فضرب الملك الذي معه بيده فيه، فاستخرج مسكا، فقال محمد

(٤٩٤٤) التفسير البسيط: ٣٧٢/٢٤.
(٤٩٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٤٩٤٦) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٤٩٤٧) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٤٩٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.
(٤٩٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٤٩٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٤٩٥١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(٤٩٥٢) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(٤٩٥٣) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٤.
(٤٩٥٤) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(٤٩٥٥) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤.
(٤٩٥٦) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.
(٤٩٥٧) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.
(٤٩٥٨) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢٤، ٦٤٨.
(٤٩٥٩) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٨.
(٤٩٦٠) انظر: الكشف والبيان: ٣١٠/١٠، والنكت والعيون: ٣٥٥/٦.
(٤٩٦١) تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٤.

للملك الذي معه: "ما هَذَا؟ " قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله; قال: ورفعت له سدرة المنتهى، فأبصر عندها أثرا عظيما" أو كما قال.

- عن أنس:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "بَيْنَما أنا أسِيرُ في الجَنَّةِ، إذْ عَرَض ليَ نَهْرٌ، حافَتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ، فقالَ المَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أتَدْرِي ما هَذَا؟ هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَ اللهُ إيَّاهُ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إلى أرْضِه، فأخْرَجَ مِنْ طِينِه المِسْكَ"(٤٩٦٢).
- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لمَّا عُرِجَ بِي إلى السَّماء، أتَيْتُ على نَهْرٍ حافَتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّف، قُلتُ: ما هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَ رَبُّكَ، فأهْوَى المَلَكُ بِيَدِهِ، فاسْتَخْرَجَ طِينَه مِسْكًا أذفَرَ"(٤٩٦٣).
- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَخَلْتُ الجَنَّة، فإذَا أنا بِنَهْرٍ حافَتاهُ خِيامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إلى ما يَجْرِي فِيهِ، فإذَا مِسْكٌ أذْفَرُ; قال: قُلْتُ: ما هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَهُ اللهُ"(٤٩٦٤).
- عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ"، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "رَأيْتُ نَهَرًا حَافَتاهُ اللُّؤْلُؤ، فَقُلْتُ: يا جِبْرِيلُ ما هَذَا؟ قالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أعْطاكَهُ اللهُ"(٤٩٦٥).
- عن أنس، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر، فقال: "هُوَ نَهْرٌ أعْطانِيهِ اللهُ في الجَنَّةِ، تُرَابُهُ مِسْكٌ أبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أعنَاقُهَا مِثْلُ أعناقِ الجُزُرِ"، قال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة؟ قال: "آكِلُها أنْعَمُ مِنْها"(٤٩٦٦).
- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دَخَلْتُ الجَنَّةَ حِينَ عُرِجَ بِيَ، فَأُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، فإذَا هُوَ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، عُضَادَتَاهُ بُيُوتٌ مُجَوَّفَةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ"(٤٩٦٧).
- عن أنس: أن رجلا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الكوثر؟ قال: "نَهْرٌ أعْطانِيهِ اللهُ فِي الجَنَّةِ، لَهُوَ أشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلَى مِنَ العَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أعْنَاقُهَا كأعْنَاقِ الجُزُرِ". قال عمر: يا رسول الله إنها لناعمة، قال: "آكِلُها أنْعَمُ مِنْها"(٤٩٦٨).
- عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَتاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلى الياقُوتِ والدُّرِّ، تُرْبَتُهُ أطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، ماؤُهُ أحْلَى مِنَ العَسَلِ، وأشَدُّ بَياضًا مِنَ الثَّلْجِ"(٤٩٦٩).
- عن عطاء بن السائب، قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جُبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس، أنه قال: هو الخير الكثير، فقال: صدق والله، إنه للخير الكثير، ولكن حدثنا ابن عمر، قال: لما نزلت: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حافَتاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي على الدُّرِّ والياقُوتِ"(٤٩٧٠).

(٤٩٦٢) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤.
(٤٩٦٣) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤.
(٤٩٦٤) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤.
(٤٩٦٥) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤.
(٤٩٦٦) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٤-٦٥٠.
(٤٩٦٧) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٤.
(٤٩٦٨) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٤.
(٤٩٦٩) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٤-٦٥١.
(٤٩٧٠) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤.

- عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما، فلم يجده، فسأل امرأته عنه، وكانت من بني النجار، فقالت: خرج، بأبي أنت آنفا عامدا نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أو لا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيسا، فأكل منه، فقالت: يا رسول الله، هنيئا لك ومريئا، لقد جئت وإني لأريد أن آتيك فأهنيك وأمريك، أخبرني أبو عمارة أنك أُعطيت نهرا في الجنة يُدعى الكوثر، فقال: "أَجَلْ، وَعَرْضُهُ - يعني أرضه - يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ وزَبَرْجَدٌ ولُؤْلُؤٌ"(٤٩٧١).

القرآن

{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)} [الكوثر : ٢]

التفسير:

فأخلص لربك صلاتك كلها، واذبح ذبيحتك له وعلى اسمه وحده.

قوله تعالى:{فَصَلِّ لِرَبِّكَ} [الكوثر : ٢]، أي:" فأخلص لربك صلاتك كلها"(٤٩٧٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَصَلِّ لِرَبِّكَ} [الكوثر : ٢]، وجوه:

أحدها : الصلاة المكتوبة، وهي صلاة الصبح بمزدلفة، قاله سعيد بن جبير(٤٩٧٣)، وحجاج(٤٩٧٤)، ومجاهد(٤٩٧٥)، وعطاء(٤٩٧٦)، وعكرمة(٤٩٧٧)، ورواه منصور عن الحكم(٤٩٧٨).

عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة قوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ}، قالوا: صلاة الصبح بجمع"(٤٩٧٩).

الثاني : صلاة العيد ، قاله قتادة(٤٩٨٠)، وعطاء(٤٩٨١)، والربيع(٤٩٨٢).

عن عكرمة: "فصلّ الصلاة، وانحر النُّسُك"(٤٩٨٣).

عن أبي جعفر: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ}، قال: الصلاة; وقال عكرمة: الصلاة ونحر النُّسُك"(٤٩٨٤).

عن عطاء:" {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: تصلي وتنحر"(٤٩٨٥).

قال قتادة:" هي صلاة الأضحى"(٤٩٨٦).

الثالث: معناه: اشكر ربك ، قاله عكرمة(٤٩٨٧).

الرابع: معناه: فصل وادع ربك وسله. قاله الضحاك(٤٩٨٨).

(٤٩٧١) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤.

(٤٩٧٢) التفسير الميسر: ٦٠٢.

(٤٩٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.

(٤٩٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.

(٤٩٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٧٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.

(٤٩٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٨٠) انظر: تفسير عبدالرزق(٣٧١٦):٤٦٦/٣.

(٤٩٨١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٢):ص٣٤٧٠/١٠.

(٤٩٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.

(٤٩٨٣) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.

(٤٩٨٤) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.

(٤٩٨٥) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.

(٤٩٨٦) تفسير عبدالرزق(٣٧١٦):٤٦٦/٣.

(٤٩٨٧) انظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٦.

(٤٩٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٥/٢٤.

عن الضحاك: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: صلّ لربك وسل"[٤٩٨٩].
قوله تعالى:{وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، أي:" واذبح ذبيحتك لله وعلى اسمه وحده"[٤٩٩٠].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، وجوه:
أحدها: اذبح يوم النحر، به قال الحسن[٤٩٩١]، وابن جبير[٤٩٩٢]، وحجاج[٤٩٩٣]، وعكرمة[٤٩٩٤]، ومجاهد[٤٩٩٥]، وقتادة[٤٩٩٦]، وعطاء[٤٩٩٧]، وعكرمة[٤٩٩٨]، والجمهور[٤٩٩٩].
عن عكرمة: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: نحر النسك"[٥٠٠٠].
قال مجاهد:" مناحر البُدن بمِنًى "[٥٠٠١].
عن مجاهد: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: الصلاة المكتوبة، ونحر البُدن"[٥٠٠٢].
عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة قوله: {وَانْحَرْ}، قالوا: نحر البدن بمنى"[٥٠٠٣].
عن سعيد بن جُبير وحجاج، أنهما قالا في قوله: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: صلاة الغداة بجمع، ونحر البُدن بمنًى"[٥٠٠٤].
عن عطاء: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: صلاة الفجر، وانحر البدن"[٥٠٠٥].
عن قتادة: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: نحر البُدن، والصلاة يوم النحر"[٥٠٠٦].
قال قتادة:" صلاة الأضحى، والنحر: نحر البُدن"[٥٠٠٧].
عن الحسن: "{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: الذبح"[٥٠٠٨].
الثاني: وضع اليمنى على اليسرى عند النحر في الصلاة. به قال أبو القموص[٥٠٠٩]، والشعبي[٥٠١٠].
عن أبي القموص، زيد بن علي العبدي :"{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، قال: وضع اليد على اليد في الصلاة"[٥٠١١].
الثالث: يعني : ارفع اليدين عند افتتاح الصلاة، قاله أبو جعفر الباقر[٥٠١٢].

(٤٩٨٩) أخرجه الطبري: ٦٥٥/٢٤.
(٤٩٩٠) التفسير الميسر: ٦٠٢.
(٤٩٩١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٤٩٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٣):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤٩٩٣)انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٤٩٩٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤٩٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤،٦٥٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤٩٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٤٩٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤٩٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٤٩٩٩) انظر: زاد المسير: ٤٩٨/٤. حكاه عن الجمهور.
(٥٠٠٠) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٥٠٠١) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٥٠٠٢) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٥٠٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١١):ص٣٤٧٠/١٠.
(٥٠٠٤) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٥٠٠٥) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٤.
(٥٠٠٦) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٥٠٠٧) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٥٠٠٨) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٥٠٠٩) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤-٦٥٢.
(٥٠١٠) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٨.
(٥٠١١) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢٤-٦٥٢.

عن جابر، عن أبي جعفر :"{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، الصلاة، وانحر: برفع يديه أول ما يكبر في الافتتاح"[٥٠١٣].

عن قبيصة بن هلب، عن أبيه، قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم واضعا يمينه على شماله في الصلاة"[٥٠١٤].

عن وائل بن حجر، قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة قريبا من الرفع، ويرفع يديه حتى يبلغا أذنيه"[٥٠١٥].

عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وهو يصلي واضعا يده اليسرى على اليمنى فنزع اليسرى عن اليمنى ووضع اليمنى على اليسرى"[٥٠١٦].

عن محمد بن إسماعيل السلمي، قال: "صلّيت خلف أبي عارم- أي النعمان- فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت ما هذا؟ فقال: صليت خلف حماد بن زيد فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ فقال: صليت خلف أيوب السجستاني فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صلّيت إلى جنب عطاء بن أبي رياح فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صليت خلف أبي بكر الصديق فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع، فقلت له: ما هذا؟ قال: صلّيت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يرفع يديه حين أفتتح الصلاة وحين ركع وحين رفع رأسه من الركوع"[٥٠١٧].

وعن سليمان التيمي: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} [الكوثر : ٢]، قال: "يعني: وأرفع يديك بالدعاء إلى نحرك"[٥٠١٨].

الرابع: أن المعنى: صل لله، وانحر لله، فإن ناساً يصلون لغيره، وينحرون لغيره، قاله محمد بن كعب القرظي[٥٠١٩].

عن أبي صخر، عن محمد بن كعب القرظي، أنه كان يقول في هذه الآية: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، يقول: إن ناسا كانوا يصلون لغير الله، وينحرون لغير الله، فإذا أعطيناك الكوثر يا محمد، فلا تكن صلاتك ونحرك إلا لي"[٥٠٢٠].

الخامس: أنها أنزلت يوم الحديبية، حين حصر النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وصُدّوا عن البيت، فأمره الله أن يصلي، وينحر البُدن، وينصرف، ففعل. وهذا قول سعيد بن جبير[٥٠٢١].

عن سعيد بن جُبير، قال: "كانت هذه الآية، يعني: قوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}، يوم الحديبية، أتاه جبريل عليه السلام فقال: انحر وارجع، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البُدن فنحرها، فذلك حين يقول: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}"[٥٠٢٢].

(٥٠١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(٥٠١٣) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(٥٠١٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١١/١٠.
(٥٠١٥) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(٥٠١٦) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢٤.
(٥٠١٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣١٢/١٠.
(٥٠١٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٣/١٠.
(٥٠١٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٥٠٢٠) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٤.
(٥٠٢١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٥/٢٤.
(٥٠٢٢) أخرجه الطبري: ٦٥٥/٢٤.

السادس : أنه أراد واستقبل القبلة في الصلاة بنحرك ، قاله أبو الأحوص[٥٠٢٣]، والضحاك[٥٠٢٤]، ومنه قول الشاعر[٥٠٢٥]:

أَبَا حَكَمٍ هَا أَنْتَ عَمُّ مُجَالِدٍ ... وَسَيِّدُ أَهْلِ الأَبْطُحِ الْمُتَنَاحِرِ

أي: المتقابل.

السابع: معناه: ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل، وأبرز نحرك، يعني به الاعتدال. رواه ابن ابي حاتم عن عطاء[٥٠٢٦].

وذكر الثعلبي عن واصل بن السائب، عن عطاء:" أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستوي بين السجدتين جالسا حتى يبدوا نحره"[٥٠٢٧].

كل هذه الأقوال غريبة جدا، والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك ؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العيد، ثم ينحر نسكه ويقول : «من صلى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك. ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له». فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول الله، إني نَسكتُ شاتي قبل الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم. قال : «شاتك شاة لحم». قال : فإن عندي عناقا هي أحب إليَّ من شاتين، أفتجزئ عني ؟ قال : «تجزئك، ولا تجزئ أحدا بعدك»[٥٠٢٨]"[٥٠٢٩].

القرآن

{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر : ٣]

التفسير:

إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور، هو المنقطع أثره، المقطوع من كل خير.

وفي معنى: {الْأَبْتَرُ}، وجوه :

أحدها : أنه الحقير الرقيق الذليل، قاله قتادة[٥٠٣٠].

الثاني : معناه: الفرد الوحيد ، قاله عكرمة[٥٠٣١].

الثالث : أن قريشاً كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده ، قد بتر فلان، فلما مات لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابنه القاسم بمكة ، وإبراهيم بالمدينة، قالوا بتر محمد، فليس له من يقوم بأمره من بعده ، فنزلت الآية ، قاله إبراهيم[٥٠٣٢]، وشمر بن عطية[٥٠٣٣]، والسدي[٥٠٣٤].

(٥٠٢٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٦.

(٥٠٢٤) انظر: الكشف والبيان: ٣١٣/١٠.

(٥٠٢٥)معاني القرآن" ٣/ ٢٩٦. بيت القصيد لبعض بني أسد؛ ذكر ذلك الفراء. وقد ورد البيت في: برواية (ها أنت) بدلًا من (هل أنت)، و"تهذيب اللغة" ٥/ ١٠ (نحر)، و"لسان العرب" ٥/ ١٩٧، و"تاج العروس" ٣/ ٥٥٨، و"تفسير الطبري:٦٩٦/٢٤، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٥٦، و"الكشف والبيان" ٣١٣/١٠، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٤٧، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٣٠، و"شرح أبيات معاني القرآن" ص ١٧٤ س ٣٨٧.

موضع الشاهد: يقال منازلهم تتناحر أي هذا ينحر هذا أي قُبالته.

والمعنى: الأبطح: المتسع العريض، وأبطح الوادي: حصاه اللين في بطن المسيل.

والجلد: القوة والشدة. "شرح أبيات معاني القرآن". المرجع السابق.

(٥٠٢٦) كم في تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٨.

(٥٠٢٧) انظر: الكشف والبيان: ٣١٣/١٠.

(٥٠٢٨)رواه البخاري في صحيحه برقم (٩٨٣) من حديث البراء، رضي الله عنه.

(٥٠٢٩) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٨-٥٠٤.

(٥٠٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٧٢١):ص٤٦٧/٣. ورواية الطبري، بلفظ: «الحقير الذليل».

(٥٠٣١) انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٥٠٥/٨.

(٥٠٣٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٧):ص٣٤٧١/١٠.

قال السدي: "كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل: بتر فلان، فلما مات ولد النبي صلى الله عليه وسلم قال العاصي بن وائل: بتر: والأبتر الفرد"[٥٠٣٥].

عن الزهري، قال: "أول امرأة تزوجها رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي. تزوجها في الجاهلية، وأنكحه إياها أبوها خويلد بن أسد. فولدت لرسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: القاسم، به كان يكنى، والطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. رضي الله عنهم"[٥٠٣٦].

عن مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: "أكبر ولد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. قال مصعب: هم هكذا: الأول فالأول، ثم مات القاسم، وهو أول ميت من ولده، مات بمكة، ثم مات عبد الله، ثم بلغت خديجة خمسا وستين سنة، ويقال خمسين سنة. وهو أصح"[٥٠٣٧].

الخامس : أن الله تعالى لما أوحى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ودعا قريش إلى الإيمان، قالوا ابتتر منا محمد، أي: خالفنا وانقطع عنا، فأخبر الله تعالى رسوله أنهم هم المبترون ، قاله عكرمة[٥٠٣٨]، وشهر بن حوشب[٥٠٣٩].

عن عكرمة، في هذه الآية: "{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا}، قال: نزلت في كعب بن الأشرف، أتى مكة فقال له أهلها: نحن خير أم هذا الصنبور المنبتر من قومه، ونحن أهل الحجيج، وعندنا منحر البدن، قال: أنتم خير. فأنزل الله فيه هذه الآية، وأنزل في الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر}"[٥٠٤٠].

قال عكرمة: "لما أوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قالت قريش: بَتِرَ محمد منا، فنزلت: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال: الذي رماك بالبتر هو الأبتر"[٥٠٤١].

والظاهر أن الأبتر: هو الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه ينقطع ذكره، وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد[٥٠٤٢].

واختلف في المراد من قريش بقوله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه أبو لهب ، قاله عطاء[٥٠٤٣].

قال عطاء : "نزلت في أبي لهب، وذلك حين مات ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب أبو لهب إلى المشركين وقال : بُتِرَ محمد الليلة. فأنزل الله في ذلك :{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}"[٥٠٤٤].

الثاني : أبو جهل، قاله عطاء-أيضا-[٥٠٤٥].

(٥٠٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤.

(٥٠٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٤):ص٣٤٧٠/١٠-٣٤٧١.

(٥٠٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١٤):ص٣٤٧٠/١٠-٣٤٧١.

(٥٠٣٦) دلائل النبوة للبيهقي: ٦٨/٢-٦٩.

(٥٠٣٧) دلائل النبوة للبيهقي: ٧٠/٢-٧١.

(٥٠٣٨) انظر: الطبري: ٦٥٧/٢٤-٦٥٨، والنكت والعيون: ٣٥٦/٦.

(٥٠٣٩) انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦.

(٥٠٤٠) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤-٦٥٨.

(٥٠٤١) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٤.

(٥٠٤٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٥/٨.

(٥٠٤٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦، وزاد المسير: ٤٩٨/٤.

(٥٠٤٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٨.

(٥٠٤٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٦):ص٣٤٧١/١٠.

الثالث : أنه العاص بن وائل، قاله سعيد بن جبير[٥٠٤٦]، ومجاهد[٥٠٤٧]، وقتادة[٥٠٤٨]، وعكرمة[٥٠٤٩].

قال سعيد بن جبير:" عدوّك العاص بن وائل انبتر من قومه"[٥٠٥٠].

عن مجاهد: "{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال: العاص بن وائل، قال: أنا شانئٌ محمدا، ومن شنأه الناس فهو الأبتر"[٥٠٥١].

قال قتادة:" هذا العاص بن وائل، بلغنا أنه قال: أنا شانئُ محمد"[٥٠٥٢].

عن قتادة: "{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال: هو العاص بن وائل، قال: أنا شانئٌ محمدا، وهو أبتر، ليس له عقب، قال الله: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ}، قال قتادة: الأبتر: الحقير الدقيق الذليل"[٥٠٥٣].

وروي عن محمد بن علي، قال: "كان القاسم بن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، قد بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيب، فلما قبضه الله، عز وجل، قال عمرو بن العاص: لقد أصبح محمد أبتر من ابنه. فأنزل الله تعالى على نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم-: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، عوضا يا محمد بن نصيبك بالقاسم، {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر : ٢ - ٣]"[٥٠٥٤].

الرابع: أنه عنى به جماعة من قريش، وهم الذين قالوا: ابتتر منا محمد، أي: خالفنا وانقطع عنا. قاله ابن عباس-في رواية-[٥٠٥٥]، وعكرمة-أيضا-[٥٠٥٦].

الخامس : أنه عقبة بن أبي معيط. قاله إبراهيم[٥٠٥٧]، وشمر بن عطية[٥٠٥٨].

عن شهر بن عطية عن إبراهيم، قال:" كان عقبة بن أبي معيط، يقول: إنه لا يبقى النبي صلى الله عليه وسلم ولد، وهو أبتر. فأنزل الله فيه: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر : ٣]"[٥٠٥٩].

عن شمر بن عطية، قال: "كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبيّ صلى الله عليه وسلم ولد، وهو أبتر، فأنزل الله فيه هؤلاء الآيات: {إِنَّ شَانِئَكَ}: عقبة بن أبي معيط، {هُوَ الأَبْتَرُ}"[٥٠٦٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مُبغض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأقلّ الأذلّ، المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه"[٥٠٦١]، و أكثر المفسرين أن المراد به هو العاص بن وائل السهمي، كان إذا ذكر له رسول الله قال: دعوا ذكره، فإنه أبتر يعني: أنه لا ولد له[٥٠٦٢].

«آخر تفسير سورة (الكوثر)، والحمد لله وحده»

(٥٠٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٤، وزاد المسير: ٤٩٨/٤.

(٥٠٤٧) انظر: زاد المسير: ٤٩٨/٤.

(٥٠٤٨) انظر: زاد المسير: ٤٩٨/٤.

(٥٠٤٩)انظر: النكت والعيون: ٣٥٦/٦.

(٥٠٥٠) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٤.

(٥٠٥١) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٤-٦٥٧.

(٥٠٥٢) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤.

(٥٠٥٣) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤.

(٥٠٥٤) رواه البيهقي في "دلائل النبوة": ٦٩/٢-٧٠. وقال:" كذا روي بهذا الإسناد، وهو ضعيف. والمشهور أن الآية نزلت في أبيه".

(٥٠٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٤.

(٥٠٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٤.

(٥٠٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥١٧):ص٣٤٧١/١٠.

(٥٠٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢٤، وزاد المسير: ٤٩٨/٤.

(٥٠٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥١٧):ص٣٤٧١/١٠.

(٥٠٦٠) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٤.

(٥٠٦١) تفسير الطبري: ٦٥٨/٢٤.

(٥٠٦٢) تفسير السمعاني: ٢٩٣/٦.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الكافرون»

«سورة الكافرون»: هي السورة التاسعة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الماعون»، وقبل «سورة الفيل»، آياتها ست بالإجماع. وكلماتها ثمان وعشرون. وحروفها أربع وتسعون. فواصل آياتها على: «النون»[٥٠٦٣].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكّيّة، قله ابن عباس[٥٠٦٤]، وابن مسعود[٥٠٦٥]، والحسن[٥٠٦٦]، وعكرمة[٥٠٦٧]، والجمهور[٥٠٦٨].

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة: {قل يا أيها الكافرون} بمكة"[٥٠٦٩].

الثاني: أنها مدنيّة، في قول ابن الزبير[٥٠٧٠]، وقتادة[٥٠٧١]، والضحاك[٥٠٧٢]. وهو أحد قولي ابن عباس[٥٠٧٣].

عن ابن الزبير، قال: "أنزلت بالمدينة: {قل يا أيها الكافرون}"[٥٠٧٤].

قال ابن عطية:" هي مكية إجماعا"[٥٠٧٥].

قال أبو حيان:" هذه مكية في قول الجمهور"[٥٠٧٦].

(٥٠٦٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٤٨/١.

(٥٠٦٤) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٠٦٥) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.

(٥٠٦٦) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦، وزاد المسير: ٤٩٩/٤.

(٥٠٦٧) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.

(٥٠٦٨) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤، و المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.

(٥٠٦٩) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٠٧٠) انظر: الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٠٧١) انظر: زاد المسير: ٤٩٩/٤.

(٥٠٧٢) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.

(٥٠٧٣) انظر: النكت والعيون: ٣٥٧/٦.

(٥٠٧٤) الدر المنثور: ٦٥٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٠٧٥) المحرر الوجيز: ٥٣١/٥.

(٥٠٧٦) البحر المحيط في التفسير: ٥٥٨/١٠.

القرآن

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)} [الكافرون : ١ - ٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للذين كفروا بالله ورسوله: يا أيها الكافرون بالله، لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والآلهة الزائفة، ولا أنتم عابدون ما أعبد من إله واحد، هو الله رب العالمين المستحق وحده للعبادة، ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام والآلهة الباطلة، ولا أنتم عابدون مستقبلا ما أعبد. لكم دينكم الذي أصررتم على اتباعه، ولي ديني الذي لا أبغي غيره.

اختلفوا في سبب نزول السورة، على ثلاثة أقوال :

أحدها: عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" أن قريشا دعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجونه ما أراد من النساء ويطأون عقبه، فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد, وكف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بشر؛ فإن بغضت فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح قال: «وما هي؟» قال: تعبد إلهنا سنة اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة قال: «حتى أنظر ما يأتيني من ربي»، فجاء الوحي من عند الله عز وجل من اللوح المحفوظ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ١ - ٢]، السورة، وأنزل الله تعالى: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} [الزمر: ٦٤]، {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر : ٦٦] [الزمر: ٦٦]"(٥٠٧٧).

الثاني: عن سعيد بن مينا مولى البَختري، قال: "لقي الوليد بن المُغيرة والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأميَّة بن خلف ، رسولَ الله ، فقالوا : يا محمد ! هلمّ فلنعبد ما تعبد ، وتعبدْ ما نعبد ، ونُشركك في أمرنا كله ، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شَرِكناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ; وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك كنت قد شَرِكتنا في أمرنا ، وأخذت منه بحظك ، فأنزل الله : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، حتى انقضت السورة (٥٠٧٨).

الثالث: عن وهب، قال : "قالت كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم، إن سرك أن نتبعك عاما ونرجع إلى ديننا عاما، فأنزل الله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)} [الكافرون : ١ - ٢]، إلى آخر السورة"(٥٠٧٩).

(٥٠٧٧)رواه ابن أبي حاتم(١٩٥١٨):ص٣٤٧١/١٠، والطبري (٦٦٢/٢٤)، والطبراني في " المعجم الصغير " (٧٥١):ص٤٤/٢.

جميعهم من طريق أبي خلف عبد الله بن عيسى الخزاز الحداد ، ثنا داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وقال الطبراني : لم يروه عن داود بن أبي هند إلا عبد الله بن عيسى ... أحاديثه أفراد كلها . انتهى.

وعبد الله بن عيسى الخزاز ضعيف عند عامة العلماء ، لا سيما رواياته عن داود بن أبي هند.

انظر ترجمته في " تهذيب التهذيب " (٣٥٣/٥).

عزاه إليه في زاد المسير: ٤٩٩/٤، وأبو صالح ليس بثقة، ورواية الكلبي وأبي صالح عن ابن عباس في التفسير ليس له أصل عنه. راجع ترجمتهما في «الميزان».

(٥٠٧٨) رواه ابن أبي حاتم(١٩٥١٩)ً:٣٤٧١/١٠، والطبري :(٦٦٢/٢٤)، قال : حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثني سعيد بن مينا مولى البَختري به.

وسعيد بن ميناء من أوساط التابعين ، فروايته مرسلة ضعيفة.

(٥٠٧٩) أخجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٧٢٣):ص٤٦٩/٣، وانظر: الدر المنثور: ٦٥٥/٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- : "أن قريشا قالت : لو استلمت آلهتنا لعبدنا إلهك، فأنزل الله : {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١]، السورة كلها"(٥٠٨٠).

وقال مقاتل:" نزلت في المستهزئين من قريش، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قرأ بمكة : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} [النجم : ١]، فلما قرأ : {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى } [النجم : ١٩-٢٠] ألقى الشيطان على لسانه، في وسنه، فقال: تلك الغرانيق العلا، عندها الشفاعة ترتجى، فقال أبو جهل ابن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والمستهزءون من قريش عشيا في دبر الكعبة لا تفارقنا يا محمد إلا على أحد الأمرين تدخل معك في بعض دينك ونعبد إلهك، وتدخل معنا في بعض ديننا وتعبد آلهتنا، أو تتبرأ من آلهتنا ونتبرأ من إلهك، فأنزل الله- عز وجل- فيهم تلك الساعة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون : ١]، إلى آخر السورة"(٥٠٨١).

والحاصل أن الآثار السابقة – وإن ضعفت أسانيد أفرادها – إلا أنها تتقوى بمجموعها ، ويشهد بعضها لبعض ، خاصة وأنه ليس في متنها ما يستنكر ، ووافقت ظاهر القرآن الكريم

«آخر تفسير سورة (الكافرون)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٥٠٨٠)الدر المنثور:٨ /٦٥٥، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

(٥٠٨١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٨٧/٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النصر»

«سورة النصر»: هي السورة العاشرة بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الحشر»، وقبل «سورة النور»، وهذا جار على رواية: «أنها نزلت عقب غزوة خيبر». وعن ابن عباس: «أنها آخر سورة نزلت من القرآن»[٥٠٨٢]، فتكون على قوله السورة المائة وأربع عشرة –حسب ترتيب النزول-، نزلت بعد «سورة براءة»، ولم تنزل بعدها سورة أخرى.

وعدد آياتها ثلاث. وكلماتها ست وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. فواصل آياتها على «الحاء» و«الألف». وليس في القرآن آية على «الحاء» غير {الْفَتْحُ} [النصر : ١][٥٠٨٣].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: " أنزل بالمدينة: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}"[٥٠٨٤].

عن ابن الزبير قال: "أنزل: {{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ}، بالمدينة"[٥٠٨٥].

عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة :{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} كلها بالمدينة بعد فتح مكة، ودخولها الناس في الدين، ينعي إليه نفسه"[٥٠٨٦].

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع"[٥٠٨٧].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة بإجماعهم"[٥٠٨٨].

قال الزمخشري:" نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية، وهي آخر ما نزل من السور"[٥٠٨٩].

قال أبو حيان:" هذه مدنية، نزلت منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر، وعاش بعد نزولها سنتين"[٥٠٩٠].

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: "قال لي ابن عباس: تعلم - وقال هارون: تدري - آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعا؟ قلت: «نعم، {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}»، قال: صدقت"[٥٠٩١].

وعن ابن عمر، قال: "نزلت هذه الآية: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق، وعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرحلت له فركب فوقف بالعقبة واجتمع الناس فذكر الحديث في وضع الدم والربا واستدارة الزمان، ثم قال: وإنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما، وذلك أنهم كانوا يجعلون صفر عاما حراما، وعاما حلالا، وعاما حراما، وذلك النسيء. أيها الناس! من كانت عنده وديعة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، أيها الناس! إنه لا يحل لامرئ من مال أخيه شيء إلا ما طابت به نفسه وذكر الحديث"[٥٠٩٢].

(٥٠٨٢)أخرجه مسلم (٣٠٢٤).

(٥٠٨٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٠/١.

(٥٠٨٤) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٠٨٥) الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٠٨٦) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤.

(٥٠٨٧) المحرر الوجيز: ٥٣٢/٥.

(٥٠٨٨) زاد المسير: ٥٠١/٤.

(٥٠٨٩) الكشاف: ٨١٠/٤.

(٥٠٩٠) البحر المحيط في التفسير: ٥٦٢/١٠.

(٥٠٩١)صحيح، أخرجه مسلم (٣٠٢٤) والنسائي في «التفسير» ٧٣٣ عن ابن عباس به.

(٥٠٩٢) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وانظر: الدر المنثور: ٦٥٩/٨، وزاد نسبة إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه.

عن ابن عباس رضي الله عنه، في قول الله عز وجل: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١]، قال: «فتح مكة، نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، فاستغفر ربك، واعلم أنه قد حضر أجلك»[٥٠٩٣].

فهذه السورة مدنية بالاتفاق. واختلف في وقت نزولها، على أقوال:

فقيل: نزلت منصرف النبي -صلى الله عليه وسلم- من خيبر –أي: في سنة سبع-، ويؤيده ما رواه الطبري والطبراني عن ابن عباس، قال: «لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} السورة، نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت، فأخذ في أشد ما كان اجتهادا من أمر الآخرة، ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك: «جاء نصر الله وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن». فقال له رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: «قوم رقيقة أفئدتهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان»[٥٠٩٤].

ومجيء أهل اليمن أول مرة هو مجيء وفد الأشعريين عام غزوة خيبر.

ولم يختلف أهل التفسير أن المراد بالفتح في الآية هو فتح مكة، وعليه فالفتح مستقبل ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبل أيضا وهو الأليق باستعمال {إذا}، ويحمل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «جاء نصر الله والفتح» على أنه استعمال الماضي في معنى المضارع
لتحقق وقوعه أو لأن النصر في خيبر كان بادرة لفتح مكة.

قال ابن عباس:" هذه السورة عَلَمٌ وحَدٌّ حدّه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، ونعى له نفسه. إي إنك لن تعيش بعدها إلا قليلا"[٥٠٩٥].

قال قتادة: "والله ما عاش، بعد ذلك إلا قليلا سنتين، ثم توفي صلى الله عليه وسلم"[٥٠٩٦].

ونقل الواحدي عن ابن عباس: أنها «نزلت في منصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- من غزوة حنين، وعاش بعد نزولها سنتين»[٥٠٩٧].

فيكون الفتح قد مضى ودخول الناس في الدين أفواجا مستقبلا، وهو في سنة الوفود سنة تسع، وعليه تكون {إذا} مستعملة في مجرد التوقيت دون تعيين.

وروى عن ابن عمر أنها :«نزلت أواسط أيام التشريق»[٥٠٩٨]، أي: عام حجة الوداع، وإن صحت هذه الرواية، كان الفتح ودخول الناس في الدين أفواجا قد مضيا.

وفي عمدة القاري:« أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عاش بعد حجة الوداع نحوا من ثلاثة أشهر»[٥٠٩٩]. وعليه تكون {إذا} مستعملة للزمن الماضي، لأن الفتح ودخول الناس في الدين قد وقعا.

(٥٠٩٣) المعجم الأوسط للطبراني(٥٢٤):ص١٦٧/١.

(٥٠٩٤) المعجم الأوسط للطبراني(١٩٩٦):ص٢٨٤/٢.

(٥٠٩٥) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٥٠٩٦) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٥٠٩٧) أسباب النزول للواحدي: ٤٩٧.

عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ، وأنزل الله تعالى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح }، قال: يا علي بن أبي طالب ويا فاطمة! قد جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبحان ربي وبحمده، وأستغفره إنه كان توابا".

ضعيف: قال البخاري: عبد الله بن كيسان له ابن يسمى إسحاق منكر الحديث وقال ابن حبان:
يتقى حديث عبد الله بن كيسان من رواية ابنه عنه.
والحديث عزاه السيوطي في الدر (٦/ ٤٠٧) للطبراني؟

(٥٠٩٨) أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة": ٤٤٧/٥. وضعفه ابن رجب بأن فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. وقال أحمد بن حنبل: لا تحل الرواية عنه.

(٥٠٩٩) انظر: عمدة القاري: ٢٦٤/١.

ومن الآيات القرآنية التي أشارت إلى قرب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى :{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً} [المائدة:٣]، أخرج الطبري(١١٠٨٣)ص:٥١٩/٩ بسنده، قال :حدثنا سفيان قال حدثنا ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت: اليوم أكملت لكم دينكم وذلك يوم الحج الأكبر بكى عمر، فقال له النبي

وقد تظافرت الأخبار رواية وتأويلا أن هذه السورة تشتمل على إيماء إلى اقتراب أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في ذلك ما يرجح أحد الأقوال في وقت نزولها إذ لا خلاف في أن هذا الإيماء يشير إلى توقيت بمجيء النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا فإذا حصل ذلك حان الأجل الشريف.

وفي حديث ابن عباس في «صحيح البخاري» :«هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١]: فتح مكة، فذاك علامة أجلك: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]» [٥١٠٠].

قال ابن عباس: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ}، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، فقال: «إنه قد نعيت إلي نفسي» فبكت، فقال: «لا تبكين، فإنك لأول أهلي لاحق بي» ، فضحكت. فرآها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت لها: رأيناك بكيت، ثم ضحكت. فقالت: إنه قال لي: «نعيت إلي نفسي» فبكيت، فقال: «لا تبكي، فإنك أول أهلي لاحق بي»، فضحكت"[٥١٠١].

وفي هذا الحديث ما يؤول من إشارة إلى اقتراب ذلك الأجل، فإن قوله: «لما نزلت» مدرج من الراوي، وإنما هو إعلام لها في مرضه كما جاء في حديث الوفاة في «الصحيحين» فهذا جمع بين ما يلوح منه تعارض في هذا الشأن[٥١٠٢].

قال البيهقي:" مجموع هذه الأخبار الصحيحة تدل على أن الله تعالى: أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه السورة. فكانت علامة لاقتراب أجله. وعارضه جبريل- عليه السلام- بالقرآن في ذلك العام مرتين، فكانت علامة أخرى لأجله، وأخبره بعمر عيسى عليه السلام، فكانت علامة أخرى لأجله، وخيره بين الدنيا والآخرة فيما روينا، وفيما نرويه إن شاء الله فاختار الآخرة. فكانت علامة أخرى لأجله"[٥١٠٣].

صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت".

قال ابن كثير:" كانت وفاته -عليه السلام- بعد أحد وثمانين يوما من يوم الحج الأكبر ". [البداية والنهاية ٥/ ١١٧]

(٥١٠٠) رواه البخاري (٤٢٩٤):ص١٤٩/٥، والبيهقي في "دلائل النبوة: ٤٤٦/٥.

نص الحديث:

عن ابن عباس، قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقالوا: لم تدخل أو تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فرأيته دعاني يومئذ ليريهم مني فقال: ما تقولون في {إذا جاء نصر الله والفتح}، إلى آخر السورة، قال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا فتح الله علينا، قال: وسكت بعضهم، فقال عمر: كذلك تقول يا ابن عباس؟ قلت: هو أجل النبي صلى الله عليه وسلم أعلمه إياه: {إذا جاء نصر الله والفتح} فذلك علامة أجلك، {فسبح بحمد ربك واستغفره}، فقال عمر: ما أعلم منها إلا تعلم".

(٥١٠١) المعجم الأوسط للطبراني(٨٨٣):ص٢٧١/١، و"دلائل النبوة، للبيهقي: ١٦٧/٧

(٥١٠٢) انظر: روح المعاني: ٤٩١/١٥، والتحرير والتنوير: ٥٨٨/٣٠-٥٨٩.

(٥١٠٣) دلائل النبوة: ١٦٧/٧.

القرآن

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١)} [النصر : ١]

التفسير:

إذا تمَّ لك -أيها الرسول- النصر على كفار قريش، وتم لك فتح «مكة».

وفي هذا الفتح، قولان [٥١٠٤]:

أحدهما : فتح المدائن والقصور، قاله سعيد ابن جبير[٥١٠٥].

الثاني : فتح مكة ، قاله الحسن[٥١٠٦]، ومجاهد[٥١٠٧].

عن مجاهد: "{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}: يعني : فتح مكة"[٥١٠٨].

قال الحسن:" لما فتح الله على رسوله مكة قالت العرب بعضهم لبعض: ليس لكم بهؤلاء القوم يدان. فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجا، أي: قبائل قبائل"[٥١٠٩]، وفي لفظ: "أمة أمة"[٥١١٠].

قال الضحاك : "والأمة: أربعون رجلاً"[٥١١١].

والمراد بـ«الفتح» -هاهنا-: فتح مكة قولا واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوّم بإسلامها فتح مكة، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، ولله الحمد والمنة. وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال : «لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت الأحياء تَتَلَوّمُ بإسلامها فتح مكة، يقولون : دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي. الحديث»[٥١١٢]"[٥١١٣].

القرآن

{وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)} [النصر : ٢]

التفسير:

ورأيت الكثير من الناس يدخلون في الإسلام جماعات جماعات.

عن مجاهد: "{فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}، قال: يعني: زُمرًا زُمرًا، فعند ذلك موتك يا محمد"[٥١١٤].

قال الحسن: "لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، قالت العرب بعضها لبعض: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله سبحانه أجارهم من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فكانوا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أفواجاً"[٥١١٥].

عن أبي عمار، حدثني جار لجابر بن عبد الله، قال : "قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله، فسلم عليّ، فجعلت أحدّثهُ عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا، وسيخرجون منه أفواجًا"[٥١١٦].

(٥١٠٤) قال الماوردي :وقيل: أن المراد بالفتح: "ما فتحه عليه من العلوم" . [النكت والعيون: ٣٦٠/٦].

(٥١٠٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٠/٦.

(٥١٠٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٠/٦، وتفسير ابن فورك: ٢٩٤/٣.

(٥١٠٧)انظر: تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٤، تفسير مجاهد: ٧٥٨.

(٥١٠٨) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٤. وانظر: تفسير مجاهد: ٧٥٨.

(٥١٠٩) عزاه إليه ابن أبي زمنين في "التفسير": ١٧٠/٥.

(٥١١٠) نقلا عن: النكت والعيون : ٣٦٠/٦.

(٥١١١) نقلا عن: النكت والعيون : ٣٦٠/٦.

(٥١١٢)صحيح البخاري برقم (٤٣٠٢).

(٥١١٣) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٨.

(٥١١٤) تفسير مجاهد: ٦٧٨، وتفسير الطبري: ٦٦٨/٢٤.

(٥١١٥) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٢٠/١٠.

القرآن

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)} [النصر : ٣]

التفسير:

إذا وقع ذلك فتهيأ للقاء ربك بالإكثار من التسبيح بحمده والإكثار من استغفاره، إنه كان كثير التوبة على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم.

قوله تعالى:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} [النصر : ٣]، أي:" إذا وقع ذلك فتهيأ للقاء ربك بالإكثار من التسبيح بحمده والإكثار من استغفاره"(٥١١٧).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٥١١٨).

عن المسيّب -من طريق الهُذيل- قال: "{سُبْحانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"(٥١١٩).

عن أبي العالية، قال: "لما نزلت: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}، ونعيت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم نفسه، كان لا يقوم من مجلس يجلس فيه حتى يقول: «سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»"(٥١٢٠).

عن معمر، عن الحسن، قال: "كان إذا قرأ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: ١] قال: «أجيب رسول الله وقورب له فقارب، والله ما قورب له، والحمد لله الذي أقر بعينه وأسرع به إلى كرامته، وحيث وعد بحظه"(٥١٢١).

عن الحسن، قال: "لمّا أُنزِل على النبي - صلى الله عليه وسلم -: {إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا} قال: قرب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أجلُه، وأُمر بكثرة التسبيح والاستغفار"(٥١٢٢).

قال الضحاك:" كانت هذه السورة آية لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٥١٢٣).

عن مجاهد :{وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}، قال: اعلم أنك ستموت عند ذلك"(٥١٢٤).

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر : ٣]، أي:" إنه كان كثير التوبة على المسبحين والمستغفرين، يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم"(٥١٢٥).

روي عن أبي زرعة قال: "إن أول شيء كتب: أنا التواب أتوب على من تاب"(٥١٢٦).

عن ابن شهاب قال: "قراءة {قل يا أيها الكافرون}، {إذا جاء نصر الله والفتح}، فإنهما يغنيان من الفقر"(٥١٢٧).

«آخر تفسير سورة (النصر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٥١١٦)المسند (٣٤٣/٣).

(٥١١٧) التفسير الميسر: ٦٠٣.

(٥١١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٥١١٩)أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٨٧ -.

(٥١٢٠) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٤-٦٧١.

(٥١٢١) تفسير عبدالرزاق(٣٧٢٤):ص٤٧٠/٣.

(٥١٢٢)أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ١٧٢.

(٥١٢٣) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤.

(٥١٢٤) أخرجه الطبري: ٦٧١/٢٤، وانظر: تفسير مجاهد: ٧٥٨.

(٥١٢٥) التفسير الميسر: ٦٠٣.

(٥١٢٦)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٣):ص٨٩٦/٣

(٥١٢٧) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٩):ص٣٦/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المسد»

«سورة المسد»: هي السورة الحادية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفاتحة»، وقبل «سورة التكوير»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها سبع وسبعون. فواصل آياتها: «دب»[٥١٢٨].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال:" أنزلت: **{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}**، بمكة"[٥١٢٩]. وروي عن ابن الزبير[٥١٣٠]، وعائشة[٥١٣١] مثله.

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع "[٥١٣٢].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٥١٣٣].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٥١٣٤].

(٥١٢٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٢/١.

(٥١٢٩) الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥١٣٠) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥١٣١) انظر: الدر المنثور: ٦٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥١٣٢) المحرر الوجيز: ٥٣٤/٥.

(٥١٣٣) زاد المسير: ٥٠٢/٤.

(٥١٣٤) التحرير والتنوير: ٥٩٩/٣٠.

القرآن

{تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)} [المسد : ١]

التفسير:

خسرت يدا أبي لهب وشقي بإيذائه رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد تحقق خسران أبي لهب.

اختلف في سبب نزولها في أبي لهب على ثلاثة أقوال :

أحدها : ما رواه ابن عباس، قال: «لما أنزل الله عز وجل: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِين} [الشعراء: ٢١٤] ، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا، فصعد عليه، ثم نادى: " يا صباحاه " فاجتمع الناس إليه، بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا يا بني يا بني. . . أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟ " قالوا: نعم قال: " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله عز وجل: {تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد : ١]»[٥١٣٥].[صحيح]

الثاني : ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي -صلى الله عليه وسلم - فقال : "ماذا أُعطى يا محمد إن آمنت بك؟ قال؟ «كمَا يُعْطَى المُسْلِمُون»، فقال: مالي عليهم فضل؟ قال: «وأيّ شَيْءٍ تَبْتَغِي؟» قال: تبا لهذا من دين تبا، أن أكون أنا وهؤلاء سواء، فأنزل الله: {تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ}، يقول: بما عملت أيديهم"[٥١٣٦].

الثالث : ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان:" أنه كان إذا وفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وفدٌ انطلق إليهم أبو لهب ، فيسألونه عن رسول الله ويقولون : أنت أعلم به ، فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر ، فيرجعون عنه ولا يلقونه ، فأتاه وفد ، ففعل معهم مثل ذلك ، فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه ، فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتبّاً له وتعساً ، فأخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم - فاكتأب له ، فأنزل الله تعالى: {تَبَّتْ} السورة"[٥١٣٧].

قوله تعالى:{تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ} [المسد : ١]، أي:" خسرت يدا أبي لهب وشقي بإيذائه رسول الله محمدا -صلى الله عليه وسلم-"[٥١٣٨].

وفي تفسير قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ} [المسد : ١]، وجوه:

(٥١٣٥) أخرجه أحمد في المسند(٢٨٠١):ص١٧/٥، وأخرجه الطبري٦٧٦/٢٤، وابن منده في "الإيمان" (٩٥٠) ، والبيهقي في "الدلائل" ١٨١/٢-١٨٢ من طريق عبد الله بن نمير، بهذا الإسناد.

وأخرجه بنحوه البخاري (٤٩٧١) ، ومسلم (٢٠٨) (٣٥٥) ، والطبري ١٢١/١٩، وابن حبان (٦٥٥٠) ، وابن منده (٩٤٩) و (٩٥٠) ، والبيهقي في "الدلائل " ١٨١/٢-١٨٢، والبغوي في "شرح السنة" (٣٧٤٢) ، وفي "معالم التنزيل" ٤٠٠/٣-٤٠١ من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، والبخاري (٤٧٧٠) ، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٢٦) ، والبغوي في "معالم التنزيل" ٤٠١/٣ من طريق حفص بن غياث، كلاهما عن الأعمش، به.

وأخرجه مختصرا البخاري (٣١٩٤) و (٣٥٢٥) و (٤٩٧٣) من طريق حفص بن غياث، عن الأعمش، به- الموضع الأول والثالث بقصة أبي لهب، والموضع الثاني بقصة نزول (وأنذر عشيرتك الأقربين) ومناداته لبطون قريش.

وأخرجه أيضا مختصرا بقصة نزول (وأنذر عشيرتك الأقربين) : البخاري (٣٥٢٦) ، والنسائي في "اليوم والليلة" (٩٨٢) ، والطبري ٦٧٦/٢٤-٦٧٧، والطبراني (١٢٣٥٢) ، وابن منده (٩٥٢) من طريق حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، به. وانظر المسند (٢٥٤٤) .

قوله: "يا صباحاه"، قال في "اللسان": هذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة، لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه، يقول: قد غشينا العدو.

وقوله: "بسفح هذا الجبل"، قال السندي: بفتح سين وسكون فاء، قيل: هو بسين وصاد: أسفله ووجهه، وقيل: بالسين: عرضه، وبالصاد: جانبه.

(٥١٣٦) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤.

(٥١٣٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.

(٥١٣٨) التفسير الميسر: ٦٠٣.

أحدها : أي: معناه: خسرت يدا أبي لهب. قاله قتادة[٥١٣٩]، ومنه قول الشاعر[٥١٤٠]:
تواعَدَني قوْمي ليَسْعوْا بمهجتي ... بجارية لهم تَبّا لهم تبّاً[٥١٤١].
قال قتادة:" خسرت يدا أبي لهب وخسر"[٥١٤٢].
الثاني : ضلّت ، وهو قول عطاء[٥١٤٣].
الثالث : هلكت ، قاله ابن جبير[٥١٤٤].
الرابع : صفِرت من كل خير ، قاله يمان بن رئاب[٥١٤٥].
حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء: "أنه لما قتل عثمان بن عفان سمع الناس هاتفاً يقول :
لقد خلّوْك وانصدعوا ... فما آبوا ولا رجعوا
ولم يوفوا بنذرهمُ ... فيا تبًّا لما صَنعوا"[٥١٤٦].
قال الحسن: "إنما سمي أبا لهب، من حسنه"[٥١٤٧].
وقيل إنه" كني أبا لهب لحُسنه وتلهّب وجنته"[٥١٤٨].
قوله تعالى:{وَتَبَّ} [المسد : ١]، أي:" وقد تحقق خسران أبي لهب"[٥١٤٩].
وفي قوله: {وتَبَّ} [المسد : ١]، وجهان من التفسير :
أحدهما : أنه تأكيد للأول من قوله: {تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ}، فقال بعده: {وتَبَّ}، تأكيداً.
عن قتادة: {تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ}، قال:" خسرت يدا أبي لهب وخسر"[٥١٥٠].
الثاني : يعني: وتبّ ولد أبي لهب، قاله مجاهد[٥١٥١].
وفي قراءة ابن مسعود : « تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وَقَدْ تَب»، جعله خبراً ، وهي على قراءة غيره تكون دعاء كالأول[٥١٥٢].

القرآن
{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)} [المسد : ٢]
التفسير:
ما أغنى عنه ماله وولده، فلن يَرُدَّا عنه شيئًا من عذاب الله إذا نزل به.
عن مجاهد :"{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}، قال: ما كسب ولده"[٥١٥٣].
قال مجاهد:" ولده هم من كسبه"[٥١٥٤].

(٥١٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٥/٢٤.
(٥١٤٠) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٥١٤١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٥١٤٢) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤-٦٧٦.
(٥١٤٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٥١٤٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٥١٤٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٥١٤٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٥١٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٥):ص٣٤٧٣/١٠.
(٥١٤٨) انظر: النكت والعيون: ٣٦٤/٦.
(٥١٤٩) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(٥١٥٠) أخرجه الطبري: ٦٧٥/٢٤-٦٧٦.
(٥١٥١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٥/٦.
(٥١٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٥/٢٤، والنكت والعيون: ٣٦٥/٦.
(٥١٥٣) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٥١٥٤) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.

وعن قتادة: "عمله الذي ظن أنه منه على شيء، كقوله: {وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ}"[٥١٥٥].

قالت عائشة-رضي الله عنها-:" أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ابنه من كسبه، ثم قرأت: {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}، قالت: {وَمَا كَسَبَ}: ولده"[٥١٥٦].

عن أبي الطفيل، قال: "جاء بنو أبي لهب إلى ابن عباس، فقاموا يختصمون في البيت، فقام ابن عباس، فحجز بينهم، وقد كُفّ بصره، فدفعه بعضهم حتى وقع على الفراش، فغضب، وقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث"[٥١٥٧].

القرآن

{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤)} [المسد : ٣-٤]

التفسير:

سيدخل نارًا جهنم ذات اللَّهب المشتعل، هو وامرأته التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأذيَّته.

قوله تعالى:{سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد : ٣]، أي:" سيدخل نارًا جهنم ذات اللَّهب المشتعل"[٥١٥٨].

عن ابن كيسان:{سَيَصْلَى}" صلي النار، أي: حطبا ووقودا"[٥١٥٩].

قوله تعالى:{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد : ٤]، أي:" هو وامرأته التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأذيَّته"[٥١٦٠].

وفي قوله تعالى: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد : ٤]، أربعة وجوه:

أحدها : أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي - صلى الله عليه وسلم- ليلاً ، ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة. قاله الضحاك[٥١٦١].

قال الضحاك:" كانت تحمل الشوك، فتلقيه على طريق نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعقِره"[٥١٦٢].

عن أبي إسحاق:" عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد، أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبيّ صلى الله عليه وسلم الشوك، فنزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ... وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}"[٥١٦٣].

عن عطية الجدلّي:"{حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}، قال: كانت تضع العضاه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنما يطأ به كثيبا"[٥١٦٤].

الثاني : أنها كانت تعيِّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالفقر ، فكان يحتطب فعُيِّرتْ بأنها كانت تحتطب، قاله قتادة[٥١٦٥].

(٥١٥٥) عزاه إليه الزمخشري في "الكشاف": ٨١٥/٤.
(٥١٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٦):ص٣٤٧٣/١٠.
(٥١٥٧) أخرجه الطبري: ٦٧٧/٢٤.
(٥١٥٨) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(٥١٥٩) النكت والعيون:٣٦٦/٦.
(٥١٦٠) التفسير الميسر: ٦٠٣.
(٥١٦١) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(٥١٦٢) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤.
(٥١٦٣) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٤.
(٥١٦٤) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٤-٦٧٩.
(٥١٦٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٦، وزاد المسير: ٥٠٣/٤.

الثالث : أنها كانت تحتطب الكلام وتمشي بالنميمة، قاله الحسن[٥١٦٦]، ومجاهد[٥١٦٧]، وعكرمة[٥١٦٨]، وقتادة[٥١٦٩]، والسدي[٥١٧٠]، فسمي الماشي بالنميمة: حمال الحطب، لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب، قال الشاعر[٥١٧١]:

إنّ بني الأدْرَمِ حَمّالو الحَطَبْ ... هم الوُشاةُ في الرِّضا وفي الغَضَبْ
عليهمُ اللعْنةُ تَتْرى والحرَبْ

وقال آخر [٥١٧٢]:

مِنَ البيضِ لم تُصْطَدْ على ظهر لأمةٍ ... ولم تمشِ بَيْن الحيّ بالحَطَب والرطْبِ

عن مجاهد، وعكرمة: "{حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}: كانت تمشي بالنميمة"[٥١٧٣].

قال قتادة:" كانت تحطب الكلام، وتمشي بالنميمة"[٥١٧٤].

قال قتادة:"أي: كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض"[٥١٧٥].

قال الحسن:" كانت تحمل النميمة فتأتي بها بطون قريش"[٥١٧٦].

والصواب ، قول من قال: كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك[٥١٧٧].

عن يزيد بن زيد، وكان ألزم شيءٍ لمسروق، قال: "لما نزلت: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}، بلغ امرأة أبي لهب أن النبي صلى الله عليه وسلم يهجوك، قالت: علام يهجوني؟ هل رأيتموني كما قال محمد أحمل حطبا؟، {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}" فمكثت، ثم أتته، فقالت: إن ربك قلاك وودعك، فأنزل الله: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}"[٥١٧٨].

ويقرأ:«حَمَّالَةُ الْحَطَب»[٥١٧٩].

القرآن

{فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)} [المسد : ٥]

التفسير:

في عنقها حبل محكم الفَتْل مِن ليف شديد خشن، تُرْفَع به في نار جهنم، ثم تُرْمى إلى أسفلها.

وفي قوله تعالى: {حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد : ٥]، وجوه من التفسير:

(٥١٦٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٠):ص٣٤٧٣/١٠.

(٥١٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.

(٥١٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.

(٥١٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٤.

(٥١٧٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٦.

(٥١٧١) انظر: الكشف والبيان: ٣٢٨/١٠، والنكت والعيون: ٣٦٧/٦، و تفسير القرطبي: ٢٠/ ٢٣٩، والبحر المحيط في التفسير: ٥٦٨/١٠.

(٥١٧٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (حطب) ، (حظر) ، (برعم) ، ومجمع الأمثال ١/ ١٧٩، ومقاييس اللغة ٢/ ٧٩، وأساس البلاغة (حظر) ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٤، ٤٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٢٨٨، وتاج العروس (حطب) ، (حظر).

قوله:« بالحَطَب والرطْبِ»: قال الزمخشري٨١٥/٨:" جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر".

(٥١٧٣) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤، ٦٨٠.

(٥١٧٤) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤.

(٥١٧٥) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٤.

(٥١٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٠):ص٣٤٧٣/١٠.

(٥١٧٧) تفسير الطبري: ٦٨٠/٢٤.

(٥١٧٨) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٤.

(٥١٧٩) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٧٥/٥.

أحدها : أنها حبال كانت تكون بمكة.
قال الضحاك:" حبل من شجر، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به"[٥١٨٠].
أخرج الطبري بسنده الشعبي:" المسد : الليف"[٥١٨١].
وعن الشعبي:" أنه حبل من ليف النخل"[٥١٨٢]، عزاه إليه الماوردي وأنشد أنشد قول الشاعر[٥١٨٣]:
أعوذ بالله مِن لَيْل يُقرّبني ... إلى مُضاجعةٍ كالدَّلْكِ بالمسَدِ
الثاني : أنها قلادة من وَدَع في عنقها، على وجه التعيير لها، قاله قتادة[٥١٨٤].
قال قتادة:" قلادة من وَدَع"[٥١٨٥].
وذكر ابن كثير عن سعيد بن المسيب : "كانت لها قلادة فاخرة فقالت : لأنفقنها في عداوة محمد، يعني : فأعقبها الله بها حبلا في جيدها من مسد النار"[٥١٨٦].
الثالث : أن المَسَد: الحديد الذي يكون في البَكرة[٥١٨٧]. قاله مجاهد[٥١٨٨]، وعكرمة[٥١٨٩].
عن مجاهد: "{حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، قال: عود البكرة من حديد"[٥١٩٠].
ونقل ابن كثير عن مجاهد :" {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، أي : طوق من حديد، ألا ترى أن العرب يسمون البَكْرة مَسَدًا ؟"[٥١٩١].
قال أبو المعتمر: "زعم محمد أن عكرمة قال: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}، إنه الحديدة التي في وسط البكرة"[٥١٩٢].
الرابع : أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها، قاله الحسن [٥١٩٣]، ذكرت به على وجه التعيير –أيضاً-.
الخامس : أي: في عنقها حبل من النار مثل الطوق. قاله مجاهد[٥١٩٤].
عن مجاهد-في رواية-:" {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}: من نار"[٥١٩٥].
السادس : أنه سلسلة من حديد. قاله مجاهد-أيضا-[٥١٩٦]، وهي التي قال الله تعالى فيها : {سَبْعُونَ ذِرَاعًا} [الحاقة : ٣٢].
عن مجاهد: "{مِنْ مَسَدٍ}، قال: من حديد"[٥١٩٧].
قال الحسن : "سميت «السلسلة»: مسداً، لأنها ممسودة ، أي: مفتولة"[٥١٩٨].

(٥١٨٠) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٤.
(٥١٨١) كما في تفسير ابن كثير: ٥١٦/٨ قال المسد : الليف. ولم أقف عليه في نسخة تفسير الطبري.
(٥١٨٢) النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(٥١٨٣) بلا نسبة في: النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(٥١٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٤.
(٥١٨٥) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٤.
(٥١٨٦) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٨.
(٥١٨٧) أي: البَكَرَة التي يلتف عليها حبل الدلو.
(٥١٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٥١٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٤.
(٥١٩٠) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٥١٩١) تفسير ابن كثير: ٥١٦/٨.
(٥١٩٢) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٤.
(٥١٩٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٨/٦.
(٥١٩٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٢٨):ص٣٤٧٣/١٠.
(٥١٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٢٨):ص٣٤٧٣/١٠.
(٥١٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٥١٩٧) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٤.
(٥١٩٨) نقلا عن: النكت والعيون: ٣٦٧/٦.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو حبل جُمع من أنواع مختلفة ولذلك اختلف أهل التفسير في تفسيره على النحو الذي ذكرنا"[٥١٩٩].

«آخر تفسير سورة (المسد)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٥١٩٩) تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٤-٦٨٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الإخلاص»

«سورة الإخلاص»: هي السورة الثانية عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الناس»، وقبل «سورة النجم»، وآياتها خمس في عد المكيين، والشاميين، وأربع عند الباقين. وكلماتها إحدى عشرة وحروفها سبع وأربعون. المختلف فيها آية: {لَمْ يَلِدْ} [الإخلاص : ٣]. فواصل آياتها على «الدال»[٥٢٠٠].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، قاله ابن مسعود[٥٢٠١]، والحسن[٥٢٠٢]، وعطاء[٥٢٠٣]، وعكرمة[٥٢٠٤]، وجابر[٥٢٠٥]، وقتادة[٥٢٠٦]، ومجاهد-بخلاف عنه-[٥٢٠٧].

الثاني: مدنية، روي عن ابن عباس[٥٢٠٨]، وأبو العالية[٥٢٠٩]، وقتادة[٥٢١٠]، والضحاك[٥٢١١]، والقرظي[٥٢١٢]، والسدي[٥٢١٣].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الجمهور... ومنشأ هذا الخلاف الاختلاف في سبب نزولها"[٥٢١٤].

(٥٢٠٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٣/١.

(٥٢٠١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢٠٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢٠٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، والمحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢٠٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢٠٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤.

(٥٢٠٦) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢٠٧) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢٠٨) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، والمحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢٠٩) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

وفي الدر المنثور: ٦٧١/٨:" وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أنسب لنا ربك وفي لفظ: صف لنا ربك فلم يدر ما يرد عليهم فنزلت {قل هو الله أحد} حتى ختم السورة".

(٥٢١١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وزاد المسير: ٥٠٥/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢١٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٦/٥، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٠/١٠.

(٥٢١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٤/٢٠.

(٥٢١٤) التحرير والتنوير: ٦١١/٣٠. وستأتي الروايات في بيان سبب نزولها إن شاء الله.

القرآن

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)} [الإخلاص : ١ - ٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: هو الله المتفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يشاركه أحد فيها. الله الذي كَمُل في صفات الشَّرَف والمجد والعظمة، الذي يقصده الخلائق في قضاء الحوائج والرغائب.

اختلف في سبب نزول السورة، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المشركين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلم: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، قاله أُبَيّ بن كعب(٥٢١٥)، وجابر بن عبدالله(٥٢١٦)، وابن مسعود(٥٢١٧). [وعلى هذا القول السورة مكية]

عن أبي بن كعب: «أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم:يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ١ - ٤]»"(٥٢١٨).

عن جابر، قال: "قالوا: يا رسول الله، انسب لنا ربك، «فنزلت: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] إلى آخرها»(٥٢١٩).

عن ابن مسعود قال: " قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}"(٥٢٢٠).

(٥٢١٥) انظر: المسند(٢١٢١٩):ص١٤٣/٣٥-١٤٤.

(٥٢١٦) انظر: المعجم الأوسط للطبراني (٥٦٨٧):ص٢٥/٦.

(٥٢١٧)رواه عُبيد بن إسحاق العطار كما في تفسير ابن كثير (٥١٨/٨).

(٥٢١٨) أخرجه احمد في المسند(٢١٢١٩):ص١٤٣/٣٥-١٤٤، إسناده ضعيف لضعف أبي سعد محمد بن ميسر وأبي جعفر الرازي -وهو عيسى بن ماهان- أبو العالية: هو رفيع بن مهران.

وأخرجه الترمذي (٣٣٦٤) ، والطبري ٦٨٧/٢٤، وابن خزيمة في "التوحيد" ٩٥/١، والعقيلي في "الضعفاء" ١٤١/٤، وابن عدي في "الكامل" ٢٢٣١/٦، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٢٧٩، والواحدي في "أسباب النزول" ص٣٠٩ من طريق أبي سعد الصاغاني، بهذا الإسناد. وزاد عن

بعضهم: فالصمد: الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث، (ولم يكن له كفوا أحد) قال: لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثله شيء. وهذه الزيادة نظنها من كلام أبي جعفر الرازي.

وأخرجه الحاكم ٥٤٠/٢ وعنه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص٤٤ من طريق محمد بن سابق، عن أبي جعفر الرازي، به. وفيه عندهما الزيادة المذكورة.

وأخرجه الترمذي (٣٣٦٥) من طريق عبيد الله بن موسى، والطبري ٣٤٣/١ من طريق مهران بن أبي عمر العطار، والعقيلي ١٤١/٤ من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، ثلاثتهم عن أبي جعفر، به مرسلا. وقال: هذا أصح من حديث أبي سعد. قلنا: وهو ضعيف أيضا لضعف أبي جعفر الرازي.

وفي الباب عن جابر عند الطبري ٦٨٧/٢٤-٦٨٨، وأبي يعلى (٢٠٤٤) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص٢٧٩، وإسناده ضعيف. كما سيأتي.

(٥٢١٩) أخرجه الطبراني في الأوسط(٥٦٨٧):ص٢٥/٦، والطبري في "التفسير":٦٨٧/٢٤-٦٨٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور: وزاد نسبته لأبي يعلى وابن المنذر، وأبي نعيم والبيهقي، وضعفه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٧ /١٤٦) وهو كما قال بسبب مجالد بن سعيد (تقريب التهذيب: ٢٢٩/٢ - رقم: ٩١٩).

(٥٢٢٠) رواه عُبيد بن إسحاق العطار كما في تفسير ابن كثير (٥١٨/٨) وإسناده ضعيف فيه عبيد ابن إسحاق ضعيف، وقيس بن الربيع مختلف فيه.

ورواه الطيالسي عن قيس، عن عاصم، عن أبي وائل مرسلا، ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (٨٩).

قال الطبراني : رواه الفريابي وغيره، عن قيس، عن أبي عاصم، عن أبي وائل، مرسلا. [تفسير ابن كثير: ٥١٩/٨]

عن عكرمة، قال: "إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك، صف لنا ربك ما هو، ومن أي شيء هو؟ فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، إلى آخر السورة"[٥٢٢١].

الثاني: أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عامر: إلام تدعونا يا محمد؟ قال: إلى الله، قال: صفه لنا أمن ذهب هو؟ أم من فضة؟ أم من حديد؟ أم من خشب؟ فنزلت هذه السورة فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون. قاله ابن عباس[٥٢٢٢].[فتكون السورة مدنية، لأنهما ما أتياه إلا بعد الهجرة]

الثالث: جاء ناس من اليهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: صف لنا ربك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ من ذهب هو أم نحاس أم فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومن يورثها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهي نسبة الله خاصة. قاله قتادة[٥٢٢٣]، والضحّاك[٥٢٢٤]، ومقاتل[٥٢٢٥]. وروي نحوه عن ابن عباس[٥٢٢٦].

عن ابن عباس :" إن اليهود جاءت النبي -صلى الله عليه وسلم- منهم كعب بن الأشرف وحي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)} [الإخلاص : ١ - ٢]، {لَمْ يَلِدْ} فيخرج منه الولد، {وَلَمْ يُولَدْ} فيخرج من شيء"[٥٢٢٧].

وروي عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام:" أن عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- قال لأحبار اليهود: إني أردت أن أحدث بمسجد أبينا إبراهيم عهدا، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: أنت عبد الله بن سلام؟ قال: نعم، قال: أدن، فدنا منه، فقال: أنشدك بالله أما تجدني في التوراة رسول الله؟ فقال له انعت لنا ربك، فجاء جبريل فقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، إلى آخر السورة، فقرأها رسول الله

(٥٢٢١) أخرجه الطبري: ٦٨٧/٢٤.

(٥٢٢٢)عزاه البغوي في «التفسير»: ٥٨٤/٨ لأبي صالح وأبي ظبيان عن ابن عباس، وأبو صالح متهم في روايته عن ابن عباس، وراوية أبي ظبيان ابنه قابوس، وهو ضعيف. ولا يصح هذا الخبر.

(٥٢٢٣) انظر: تفسير الطبري ٦٨٨/٢٤.

(٥٢٢٤) عزاه إليه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٧١، والبغوي في"التفسير": ٥٨٤/٨، ولم أره عن الضحاك مسندا.

(٥٢٢٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٩٢٣٩٢٤/٤.

قال مقاتل:" وذلك أن عامر بن الطفيل بن صعصعة العامري، دخل على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، أما والله لئن دخلت في دينك ليدخلن من خلفي، ولئن امتنعت ليمتنعن من خلفي، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: فما تريد؟ قال: أتبعك على أن تجعل لي الوبر ولك المدر، قال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا شرط في الإسلام. قال: فاجعل لي الخلافة بعدك. قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لا نبي بعدي. قال: فأريد أن تفضلني على أصحابك. قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: لا ولكنك أخوهم إن أحسنت إسلامك. فقال : فتجعلني أخا بلال، وخباب بن الأرت، وسلمان الفارسي، وجعال. قال: نعم. فغضب وقال: أما والله لأثيرن عليك ألف أشقر عليها ألف أمرد، فقال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ويحك تخوفني؟، قال له جبريل- عليه السلام- عن ربه: لأثيرن على كل واحد منهم ألفًا من الملائكة، طول عنق أحدهم مسيرة سنة، وغلظها مسيرة سنة، وكان يكفيهم واحد، ولكن الله- عز وجل- أراد أن يعلمه كثرة جنوده، فخرج من عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وهو متعجب مما سمع منه فلقيه الأربد بن قيس السهمي، فقال له: ما شأنك؟ وكان خليله فقص عليه قصته، وقال: إني دخلت على ابن أبي كبشة آنفًا، فسألته الوبر، وله المدر فأبى، ثم سألته من بعده فأبى، ثم سألته أن يفضلني على أصحابه فأبى، وقال: أنت أخوهم إن أحسنت إسلامك. فقال له: أفلا قتلته؟ قال: لم أطق ذلك. قال: فارجع بنا إليه، فإن شئت حدثته حتى أضرب عنقه فانطلقا على وجوههما حتى دخلا على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقعد عامر عن يمينه والأربد عن يساره، «وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- علم ما يريدان. قال: وجاء ملك من الملائكة فعصر بطن الأربد بن قيس، وأقبل عامر على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد وضع يده على فمه وهو يقول: يا محمد لقد خوفتني بأمر عظيم، وبأقوام كثيرة فمن هؤلاء؟ قال: جنودي وهم أكثر مما ذكرت لك. قال: فأخبرني ما اسم ربك؟ وما هو؟ ومن خليله؟ وما حيلته؟ وكم هو؟ وأبو من هو؟ ومن أي حي هو؟ ومن أخوه؟. وكانت العرب يتخذون الأخلاء في الجاهلية، فأنزل الله- تعالى- {قل} يا محمد {هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...}".

(٥٢٢٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.

(٥٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.

صلى الله عليه وسلم، فقال ابن سلام: أشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ثم انصرف إلى المدينة وكتم إسلامه"[٥٢٢٨].

وقال قتادة:" جاء ناس من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنسب لنا ربك، فنزلت: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، حتى ختم السورة"[٥٢٢٩].

قلت: ولا يصح هذا الخبر، لأن السورة مكية، وأخبار اليهود وسؤالاتهم مدنية، والراجح في ذلك هو القول الأول-والله أعلم-.

قال ابن عاشور:" الصحيح أنها مكية فإنها جمعت أصل التوحيد وهو الأكثر فيما نزل من القرآن بمكة، ولعل تأويل من قال: إنها نزلت حينما سأل عامر بن الطفيل وأربد، أو حينما سأل أحبار اليهود، أن النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم هذه السورة، فظنها الراوي من الأنصار نزلت ساعتئذ أو لم يضبط الرواة عنهم عبارتهم تمام الضبط"[٥٢٣٠].

قال السيوطي:" وجمع بعضهم بينهما بتكرر نزولها، ثم ظهر لي بعد ترجيح أنها مدنية كما بينته في أسباب النزول"[٥٢٣١].

قرأ الجمهور: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، بإثبات {قُلْ}، وقرأ عبد الله بن مسعود وأبي: «الله أحد»، بدون «قل»[٥٢٣٢]. وقرأ الأعمش «قل هو الله الواحد» ، وقرأ الجمهور بتنوين «أحد»، وهو الأصل. وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السمال وأبو عمرو في رواية عنه بحذف التنوين للخفة[٥٢٣٣].

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص : ١]، أي:" الله الذي كَمُل في صفات الشَّرَف والمجد والعظمة، الذي يقصده الخلائق في قضاء الحوائج والرغائب"[٥٢٣٤].

وفي تفسير: «الصَّمَد»، أقوال:

أحدها : أن «الصَّمَد»: هو السيد الذي تصمد إليه الخلق في حوائجهم ومطالبهم، قاله الحسن[٥٢٣٥]، وسعيد بن جبير[٥٢٣٦]، وأبو وائل[٥٢٣٧]، وإبراهيم النخعي[٥٢٣٨]. والعرب تقول لسيدها ولعظيمها: صمد، ومنه قول الشاعر[٥٢٣٩]:

(٥٢٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٣):ص٣٤٧٤/١٠.

(٥٢٢٩) أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٤.

(٥٢٣٠) التحرير والتنوير: ٦١١/٣٠.

(٥٢٣١) الإتقان في علوم القرآن: ٥٥/١.

(٥٢٣٢)قال القرطبي: ٢٤٥/٢٠ :" وقد أسقط من هذه السورة من أبعده الله وأخزاه، وجعل النار مقامه ومثواه، وقرأ: «الله الواحد الصمد» في الصلاة، والناس يستمعون، فأسقط: {قل هو}، وزعم أنه ليس من القرآن. وغير لفظ أحد، وأدعى أن هذا هو الصواب، والذي عليه الناس هو الباطل والمحال، فأبطل معنى الآية، لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: صف لنا ربك، أمن ذهب هو أم من نحاس أم من صفر؟ فقال الله عز وجل ردا عليهم: قل هو الله أحد. ففي هو دلالة على موضع الرد، ومكان الجواب، فإذا سقط بطل معنى الآية، وصح الافتراء على الله عز وجل، والتكذيب لرسوله صلى الله عليه وسلم".

(٥٢٣٣) انظر: السبعة في القراءات: ٧٠١، وفتح القدير للشوكاني: ٦٣٣/٥.

(٥٢٣٤) التفسير الميسر: ١٠٤.

(٥٢٣٥) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٩/٢.

(٥٢٣٦) عزاه إليه البغوي في "التفسير": ٥٨٨/٨.

(٥٢٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(٥٢٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير "الإخلاص لابن تيمية": (ص٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٨٧) وإسناده حسن مقطوع.

(٥٢٣٩)ورد البيت منسوب لعمرو بن الأسلع العبسي في "الزاهر" لابن الآنباري ١/ ١٨٠، و"بصائر ذوي التمييز" للفيروزابادي ٣/ ٤٤٠ وغير منسوب في: "الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب برواية: (بحسام)، و"الصحاح" ٢/ ٤٩٩ (صمد)، و"لسان العرب" ٣/ ٢٥٨، و"تاج العروس" ٢/ ٤٠١، و"الأمالي" لأبي علي القالي ٢/ ٢٨٨، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/

عَلوْتُه بحُسامٍ ثم قلت له ... خُذْها حُذَيْفَ فأنت السيّد الصَّمَدُ

ويقال: بيت مصمود ومصمّد، إذا قصده الناس في حوائجهم[٥٢٤٠]، قال طرفة [٥٢٤١]:

إن يَلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقِني ... إلى ذِروة البيتِ الرفيع المصمَّدِ

ومنه قول الأخر[٥٢٤٢]:

ألا بَكَرَ النَّاعي بِخَيْرَيْ بَنِي أسَدْ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

قال الحسن:" الذي يصمد إليه في الحوائج، ثم تلا هذه الآية: {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل : ٥٣]"[٥٢٤٣].

قال أبو وائل: "{الصَّمَد}: «السيد الذي قد انتهى سؤدده»; ولم يقل أبو كُرَيب وابن عبد: «الأعلى سؤدده»"[٥٢٤٤].

قال شقيق: "{الصَّمَدُ}: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده"[٥٢٤٥].

قال إبراهيم النخعي: "الذي يصمد إليه العباد في حوائجهم"[٥٢٤٦].

الثاني : أن «الصَّمَد»: الذي لا جوف له، قاله الحسن[٥٢٤٧]، وسعيد بن المسيب[٥٢٤٨]، ومجاهد[٥٢٤٩]، وعكرمة[٥٢٥٠]، وسعيد بن جبير[٥٢٥١]، وعطاء بن أبي رباح[٥٢٥٢]، وعطية العوفي[٥٢٥٣]، والضحاك[٥٢٥٤]، والسدي[٥٢٥٥]، وعبد الله بن بُريدة، ورواه مرفوعا[٥٢٥٦]. ومنه قول الشاعر [٥٢٥٧]:

٢٤٥: برواية: (بحسام، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٧٣: برواية (حزيت)، و"تفسير سورة الإخلاص" ص ٤١.

(٥٢٤٠) انظر: الكشف والبيان: ٣٣٤/١٠.

(٥٢٤١)ورد البيت في: "ديوانه" ٣٠، ط. المؤسسة العربية، و"معجم مقاييس اللغة" ٣/ ٣١٠ (صمد)، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب برواية (وإن)، و"مجموع الفتاوى" ١٧/ ٢١٧، و"دقائق التفسير" ٦/ ٣٥٧، و"تفسير أسماء الله الحسنى" للزجاج ص ٥٩، و"الأمالي" لأبي علي القالي: ٢/ ٢٨٨.

معنى البيت: الصمد: القصد، يقول: وإن اجتمع الحي للافتخار. تلاقني أنتمي وأعتزي. إلى ذروة البيت الشريف: إلى أعلى الشرف. يريد أنه أوفاهم حظًا من الحب أعلاهم سهمًا من النسب.

(٥٢٤٢)ورد البيت غير منسوب في: "شعر بني أسد في الجاهلية" د. أحمد الجاسم ص ٣٧، و"جامع البيان" ٣٠/ ٣٤٧، و"مجاز القرآن" ٢/ ٣١٦ برواية بخير، و"معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٧٨، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٧١، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٥٣٦ برواية (بخير)، و"زاد المسير" ٨/ ٣٣١، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ١٨١، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٤٥، برواية (بخير)، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٧٣، و"الأغاني" ٢٢، ٩٢، ط. دار الكتب، و"فتح القدير" ٥/ ٥١٧، و"تهذيب اللغة" ١٢/ ١٥ (صمد)، و"لسان العرب" ٣/ ٢٥٨، و"فتح الباري" ٨/ ٧٤٠، و"الأمالي" لأبي علي القالي ٢/ ٢٨٨، و"سمط اللآلي" ص ٩٣٢، و"تفسير سورة الإخلاص" ص ٤١.

(٥٢٤٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٨):ص٤٩/٢.

(٥٢٤٤) ذكره البخاري في: "الجامع الصحيح" من قول أبي وائل تعليقًا ٣/ ٣٣٤: التفسير: باب ٢ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح وصله الفريابي من طريق الأعمش عنه وجاء أيضًا من طريق عاصم عن أبي وائل يذكر ابن مسعود فيه. "فتح الباري" ٨/ ٧٤٠.

وقال د. عبد العلي: أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" ١/ ٢٩٩ ح ٦٦٦، وقال الألباني: إسناده حسن، وأخرجه أيضًا من قول أبي وائل من رواية ابن نمير عن وكيع، وابن إدريس عن الأعمش عنه ورجال إسناده في الصحيحين: ١/ ٣ ح ٦٢٧، وأخرجه الطبري، والبيهقي في "الأسماء والصفات" من وجه آخر عن الأعمش عنه (١/ ١٠٩) ورجالهما أيضًا ثقات.

"تفسير سورة الإخلاص" تح د. عبد العلي: ص ٣٩ و٥٢.

كما ورد أيضًا في "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٤٠٧، و"تفسير الطبري" ٦٩٢/٢٤، و"بحر العلوم" ٣/ ٥٢٥، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٨٩ ب، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٧١، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٢٤٥، و"لباب التأويل" ٤/ ٤٢٧ وعزاه إلى البخاري في أفراده، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٦١٠، و"الأسماء والصفات" ١/ ١٠٩، و"مجموع الفتاوى" ١٧/ ٢١٦ و٢١٩ و٢٢٥، و"دقائق التفسير" ٦/ ٣٥٩.

(٥٢٤٥) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(٥٢٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير "الإخلاص لابن تيمية": (ص٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٨٧) وإسناده حسن مقطوع.

(٥٢٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

شِهَابُ حُروبٍ لا تَزَالُ جِيَادهُ ... عَوابِسَ يَعلُكْنَ الشَّكيمَ المُصَمَّدَا

وهذا لا ينافي القول الأول[٥٢٥٨]، لجواز أن يكون هذا أصل معنى «الصمد»، ثم استعمل في «السيد» المصمود إليه في الحوائج، ولهذا أطبق على القول الأول أهل اللغة وجمهور أهل التفسير[٥٢٥٩].

عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال - لا أعلم إلا قد رفعه – قال :"{الصَّمَدُ}، الذي لا جوف له"[٥٢٦٠].

عن الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك، ومجاهد، وعكرمة:" {الصَّمَد}: الذي لا جوف له"[٥٢٦١].

قال مجاهد:" المُصْمَت الذي لا جوف له"[٥٢٦٢].

قال سعيد بن المسيب:" الذي لا حِشوة له"[٥٢٦٣].

الثالث : هو الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي[٥٢٦٤].

قال الشعبي:" "الصمد الذي لا يأكل الطعام"[٥٢٦٥].

عن الشعبي:" {الصَّمَد}، قال: الذي لا يطعم الطعام"[٥٢٦٦].

قال الشعبي:" الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب"[٥٢٦٧].

الرابع : أنه الباقي الذي لا يفنى ، قاله قتادة[٥٢٦٨]، والحسن[٥٢٦٩].

(٥٢٤٨) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥٢٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥٢٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٥١) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥٢٥٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.

(٥٢٥٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.

(٥٢٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥٢٥٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.

(٥٢٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤-٦٩١.

(٥٢٥٧) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٣٧١/٦، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧١/١٠، واللباب في علوم الكتاب: ١٥٢/١١، وفتح القدير للشوكاني: ٦٤٣/٥, ولم أعرف قائله فيما عندي من المراجع.

«علكت الدابة اللجام» : لاكته وحركته. «الشكيم» : الحديد المعترضة في فم الدابة.

(٥٢٥٨) أي: تفسير «الصمد»: بالمصمت الذي لا جوف له.

(٥٢٥٩) فتح القدير: ٦٣٤/٥.

(٥٢٦٠) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤-٦٩١، وابن عدي في الكامل (١٣٧٢/٤) والطبراني في الكبير (٧/٢) وإسناده ضعيف فيه عبيد الله بن سعيد وصالح بن حبان وهما ضعيفان كما في التقريب، وقال الهيثمي في المجمع (١٤٤/٧): «وفيه صالح بن حبان وهو ضعيف» وقال ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/٨): «وهذا غريب جدًا ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة».

(٥٢٦١) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤، ٦٩١.

(٥٢٦٢) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤، وابن أبي حاتم كما في الإخلاص لابن تيمية (ص٨) وابن أبي عاصم في السنة (٦٧٣) وإسناده صحيح مقطوع.

(٥٢٦٣) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥٢٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥٢٦٥)أخرجه ابن أبي عاصم في "السنة": (٧٦٨٢: ٧٦٨٣)، بسند صحيح.

(٥٢٦٦) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤.

(٥٢٦٧) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٤، وابن أبي حاتم كما في الإخلاص لابن تيمية (ص٨) وابن أبي عاصم في السنة (٦٨٤)، وفيه هشيم بن بشير وهو معروف بالتدليس ولم يصرح بالتحديث

(٥٢٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(٥٢٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤.

كان الحسن وقتادة يقولان: "الباقي بعد خلقه، قال: هذه سورة خالصة، ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة"[٥٢٧٠].

عن قتادة، قال: "{الصمد}: الدائم"[٥٢٧١]. وروي عن عاصم بن بهدلة مثله[٥٢٧٢].

الخامس : هو الذي لم يلد ولم يولد ، قاله أبو العالية[٥٢٧٣]، ومحمد بن كعب[٥٢٧٤]، وعكرمة[٥٢٧٥].

قال أبو العالية:" الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث، ولا شيء يولد إلا سيموت، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يورث ولا يموت"[٥٢٧٦].

عن أبي سعيد الصنعاني، قال: "قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ١ - ٤]، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جلّ ثناؤه لا يموت ولا يورث {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}: ولم يكن له شبيه ولا عِدل، وليس كمثله شيء"[٥٢٧٧].

عن محمد بن كعب: "{الصَّمَدُ}: الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"[٥٢٧٨].

السادس : أنه المقصود إليه في الرغائب ، والمستغاث به في المصائب ، قاله السدي[٥٢٧٩].

السابع : «الصَّمَد»: الذي ليس فوقه أحد. قاله علي[٥٢٨٠]، وعكرمة[٥٢٨١].

الثامن: الذي لا يخرج منه شيء[٥٢٨٢]. قاله عكرمة[٥٢٨٣].

التاسع : الذي لا يكافئه من خلقه أحد. قاله كعب الأحبار[٥٢٨٤].

العاشر : الذي لا يوصف بصفته أحد. قاله ابن كيسان[٥٢٨٥].

الحادي عشر : الذي لا تعتريه الآفات. قاله الربيع[٥٢٨٦].

الثاني عشر : الكامل في جميع صفاته وأفعاله. قاله سعيد بن جبير[٥٢٨٧].

الثالثة عشر : الذي لا يبلى ولا يغنى. قاله مرّة الهمداني[٥٢٨٨].

الرابعة عشر : أن «الصَّمَد»: نور يتلألأ. قاله عبد الله بن بُرَيدة[٥٢٨٩].

(٥٢٧٠) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(٥٢٧١) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٤.

(٥٢٧٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٥.

(٥٢٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٧٦) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٧٧) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٧٨) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٧٩) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠- والماوردي في "النكت والعيون" :٣٧٢/٦، والبغوي في "التفسير": ٥٨٨/٨.

(٥٢٨٠) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٨١) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٨٢)وعلق ابن تيمية عليه فقال: "كلام صحيح؛ بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه ". [مجموع الفتاوى: ١٧/ ٢٤٠].

(٥٢٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤. وقال الألباني عن رواية عكرمة: إسناده ضعيف مقطوع: "ظلال الجنة في تخريج السنة" ١/ ٢٩٩ ح ٦٦٧.

(٥٢٨٤) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٨٥) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٨٦) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٨٧) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٨٨) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٨٩) عزاه إليه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٨.

الخامسة عشر: أن «الصَّمَدُ»: الذي لا {تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ}، ولا تحويه الأفكار ولا تبلغه الأقطار {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ}. قاله محمد بن علي[٥٢٩٠].

والظاهر أن الصمد عند العرب: هو السيد الذي يُصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمى أشرافها; ومنه قول الشاعر[٥٢٩١]:

ألا بَكَرَ النَّاعي بِخَيْرَيْ بَنِي أسَدْ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وقال الزبرقان[٥٢٩٢]:

وَلا رَهِينَةَ إلا سَيِّدٌ صَمَدُ

فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه; ولو كان حديث ابن بُريدة[٥٢٩٣]، عن أبيه صحيحا، كان أولى الأقوال بالصحة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما عنى الله جل ثناؤه، وبما أنزل عليه[٥٢٩٤].

القرآن

{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)} [الإخلاص : ٣]

التفسير:

ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة.

قال أبو العالية:" الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث، ولا شيء يولد إلا سيموت، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يورث ولا يموت"[٥٢٩٥].

القرآن

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} [الإخلاص : ٤]

التفسير:

ولم يكن له مماثلا ولا مشابهًا أحد من خلقه، لا في أسمائه ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى وتقدَّس.

وفي تفسير الآية، ثلاثة وجوه:

أحدها : لم يكن له مثل ولا عديل، قاله كعب[٥٢٩٦]، وأبو العالية[٥٢٩٧]، وعطاء[٥٢٩٨].

قال أبو العالية:" لم يكن له شبيه، ولا عِدْل، وليس كمثله شيء"[٥٢٩٩]. وروي عن أبي سعيد الصنعاني مثله[٥٣٠٠].

قال كعب:" إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه"[٥٣٠١].

(٥٢٩٠) عزاه إليه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٣٥/١٠.

(٥٢٩١) سبق تخريجه.

(٥٢٩٢) من شواهد أبي عبيدة في "مجاز القرآن": ٣١٦/٢، وسبق تخريجه.

(٥٢٩٣) قال ابن كثير في "التفسير": (٥٢٨/٨):" غريب جدًا ، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة".

(٥٢٩٤) تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٤-٦٩٣.

(٥٢٩٥) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٢٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٤.

(٥٢٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٤.

(٥٢٩٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧٢/٦.

(٥٢٩٩) أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٤.

(٥٣٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٤.

(٥٣٠١) أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٤.

الثاني : يعني: لم تكن له صاحبة ، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة ، قاله مجاهد[٥٣٠٢].
عن مجاهد: "{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، قال: صاحبة"[٥٣٠٣].
الثالث : أنه لا يكافئه في خلقه أحد، قاله قتادة[٥٣٠٤]. وفيه تقديم وتأخير ، تقديره : ولم يكن له أحدٌ كُفواً ، فقدم فقدم خبر كان على اسمها لتنساق أواخر الآي على نظم واحد.
والكُفُؤُ -في كلام العرب- واحد، وهو: المِثْل والشِّبْه; ومنه قول نابغة بني ذُبيان[٥٣٠٥]:
لا تَقْذِفَنِّي بِرُكْن لا كِفَاء لَهُ ... وَلَوْ تَأَلَّقَكَ الأَعْدَاءُ بالرِّفَدِ
يعني: لا كِفَاء له: لا مثل له"[٥٣٠٦].
قرئ :«كُفُواً» بضم الكاف والفاء، و«كُفْواً»، بضم الكاف وسكون الفاء، «وكِفْواً»، بكسر الكاف وسكون الفاء، و«كِفَاء» بكسر الكاف[٥٣٠٧].
«آخر تفسير سورة (الإخلاص)، والحمد لله وحده»
نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٥٣٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٤.
(٥٣٠٣) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٤.
(٥٣٠٤) عزاه إليه الماوردي في "النكت والعيون": ٣٧٢/٦.
(٥٣٠٥)ديوانه ٢٦، ولسان العرب (أثف) ، و (ركن) ، ومقاييس اللغة ١/ ٥٧، وجمهرة اللغة ١٠٣٦، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٩٠ وتاج العروس (أثف) ومجمل اللغة ١/ ١٦٧، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٧٣، والمنصف ١/ ١٩٣، وبلا نسبة في شرح شواهد الإيضاح ٦١٢.
(٥٣٠٦) تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٤.
(٥٣٠٧) انظر: السبعة في القراءات: ٧٠١-٧٠٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٧٨/٥، وتفسير الطبري: ٦٩٥/٢٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الفلق»

«سورة الفلق»: هي السورة الثالثة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الفيل»، وقبل «سورة الناس»، وآياتها خمس بالإجماع. وكلماتها ثلاث وعشرون. وحروفها أربع وسبعون. وفواصل آياتها «دبق»[٥٣٠٨].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس[٥٣٠٩]، وبه قال الحسن[٥٣١٠]، وقتادة-في رواية- [٥٣١١]، وعكرمة[٥٣١٢]، وعطاء[٥٣١٣]، وجابر[٥٣١٤].

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٥٣١٥]، وبه قال قتادة[٥٣١٦].

قال ابن الجوزي:" والأول أصح، ويدل عليه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم سحر وهو مع عائشة، فنزلت عليه المعوذتان"[٥٣١٧].

قال ابن عاشور:" الأصح أنها مكية، لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم"[٥٣١٨].

(٥٣٠٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٦/١.
(٥٣٠٩) انظر: زاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٥٣١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٥٣١١) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣٨/٥.
(٥٣١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٥٣١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٥٣١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٥٣١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦، وزاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٥٣١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧٣/٦.
(٥٣١٧) زاد المسير: ٥٠٧/٤.
(٥٣١٨) المحرر الوجيز: ٦٢٤/٣٠.

القرآن
{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)} [الفلق : ١]
التفسير:
قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الفلق، وهو الصبح.
سبب نزول المعوذتين:
قال المفسر الثعلبي في تفسيره : "قال ابن عباس وعائشة ، رضي الله عنهما : كان غلام اليهود يخدم رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فدبّت إليه اليهود فلم يزلوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي -صلّى الله عليه وسلم- وعدّة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن أعصم، ثم دسّها في بئر لبني زريق يقال له: «ذروان»، فمرض رسول الله صلّى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه، ولبث ست أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب ولا يدري ما عراه، فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهم عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ومن سحره؟ قال: لبيد ابن أعصم اليهودي، قال: وبم طبّه؟ قال: بمشط ومشاطة قال: وأين هو؟ قال في جفّ طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان. - و«الجف»: قشر الطلع، والراعوفة: حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح-، فانتبه رسول الله صلّى الله عليه وسلم مذعورا وقال: «يا عائشة أما شعرت أن الله سبحانه أخبرني بدائي»، ثم بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحنّاء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطة، وإذا فيه وتر معقود فيه إثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله سبحانه هاتين السورتين، فجعل كلّما يقرأ آية أنحلت عقدة، ووجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم خفّة حين أنحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما أنشط من عقال، وجعل جبرائيل -عليه السلام- يقول: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين والله يشفيك»، قال: فقالوا: يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث فنقتله، فقال صلّى الله عليه وسلم: «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرا»""[٥٣١٩].
روي عن عائشة قالت: "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أن يفعل الشيء وما يفعله، قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا، ثم قال: " يا عائشة شعرت أن الله عز وجل قد أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر أروان[٥٣٢٠] " قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، ثم جاء فقال: " يا عائشة لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين " قلت: يا رسول الله، فهلا أحرقته ؟ قال: " لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا "، قالت: فأمر بها فدفنت "[٥٣٢١].

(٥٣١٩) الكشف والبيان: ٣٣٨/١٠، وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٥٠٢-٥٠٣. وابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٧/٤، دون عزو. وذكره الحافظ ابن كثير(٥٣٨/٨) بطوله، ونسبه للثعلبي، وقال" هكذا أورده بلا إسناد ، وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد مما تقدم". وانظر ما بعده.
وذكر نحوه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٧/٤
(٥٣٢٠)قال الحافظ في "الفتح" ٢٢٩/١٠-٢٣٠: الأصل بئر ذي أروان، ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت ذروان.
(٥٣٢١) أخرجه أحمد في المسند(٢٤٣٠٠):ص٣٤٣/٤٠-٣٤٤، إسناده صحيح على شرط الشيخين.
وأخرجه ابن أبي شيبة ٣٠/٨، ومسلم (٢١٨٩) (٤٣) ، وابن ماجه (٣٥٤٥) ، والطبري في "تفسيره" (١٦٩٣) ، وابن حبان (٦٥٨٣) من طريق ابن نمير، بهذا الإسناد.

تفسير السورة:

اختلف في معنى «الفلق»، على أقوال:

أحدها : أن الفلق: جُبٌّ في جهنم .

قال وهب والسدي: "جُبٌّ في جهنم"[٥٣٢٢]. وروي عن وهب مثله[٥٣٢٣].

عن أبي هُريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "الفَلَق: جبّ في جهنم مغطًّى"[٥٣٢٤].

أخرج ابن أبي حاتم، عن زيد بن علي، عن آبائه، قال: "الفلق: جب في قعر جهنم عليه غطاء، فإذا كشف عنه خرجت منه نار تصيح منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه"[٥٣٢٥].

عن كعب:" أنه دخل كنيسة فأعجبه حُسنها، فقال: أحسن عمل وأضلّ قوم، رضيت لكم الفلق، قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فُتح صاح جميع أهل النار من شدّة حرّه"[٥٣٢٦].

عن العوّام بن عبد الجبار الجولاني، قال: "قَدم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشأم، قال: فنظر إلى دور أهل الذمة، وما هم فيه من العيش والنضارة، وما وُسِّع عليهم في دنياهم، قال: فقال: لا أبا لك أليس من ورائهم الفلق؟ قال: قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذ فُتح هَرّ أهْلُ النار"[٥٣٢٧].

الثاني : أنه اسم من أسماء جهنم ، قاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي[٥٣٢٨].

الثالث : أنه الخلق كله.

عن الضحاك:" معنى الفلق: الخَلْق"[٥٣٢٩].

الرابع: أنه فلق الصبح، به قاله الحسن[٥٣٣٠]، وسعيد بن جبير[٥٣٣١]، ومجاهد[٥٣٣٢]، وقتادة[٥٣٣٣]، والقرظي[٥٣٣٤]، ومنه قول الشاعر[٥٣٣٥]:

وأخرجه الحميدي (٢٥٩) - ومن طريقه البخاري (٥٧٦٥) و (٦٠٦٣) - وإسحاق بن راهوية (٧٣٧) ، والبخاري (٣٢٦٨) و (٥٧٦٣) و (٦٣٩١) ، والنسائي في "الكبرى" (٧٦١٥) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٩٣٤) ، وابن حبان (٦٥٨٤) ، والطبراني في "الأوسط" (٥٩٢٢) ، والبيهقي في "السنن" ١٣٥/٨، وفي "الدلائل" ٢٤٧/٦، والبغوي في "شرح السنة" (٣٢٦٠) من طرق عن هشام، به. قال الحميدي في آخر الحديث: قال سفيان: وكان عبد الملك بن جريج حدثناه أولا قبل أن نلقى هشاما، فقال: حدثني بعض آل عروة، فلما قدم هشام حدثناه.

وعلقه البخاري في الرواية (٣٢٦٨) بقوله: وقال الليث: كتب إلي هشام أنه سمعه ووعاه عن عائشة. ووصله الحافظ في "التغليق" ٥١٢/٣ من طريق أبي بكر بن أبي داود، عن عيسى بن حماد زغبة، عن الليث، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة فذكره.

وأخرجه عبد الرزاق (١٩٧٦٤) ، والطبري (١٦٩٤) من طريق ابن المسيب وعروة بن الزبير، مرسلا.

قال السندي: قوله: مطبوب، أي: مسحور.

(٥٣٢٢) أخرجه الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(٥٣٢٣) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٥٠٨/٤.

(٥٣٢٤) أخرجه الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(٥٣٢٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٧):ص٣٤٧٥/١٠.

(٥٣٢٦) أخرجه الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(٥٣٢٧) أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٤.

(٥٣٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(٥٣٢٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٣٩.

(٥٣٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(٥٣٣١) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٤.

(٥٣٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤.

(٥٣٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤.

(٥٣٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤.

(٥٣٣٥) الشعر بلا نسبة في :النكت والعيون: ٣٧٤/٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٤/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٥/١٠، واللباب في علوم الكتاب: ٥٦٩/٢٠.

والمرتفق: المتكئ على مرفق يده.

يا ليلةً لم أنَمْها بِتُّ مُرْتفقا ... أرْعى النجومَ إلى أنْ نوَّرَ الفَلَقُ
وقول الآخر[٥٣٣٦]:
حتَّى إذَا ما جَلَى عَنْ وجْهِهِ فلقٌ ... هَاديهِ فِي أخريَاتِ اللَّيْلِ مُنتَصِبُ
عن قتادة:" {الفَلَق}: فَلق النهار"[٥٣٣٧]. وفي لفظ:" فلق الصبح"[٥٣٣٨].
عن محمد بن كعب القرظي:" أنه كان يقول في هذه الآية: {قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَق}، يقول: فالق الحبّ والنّوى، قال: {فالِقُ الإصْباحِ} [الأنعام: ٩٦]"[٥٣٣٩].
الخامس: أنه كُلُّ ما انفلق عن شيء كالصبح، والحَبُّ، والنَّوى، وغير ذلك، قاله الحسن[٥٣٤٠].
والأظهر -: أن الفلق هو الصبح[٥٣٤١]، والعرب تقول: «هو أبين من فلق الصبح وفرقه»، يعنون: الفجر"[٥٣٤٢]، وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فَلَق. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن جلّ ثناؤه وضعَ دلالة على أنه عُنِي بقوله: {بِرَبِّ الْفَلَق} بعض ما يُدْعَى الفلق دون بعض، وكان الله تعالى ذكره ربّ كل ما خلق من شيء، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفَلَق، إذ كان ربّ جميع ذلك[٥٣٤٣].

القرآن
{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)} [الفلق : ٢]
التفسير:
من شر جميع المخلوقات وأذاها.
وفي تفسير الآية، أقوال:
أحدها : أن شر ما خلق: جهنم ، قاله ثابت البناني[٥٣٤٤].
الثاني : إبليس وذريته ، قاله الحسن[٥٣٤٥].
وقد روي أنه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل، قال: «يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»[٥٣٤٦].
قال -صلى الله عليه وسلم-: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضره شيء حتى يرتحل منه»[٥٣٤٧].
قرأ الجمهور: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}، بإضافة {شَرِّ} إلى {مَا}، وقرأ عمرو بن فايد: «من شرٍ»، بالتنوين[٥٣٤٨].

(٥٣٣٦) لذي الرّمة في ديوانه: ٩٢/١. واللسان«فلق». قوله: هاديه: أي: أوله. انظر: شرح الديوان لأبي نصر الباهلي.
(٥٣٣٧) أخرجه الطبري: ٧٠١/٢٤.
(٥٣٣٨) أخرجه الطبري: ٧٠١/٢٤.
(٥٣٣٩)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن(١٤٨):ص ٢/ ٧٧، والطبري: ٧٠١/٢٤.
(٥٣٤٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٦.
(٥٣٤١) تفسير السمعاني: ٣٠٥/٦.
(٥٣٤٢) إعراب القرآن: ١٩٧/٥.
(٥٣٤٣) تفسير الطبري: ٧٠١/٢٤-٧٠٢.
(٥٣٤٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٦.
(٥٣٤٥) انظر: النكت والعيون: ٣٧٤/٦.
(٥٣٤٦) أخرجه أبو داود في الجهاد ٢٦٠٣ – من حديث ابن عمر ﷺ وضعفه الألباني.
(٥٣٤٧) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء ٢٧٠٨، والترمذي في الدعوات ٣٤٣٧، وابن ماجه في الطب ٣٥٤٧ – من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.
(٥٣٤٨) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٥٧٥/١٠.

القرآن

{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)} [الفلق : ٣]

التفسير:

ومن شر ليل شديد الظلمة إذا دخل وتغلغل، وما فيه من الشرور والمؤذيات.

وفي تفسير «الغاسق»، قولان:

أحدهما : يعني: الشمس إذا غربت، قاله ابن شهاب[٥٣٤٩].

قال ابن شهاب:" الغاسق: سقوط الثريا، و«الغاسق إذا وقب»: الشمس إذا غربت"[٥٣٥٠].

الثاني : أنه الليل، لأنه يخرج السباع من آجامها، والهوام من مكامنها ويبعث أهل الشر على العبث والفساد ، به قال الحسن[٥٣٥١]، ومجاهد[٥٣٥٢]، والضحاك[٥٣٥٣]، وقتادة[٥٣٥٤]، والقرظي[٥٣٥٥]، والسدي[٥٣٥٦]، ومنه قول الشاعر [٥٣٥٧]:

يا طيْفَ هِنْدٍ لقد أبقيْتَ لي أرَقا ... إذ جئْتَنا طارِقاً والليلُ قد غَسَقا

عن مجاهد: "{غَاسِقٍ}، قال: الليل، {إِذَا وَقَبَ}، قال: إذا دخل"[٥٣٥٨].

عن الحسن:"{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}، قال: أوّل الليل إذا أظلم"[٥٣٥٩].

عن الحسن:" {إِذَا وَقَبَ}، قال: إذا جاء"[٥٣٦٠].

قال الحسن:" الليل إذا أقبل"[٥٣٦١]. وفي رواية:" الليل إذا أقبل؛ إذا دخل على الناس"[٥٣٦٢].

وعن قتادة: "{وَقَبَ}: ذهب"[٥٣٦٣].

وعن عطية بن سعد العَوفيّ، {ومِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وقَبَ}، قال: الليل إذا ذهب"[٥٣٦٤].

قال القرظي:" النهار إذا دخل في الليل"[٥٣٦٥].

قال القرظي:" هو غروب الشمس إذا جاء الليل، إذا وقب"[٥٣٦٦].

قال القرظي:" : هو غروب الشمس إذا جاء الليل، إذا وجب"[٥٣٦٧].

وقال السدي:" يعني: الليل إذا أطبق الأُفق بظُلمته"[٥٣٦٨].

(٥٣٤٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٥٣٩):ص٣٤٧٥/١٠.

(٥٣٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٣٩):ص٣٤٧٥/١٠.

(٥٣٥١) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٥٣) انظر: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(٥٣٥٤) انظر: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(٥٣٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٥٦) انظر: زاد المسير: ٥٠٩/٤.

(٥٣٥٧) البيت بلا نسبة في : النكت والعيون: ٣٧٥/٦، وتفسير القرطبي: ٢٥٦/٢٠، والبحر المحيط في التفسير: ٥٧٦/١٠، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧٢/٢٠.

(٥٣٥٨) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٥٩) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٦٠) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٦١) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٦٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٤٠٨.

(٥٣٦٣) عزاه إليه النحاس في "إعراب القرآن" وقال "لايعرف".

(٥٣٦٤)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٥٣٦٥) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٦٦) أخرجه الطبري: ٧٠٢/٢٤.

(٥٣٦٧) أخرجه الطبري: ٧٠٣/٢٤.

(٥٣٦٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٧٤ -.

والصواب، أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ} وهو الذي يُظْلم، يقال: قد غَسَق الليل يَغْسُق غسوقا: إذا أظلم {إِذَا وَقَبَ}، يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك، فكلّ غاسق-والله أعلم-(٥٣٦٩).

القرآن

{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)} [الفلق : ٤]

التفسير:

ومن شر الساحرات اللاتي ينفخن فيما يعقدن من عُقَد بقصد السحر.

عن الحسن: "{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: السواحر والسَّحرَة"(٥٣٧٠).

عن قتادة، قال: "كان الحسن يقول إذا جاز: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: إياكم وما خالط السحر"(٥٣٧١).

عن معمر، قال: تلا قتادة: "{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: إياكم وما خالط السِّحر من هذه الرُّقَى"(٥٣٧٢).

قال طاووس:" ما من شيء أقرب إلى الشرك من رُقْية المجانين"(٥٣٧٣).

عن مجاهد: "{النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: الرقى في عقد الخيط"(٥٣٧٤).

عن عكرمة :"{النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}، قال: الأخذ في عقد الخيط"(٥٣٧٥).

عن الضحاك :"{النفاثات}، قال: السواحر"(٥٣٧٦).

عن زيد بن أرقم قال: " سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن رجلا من اليهود سحرك، عقد لك عقدا في بئر كذا وكذا، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستخرجوها، فجيء بها، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي، ولا رآه في وجهه قط"(٥٣٧٧).

عن عائشة قالت: "سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل إليه أن يفعل الشيء وما يفعله، قالت: حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا، ثم قال: " يا عائشة شعرت أن الله عز وجل قد أفتاني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر أروان(٥٣٧٨) " قالت: فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه، ثم جاء فقال: " يا عائشة لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين " قلت: يا رسول الله، فهلا أحرقته ؟

(٥٣٦٩) تفسير الطبري: ٧٠٤/٢٤.

(٥٣٧٠) أخرجه الطبري: ٧٠٤/٢٤.

(٥٣٧١) أخرجه الطبري: ٧٠٤/٢٤-٧٠٥.

(٥٣٧٢) أخرجه الطبري: ٧٠٤/٢٤-٧٠٥.

(٥٣٧٣) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.

(٥٣٧٤)أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٥٤١):ص٣٤٧٥/١٠.

(٥٣٧٥) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.

(٥٣٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٥٤٠):ص٣٤٧٥/١٠.

(٥٣٧٧)المسند (٣٦٧/٤) وسنن النسائي(٤٠٨٠):ص :١١٢/٧.وصححه الألباني.

(٥٣٧٨)قال الحافظ في "الفتح" ٢٢٩/١٠-٢٣٠: الأصل بئر ذي أروان، ثم لكثرة الاستعمال سهلت الهمزة فصارت ذروان.

قال: " لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل، وكرهت أن أثير على الناس منه شرا "، قالت: فأمر بها فدفنت "[٥٣٧٩].

القرآن

{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)} [الفلق : ٥]

التفسير:

ومن شر حاسد مبغض للناس إذا حسدهم على ما وهبهم الله من نعم، وأراد زوالها عنهم، وإيقاع الأذى بهم.

وفي الاستعاذة: {مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}[الفلق : ٥] وجهان[٥٣٨٠]:

أحدهما : أنها عام في كلّ حاسد أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ عينه ونفسه، وهذا قول قتادة[٥٣٨١]، وعطاء الخراساني[٥٣٨٢]، وقال الشاعر[٥٣٨٣] :

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسبُونَكَ سيِّداً ... وإخَالُ أنَّك سَيِّدٌ مَعْيُونُ

عن قتادة: "{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، قال: من شرّ عينه ونفسه"[٥٣٨٤].

الثاني : أنها خاصة بالإستعاذة من شرّ اليهود الذين حسدوه. وهذا قول الحسن[٥٣٨٥].

عن الحسن:" {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، يعني: اليهود هم حسدة الإسلام[٥٣٨٦].

وروي عن الحسن في قوله: {ومن شر حاسد إذا حسد} قال: هو أول ذنب كان في السماء"[٥٣٨٧].

وأولى القولين بالصواب في ذلك، قول من قال: أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ من شرّ كلّ حاسد إذا حسد، فعابه أو سحره، أو بغاه سوءًا، لأن الله عزّ وجلّ لم يخصص من قوله: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}، حاسدا دون حاسد، بل عمّ أمره إياه بالاستعاذة من شرّ كلّ حاسد، فذلك على عمومه[٥٣٨٨].

وقيل للحسن :«أيحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك إخوة يوسف»[٥٣٨٩].

قال ابن سيرين:" ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حفيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار"[٥٣٩٠].

وعن عمر بن عبد العزيز: "لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد"[٥٣٩١].

«آخر تفسير سورة (الفلق)، والحمد لله وحده»

(٥٣٧٩) أخرجه أحمد في المسند(٢٤٣٠٠):ص٣٤٣/٤٠-٣٤٤، إسناده صحيح على شرط الشيخين. سبق تخريجه بالتفصيل في سبب نزول المعوذتين.

.

(٥٣٨٠) انظر: النكت والعيون: ٣٧٦/٦.

(٥٣٨١) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٥/٢٤.

(٥٣٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٠٥/٢٤.

(٥٣٨٣)للعباس بن مرداس في ديوانه ص ١٠٨؛ وجمهرة اللغة ص ٩٥٦؛ والحيوان ٢/ ١٤٢؛ وشرح التصريح ٢/ ٣٩٥؛ وشرح شواهد الشافية ص ٣٨٧، ولسان العرب«عبن»:ص١٣/ ٣٠١، وتاج العروس«عين»:ص٤٦٣/٣٥ والمقاصد النحوية ٤/ ٥٧٤، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٤٠٤، والخصائص ١/ ٢٦١، وشرح الأشموني ٣/ ٧٦٦، والمقتضب١/ ١٠٢.

(٥٣٨٤) أخرجه الطبري: ٧٠٥/٢٤.

(٥٣٨٥) الدر المنثور: ٦٩٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥٣٨٦) الدر المنثور: ٦٩٠/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥٣٨٧) الدر المنثور: ٦٩٠/٨، وعزاه إلى ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥٣٨٨) تفسير الطبري: ٧٠٥/٢٤-٧٠٦.

(٥٣٨٩) انظر «التفسير القيم» ص٥٨٣.

(٥٣٩٠) عزاه إليه الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين": ١٨٩/٣.

(٥٣٩١) عزاه إليه الزمخشري في "الكشاف": ٨٢٢/٤.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الناس»

«سورة الناس»: هي السورة الرابعة عشر بعد المائة بحسب الرسم القرآني، بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية عشرة من المجموعة الخامسة عشرة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الفلق»، وقبل «سورة الإخلاص»، آياتها سبع عند المكيين، والشاميين، وست عند الباقين. المختلف فيها آية: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ} [الناس : ٤]. وكلماتها عشرون. وحروفها تسع وسبعون. وفواصلها على «السين»[٥٣٩٢].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها مكية، رواه كريب عن ابن عباس[٥٣٩٣]، وبه قال قتادة[٥٣٩٤].

الثاني: مدنية، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٥٣٩٥]، وابن الزبير[٥٣٩٦].

عن عبد الله بن الزبير، قال: "أنزل بالمدينة: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}"[٥٣٩٧].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مكية، ومدنية في قول الذين قالوا في سورة الفلق إنها مدنية. والصحيح أنهما نزلتا متعاقبتين، فالخلاف في إحداهما كالخلاف في الأخرى"[٥٣٩٨].

(٥٣٩٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٥٧/١.

(٥٣٩٣) انظر: زاد المسير: ٥١٠/٤.

(٥٣٩٤) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥.

(٥٣٩٥) انظر: المحرر الوجيز: ٥٤٠/٥، وزاد المسير: ٥١٠/٤.

(٥٣٩٦) انظر: الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٣٩٧) الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٣٩٨) التحرير والتنوير: ٦٣١/٣٠.

القرآن

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)} [الناس : ١ - ٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: أعوذ وأعتصم برب الناس، القادر وحده على ردِّ شر الوسواس. ملك الناس المتصرف في كل شؤونهم، الغنيِّ عنهم. إله الناس الذي لا معبود بحق سواه. من أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله.

قوله تعالى: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} [الناس : ٤]، أي:" من أذى الشيطان الذي يوسوس عند الغفلة، ويختفي عند ذكر الله"(٥٣٩٩).

عن مجاهد: "{الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}، قال: الشيطان يكون على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خَنَس"(٥٤٠٠).

قال مجاهد:" ينبسط فإذا ذكر الله خَنَس وانقبض، فإذا غفل انبسط"(٥٤٠١).

قال قتادة:" يعني: الشيطان، يوسوس في صدر ابن آدم، ويخنس إذا ذُكر الله"(٥٤٠٢).

قال قتادة:" هو الشيطان، وهو الخَنَّاس أيضا، إذا ذكر العبد ربه خنس، وهو يوسوس وَيخْنِس"(٥٤٠٣).

قال قتادة:" يقال: الخناس له خرطوم، كخرطوم الكلب يوسوس في صدور الناس، فإذا ذكر العبد ربه خنس"(٥٤٠٤).

عن إبراهيم التيمي، قال: "أول ما يبدأ الوسواس من الوضوء"(٥٤٠٥).

القرآن

{الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)} [الناس : ٥]

التفسير:

الذي يبثُّ الشر والشكوك في صدور الناس.

عن عكرمة، قال: "الوسواس محله على فؤاد الإنسان وفي عينه وفي ذكره، ومحله من المرأة في عينها وفي فرجها إذا أقبلت وفي دبرها إذا أدبرت هذه مجالسه"(٥٤٠٦).

عن يحيى بن أبي كثير، قال: "إن الوسواس له باب في صدر ابن آدم يوسوس منه"(٥٤٠٧).

عن ابن ثور، عن أبيه، قال: "ذُكر لي أن الشيطان، أو قال: الوسواس، ينفث في قلب الإنسان عند الحزن وعند الفرح، وإذا ذُكر الله خنس"(٥٤٠٨).

عن عروة بن رويم اللخمي: "أن عيسى عليه السلام، دعا ربه تبارك وتعالى أن يريه موضع إبليس من بني آدم فتجلى له إبليس فإذا رأسه مثل رأس الحية، واضعا رأسه على ثمرة القلب، فإذا ذكر العبد ربه

(٥٣٩٩) التفسير الميسر: ٦٠٤.
(٥٤٠٠) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(٥٤٠١) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(٥٤٠٢) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(٥٤٠٣) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.
(٥٤٠٤) تفسير عبدالرزاق(٣٧٥١):ص٤٧٨/٣.
(٥٤٠٥) الدر المنثور: ٦٩٣/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.
(٥٤٠٦) الدر المنثور: ٦٩٤/٨-٦٩٥، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٥٤٠٧) الدر المنثور: ٦٩٤/٨، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.
(٥٤٠٨) أخرجه الطبري: ٧١٠/٢٤.

عز وجل خنس إبليس برأسه، وإذا ترك الذكر مناه وحدثه، يقول الله عز وجل: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} [الناس: ٥]"[٥٤٠٩].

القرآن
{مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} [الناس : ٦]

التفسير:

من شياطين الجن والإنس.

قال الحسن: "هما شيطانان: أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية"[٥٤١٠].

قال قتادة :" إن من الناس شياطين، ومن الجن شياطين، فتعوذ بالله من شياطين الإنس، والجن"[٥٤١١].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يعوذ حسنا وحسينا، يقول: " أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة " وكان يقول: " كان إبراهيم أبي يعوذ بهما إسماعيل، وإسحاق"[٥٤١٢].

***

تم تفسير «سورة الناس» وبه تم تفسير القرآن العظيم، ولله الحمد والمنة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ورضي الله عن الصحابة أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٥٤٠٩) تفسير مجاهد: ٧٦٢.

(٥٤١٠)"بحر العلوم" ٣/ ٥٢٨ - ٥٢٩، والتفسير البسيط للواحدي: ٤٧٢/٢٤، و"تفسير القرطبي" ٢٠/ ٢٦٣، و"فتح القدير" ٥/ ٥٢٣، و"تفسير الحسن البصري" ٢/ ٤٤٧.

(٥٤١١) تفسير عبدالرزاق(٣٧٤٩):ص٤٧٨/٣، والدر المنثور: ٦٩٥/٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٥٤١٢) أخرجه أحمد في المسند(٢١١٢):ص٢٠/٤، إسناده صحيح على شرط البخاري، المنهال -وهو ابن عمرو الأسدي- من رجال البخاري، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. يعلى: هو ابن عبيد الطنافسي.

وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٠٦) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦٣٤) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٢٩٩/٤ و٤٥/٥ من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٤٨/٨-٤٩ و٣١٥/١٠، والترمذي (٢٠٦٠) ، والبغوي (١٤١٧) من طريق يعلى بن عبيد، به.

وأخرجه ابن ماجه (٣٥٢٥) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٠٦) ، والبخاري في "خلق أفعال العباد" (٤٥٥) ، والطحاوي ٧٢/٤، والحاكم ١٦٧/٣ من طرق عن سفيان الثوري، به.

وأخرجه ابن أبي شيبة ٤٩/٨ و٣١٥/١٠، والبخاري في "صحيحه" (٣٣٧١) ، وفي "خلق أفعال العباد" (٤٥٤) و (٤٥٦) ، وأبو داود (٤٧٣٧) ، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٠٠٧) ، وابن حبان (١٠١٣) من طرق عن منصور، به.

وأخرجه ابن حبان (١٠١٢) ، والطبراني (١٢٢٧١) من طريق زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال، به.

هامة، بتشديد الميم: كل ذات سم يقتل، وجمعه هوام، ولامة: بتشديد الميم، أي: ذات لمم، واللمم: كل داء يلم من خبل أو جنون أو نحوهما، أي: من كل عين تصيب السوء. قاله السندي.

خاتمة المؤلف

قال العبد الفقير إلى الله تعالى، متضرعا إلى ربه الكريم، اللهم يا ولي العصمة والإرشاد وهادي الغواة إلى سنن الرشاد بارئ البرية مالك الرقاب عليك توكلي وإليك متاب أنت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف ألوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون وألتجئ إلى حرزك الحريز وآوى إلى ركنك العزيز وأسألك من خزائن برك المخزون في مكامن سر المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من أمور الدنيا والدين وأعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فأعذني بحمايتك وأعني بعنايتك وأفض على من شوارق الأنوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويجردني من العلائق الجسمانية وهذب نفسي الأبية من دنس الطبائع والأخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الإشراق ليستعد للعبور على سرائر الأنس ويتهيأ للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وأرشدني إلى مسالك البر والتقى واجعل أعز مرامي ابتغاء رضاك وأشرف أيامي يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

اللهم كما مننت عليّ بإكمال هذا التفسير، وأعنتني على تحصيله، وتفضلت علي بالفراغ منه، فامنن عليّ بقبوله، واجعله لي ذخيرة عندك، وانفع به من شئت من عبادك ليدوم لي الانتفاع به بعد موتي، فإن هذا هو المقصد الجليل من التصنيف، واجعله خالصا لك، وتجاوز عني إذا خطر لي من خواطر السوء ما فيه شائبة تخالف الإخلاص، واغفر لي ما لا يطابق مرادك، فإني لم أقصد في جميع أبحاثي فيه إلا إصابة الحق وموافقة ما ترضاه، فإن أخطأت فأنت غافر الخطيئات، ومسبل ذيل الستر على الهفوات، يا بارئ البريات، وأحمدك لا أحصي حمدا لك، وأشكرك لا أحصي شكرك، أنت كما أثنيت على نفسك، وأصلي وأسلم على رسولك الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وكان الفراغ من هذا العمل: ضحى يوم الثلاثاء، الحادي عشر من المحرم، لعام ألفٍ وأربعمائةٍ وأربعة وأربعين من الهجرة النبوية، في مدينة أربيل. والله الموفق.